











كتاب  
صحيح الألبان

تأليف  
الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثاني

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م



النوع الثامن عشر - المعرفة بالأحكام

الطرف الثاني - في معرفة ما يحتاج إليه

الكتابة الخ، ويشتمل على أنواع...

النوع الأول - مما يحتاج إلى وصفه النوع الإنساني، وممر

ضرب ... .. ٤

النوع الثاني - مما يحتاج إلى وصفه، هي دواب الركوب،

وهي أربعة أصناف ... .. ١٣

النوع الثالث - ما يحتاج إلى وصفه من جليل الوحش الخ،

وهو أصناف ... .. ٣٣

النوع الرابع - فيما يحتاج إلى وصفه من الطيور، وهو على أربعة

أصناف ... .. ٥٢

النوع الخامس - ما يحتاج إلى وصفه من نفائس الأحجار، وفيه اثنا عشر

صنفا ... .. ٩٧

النوع السادس - نفيس الطيب، وفيه أربعة أصناف ... .. ١١٨

النوع السابع - ما يحتاج إلى وصفه من الآلات، وهي أصناف ... .. ١٣١

النوع الثامن - مما يحتاج إلى وصفه، الأقلاك والكواكب، وفيه

مقصودات ... .. ١٥٤

النوع التاسع - مما يحتاج الكاتب إلى وصفه العلويات مما بين السماء

والأرض، وهي على أصناف ... .. ١٧٥





- ٣٣٩ . خ ، وفيه اربعة اطراف
- ٣٣٩ ... .. ~~...~~ ... .. مت حمل
- ٣٦٨ هور ، وهي على قسمين طبيعي واصطلاحى
- ٣٩٦ ... .. فى السين ، وفيه ثلاث حمل ... ..
- ٤١٦ الضرف الرابع - فى اعياد الأئم ومواسمها ، وفيه خمس حمل ... ..
- الباب الثانى - فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية ، وهو الخط
- ٤٤٠ وتوابعه ولواحقه ، وفيه فصلان ... ..
- الفصل الأول - فى ذكر آلات الخط وهياكله وصوره وأشكاله الخ ،
- ٤٤٠ وفيه ثلاثة أطراف ... ..
- الطرف الأول - فى الدواة وآلاتها ، وفيه مقصدان ... ..
- الطرف الثانى - فى الآلات التى تشتمل عليها الدواة ، وهى سبع عشرة
- ٤٤٤ آلة الخ ... ..
- الطرف الثالث - فيما يكتب فيه - وهو أحد أركان الكتابة الأربعة الخ ،
- ٤٨٣ وفيه ثلاث حمل ... ..

## تم فهرس الجزء الثانى

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## النوع الثامن عشر

### المعرفة بالأحكام السلطانية

ليُعرف<sup>(١)</sup> كيف يخلص قلمه على حكم الشرعة المطهرة، وما يشترط في كل ولاية من الشروط، فينبه عليها ويقف عندها؛ وما يلزم رب كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يتدب له، فيورده في وصاياه . وقد أورد أقصى القضاة أبو الحسن علي<sup>(٢)</sup> بن حبيب الماوردي رحمه الله في الأحكام السلطانية ما فيه مَقَع من ذلك . ونحن نورد في هذا الكتاب بُدَّةً من كل باب، مما به يستغني الناظر فيه عن مراجعة غيره . والذي تكلم عليه الماوردي من الوظائف الأصوب : الإمامة ، والوزارة ، وتقليد الإمارة على البلاد، وتقليد الإمارة على الجهاد، والولاية على ضروب المصالح، والولاية القضاء، والولاية المظالم، والولاية النقابة على ذوى الأنساب، والولاية على إقامة الصلوات، والولاية على الحج، والولاية على الصدقات، وقسم الثغى والغنيمة، ووضع الجزية والخراج ، ومعرفة ما تختلف أحكامه من البلاد، وإحياء الموات، واستخراج المياه، والجمى، والأوقاف، وأحكام الإقطاع، وأحكام الديوان، وأحكام الجرائم، وأحكام الحسبة .

(١) أى الكاتب .

(٢) هو على بن محمد بن حبيب أنظر كشف الظنون .

وأنا أقصر من ذلك هنا على ما تفضي إليه حاجة الكاتب من الأحكام ،  
دُونَ ما عساه من القروع الزائدة على ذلك ؛ فإذا عرف حكم كل ولاية من هذه  
الولايات ، وما يوجب توليتها ، وما يعتبر في متوليتها من الشروط ، وما يلزمه  
من الأمور إذا تولّاها ، وما يتأق أمورّها ، ويحاطب أحوالها ؛ عرف ما أتى من ذلك  
وما يترّ ، فيكون ما ينشئ من البيّعات ، والمُهود ، والتقاليد ، والتفاويض ، والتوافيع ؛  
وما يجري مجرى ذلك جارياً منه على السداد ، ما شيا على القواعد الشرعية التي من حاد  
عنها ضلّ ، ومن سلك خلاف طريقها زلّ . وكذلك المناشير المتعلقة بالإقطاعات ،  
وعقد الجزية والمُهادنات والمُفاحّات ، وما يجري مجرى ذلك من الأمور السلطانية .  
فإذا عرف حكم كل قضية ، وما يجب على الكاتب فيها ، وقأها حقها ، وأقّى بذكر  
ما يتعلق بها من الشروط ، وجرى في وصايا الولايات بما يناسب كل ولاية منها ؛  
بجرى الأمر في ذلك على السداد ، ومشت كتابته فيها على أتم المراد ؛ إن كتب  
بيّعة أو عهداً خليفه ، تعرّض فيه إلى وجوب القيام بأمر الخلافة ، ونصب إمام  
للناس يقوم بأمرهم ، وتعرّض إلى اجتماع شروط الخلافة في المولى ؛ وأنه أحق  
بها من غيره . ثم إن كانت بيعة نشأت عن موت خليفة تعرّض لذكر الخليفة  
الميت ، وما كان عليه أمره من القيام بأعباء الخلافة ، وأنه درج بالوفاة ؛ وأن المولى  
أستحقها من بعده دون غيره . وإن كانت ناشئة عن خلخ خليفة تعرّض للسبب  
الموجب خلخه ؛ من الخروج عن سنن الطريق ، والعدول عن منهج الحق ونحو ذلك مما  
يوجب الخلخ لتصح ولاية الثاني . وإن كان عهداً تعرّض فيه إلى عهد الخليفة السابق  
إليه بالخلافة ، وأنه أصاب في ذلك الفرض ، وجرى فيه على سواء الصراط ، ونحو  
ذلك مما يجري هذا المجرى من سائر الولايات على ما سيأتى ذكره في مواضعه إن  
شاء الله تعالى .



وهذه فقرة من بيعة أنشأتها توضح ما أشرت إليه من ذلك

فمن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى وجوب القيام بالإمامة :

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بها من الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى دليل تنقطع دون تقضيه الأطماع، وتنبو عن سماع ما يخالفه الأسماع .

ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى اجتماع شروط الخلافة في المولى وهو : وكان فلان أمير المؤمنين، هو الذي جمع شروطها فوقها، وأحاط منها بصفات الكمال وأستوفأها، ورامت به أدنى مراتبها فبلغت أغياها، وتسور معالماً فرقى إلى أعلاها، واتحد بها فكان صورتها ومعناها .

ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى عقد البيعة : بجمع أهل الحل والعقد، المعبرين للاعتبار والعارفين بالنقد، من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأرباب الرأي والنصحاء، واستشارهم في ذلك فصوبوه، ولم يروا المدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى القبول : وقابل عقدها بالقبول بحضور من القضاة والشهود فلزمت، ومضى حكمها على الصلحة فأنبرت، إلى غير ذلك مما يخرط في هذا من سائر الولايات وغيرها .

قلت : وكما يجب عليه معرفة الأحكام السلطانية، يتعين عليه معرفة ما عدا ذلك من الأمور الصناعية التي يتكلم أصحابها في سلك الولايات كالهندسة ونحوها، وسيأتي التنبيه فيما يجب على كل واحد من أرباب الولايات عند ذكر ولاية كل منهم في موضعها إن شاء الله تعالى .

## الطرف الثاني

في معرفة ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في أصناف الكتابة مما تدعوه ضرورة الكتابة إليه على اختلاف أنواعها ، ويشتمل على أنواع

### النوع الأول

مما يحتاج إلى وصفه النوع الإنساني، وهو على ضربين

### الضرب الأول

أوصافه الجسمية ، وهي على ثلاثة أقسام

### القسم الأول

ما يشترك فيه الرجال والنساء ، وهي عدة أمور

منها : حُسن اللون ؛ والألوان في البشر ترجع إلى ثلاثة أصول ؛ وهي البياض ، والسُمرة ، والسَّواد ؛ ويعبر عن السَّواد بِشِدَّةِ الأُدْمَةِ ، وربما عبر عن البياض بِرِقَّةِ السُّمْرِ ؛ ويستحسن من هذه الألوان البياض ؛ وأحسن البياض ما كان مُشْرِباً بِحَمْرَةٍ ؛ وقد جاء في حديثِ ضَمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَنَّهُ حِينَ سَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وَفُودِهِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : ” أَيُّكُمْ أَبْنُ عَيْدٍ الْمَطْلَبُ ؟ قِيلَ : هُوَ ذَاكَ الْأَمْرُ الْمُتَكِيُّ “ : وَالْأَمْرُ هُوَ الْمُشْرَبُ بِحَمْرَةٍ ، أَخْذًا مِنَ الْمُتَرَّةِ ؛ وَهِيَ الصَّبْغُ الْمَعْرُوفُ .

وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم أنه : ” أَزْهَرُ اللَّوْنِ “ ؛ وَالْأَزْهَرُ هُوَ الْأَبْيَضُ بِصُفْرَةٍ خَفِيفَةٍ . وَالسُّمْرَةُ مُسْتَحْسَنَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وَدَوِ الْغَالِبِ فِي لَوْنِ الْقَرَبِ ، وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ “ : إِنْ الْمُرَادُ بِالْأَحْمَرِ : الْحُمْرُ لِقَبْلِهِ الْبَيَاضُ فِيهِمْ ؛ وَالْمُرَادُ بِالْأَسْوَدِ : الْعَرَبُ لِقَبْلِهِ السُّمْرَةُ فِيهِمْ ؛ أَمَّا السَّوَادُ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَمْدُوحٍ بَلْ قَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى السَّوَادَ ، وَمَدَحَ

البياض بقوله: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) الآية ؛ على أن كثيرا من الناس قد جَنَحُوا إلى استحسان السودان والميل إليهم ، وأنهم في الاحتفال بأمرهم ؛ وقد نص أصحابنا الشافعية على أنه لو قال لزوجته : إن لم تكوني أحسن من القمر فانت طالق ، لم تطلق وإن كانت زنجية سوداء ؛ فقد قال تعالى: (وَصَوِّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ) . وبالجملة فالحسن في كل لون مستحسن ؛ وقه القائل :

لَبَّ الْمَلِيجَ مَلِيجٌ \* يُحِبُّ فِي كُلِّ لَوْنٍ

ومنها: حُسْنُ القَدِّ ؛ وأحسن القدود الرِّيمَةُ ؛ وهو المعتدل القائمة ، الذي لا طُولَ فيه ولا قَصَر ، وليس كما يقع في بعض الأذهان من أنَّ المراد منه دُونَ الاعتدال . وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، "أَنَّهُ كَانَ رَعةً" . ويستحسن في القَدِّ القَوَامُ والرَّشَاقَةُ ، ويشبه بالرحم والفُصْن ، وأكثر ما يشبه به في ذلك أغصان البان لقوامها .

ومنها : سواد الشعر ؛ وأكثر ما يكون ذلك في الشَّعْر ، فإن اجتمع مع البياض سواد الشعر كان ذلك في غاية من الحسن ، ويشبه سواد الشعر بالليل ؛ وربما وقعت المبالغة فيه فشبه بفَحْمَةِ الليل ، ويدُجى الليل ، وبفَحْمَةِ الدُّجَى ؛ وقد يشبه بالآيُوس ونحوه مما يظن فيه حَلَكُ السَّوَاد .

وقد اختلف الناس في جُودَةِ الشعر وسُبوْطته أيها أحسن ؟ فذهب قوم إلى استحسان الجُودَةِ ؛ وهي اقْباض الشعر بعض اقْباض ، وهو مما يستحسنه العرب ، وإليه ذهب الفقهاء حتى لو شرط البائع في عبد كونه جَدَّ الشعر ونظير سَيِّط الشعر ردَّ بذلك بخلاف المكس ؛ وذهب آخرون إلى استحسان السُّبوْطَةِ ، وهي استرسال الشعر وأنبساطه من غير انكماش ؛ وأكثر ما يوجد ذلك في الترك ومن

في معانهم . ثم الذاهبون إلى آستان الجؤودة يستحسنون التواء شعر الصدغ ؛  
ويشبهونه بالواو تارة وبالعقرب أخرى .

ومنها : وضوح الجبين ، وسعة الجبهة ، وانحسار الشعر عنها ؛ فيُستقبح الفم ؛  
وهو عموم الجبهة أو بعضها بشعر الرأس .

ومنها : وسامة الوجه وحسن الحياء . ويشبه الوجه في الحسن بالشمس ، وبالقمر ،  
وبالسيف ؛ إلا أن التشبيه بالشمس والقمر أتم من التشبيه بالسيف لما فيه من صورة  
الاستطالة ؛ وقد جاء في بعض الآثار أنه قيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم : هل  
كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف ؟ فقال بل كالشمس والقمر .  
ويستحسن في الوجه حمرة الوجنتين ؛ ويشبه لونهما بالورد ، والشقيق ،  
وبالعقيق ، وبالعتق ؛ وما يجري مجرى ذلك مما تغلب فيه الحمرة المشرفة .

ومنها : بلج الحاجبين وزججهما ، فالبلج : انقطاع شعر الحاجبين ؛ ألا يكون بينهما  
شعر يصل ما بينهما ، وهو خلاف القرن ؛ وربما استحسن انخفئ من القرن ، وهو  
الذي قد فيه شعر ما بين الحاجبين حتى لا يظهر فيه إلا خضرة خفيفة . والزجج : دقة  
الحاجب مع طوله بحيث ينتهي إلى مؤخر العين ؛ وقد جاء في وصف النبي صلى الله  
عليه وسلم : أنه كان أزج الحاجبين .

ويُستحسن في الحاجبين سواد شعرهما ، وأن يكونا قوسين ؛ ويشبه تقويمهما  
بالنون تارة ، وبالقوس أخرى .

ومنها : حسن العينين ؛ ويستحسن في العين الحور ؛ وهو خلوص بياض العين ؛  
والنجل ؛ وهو سعتها ، ويقال فيه حيثئذ : أنجل وربما قيل : أعين ، ومنه قيل للهور : عين .  
والدجج ؛ وهو شدة سواد الخلقة . والكحل ؛ وهو أن تسود مواضع الكحل من  
العين خلقة .

وتشبه العين بالصاد تارة ، وبالجيم أخرى ؛ وتشبه بالترجيس وربما شبهت بنور الباقيل ؛ وأعرض بأن فيه حولا . وربما شبهت العين بالسيف ، وبالسهم ، وبالسنان ؛ وقد يستحسن في العين الثُّور وضِعْفُ الأجفان .

ومنها : حُسْنُ الأنف ؛ ويستحسن فيه القنأ ؛ وهو ارتفاع وسط الأنف قليلا عن طرفيه مع دِقَّةٍ فيه ، وهو الغالب في العرب ؛ وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم : أنه كان أفنى الأنف ؛ ويستحسن فيه الشَّم أيضا ؛ وهو استواء قَصْبَةِ الأنف وعلوُّ أَرَبَتِهِ . ويشبه الأنف بالسيف في بَرِّيقِهِ .

ومنها : حسن اللَّحْم ؛ ويستحسن فيه الضَّيق ، ويشبه بالميم ، وبالصاد ، وبالخاتم . ومنها : حُسْنُ الشفتين ؛ ويستحسن فيهما الحمرة ، وتشبه حُمْرَتُهُمَا بما تُشَبَّهُ به الوجهة من الورد والعقيق والمرجان ونحوها ؛ ويستحسن فيهما اللَّيْ ؛ وهو سمرة تملو حُمْرَتُهُمَا .

ومنها : حسن الأسنان ؛ ويستحسن فيها الشَّنْب ؛ وهو بياض وبريق يملوها . وتشبه الأسنان في البياض وحُسْنِ النظم بالؤلؤ ، وبالبرد ، وبالطُّلُع ؛ وهو نبت أبيض ، وبالأفاح ، وبالحبيب ؛ وهو الذي يملو الكأس عند شُجِّهِ الْمَاءِ ؛ وقد تشبه بالجوهر ؛ ويستحسن فيها الأَشْر ؛ وهو تحلِيلُ الأسنان كما يقع في كثير من الصَّبيَّان ؛ ويستحسن في السِّنْخ — وهو لحم الأسنان — حمرة لونه ؛ ويشبه بالعقيق والورد وسائر ما يشبه به الخلد . ومنها : حسن الجِدِّ ؛ وهو العنق ؛ ويستحسن فيه طوله وبياضه من الأبيض ؛ ويشبه بإبريق فضة .

ومنها : دِقَّةُ الخَصْرِ ؛ وهو مَعْقِدُ الإِزَارِ حَتَّى لَانِهِمْ يَشْبَهُونَهُ بِدَوْرِ كُمْلُجٍ ، ودور خَطْلَلٍ وما أشبه ذلك .

(١) أى مزجه ، يقال : شج اعمر بالماء إذا مزجه به . أنظر اللسان .

قلت : وهذه الصفات وإن كانت مستحسنة في الرجال والنساء جميعاً فلها في النساء أكد ؛ فإن الأمر في الحسن منوط بهن ؛ فهما كانت المرأة أحسنَ كان أعظمَ لسانها ، وأعزَ لمكانها . وقد قيل لرجل من بني عُذرة : ما بال الرجل منك يموتُ في هوى امرأة ! إنما ذلك لضحك فيكم يا بني عُذرة ، فقال : أما والله لو رأيتم التواظر الدُخج ، فوقها الحواجب الرُجج ، تحتها المباسم الفُجج ، لأتخذتموها آلاتَ والعزى ! وقد أكثر الشعراء من التغزل بهذه المحاسن بما ملأ الدفاتر بما لا حاجة بنا إلى ذكره هنا .

### القسم الثاني

ما يختص به الرجال

وأخص ما يختص به الرجال من المحاسن : اللحية ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ : إن المراد اللحية ، على خلاف في ذلك ؛ ويستحسن في اللحية استدارتها وتوسطها في المقدار ، وسواد شعرها . فإذا حُسنت اللحية من الرجل كُملت محاسنه . وتزيد الأحداث على الرجال في الحسن بمقدمات ذلك ؛ فيستحسن منهم خضرة الشارب ، وخضرة العارض والعارض ؛ ويشبه كل منهما بالآس ، وبالريحان ، وبديب النمل ونحو ذلك . ويشبه العذار بالأكف ، وباللام ، وبالباء . ويشبه الشارب الأخضر فوق حمرة الشفتين بقوس مُزَجَّج ، وبالآس مع الورد ونحو ذلك ؛ على أن أهل الفِراسة قد استحسنوا في الرجل أموراً تخالف ما تقدم .

منها : سعة الفم وغِلظ الشفتين وما أشبه ذلك قائلين : إن ذلك مما يدل على الشجاعة وهو أمر مطلوب في الرجل كما تقدم .

### القسم الثالث

ما يختص به النساء

وما ينفرد به النساء من الأوصاف الجسمية: السَّمْنُ، فهو أمر مطلوب في المرأة ما لم يُفْرِطَ ويخرج عن الحد المطلوب؛ ففى الصحيحين من حديث أم زرع: "بنت أبي زرع وما بنت أبي زرع؟ ملء كسائها، وغيظ جارتها" إشارة إلى امتلائها بالشحم. ووصف أعرابي امرأة فقال: "بيضاء رُعبوبه، بالشحم مَكروبه، بالمسك مشبوبة".

وهذا بخلاف الرجال فإن المطلوب فيهم: الخِفَّةُ وقلة اللحم لأجل قوة النهضة، وسرعة الحركة في الحرب وغيره، والسَّمْنُ يمنع ذلك، مع ما يقال إن فيه تبليدا للذهن؛ قال بعضهم: ما رأيت حبرا سمينا إلا محمد بن الحسن بنى صاحب أبي حنيفة رضى الله عنه. وربما استحسن قلة اللحم في المرأة أيضا، وتوصف حينئذ بالهيف.

ومن ذلك ثقل الردف؛ فهو مما يتمتع به في النساء بخلاف الرجل فإن ذلك فيه غير محمود.

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن رجلا أخذ خطرا من قوم على أن يغضب معاوية بن أبي سفيان مع غلبة حلمه، فعمد إلى معاوية وهو ساجد في الصلاة، فوضع يده على عجزه وقال: ما أشبه هذه العجيزة بعجيزة هند! — يعنى أم معاوية — فلما سلم من صلاته، التفت إلى ذلك الرجل وقال: يا هذا إن أبا سفيان كان محتاجا من هند إلى ذلك، وإن كان أحد جعل لك شيئا على ذلك نفذه.

ومما يستحسن في المرأة طول الشعر في الرأس، ودقة العظم، وصغر القدم، وقومة الجسد، وقلة شعر البدن، في أمور أخرى يطول ذكرها.

## الضرب الثاني

الصفات انلاجة عن الجسد، وهي على ثلاثة أقسام أيضا

### القسم الأول

ما يشترك فيه الرجال والنساء

وهو يرجع الى أصليين : العقل واليعة؛ ويدخل تحت كل من هذين الأصلين فئة من أوصاف المدح . فأما العقل فيدخل تحته العلم؛ وصفاته : المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، واليكفاية، والصّدق بالجمّة، والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . ولا ينبغي أن هذه الأوصاف مطلوبة في الرجال والنساء جميعا وإن كان أكثرها بالرجال أليق .

وأما اليعة فيدخل تحتها : القناعة، وقلة الشّره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما لا يستغنى عنه رجل ولا امرأة؛ وإنّا رُكّب العقل مع اليعة حدث عنهما صفات أخرى مما يمتدح به : كالترّاعة، والرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، ونحو ذلك مما يفرض في هذا السلك .

### القسم الثاني

ما يختص به الرجال دون النساء

وهو يرجع الى أصليين أيضا؛ وهما العدل والشجاعة؛ ويدخل تحت كل من الأصلين عدة أوصاف من أوصاف المدح؛ فيدخل تحت العدل السّاحة، والتبرّع بالتأثّل، وإجابة السائل، وقرى الضيف، وما شابه ذلك . ويدخل تحت الشجاعة عدة أوصاف كالحمية والدفاع، والأخذ بالتأثر، والتكايه في المدق، والمهابة، وقتل الأقران، والسير في المهامه الموحشة، وما أشبه ذلك؛ وإنّا رُكّب العقل مع الشجاعة



حدثت عنهما صفات أخرى مما يتقدح به كالصبر على الملمات ونوازل الخطوب ،  
والوفاء بالوعد ونحو ذلك .

### القسم الثالث

ما يختص به النساء

ويرجع الى أصليين مذمومين في الرجل ؛ وهما الجُبْنُ والبُخلُ ؛ وذلك أن المرأة  
إذا جُبْنَتْ كَفَّتْ عن المَسَاوِي خوفا على نفسها أو عِرْضِهَا ، وإذا بَخِلَتْ حَفِظَتْ  
مال زوجها عن الضَّيَاع والإِتْلَاف ؛ وحينئذ فتكون أوصاف الرجال الممدوحة أربعة  
أوصاف : آثان يشتركون فيهما مع النساء ؛ وهما العقل والعفة ؛ وآثان ينفردون  
بهما عن النساء ؛ وهما العدل والشجاعة .

وتكون أوصاف النساء الممدوحة أربعة أيضا : آثان يشتركن فيهما مع الرجال ؛  
وهما العقل والعفة ؛ وآثان ينفردن بهما عن الرجال ؛ وهما الجُبْنُ والبُخلُ ؛ فيمدح  
كل من الصنفين بما هو مشتمل عليه بحسب ما يقتضيه المقام وما يوجبه الحال .

قال قُدَّامَةُ بن جعفر الكاتب في قد الشعر : ومدائح الرجال تنقسم بحسب  
الممدوحين من أصناف الناس في الارتفاع والانخفاض ، وضروب الصناعات والتبذير  
والتحضر ؛ فيحتاج إلى الوقوع على المعنى اللائق بمدح كل ؛ فمدح الملوك يكون بما  
يلامح قدرهم من رفعة القدر وطول الرتبة والأفراد عن المثل والقرين ؛ كقول النابغة  
في النعمان بن المنذر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةَ • تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ

بِأَمْرِكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ • لَإِنَّا طَلَعْنَا مِنْ يَدَيْهِ نَهْنِ كَوَاكِبُ

وما يجري مجرى ذلك . ومدح الوزير والكتاب بما يليق بالعقل والذرية ، وحن  
التفخيز والسياسة ؛ فإن أضيف إلى ذلك الوصف بالسرعة في إصابة الخزم ، والاستغناء  
بمحضور الذهن عن الإبطاء لطلب الإصابة كان أحسن وأكمل للمدح كما قيل :

يَدِيَّتُهُ مِثْلُ تَهْكِيْرِهِ \* مَتَى رُمَتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمِعٌ

وكما قيل :

يُرَى سَاكِئَ الْأَوْصَالِ بِاسْطٍ وَجْهِهِ \* يُرِيكَ الْهُوَغِي وَالْأُمُورَ تَطْيِيرُ

وَيَمْدَحُ الْقَائِدَ بِعِنَى الْأَمِيرِ الَّذِي يَقُودُ الْجَيْشَ بِمَا يَحَاسِنُ الْبَاسَ وَالتَّجِدَّةَ ، ويدخل  
في باب البطش والرسالة ؛ فإن أضيف إلى ذلك المدح بالجود والسماحة والخلق والبذل  
والعطية كان أحسن وأتم ؛ من حيث إن السخاء أخو الشجاعة ، وهما في أكثر  
الأمور موجودان في ذوى بَعْدِ الْهِمَّةِ ، والإقدام والصولة ؛ كما قال بعضهم جامعا  
بين البأس والجود :

قَتَى تَهْرَهُ شَطْرَانِ مَّا يَتُوبُهُ \* قَتَى بِأَسِهِ شَطْرَ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ

فَلَا مِنْ بُنَاةٍ الْخَيْرِ فِي عَيْنِهِ قَدَى \* وَلَا مِنْ زَمِيرِ الْحَرْبِ فِي أُذُنِهِ وَقَرُ

قال : ويمدح السُّوقَةَ والمتعشِّونَ بأصناف الحِرَفِ وضُرُوبِ الْمَكَاسِبِ ،  
والصَّعَالِكِ بما يضاهي الفضائل النفسانية من العقل والعِفَّةَ والْعَدْلَ والشَّجَاعَةَ ؛  
خاليا عن مثل مدح الملوك ومن تقدم ذكره من الوزراء والنُكَّابِ والقُوَّادِ .

ويمدح ذُورَ الشَّجَاعَةِ منهم بالإقدام والقنك والتشمير والتيقُّظَ والصبر مع التعدُّقِ  
والسَّهَابَةِ وَقَلَّةِ الْإِكْتِرَافِ بِالْخَطُوبِ الْمَلْمَةِ ونحو ذلك .

قلت : ويؤخذ مما ذكره قدامَةُ أَنَّ الْقَضَاءَ والعلماءَ يُوصَفُونَ بما يليق بمجملهم من  
ذلك ، فيوصف العالم بتقابة الذهن ، وحِدَّةِ الْفَهْمِ ، وَسَعَةِ الْبَايَاقِ فِي الْفَضْلِ ؛ وما يجري

يجرى ذلك، ويوصف القضاة بذلك وبالعدل والعفة وميانة الجور ونحو ذلك؛ وستقف في قسم الولايات في نسخ البيعات والمهود والتقاليد والتواقيع والتفاويض والمراسيم ونحوها من ذلك بما يتضح لك به سواء السبيل.

وأعلم أن الكاتب كما يحتاج إلى معرفة الصفات المحمودة من النوع الإنساني كذلك يحتاج إلى معرفة الصفات المذمومة منه؛ فربما أحتاج إلى الكتابة بدمر شيء من ذلك فيكون عنده من العلم بالصفات المذمومة ما ينفي معه؛ كما حكى أن بعض العمال بعث إلى الرشيد بعبد أسود فقلب كتابه ووقع عليه: أما بعد فلأنك لو وجدت عددا أقل من الواحد، أو لونا شرا من السواد لبعثت به إلينا والسلام.

ولا ينبغي أن كل ما خالف صفة من الصفات المستحسنة المتقدمة فهو مستقبح مع ما هو معلوم من الصفات المذمومة الجسمية، كالخشب والحول ونحوهما؛ ومن الصفات المعنوية، كسوء الخلق وبذاءة اللسان ونحو ذلك. وفي هذا مقنع في الإرشاد إلى المراد والتنبيه على القصد.

## النوع الثاني

ما يحتاج إلى وصفه هي دواب الركوب؛ وهي أربعة أصناف

### الصنف الأول

#### الخيل

ويحتاج إلى المعرفة بوصفها في مواضع؛ من أهمها وصفها عند بعث شيء منها في الإصنام والهدايا، والجواب عن ذلك؛ ووصفها في ترتيب الجيوش والمواكب، وذكرها في تجاللات الحرب، وما يجرى مجرى ذلك؛ ويشتمل الفرض منه على معرفة

أصنافها، وألوانها، وِشائتها؛ وما يُستحسن ويستقبح من صفاتها؛ ومعرفة الدوائر التي تكون فيها؛ والبصر بأمور أستانها وأعمارها .

### أما أصنافها فتلاثة

الأول : العِراب؛ وهي أفضلها وأعلىها قيمةً، وأغلاها ثمنًا، تطلب للسبق والحقاق؛ والملوك تنفالي في أثمانها وتعتدّها لمهم الحرب؛ وتوجد ببلاد العرب ومخلاتهم في أقطار الأرض، كالبحجاز، ونجد، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، وبرقة، وبلاد المغرب وغيرها .

الثاني : العَجِمَات؛ وهي البراذين ويقال لها : المِمالِجُ، وتُعرف الآن بالكاديش وتُجلب من بلاد الترك، ومن بلاد الروم؛ وغالب ما توجد مشقوقة المناخر، وتطلب للصبر على السير وسرعة المشي .

الثالث : المُولد بين العراب والبراذين؛ فإن كان الأب عجمياً والأم عربية قيل له : عَجِين ، وإن كان بالعكس قيل له : مُقَرَف؛ وهي تكون في الجُرَى والمشي متوسطة بين النوعين .

وأما ألوانها فقد ذكر ابن أبي أصيبع : أن أصول الألوان فيها ترجع إلى أربعة ألوان، وما سواها مفترع عنها .

الأول : البياض، وقيل أن يتخلص من لون يخالطه؛ فإن صفا بياضه قيل فيه : أَشْهَبُ قِرطاسيٌّ؛ فإن كان أذناه وقوائمُه وعُرفُه وذيله سودا قيل : مُطَرَفٌ؛ فإن خالط البياض شراً أسود والأغلب فيه البياض قيل : أَشْهَبُ كافوريٌّ؛ وإن كان السواد فيه أغلب قيل : أَشْهَبُ حديديٌّ، وأشْهَبُ أَشْمَطُ، وأشْهَبُ مَخْلَسٌ<sup>(١)</sup>؛ فإن كان

(١) في الأصل بالصاد وهو تصحيف، كما يفهم من مراجعة القاموس والسان في مادة ل س .

فيه نُكْتُ سُوْد قِيل : أَشْبَهُ مُفْلَسْ؛ فَإِنْ أَتَسَمَتْ قَلِيلًا قِيل : أَشْبَهُ مُدَرَّءٍ  
 فَإِنْ كَانَ فِي شُبْهَةِ طَرَائِقٍ قِيل : أَشْبَهُ مُجَزَّعٍ؛ فَإِنْ كَانَ فِيهِ بَقْعٌ مِنْ أَى تَوْنٍ كَانَ  
 دُونَ الْبَيَاضِ قِيل : مَبْقَعٌ؛ فَإِنْ صَغُرَتْ تِلْكَ الْبَقْعُ قِيل : أَبْقَعٌ؛ فَإِنْ تَفَرَّقَتْ  
 وَاخْتَلَفَتْ مَقَادِيرُهَا قِيل : أَشْمُ؛ فَإِنْ تَعَادَلَ ذَلِكَ اللَّوْنُ مَعَ الْبَيَاضِ مَعَ صَغَرِ الْقَطْعِ  
 مِنَ اللَّوْنَيْنِ قِيل : أَمْتَشْ؛ فَإِنْ تَنَاهَتْ فِي الصَّغَرِ قِيل : أَبْرَشْ؛ فَإِنْ كَانَ الْبَيَاضُ  
 نَكْثًا صَغِيرَةً فِي ذَلِكَ اللَّوْنِ قِيل : مُقَوَّفٌ؛ فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي عَضْوٍ وَاحِدٍ  
 قِيدَ بِهِ مِثْلُ قَوْلِكَ : مُقَوَّفُ الْقَطَاةِ، وَأَمْتَشُ الصَّدْرُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

الثَّانِي : السَّوَادُ؛ إِذَا كَانَ الْفَرَسُ شَدِيدَ السَّوَادِ قِيلَ فِيهِ : أَدَمُّ؛ فَإِنْ أَشْتَدَّ  
 سَوَادُهُ قِيل : أَدَمُّ غَيْبِيٍّ؛ فَإِنْ عَلَا السَّوَادَ خَضْرًى قِيل : أَحْوَى وَاجْمَعُ حَوْءٍ؛ فَإِنْ  
 خَالَطَ سَوَادَهُ شُقرَةٌ قِيل : أَدْبَسْ؛ فَإِنْ أَنْضَمَ إِلَيْهِ أَدْنَى حُمْرَةٍ أَوْ صُفْرَةٍ قِيل : أَحْمُ؛  
 فَإِنْ ضَرَبَ سَوَادُهُ إِلَى يَسِيرِ بَيَاضٍ قِيل : أَوْرَقٌ، وَنَحْوَهُ الْأَكْهَبُ؛ وَفِي دُونِهِ مِنْ  
 السَّوَادِ يُقَالُ : أَرَبْدٌ .

الثَّالِثُ : الْحُمْرَةُ؛ إِذَا كَانَ الْفَرَسُ خَالِصَ الْحُمْرَةِ، وَعُرِفَهُ وَذَيْلُهُ أَسْوَدَانِ قِيلَ فِيهِ :  
 أَوْرَدَ وَاجْمَعُ وَرَادَ وَالْأُنْثَى وَرْدَةٌ؛ فَإِنْ خَالَطَ حُمْرَتَهُ سَوَادٌ فَهُوَ كَيْتٌ، الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى  
 فِيهِ سَوَاءٌ؛ فَإِنْ صَفَتْ حُمْرَتُهُ شَيْئًا قَلِيلًا قِيل : كَيْتٌ مُدَمَّى؛ فَإِنْ كَانَ صَافِيًا قَلِيلًا  
 الْحُمْرَةِ وَعُرِفَهُ وَذَيْلُهُ أَشْقَرَانِ قِيل : أَشْقَرُ؛ فَإِنْ كَانَ أَحْمَرُ وَذَيْلُهُ وَعُرِفَهُ كَذَلِكَ قِيل :  
 أَمْتَقَرُ؛ فَإِنْ خَالَطَ شُقرَةَ الْأَشْقَرِ أَوْ الْكَيْتِ شُقرَةً بَيْضَاءَ قِيل : صَبَائِيٌّ؛ أَخَذْنَا مِنْ  
 الصَّبَابِ وَهُوَ أَخْرَجْدَلُ بِالزَّيْبِ؛ فَإِنْ كَانَتْ حُمْرَتُهُ كَهَذَا الْحَدِيدِ قِيل : أَصْدَأُ؛ فَإِنْ  
 زَادَ فِيهِ السَّوَادُ شَيْئًا يَسِيرًا قِيل : أَجَائِي وَالْأَسْمُ : الْجُلُوءَةُ .

الرَّابِعُ : الصُّفْرَةُ؛ فَإِنْ كَانَتْ صُفْرَتُهُ خَالِصَةً تُشَبِّهُ لَوْنَ النَّهْبِ وَعُرِفَهُ وَذَيْلُهُ  
 أَصْهَانٍ مَائِلَانِ إِلَى الْبَيَاضِ قِيل : أَصْفَرُ خَالِصٌ؛ فَإِنْ كَانَا أَبْيَضَيْنِ قِيل : أَصْفَرُ

فأضغ؛ فإن كانا أسودين قيل : أصفر مطرف، وهو الذى يسمونه فى زماننا الحبشى؛  
فإن كان أصفر ممتزجا بياض قيل : أشهب سوسنى؛ فإن كان فى أكارعه خطوط  
سود قيل : موشى\*.

وأما شياتها وهى البياض المخالف للونها، فهنا : الفزة؛ وهى البياض الذى يكون  
فى وجه الفرس إذا كان قدره فوق الدرهم؛ فإن كان دون الدرهم قيل : فى القرس أقرح  
والعامية تقول فيه : أغر شعرات؛ فإن جاوز البياض قدر الدرهم قيل فيه : أغرم<sup>(١)</sup>، ثم أول  
رتبة الفزة يقال له : النجم فإن سالت الفزة ورقّت ولم تجاوز جبهته قيل فيه : أغر  
عصفورى؛ فإن عمادت حتى جلّت خيشومه ولم تبلغ بحفلة قيل : أغر شمراخى؛  
فإن ملأت جبهته ولم تبلغ العينين قيل : أشدخ؛ فإن أصابت جميع وجهه إلا أنه  
ينظر فى سواد قيل : مبرقع؛ فإن فشّت حتى جاوزت عينيه وأبيضت منها أشفاره  
قيل : مغرب؛ فإن أصابت منه خذا دون خذ قيل : لطم أيمن أو أيسر؛ فإن كان  
بشفته العليا بياض قيل : أرثم؛ وإن كان بالسفل بياض قيل : ألمظ<sup>(٢)</sup>؛ فإن نالها  
جميعا قيل : أرثم ألمظ.

ومنها : الصجيل فى الرجلين وهما فى معنى ذلك؛ إن كان البياض فى مؤخر الرُسخ  
لم يستدِر عليه قيل فى القرس : مُنعل؛ وإن كان فى الأربع قيل : مُنعل الأربع؛  
أو فى بعضها أضيف إليه فقيل : مُنعل اليمين أو الرجلين أو اليد أو الرجل اليمنى  
أو اليسرى؛ فإن استدار على الرُسخ؛ وهو المفصل الذى يكتنفه الوظيف والحافر  
وكان فى إحدى الرجلين قيل : أرجل؛ وإن كان فى الرجلين جميعا قيل : مُحَدَم  
وأختم؛ فإن جاوز رُسخ الرجل واتصل بالوظيف؛ وهو ما بين الكعب وبين أسفله

(١) وقع فى الأصل أغرم بإعجام التين وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل ألمظ بالتون والطاء وهو تصحيف .

ولم يحاوز ثلثيه قيل : مُحَبَّل ، أخذنا من الحَبْل ، وهو التخلخل ؛ فإن كان في رجل واحدة قيل : مُحَبَّل الرجل اليمنى أو الرجل اليسرى ؛ فإن كان في الرجلين جميعا قيل : مُحَبَّل الرجلين ؛ فإن كان معه في إحدى اليدين بياض يحاوز الرُّسْغ إلى دون ثلثي الوظيف قيل : مُحَبَّل الثلاث مطلق اليد اليمنى أو اليسرى ؛ فإن كان البياض في اليد الأخرى كذلك قيل : مُحَبَّل الأربع ؛ فإن كان البياض في اليدين فقط قيل : أَعَصَم ، سواء جاوز الرُّسْغ أم لا ، ولا يُطلق التحجيل على اليدين أو أحدهما إلا بانضمام إلى تحجيل الرجلين أو أحدهما ؛ فإن كان في اليد الواحدة قيل : أَعَصَم اليد اليمنى أو اليسرى ؛ وإن كان فيهما قيل : أَعَصَم اليدين ، وإن كان التحجيل في يد ورجل من جانب واحد قيل : مُمَسَّك ، وإن كان ذلك من الجانب الأيمن قيل : مُمَسَّك الأيمن مطلق الأيسر ؛ وإن كان بالعكس قيل : مُمَسَّك الأيسر مطلق الأيمن ؛ وإن كان التحجيل في يد ورجل من خلاف فهو الشَّكَّال ، وقيل : الشَّكَّال بياض القائمتين من جانب ، وقيل : بياض ثلاث قوائم ؛ فإن تعدى البياض حتى جاوز عُرْقُوبَيْ الرَّجْلَيْنِ أَوْ رُكْبَتَيْ اليدين قيل : فيه مُجَبَّب ؛ فإن علا البياض حَقْوَيْ رِجْلَيْهِ وَمِرْفَقَيْ يَدَيْهِ قيل : أَبْلَق ؛ فإن زاد على ذلك حتى بلغ الْأَفْغَازَ وَالْأَعْضَادَ قيل : أَبْلَقُ مُسْرُول ؛ فإن اختص البياض بِيَدَيْهِ وَطَالَ حَتَّى بَلَغَ مِرْفَقَيْهِ قيل : أَفْقَرُ وَمُقَقَّر ؛ فإن كان البياض في الوظيف غير متصل بالرسغ ولا بالعُرْقُوبَ ولا بِالرُّكْبَةِ قيل : مُوَقَّف .

ومنها : الشَّيَات التي تختل سائر جسدھا ؛ فإن كان الفرس مِيَّضَ الْأَذْنَيْنِ أَوْ فِي أذْنَيْهِ نَقَشٌ بِيَاضٍ دُونَ سَائِرِ لَوْنِهِ قيل فيه : أَذْرَأ ؛ وإن كان مبيض الرأس قيل : أَصْعَم ؛ فإن أبيضَ قَفَاهُ قيل : أَقْفَب ؛ فإن شابَ ناصيته قيل : أَسْعَف ؛ فإن أبيضتْ

(١) كذا في الأصل بالقاف ، ولعله مصحف عن التون لأن الحقو خلاصة وبقية الكلام بإياه ، أما الحقو فهو الإعوجاج ، والنرس جاوز البياض العرويين ولم يبلغ الأفخاذ .

جميعها قيل: أصبغ الناصية؛ فإن غشى البياض جميع رأسه قيل: أغشى، وربما قيل فيه: أرخم؛ فإن أبيض رأسه وعقه جميعا قيل: أدرع؛ فإن أبيض ظهره قيل: أرحل؛ فإن كان ذلك البياض من أثر الدبر قيل: مصرد؛ فإن أبيض طنه قيل: أنبط؛ فإن أبيض جنباه قيل: أخصف؛ فإن كان البياض بأحد جنبيه قيل: أخصف الجنب الأيمن أو الأيسر؛ فإن أبيض كفه قيل: آزر؛ فإن أبيض عرض ذنبه من أعلاه قيل: أشعل؛ فإن أبيض بعض هله دون بعض قيل: محصل؛ فإن أبيض جميع هله قيل: أصبغ هلب الذنب؛ فإن عدى عرقوبه البياض جملة قيل: بهيم ومُصمت من أى لون كان.

وأما ما يُستحسن من أوصافها فقد قال العلماء بأمر الخليل: يستحب في الفرس: دقة الأذنين وطولهما وانتصابهما، ودقة أطرافهما، وقرب ما بينهما؛ وكل ذلك من علامات العتق؛ وفي الناصية باعتدال شعرها في الطول، بحيث لا تكون خفيفة الشعر ولا مقرطة في كثرتها؛ ويقال في هذه: الناصية الجتلة. ويستحب مع ذلك: لين الشكير — وهو ما طاف يجنب الناصية من الرغب — ويستحب: عظم الرأس وطوله وسعة الجبهة، وأسالة الخد، وملاسه، ودقته، وقلة لحم الوجه، وعري الناهضين — وهما عظماني في الخد — وسعة العين، وصفاء الخدقة؛ وذلك كله من علامات العتق. ويستحب في العين: السمق والجلدة ورقة الجفون وبعد نظره.

قال ابن قتية: وهم يصفونها بالقبيل والشوس والخوص، وليس ذلك فيها عيبا ولا هو خلقة، وإنما تفعله لعزة أنفسها. ويستحب في المنخر: السعة، لأنه إذا ضاق شق عليه النفس، قال: وربما شق منخره لذلك وبعد ما ين المنخرين. ويستحب في الفم: الحرث — وهو طول شق شدقيه من الجانبين — لأنه أوسع لخروج نفسه، ورقة الجفنتين وهما الشفتان لأنه دليل العتق، وطول اللسان ليكثر



ريقه فلا ينهر، ورقته لأنه أسرع نقضه العلف، وصفاء الصبيل لأنه دليل صحة  
رسته وسهولة نفسه . ويستحب في العُتْق : الطُول ، فقد كان سلمان بن ربيعة  
يفرق بين العِناق والمجن، فلما بطست من ماء فوضعت بالأرض ثم قدمت الخليل  
إليها واحدا واحدا فاشئى سُبُكَّه منها ثم شرب هَجَّه ؛ وما شرب ولم يش سُبُكَّه  
جصله عتيقا، لأن في أعناق المجن قصرا فلا تنال الماء حتى تنى سبابكها؛ وقد  
روى أنه هَجَّن فرس عمرو بن معدى كرب فاستمدى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه ، فقال سلمان : أدع بإناء فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لا شك في عقه  
فاشرع في الإملاء فصَف بين سُبُكَّه ومدَّ عقه فشرِب ؛ ثم قال : آثوني بهجين لا شك  
فيه فاشرع فبرك فشرِب ؛ ثم أتى بفرس عمرو بن معدى كرب فاشرع فصَف بين  
سُبُكَّه ومدَّ عقه ثم شئى أحد سُبُكَّه قليلا فشرِب ؛ فقال عمر : أنت سلمان الخليل .  
ويستحب فيها مع ذلك الكبر لأنه أقرب لآقياده وعَطْفِه ، وغَلْظُ مُرْكَبِ عَقِه  
ودَقَّةُ مَذْبَحِه . ويستحب فيه : ارتفاع الكَتِفَيْن والحَارِكِ والكَايِلِ ؛ وقصر الظهر  
وعَرْضُ الصَّهْوَةِ — وهى مقعد الفارس من الظهر — وارتفاع القَطَاة — وهى مقعد  
الرَّذْفِ من الظهر أيضا — وقلة لحم المتين وهما ما تحت دفتى السرج من الظهر .  
ويستحب في الكفل : الاستواء والاستدارة والملآسة والتدوير . ويستحب :  
طُول السَّيْبِ ؛ وهو الشعر المسترسل في ذيله ، وقصرُ العَصِيْبِ ؛ وهو عَظْمُ الذنب  
وجلبده ؛ ولذلك قال بعض الأعراب : اختره طویل الذَّنْبِ قصير الذَّنْبِ ببنى طويل  
الشعر قصير العَصيب .

قال ابن قتيبة : ويستحب : أن يرفع ذنبه عند العلو، ويقال : إن ذلك من  
شدة الصُّلْب . ويستحب عَرْضُ الصِّدْرِ ؛ وهو ما عَرَضَ خِثُّ مَلْثَى أعلى لِيَّه ،  
ويسمى : اللَّبَان والكَلْكَل ؛ وكذلك آرْضَاعُه عن الأرض مع دِقَّة الزَّوَر ، وهو

ما استلق من صدره بين يديه بحيث يقرب ما بين المرققين لأنه أشد له وأقوى لجريه .  
ويستحب فيه : عرضُ الكتف ، وغلظه وقصرُ النسا ، وهو عرق في الساق مستبطن  
الصخذ ، وشنجه ، وقصر وظيف اليد ، وهو قصب يديه ، وقصر الرُشغ ، ودقة إبرة  
المرقوب وتحديدته ، لأنه أشد لقصب الساق ؛ وطول وظيف الرجل ليخفف الأرض  
بها فيكون أشد لعدوه ، وغلظ عظم القوائم ، وغلظ الجبال ؛ وهى عصب الذراعين ،  
ولطف الركبة ، وقرب ما بين الركبتين ، وشدة كعبه ، لأن ضعف الكعب داعية  
الجرود<sup>(١)</sup> ، وانحناء الرجلين وتوترهما ، وبعد ما بين الرجلين ؛ وهو الفصح ، لأنه أشد  
تمسك رجله من الأرض . ويستحب : صفاء الحافر ، وصلابته ، وسعته ، وكونه  
أزرق أو أخضر غير مشوب بياض ؛ لأن البياض دليل الضعف فيه ؛ وأن يكون  
مع ذلك فيه تقب ، ولطف نسوره ؛ وهى شئ في باطن حافره كالنوى ، لأنه  
إذا ضاق موضعها كان أصلب لحافره ؛ وأن تكون أطراف سنا بكة وهى مقادير  
حوافره رقيقة .

ويستحب فيه مع ذلك كله : اتساع إهابه وهو جلده ، ورقة أديمه ، وصفاء  
لونه ، ولين شعره ، وكثرة عرقه ، وكثرة نومه ، وسعة خطوه ، وخفة عنانه ، ولين  
ظهوره ، وحسن استقلاله في أول سيره ، وخفة وقع قوائمه على الأرض إذا مشى ،  
وشدة وقعها إذا عدأ ، مع حدة نفسه وسرعة عدوه ، واتساع طرقاته ؛ وقد ينتشر  
القطاف في المشى في دواب الجررى .

ثم إنه قد يحتمل فوات آلة الحسن والقراءة في المشى ولا يقتصر النقص في آلة  
الجودة وشدة العدو والصبر ، لأن بهما يدرك ما يطلب ، وينجو مما يهرب .

(١) في القسان الجرود : ورم في مؤخر عرقوب العرس يعظم حتى يمنعه المشى والسعى .

وأما ما يُستقبح ويُدّم من أوصافها، فقد ذكروا للفرس عدة عيوب، بعضها خلقية وبعضها حادثة .

فمن العيوب الخلقية: البدء؛ وهو بُد ما بين اليدين، والصِّمّ؛ وهو ألا يسمع وعلامته أن يراه يَصْرُ أذنيه أبداً إلى خلف، وإذا جُرّ خلفه خشبة ونحوها لا يشعر ولم ينفر عنها؛ وإن الخذاء؛ وهو أن يكون أذناه مسترخيتين منكوستين نحو العينين أو الخدين كأذان الكلاب السلوقية؛ والطول؛ وهو أن تطول إحدى أذنيه وتقصّر الأخرى، وكونه أسكّ؛ وهو أن يكون صغير الأذن .

ومنها: السّفا؛ وهو قلة شعر الناصية؛ والغَمّ<sup>(١)</sup>؛ وهو أن يكثر شعر الناصية ويَطُول حتى يغطّي العين؛ وهو عيب خفيف؛ والسّفا؛ وهو خفة الناصية .

ومنها: القَرَح؛ وهو أن يكون البياض الذي في الوجه دُون قدر الدرهم كما تقدّم إلا أن يكون معه بياض آخر من تحجيل ونحوه فلا يكره حينئذ؛ فإن كان في وسط البياض في الوجه سواد كان عيباً يُنشأ به .

(٢)  
ومنها: العشا؛ وهو ألا يُبصر ليلاً فيصير بمثابة نصف فرس . لأنه لا ينتفع به في الليل دون النهار؛ وكونه قائم العين؛ وهو الذي يكون على ناظره سواد يضرب للخنزيرة والكُدرة يقلّ معها بصره؛ والحَوَل؛ وهو أن يكون بإحدى عينيه بياض خارج سواد الحدقة من فوق، ويكون خلاف العين الأخرى وهو مع ذلك مما يتبرك به بعض الناس، ويقول: إذا كان ذلك في العينين كان أعظم لبركته؛ والخيف؛ وهو أن تكون إحدى عينيه زرقاء، وهو مما يُنشأ به لا سيما إذا كانت الزرقاة في العين اليسرى، فإن أزرقّت العينان جميعاً كان أقلّ لشؤمه؛ وعُثُور العينين؛ وهو

(١) أي أن السفا بهذا المعنى عيب خفيف .

(٢) في الخط إسقاط لا، وفي المخطويع إثباتها وهو الظاهر .

دخولها في وجهه ؛ والغرب ؛ وهو بياض أشفار العينين ، يكون عنه ضعف بصره في القمر والحز الشديد ؛ والكثرة ؛ وهو أن يبصر قدمه ، ولا يبصر عن يمينه ولا شماله .

ومنها : القنأ ؛ وهو أحديب في الأنف ، ويكون في الحُجْن ؛ والخنْس ؛ وهو أن يرى فوق منخريه متخسفا لأنه يضيق نفسه إذا ركض .

ومنها : الفطس ؛ وهو أن تكون أسنانه العليا داخلة عن أسنانه السفلى ؛ والطبقة ؛ وهو أن تسترني تحتلته السفلى فإذا سار حركها وطبطبها كالبحير الأهمل ، وأن يكون في حنكه شامة سوداء وسائر فله أبيض .

ومنها : قصر اللسان ؛ لأنه إذا قصر لسانه قل ريقه فيسرع إليه العطش ؛ والخرس ، وعلامته أن تراه يصهل ولا يُجِج ؛ وهو عيب لطيف .

ومنها : القصر ، وهو غلظ في العنق ؛ واللَّف ، وهو استدارة فيه مع قصر ؛ والدن ؛ وهو طمأنينة في أصل العنق ؛ والمَنع ؛ وهو طمأنينة في وسط العنق ؛ والقود ؛ وهو يُنس في العنق بحيث لا يقدر الفرس أن يدير عنقه يمينا ولا شمالا ولا يرفع رأسه إذا مشى ؛ وهو عيب شديد ؛ والحسأ ؛ وهو يُنس المَظف .

ومنها : الكتف ؛ وهو أنفراج يكون في أعلى كَتِفَي الفرس مما يلي الكاهل ؛ والقَيس ؛ وهو أن يطمئن الصُّلب من الظهر وترفع القِطاة ؛ والبَنج ؛ وهو أن يطمئن الصُّلب والقِطاة جميعا ؛ وهو عيب ردي ، يضرب بالعمل ؛ وكوث الكفل فيه تحميد ويكون السجُر صغيرا ؛ والفرق ؛ وهو نقصان إحدى حرقفتي الوركين ، فإن نقصتا جميعا فهو مسوح الكفل ولا حيب فيه .

ومنها : الدن ؛ وهو تظامن الصدر ودنوّه من الأرض ؛ وهو من أسوأ العيوب ؛ والزور ؛ وهو دخول إحدى قهذي الصدر ونروج الأخرى .

ومنها : المَصَم ؛ وهو استقامة الضُّلوع ودخول أعاليها ؛ والإخطاف ؛ وهو لحوق ما خلف المخزيم من بطنه ؛ والتَّجَل ؛ وهو نروج الخاصرة ورقة الصَّفَاق .

ومنها : العَصَل ؛ وهو التواء عَصِيب الذَّنْب حتى يبرز بعضُ بطنه الذي لا شعر عليه ؛ والكَشَف ؛ وهو أكثر من ذلك ؛ والصَّيغ ؛ وهو بياض الذَّنْب ؛ والشَّل ؛ وهو أن يبيضَ عَرَضُ الذَّنْب وهو وسطه .

ومنها : الفَصَج ؛ وهو إفراط بُد ما بين الكعبين ؛ والحَلَل ؛ وهو رَخَاوة الكعبين ، ويَلْحِقُ به تقويسُ اليدين ؛ وهو عيبٌ فاحش ؛ والطَّرَق ؛ وهو أن ترى ركبته مفسوختين كالمنقوسين إلى داخل ؛ وهو عيب فاحش ؛ والقَسَط ؛ وهو أن ترى رجلاه متصببتين غيرَ مُحَنَّبَتَيْن ؛ والبَدَد ؛ وهو بُد ما بين اليدين ؛ والفَصَج ؛ وهو إفراط بُد ما بين العرقوين ؛ والتَّقَد ؛ وهو انتصاب الرُّسْغ وإقباله على الحافر ولا يكون إلا في الرَّجُل ؛ والصَّدَف ؛ وهو تدانى الفخذين وتباعُد الحافرتين في التواء من الرُّسْغين بحيث ترى رُسْنِي يديه مفتوحين ؛ والتَّوْجِيه ؛ وهو نحو منه إلا أنه أقل من ذلك ؛ والقَدَع ؛ وهو التواء الرُّسْغ من عَرْضِه الوحشِي من الجانبين من رَأْس الشَّطْلِي ، ووَطْؤُهُ على وحشِي حافره جميعا وهو الجانب الخارجُ ؛ والارتهاش ؛ وهو أن يَصُكَّ عَرْض حافره عَرْض نُجَّايته من اليد الأخرى وذلك لضعف يده ؛ والحَنَف ؛ وهو أن يكون حافرا يديه مكبوبين إلى داخل ؛ والتَّقَد ؛ وهو أن يرى الحافر كالمتقشر ؛ والَشَرَج ؛ وهو أن يكون ذو الحافر له بيضة واحدة ؛ والأَرَح ؛ وهو أن يمس الأرض بباطن حافره .

ومنها : البدن في اليدين ؛ وهو أن يكون إذا مشى يدير حافره إلى خارج عند النُّقْل وليس فيه ضرر في العمل ؛ والتَّلْقِف ؛ وهو أن يخط بيديه مستوى لا يرفعهما إلى بطنه ؛ وهو خلاف البدن .

ومنها : التَّلَوُّجُ ؛ وهو أن يكون الفرس إذا ضربته حرك ذنبه ؛ وهو عيب فاحش في المَجْمُورَةِ لآثته ربما بالت الجُر ورُسَّت به صاحبها .

### الضرب الثاني

العيوب الحادثة ؛ وهي عدة عيوب

منها : الحَدَبُ ، ويكون في الظهر بمثابة حَذْبَةِ الإنسان ؛ وهو عيبٌ فاحش ؛ والفَتَّة وتكون في الظهر أيضا بإزاء السُرَّة .

ومنها : العنق ؛ وهو انتفاخ وورم بقدر الزمانة أو أقل مما يلي الخالصة ؛ وهو عيب فاحش لا علاج فيه .

ومنها : الحَرَى ؛ وهو عيب يحدث عن ثَمَّة الشعر ، وربما كان من شرب الماء على التعب فيحدث عنه ثِقَل الصدر .

ومنها : الانتشار ؛ وهو انتفاخ المَصَب بواسطة التَّعَب ، ويكون من فوق الرُشغ إلى آخر الركبة ؛ وهو عيب فاحش .

ومنها : تحرك الشَّظَاة ؛ وهو عظم لا صق بالذراع ؛ وهو على الفرس أشق من الانتشار .

ومنها : الرَّوَج ؛ وهو داء يكون منه غِلْظٌ في القوائم كتل داء القيل في البشر .

ومنها : المَشَش ؛ وهو داء يكون في بده أمره ماءً أصفرًا ثم يصير دمًا ، ثم يصير عظامًا ؛ ويكون على الوظيف وفي مَفْصِل الركبة ؛ وهو على العَصَب والركبة شر منه على الوظيف .

ومنها : القَمْع ؛ ويكون في الرجلين في طرف العُرْقوبين ؛ وهو غِلْظ يمتد بهما ؛ والمَلَح ؛ ويكون في الرجلين تحت القَمْع من خَلْف ؛ وهو انتفاخٌ مستطيلٌ لا يضر

بالعمل؛ والجَرْذ؛ وهو كالعظم النَّاقِيَّ يكون في الرجلين تحت العُرْقُوبَيْنِ على المِفْصَلِ من داخل ومن خارج؛ وهو عيب فاحش تُؤَلِّم منه الدابة إلى العَطَبِ؛ والنَّفْع؛ وهو استفاح يكون في مواضع الجَرْذ؛ وهو من دواعي الجَرْذ؛ والمَقَال؛ وهو أن تَقْلِسَ رجله، وذلك يكون في عَصَب الرجل الواحدة دون الأخرى، وربما كان في الرجلين جميعا؛ وهو عيب فاحش يضر بالعمل؛ وهو في البرد أشد منه في الحر.

ومنها: الشَّقَاق؛ وهو داء يصيبه في أرساغه، وربما أرتفع إلى وظيفه؛ والسرطان؛ وهو داء يأخذ في الرُّمَح فيُدس عروقه حتى يتقلب حافره.

ومنها: العَرْن؛ وهو جُسوءٌ في رُئِج رجله؛ والدَّخَس؛ وهو ورم يكون في حافره؛ والفَقْد؛ وهو تشنج عصب رُئِجته حتى يتقلب حافره إلى داخل فيمشي على ظاهر الحافر.

ومنها: التَّمَلَّة؛ وهي شق في الحافر من ظاهره؛ والرَّهْسة؛ وهي ما يكون في الحافر من صَدْمَةٍ ونحوها—والعامة تقولها بالصاد—والقَشْر؛ وهو أن تتقشر حوافره؛ وهو عيب فاحش؛ والنَّسُور—وهو الذي تسميه العامة الوقرة—وهو داء يحدث في نُسُور الدابة فإذا قُطِع سال الدم منه.

ومنها: الأذرة؛ وهي عِظَم الخُصْبَتَيْنِ، وربما عظمَت خُصْبَتاه في الصيف وأحرزت في الشتاء<sup>(١)</sup>؛ والمُدْلِي؛ وهو الذي يدلُّ ذَكَرَه ثم لا يردّه؛ وهو عيب قبيح بحيث يقبح ركوب الفرس الذي به هذا العيب.

ومنها: البَرْص؛ وهو بياض يترى الفرس في مَرَقَاتِه؛ كالجُمَّلَةِ وجُفُونِ العينين وبين الخُصْبَتَيْنِ.

ومنها : الخلد ؛ وهو داءٌ شديد ينقب موضعه من بدن الدابة يسيل منه ماءٌ أصفرُ ، فإذا كوى بالنار برأ وأنتفع موضع آخرُ ، فلا يزال كذلك حتى تعطب الدابة ؛ وهو عيب فاحش ؛ في عيوب أخرى يطول ذكرها .

وفي كتب البيطرة ، ذكر الكثير من ذلك مع علاج ما له علاجٌ منه وبيان ما لا علاج له .

وأما اللواتي تكون في الخيل فقد عدها العرب ثمانى عشرة دائرة ، بعضها مستحب وبعضها مكروه .

الأولى : دائرة المحبأ — وهو الوجه — وهي اللاحقة بأسفل الناصية . الثانية : دائرة اللطاة ؛ وهي دائرة تكون في وسط الجبهة . الثالثة : دائرة الطييح ؛ وهي دائرة ثانية في الجبهة بأن يكون في الجبهة دائرتان . الرابعة : دائرة اللهمزة ؛ وهي دائرة تكون في لُحْزِمة الفرس . الخامسة : دائرة المقود<sup>(١)</sup> ؛ وهي التي تكون في موضع القلادة . السادسة : دائرة السامة ؛ وهي دائرة تكون في وسط العنق . السابعة والثامنة : دائرتا البيقتين ؛ وهما دائرتان في نحر الفرس فيما قاله الأصمعي .

وقال أبو عبيد : البيقة الشعر المختلف في منتهى الخاصرة والشاكلة . التاسعة : دائرة الناحر ؛ وهي دائرة في باطن الحلق الى أسفل من ذلك . العاشرة : دائرة القالع ؛ وهي دائرة تكون تحت اللبد . الحادية عشرة : دائرة الحقعة ؛ وهي دائرة تكون في عرض الزور . الثانية عشرة : دائرة النافذة ؛ وهي دائرة ثانية تكون في الزور بأن تكون فيه دائرتان في الشقين في كل شقٍ منهما دائرة ؛ وتسمى النافذة : دائرة الحزام أيضا . الثالثة عشرة والرابعة عشرة : دائرتا الحرب ؛ وهما اللتان يكونان تحت

(١) في التخصيص : المقوم .



الصَّغِيرَيْنِ وهما رأسا المجتبتين اللتين هما العظمان الثانتان المشرفان على الخاصرتين كأنهما صَقْرَان . الخلامسة عشرة والسادسة عشرة : دائرتا الصَّغِيرَيْنِ ؛ وهما دائرتان بين المجتبتين والقُصْرَيْنِ . السابعة عشرة والثامنة عشرة : دائرتا الناحس ؛ وهما دائرتان تكونان تحت الجاعرتين .

قال ابن قتيبة : وهم يكرهون منها أربع دوائر؛ وهى دائرة الهَقْمَة، مع ذكره أن أبقى الخليل : المَهْقُوع . ودائرة القالِم . ودائرة الناحس . ودائرة النَطِيع . قال : وما سوى ذلك من الدوائر فليس بمكروه .

وذكر صاحب زهر الآداب فى اللغة : أنهم يستحبون من الدوائر دائرة المفود؛<sup>(١)</sup> ودائرة السَّيَّامة؛ ودائرة الهَقْمَة؛ احتجا بأن أبقى الخليل المَهْقُوع ؛ ويكرهون دائرة النَطِيع، ودائرة اللَّهْزَمَة، ودائرة القالِم .

ورأيت فى بعض كتب البيطرة : أن المستحب منها ثلاث دوائر : دائرة المفود، ودائرة السَّيَّامة، ودائرة الهَقْمَة ؛ وما عدا ذلك فهو مكروه .

وكره حكاء الهند : دوائر أخرى ذكروها؛ وهى أن يكون فى مقدّم يده دائرة، أو فى أصل ذنبه من الجانبين دائرتان أو على ناصيته دائرة، أو على سَجْرِهِ دائرة، أو فى بَحْفَلَتِهِ السُّفْلَى دائرة، أو على سُرَّتِهِ دائرَة، أو على مِفْسَجِهِ دائرتان .

وأما أسنان الخليل : فأقول ما تَضَعُ الحِجْرَة جَنِينَهَا قيل : مُهْرٌ؛ والأشئ مُهْرَةٌ؛ فإذا فُصِّلَ عن أمه قيل : قَلْبٌ؛ فإذا استكمل حَوْلًا قيل : حَوْلٌ والأشئ حَوْلَةٌ؛ فإذا دخل فى الثانية قيل : جَدْعٌ والأشئ جَدْعَةٌ؛ فإذا دخل فى الثالثة قيل : نَحْيٌ

(١) فى المختصر : السوم .

والأثني ثنية؛ فإذا دخل في الراسة قيل : رباع والأثني رباعية؛ فإذا دخل في الخامسة قيل : قايح للذكر والأثني .

وفي الغالب يلقي أسنانه في السنة الثالثة، وربما تأخر القاوها إلى السنة الرابعة؛ وذلك إذا كانت أبواه شايين، وقد يلقي أسنانه في حول وإحدى؛ وذلك إذا كان أبواه هريمين . ثم لكل مهر اثنتا عشرة سنة : ست من فوق وست من أسفل، ويلبها من كل جانب ناب، ويلبها الأضراس؛ وتبت ثنياه، بعد وضعه بمخسة أيام؛ وتبت رباعياته بعد ذلك إلى مدة شهرين؛ وتبت قوارحه بعد ذلك إلى ثمانية أشهر؛ ويختص التبديل منها بالأسنان الاثني عشرة دون الأنياب والأضراس . وربما ألقي المهر بعض أسنانه، ثم لانتت؛ وإذا قرح المهر أصفرت أسنانه، وأسودت رموسها وطالت فيبقى كذلك خمس سنين؛ فإذا جاوزت ذلك أبيضت وحفي رموسها، ثم تنقل فتصير كلون السل خمس سنين، ثم تبيض فتصير كلون القبار ويزداد طولها؛ وربما دلس النخاسون ففسروا أسنانها وسووها .

وما وجد في الكتب القديمة : أن الفرس تحرك ثنياه في سبع وعشرين سنة؛ وتحرك الرباعيات في ثمان وعشرين سنة، وتحرك القوارح في تسع وعشرين سنة؛ ثم تسقط الثنايا في ثلاثين سنة، والرباعيات في إحدى ثلاثين سنة، والقوارح في اثنتين وثلاثين سنة وهو عمر الدابة .

وأما التفرس في الخيل : فاعلم أن المهر وإن ظهرت فيه علامات النجابة أو العكس لا عبرة بذلك، فإنه قد يتغير فيصبح منه ما كان حسنا، ويحسن منه ما كان قبيحا؛ وإنما يتفرس فيه إذا ركبته لحم اللّف، وذهب عنه لحم الرّضاع .

وأفضل الفراسة في المهر : أخذه في الجري، فإنه صنعتة التي خلق عليها وإليها يشول؛ فإذا أحسن الأخذ في الجري فهو جواد؛ ولكنه ربما تغير أخذه للجري

إذا ركب لضعف فيه حيثئذ، وقصور عن بلوغ مدى قوته؛ وقد لا يجرى جذعا ويمرر ثلثا، وقد لا يجرى ثلثا ويمرر رابعا، وقد لا يجرى رابعا ويمرر قارحا حين تجتمع له قوته . وسرف ضعف الضعيف منها بتلويحه تحت فارسه وتجزئه عنه وقوته إذا نزل عنه .

ومما يدل على جودة الفرس وحسن جريه : أنه يراه إذا أخذ في الجري سماء بهاديه، وأثبت رأسه، ولم يستعن بهما في حضره واجتمعت قوائمه، وسبح بيديه وضرح برجليه، ولما في حضره، وامتد، وبسط ضبعيه حتى لا يحد مزيدا، وتكون يده في قرن، ورجلاه في قرن؛ فإذا كان الفرس كذلك فهو الجواد السابق .

وقد قيل : إن خير الخيل الذي إذا مشى تكفأ، وإذا عدا بسط يديه، وإذا أدير جفأ، وإذا أقبل أقمى .

## الصنف الثاني

### «الغال»

وفيه نوعية في الخيل والخيبر؛ من حيث إنها تتولد بين حصان وأتان، أو بين حمار وحمرة . وفيها النفيس المختار لركوب الرؤساء من العلماء، والوزراء، والحكام وسائر رؤساء المتصممين . وإنه صلى الله عليه وسلم في يوم أحد كان راكبا بغلة؛ ولولا شرفها وقامتها وقوامها مقام الخيل لما ركبها النبي صلى الله عليه وسلم في موطن الحرب . وألوانها وأصانها على ما تقدم في الخيل .

(١) قد تكرر في هذا المقام تأنيث الجربالهاء، وفي القاموس ماضه : والجربالاء من الخيل وبالهاء.

لحن؛ قال شارح : وهو طائر مسترذل، ثم نقل عن الشهاب تصحيحه فقه .

ويستحسن فيها غالب ما يستحسن في الخيل ؛ وقد قيل : إن خيار ما يقتنى من البغال ما أشتدت قوائمه وعظمت قصرته ، وعُنفه وهامتُه ، وصفت عيناه ، ورحب جوفه ، وعرض كفله ، وسلم من جميع العيوب والعِلل .

ومما يستحسن في البغال دون الخيل : السَّقا ؛ وهو خفة شعر الناصية ؛ وأن يكون بيديها ورجليها خُطوط مختلفة ، جُلُّ ما تكون للسَّنور . ويقال : إن خيرا ما يختار للسرَج والركوب البغالُ المصرية ، لأن أمهاتها عِتاق وهُجْن ، وخيار ما يُحتاج إليه للسرَّاء والمواكب والرُّكض مع الخيل : بغالُ الجزيرة وإفريقية .

ومما ينبغي التنبيه عليه : أن في البغلات منها شدَّة محبة للدواب إذا ربطت معها ، وفساد للدواب إذا اعتادتها حتى يصير أحدهما لا يفارق الآخر إلا بمشقة .

ويحسن في البغال : الخُصْي ، وفي البغلات : التَّحْوِيس . ولا يُعاب ركوب شيء منها حيثنذ إذا كان قهيسا .

### الصفن الثالث

#### ”الإبل“

ويشتمل الغرض منها على معرفة أنواعها ، وألوانها ، وأَسنانها ، وما يُستقبح ويُستحسن من صفاتها .

أما أنواعها فإنها ترجع إلى نوعين .

الأول : البَحَّانيُّ ؛ وهي جمال جُفَاة القُدود ، طويلة الرِّبِّ ، تجلب من بلاد الترك .

الثاني : العَرَّاب ؛ وهي الإبل العربية وأصنافها لا يأخذها الحَصْر . وأما ألوانها فترجع إلى ثلاثة أصول :

الأول : البياض ، فالجمل إذا كان خالص البياض قيل : آدم والأثنى أدماء على الضد من بنى آدم ؛ فإن خالط البياض يسير شقرة قيل : أعيس والأثنى عيساء .

الثاني : الحمرة ، فإن أحمر وظبت عليه الشقرة قيل : أصهب والأثنى صهباء ؛ فإن خلصت حمرة قيل : أحمر والأثنى حمراء ؛ فإن خالط حمرة قنوء قيل : كُيت ؛ فإن صفت حمرة قيل : أحمر مدني ؛ فإن خالط الحمرة خضرة قيل : أحوى ؛ فإن خالطها صفرة قيل : أحمر رادني بكسر الهمزة ؛ فإن خالطها سواد قيل : أرمك والأثنى رمكاء ؛ فإن كانت حمرة كصد الحديد قيل : أجأي .

الثالث : السواد ، فإن كان السواد فيه ضعيفا قيل : أكلف ؛ فإن خالط السواد صفرة قيل : أحوى ؛ فإن علق بسواده بياض قيل : أورك ؛ فإن زادت ورقته حتى أظلم بياضه قيل : أدم ؛ فإن أشدت سواده قيل : جون ؛ فإن كان بين الغبرة والحمرة قيل : حوَّار والأثنى حَوَّارة .

وأما أسنانها فإنه يقال لولد الناقة عند الوضع قيل أن يُعرف أذكر أم أنثى : سليل ؛ فإن بان أنه ذكر قيل : سقب ؛ وإن بان أنه أنثى قيل : حائل ، ثم هو حوَّار حتى يُقطع ؛ فإذا قُطِع وقُصِل عن أمه قيل : فصيل ؛ وذلك في آخر السنة الأولى من وضعه ؛ فإذا دخل في الثانية قيل : ابن مخاض ؛ لأنَّ أمه فيها تكون من المخاض — وهي الحوامل — والأثنى بنت مخاض ؛ فإذا دخل في الثالثة قيل : ابن لبون ؛ لأنَّ أمه فيها تكون ذات لبن والأثنى بنت لبون ؛ وإذا دخل في الرابعة قيل : حنّ ، لأنه يستحق أن يحمل عليه والأثنى حنّة ؛ فإذا دخل في الخامسة قيل : جدّع والأثنى جدّعة ؛ فإذا دخل في السادسة قيل : قتي ، لأنه يلقي فيها شتته والأثنى ثنية ؛ فإذا دخل في السابعة قيل : رباع — بفتح الراء — لأن فيها يلقي رباعيته والأثنى رباعية

بالتخفيف؛ فإذا دخل في الثامنة قيل : سَديس وسَدَس ، الذِكرُ والأُنثى فيه سواء ،  
وربما قيل : في الأُنثى سَديسة ؛ فإذا دخل التاسعة قيل : باِزِلٌ ، لأنه فيها يَبْزُلُ  
نابُه ، والذكر والأُنثى فيه سواء ؛ وقد يقال فيه : فاطرٌ ؛ فإذا دخل في العاشرة قيل :  
مُخَلِّفٌ ؛ وليس وراء ذلك للإبل ضَبْطٌ بل يقال مُخَلِّفٌ عامٌ ومُخَلِّفٌ عامين فأكثر ؛ فإذا  
علا السن بعد ذلك قيل فيه : عَوْدٌ والأُنثى عَوْدَةٌ ؛ فإن علا عن ذلك قيل : حَقَرٌ ؛  
فإن تكررت أنيابه لطول هَرَمه قيل : ثَلَبٌ والأُنثى ثَلَبَةٌ ؛ ويقال في الناقة إذا كان  
فيها بعضُ الشباب : عَزُومٌ ، وربما قيل : شارف .

وأما ما يستحسن من صفاتها فقد رأيت في بعض المصنّفات أن كل ما يستحب  
في الفرس يستحب في البعير خلا عِرَضِ غاريه ، وفعل مِرْقَعِه ، ونكس جاعِرَتِه  
وهي أعلى الوردك ، وأندلاق بطنه ، وتفوش رجليه ؛ فإن ذلك يستحب في الإبل  
دون الخيل .

وقد صرح الشعراء في أشعارهم بعدّة أوصاف مستحسنة في الناقة .

منها : دقة الأُذن ، وتحديد أطرافها ، وكبر الرأس ، وأستطالة الوجه ، وعِظَمُ  
الوجنتين ، وقُوَّةُ الأنف ، وطول العُنق وعِظْمُه ، ودقة المَدْبَح ، وطول الظهر ، وعِظَمُ  
السَّنام — وهي : الكَوماء — وطول ذنبها ، وكثرة شعره ؛ غليظة الأطراف ، قليلة اللحم  
القوائم ؛ ليست رَهْلة ، ولا مسترخية ؛ وأن تكون مع ذلك كثيرة اللحم ، مَلَساء الجلد ،  
تامة الخلق ، قوِيَّة ، صُلْبَةٌ ، خفيفة سَريعة السير .

وأما كرمها فإنه يقال لكل كريم خالص من الإبل : هِجَانٌ من نتائج مهرة ؛ وهي  
قبيلة من قُضاعةَ باليمن ؛ والبيديَّةُ منسوبة إلى بنى العيد من قبيلة مهرة المذكورة ؛  
والأزْحِيَّةُ منسوبة إلى بنى أَرْحَبَ ؛ والقُرَيْرِيَّةُ منسوبة إلى عُرَيْرٍ ؛ وهو فحل كريم

مشهور في العرب؛ والشَّدَقِيَّةُ منسوبة إلى شَدَقَمَ : فحل كريم أيضا ؛ والجَدِيَّةُ منسوبة إلى جَدِيل : فحل كريم ؛ والنَّاعِرِيَّةُ منسوبة إلى نَاعِر : فحل كريم كذلك . قال في كفاية المتحفظ : والشَّدَنِيَّةُ منسوبة إلى فحل أو بلد .

## الصف الرابع

### ”الحَمِيرُ“

ومنها : النَّعِيسُ العَالِي الثَّنِي ، وخيرها حُمُر الدِّيار المصرية ؛ وأحسنُها ما أُتي به من صعيدها ؛ وهي تنتهي في الأَثْمَانِ إلى ما يقارب أَثْمَانَ أَوْسَاطِ الخَلِيل ، وربما يميزُ العَالِي القدر منها على المنحط القدر من الخليل . والأحسن فيها ما كان غليظ القوائم ، تامَّ الخَلْقِ ، حديد النفس .

ولا صِيبَ في ركوب الحمار ولا وَهِيصَةٍ<sup>(١)</sup> ؛ فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رَكِبَ الحِمَارَ ؛ ولا عبْرَةٌ يترفع<sup>(٢)</sup> من ترَفُّعٍ عن ركوبه بعد أن ركبه النبي صلى الله عليه وسلم .

## النوع الثالث

ما يحتاج إلى وصفه من جليل الوحش وكريم صيوده ، وهو أصناف

## الصف الأول

### ”جليل الوحش“

وهو ما يتخذ الملوكة للزينة وما في معناها . ويحتاج الكاتب إليه لوصفه في الهدايا والمواكب ، وما يجرى مجراها .

(١) لعل مراده ولا قصر ، ولم تقف في مادة (ره من) ولا (ره من) على هذا المعنى .

(٢) في الأصل : « يرفع » .

والمعول عليه من ذلك خمسة أضرب :

الأول "الأسد" - ويجمع على أسد وأسود وآساد - ويقال له أيضا : اللَّيْت والضيغم ، والضّرغام ، والمزبر ، والميغم ، والمرماس ، والقرافصة ، وحيدرة ، والقسورة ؛ وله أسماء كثيرة سوى هذه لا تكاد تدخل تحت الحصر ، حتى قال ابن خالوية : للأسد خمسمائة اسم . ويقال لولده : الشبل ، ولأنثاه : اللبوة .

قال ابن السندی في كتابه "المصايد والمطارد" : وإذا تأملت أصناف الحيوان وبحث صورها وما أُعطيت من الأسلحة ومقادير الخلق ، وجدت الأسد أعظم خلقه ، وأكثر أذى ، وأشد إقداما من جميعها ، ليست له غريزة في الهرب البتة .

ومن خصائصه وعجيب خلقه أن عظم عُنقه عظم واحد ليست له نحرز عظام كما في غيره من الحيوان ، بليل أنه لا يَلْوِي عنقه ولا يلتفت ؛ ومع ذلك فهو يتلع الشيء العظيم . ولَبَّوْهُ لا تلذ إلا جروا واحدا ، وإنها تضعه كاللحمة ليس فيه حس ولا حركة ، فتحرسه ثلاثة أيام ، ثم يأتى أبوه فيفتخ فيه المرة بعد المرة حتى يتحرك ، ثم تأتى أمه فتضعه ؛ ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام ؛ ويكتسب لنفسه بالتعليم من أبويه بعد ستة أشهر . وهو قليل الشرب لئلا وإن كان لا يفارق النياض ؛ وله صبر على الجوع ، ولكنه إذا جاع ساءت أخلاقه ؛ وليس يُلقَى رَجِيمُهُ إلا مرة واحدة في اليوم ، ويرفع رجله عند البول كما يفعل الكلب ، ويبول الى خلف كما تبول الجمل . وهو أشد السباع ضراوة على أكل بنى آدم ؛ وإذا أفرس فريسة وأكل منها لا يعود إليها ؛ ولا يبطأ أثره شيء من السباع .

قال ابن السندی في "المصايد والمطارد" : ولا يأكل من فريسة غيره من السباع . وقد قيل : إنه يهرب من الهز ، ومن الجرو ، ومن الذئب الأبيض ؛ وإنه إذا رأى



النار عرضت له فكرة أورسته بهتة؛ وأنه يهرب من عواء الجرو اذا عيركت أذنه .  
ويقال : إن جلده اذا جعل فبا يخاف عليه السوس من الثياب وغيرها أين من ذلك ؛  
وإنه اذا عمل منه وتر قوس وأضيف الى أوتار من قرأ ويصى أو غيرها أبطل أصواتها  
وعلا صوته عليها . ومن طبعه أنه لا يشرب ماء ولأن فيه كلب وإن مات عطشا .

الثانى " الثمور " — جمع تمر (بفتح النون وكسر الميم) ويجمع أيضا على أنمار  
ونمار ؛ والأثني ثمرة . وهو حيوان مرقع اللون بسواد وبياض ، أقرب شئ من  
خليفة الفهد؛ وهو أخبث من الأسد ؛ لا يملك نفسه عند الغضب حتى انه ربما قتل  
نفسه من شدة غضبه .

قال ابن السدى : وهو ودود لجميع الحيوان ، عدو للنمر ؛ وينام ذئبة أيام  
والحيوان يطيف به ويميل اليه استحصانا لجلده .

وهو جنسان أحدهما : عظيم الجثة صغير الذنب ، والثانى : صغير الجثة  
عظيم الذنب .

قال فى " المصايد والمطار " : ويصاد بالحر لأنه يجهها . قال : ومن أراد  
قتله تمسح بشحم ضبع ودخل عليه فقتله .

الثالث " الكركدن " — بفتح الكافين وسكون الراء المهملة وضع الدال المهملة  
ونون مشددة فى الآخر .<sup>(١)</sup>

قال الزمخشري فى " ربيع الأبرار " : وهو وحش يكون ببلاد الهند يُسمى  
الجمار الهندى ، له قرن واحد فى جبهته يبلغ غلظه شبرين ، وهو محد الرأس  
إلا أنه ليس بالطويل ؛ وأنه اذا قطع ظهرت فيه صور عجيبة . وإنه رُبما نطح

(١) ضبطه فى القاموس بتشديد الـهـال (أى وتحقيق النون) ، وقال : والعامية تشدد النون .

الفيـل فبـعـبـه بقرنه . وإن أثنـاء تـجـمل مـسـيـح سـتـين ؛ وإـنه إذا كان بأرض لم يدع شيئاً من الحيوان حتى يكون بينه وبينه مائة فرسخ من جميع جهاته هيبـة له وهربا منه .  
الزابع "الفيـل" — وهو حيوان يُؤثى به من بلاد الهند والحبيشة .

قال الجاحظ : وهو من الحيوانات المائية وإن كان لا يسكن الماء . وهو من ذوات الخراطيم ، وخرطومـه أنفه ، كما أن لكل شيء من الحيوان أفا ، وهو يده ، وبه يتناول الطعام والشراب ، ومنه يُنفى ويحذف فيه الصوت كما يحرف الزاخر في القصبية بالنفخ . قال : وأصحابنا يزعمون أن بينه وبين السنور عداوة ، وأن الفيـل يهرب منه هرباً شديداً .

وذكر صاحب "الحبـيل في الحروب" <sup>(١)</sup> أنه يقصر عن صوت الختير وأنه بذلك يتفرق في الحروب . وقد ذكر الجوزي : أن للفيـل إقداما على السبع .

قال الجاحظ : وهو يعادى البعوض لأنه يتقبـب جلده بقرصه ، ومن ثم يرى الفيـل دائماً يحرك آذانه ليطرد عنه الناموس . وهو مخصوص بخفة وقع قوائمه على الأرض إذا مشى ، حتى لو أن إنساناً كان جالسا وجاء الفيـل من خلفه لما شعر به .

وذكر عبد القاهر البغدادى <sup>(٢)</sup> : أن الفيـلة تجمل مـسـيـح سـتـين ، وقيل : ستين ، وقيل : ثلاث قبل أن تضع ؛ وأن لسان الفيـل مقلوب : طرفه داخل حلقه وأصله من خارج ، على العكس من سائر الحيوان ؛ وأن ثديها على كبدها ، وترضع أولادها من تحت صدرها .

(١) لله يقصوالواويل الزاء أى يمد .

(٢) في حياة الحيوان : عبد اللطيف ، وميقاتي يمد مصانف على الصواب مرارا .

(٣) كذا في الأصل ، وعبرة حياة الحيوان : «ولا يخرطها إذا وضعت إلا بعد ثلاث ستين» .

وقد ذكر الغزالي: أن فرجها تحت بطنها، فإذا كان وقت الضراب أرتفع وبرز للفعل حتى يتمكن من إتيانها .

الناموس "الزرافة" (فتح الزاي وضهما) وهي حيوان يؤتى به من بلاد الحبشة واليمن، طويل البدن، قصير الرجلين، ذنبه وحوافره كذنب البقر وحوافرِها، ورقبته ورأسه كرقبة الجمل ورأسه، ولونه موشى بالياض والصفرة .

قال الجاحظ: وقد زعموا أن الزرافة تولد بين الناقة من نوق الحبشة وبين بقر الوحش وبين الذئب — وهو ذكر الضبَاع — وذلك أن الذئب يعرض للناقة فيسفِئُها فتلقح بولد يحمي خلقه بين الناقة والضبع، فإن كان الولد أنثى عرّض لها الثور الوحشي فيضربها فيأتى الولد زرافة، وإن كان ذكرا تموض للهامة فألقحها فيأتى الولد زرافة أيضا .

قال: ومنهم من يزعم أن الزرافة الأنثى لا تلحق من الزرافة الذكر؛ ثم قال: وهذا مشهور باليمن والحبشة، ثم إن كانت أسنانها سودا دلت على هرمها، وإن كانت بيضاء دلت على حداثة سنّها .

ومن أمراضها: الكَلْب — وهو كالجنون يعتريها كما يعتري الكلب فيقطعها — وكل من عضته وهي على هذه الحالة قتله إلا ابن آدم فإنه ربما عولج فسلم . ومن أمراضها أيضا: النّجْمة والقُرس .

## الصنف الثاني

### "معلّات الصيد"

وقد يبرّ عنها بالصوّاري؛ وهي كل ما يقبل التعليم من الوحوش كالثأ ما كان؛ حتى حكى عن السوداني القنّاص: أنه بلغ من حذقه أنه ضرمي ذئبا حتى أصطاد به

الظباء وما دونها، وألقه حتى رجع إليه من ثلاثين فرسخاً؛ وضرب أسداً حتى أصطاد به حُمُر الوحش . ويقال : إن ابن عرس يُحمل حبل في عنقه ويدخل على الثعلب فلا يخرج إلا به . وهي على ضربين :

الأول "الفهودة" - جمع فهد بكسر الهمزة - وقد زعم أرسطوطاليس : أنه يتولد من أسد ونمرة أو من نمر ولبؤة . وهو من السباع التي تصاد ثم تُؤنس حتى تصيد . وهو من الحيوان المحدد الأسنان، وأسنانه يدخل بعضها في بعض كالكلب وغيره . قال في "التعريف" : وأول من صاد به كسرى أنو شروان أحد ملوك الطبقة الأخيرة من الفرس . قال في "المصايد والمطارد" : ويصطادونه بضروب من الصيد : منها : الصوت الحسن ، فإنه يصنئ إليه إصغاء شديداً .

ومنها : كدّه وإتباعه حتى يحمي ويبها ويظهر ويخفي ؛ فإذا أخذ غُطيت عيناه وأدخل في وعاء، وجعل في بيت مادام وحشياً، ووضع عنده سراج ولازمه سائسه ليلاً ونهاراً ولم يدعه يرى الدنيا، ويحمل له مَرَبَجا كظهر الدابة يعود به رُكوبه ويُطعمه على يده فلا يزال كذلك حتى يتأنس ؛ فإذا ركب مؤخر الدابة فقد صار داجنا وصاد . وفي طباعه أمور :

منها : كثرة النوم حتى يضرب بنومه المثل فيقال : «أَنُومٌ مِنْ فَهْدٍ» ؛ وكثرة الحياة حتى إنه لا يعلم أنه غاظم أنثى بين يدي الإنس ، وقد عُني برعايته في ذلك فلم يوقف عليه ، وإن كان الأسد يفعل ذلك كثيراً .

وقتل ابن السندی عن بعض القهّادة : أن سائسه إذا أمر به عليه اطمأن إليه ومال ، فإذا وضع يده على فرجه تفرّ وعصّ يده .

(١) التي في ساجم اللغة فهد وزان قلبي وجمعه فهود .

ومنها : النَّصَبُ حَتَّى إِذَا أُرْسِلَ عَلَى صَيْدٍ فَلَمْ يَحْصُلْهُ احْتَدَى، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ سَائِسُهُ فِي تَسْلِيَتِهِ قَتَلَ نَفْسَهُ أَوْ كَادَ .

قال صاحب "المصايد والمطارد" : والمسَّ من الفُهود إذا صيد كان أسرع في الصيد من الجرو الذي يُرْبَى وَيُؤَدَّبُ . والأُنثى أُصِيدَ من الذكور كرامةً إناثِ الجوارح . قال : وليس شيء من الوحش في قدرِ حَرَمِ الفهد إلا والفهد أفضل منه . قال في "المصايد والمطارد" : وضدَّ الفهد الغلباءُ والوعول على اختلاف أجناسها .

الثاني "الكلاب" - جمع كَلْبٍ ويجمع على أَكْلَبٍ أيضا وعلى كَلِيبٍ ، كعبد وعبيد . والأُنثى كَلْبَةٌ ، وتجمع على كلبات بالفتح . وهو حيوان شديد الرياضة ، كثير الوفاء مشترك الطباع بين السبع والبيمة ، لأنه لو تم له طباع السبعة لما ألف الناس ، ولو تم له طباع البيمة لما أكل اللحم . ويقال : إنه يحتمل وأثناء تحبض ، ويحمل أثناء ستين يوما ، وربما حملت أقل من ذلك . ويسفد بعد ستة ، وربما تحتم على ذلك ؛ ولها عند السفاد اشتباك عظيم . وإذا سفد الأنثى كلبان مختلفان أمت من كل واحد بلونه . وفيه من اقتفاء الآثار وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوان . والميعة أحب إليه من اللحم الغريض .

ومن طبعه : أنه يحرس صاحبه شاهدا أو غائبا ، ذاكرا أو غائلا ، ونائما أو يقظان . وهو أيقظ حيوان في الليل ؛ وإذا نام كسر أجنان عينيه ولا يطبقها لخفة نومه . ومن عجيب شأنه أنه يكرم الرئيس من الناس فلا ينبذه وإنما ينبج أو يباش الناس .

ومن طبعه أن الضبع إذا مشَّت على ظله في القمر رمى بنفسه بين يديها فتاكله ، وإذا ظفر بكلب غريب كاد يفتريه .

وقد أجاز الشارع أخذها للصيد ونحوه ، وأباح صيدها مع نجاسة عينها .  
قال في "التعريف" : وأول من أخذها للصيد داراً أحد ملوك الفرس . قال  
في "المصايد والمطارد" : وإذا كسر الكلب الأرناب فهو نهاية وإن كان يُطبق  
فوق ذلك . والكلب يمسك لصاحبه ، ولذلك لا يأكل من الصيد بخلاف سائر  
الجوارح . قال : وإناتها أسرع تعلماً من الذكور ، وأطول أعماراً حتى إنها تعيش  
عشرين سنة .

ومن خاصية الكلب : أنه إذا طينَ الظباء قريّةً كانت أوبعيدة عرف منها العليل  
من غيره ، والعزمن التيس ؛ فيتبع التيس منها دون العتروان كان التيس أشدَّ عدواً  
وأبعد وثبةً ، لأنه يعلم أن التيس إذا مدا شوطاً أو شوطين غلب عليه البول ولا يستطيع  
إرساله في عدوه فيقلُّ عند ذلك عدوه ويقصر مدى خطاه فيدركه الكلب ؛ بخلاف  
العتروانها إذا اعتراها البول أرسلته لسمّة مسيله ؛ والكلب يعرف ذلك كله طبعاً ،  
وكذلك يعرف حجرة الأرناب والثعالب ، وإن ركبا الثلج والجليد بشمه فيقف عليه  
ويثير ما فيها من الوحش ؛ وإذا صعد منه أرنبٌ إلى أعلى جبل شاق كان له من  
التلطف في الارتقاء والصعود ما لا يلحقه غيره ، بل لا يخفى عليه من الصيد الميت  
من المتجاوز .

ومن خصائص الأنثى : أنها تحمل ستين يوماً ويبقى جروها بعد الولادة اثني عشر  
يوماً أعمى ؛ وأكثر ما تضع ثمانية أجراء ، وربما وضعت واحداً فقط . ورأس الكلب  
كله عظمٌ واحد . والكلب يطرح مقادير أسنانه ويخلفها ، ولكنه لا يظهر لكثير من  
الناس لأنه لا يلقى منها شيئاً حتى ينبت في مكانه غيره . والفرق بين الذكر والأنثى  
أن الذكر إذا أدرك يرفع رجله عند البول والأنثى تبول مقمية وربما دفعت رجلها ؛  
والذكر يبيع للسفاد في السنة قبل الأنثى ؛ وأسنان الذكر أكثر ومضغه أشد .

قال الجاحظ : وخير الكلاب ما كان لونه يذهب إلى لون الأسد بين الصفرة والحمرة، ثم البيض اذا كانت عينها سوداء . وذكر صاحب "المصايد والمطاردة" : أن الأبيض أفره، والأسود أصبر على الحر والبرد .

ومن علامة النجابة والفراة فيه : أن يكون تحت حنكه طاقة شعر مفردة غليظة، وأن يكون شعر خذيه جافيا . ومن علامة الفراة : طول ما بين يديه ورجليه، وقصر ظهره، وصغر رأسه، وطول عنقه، وغضف أذنيه، وبعد ما بينهما، وزرقة عينيه، ومخامة مقلتيه، وتواء حدقه، وطول خطمه وذقنه، وسعة شدقه، وتوجبه وعرضها .

ويستحب فيه : أن يكون قصير اليدين، طويل الرجلين، طويل الصدر غليظه، قريبه من الأرض، نائي الزور، عريض العُضدين، مستقيم اليدين، منضم الأظافر، عريض ما بين مفاصل الأعطاف، عريض ما بين عظمتي أصل الفخذين مع طولها وشدة لحمهما، دقيق الوسط، مستقيم الرجلين، قصير الساقين، غير مخنق الركبتين، قصير الذنب إن كان ذكرا مع دقة وصلابة . وإن الكلبة إذا ولدت واحدا كان أفره من أبويه، وإن ولدت اثنين كان الذكر منهما أفره من الأنثى، وإن ولدت ثلاثة فيها أنثى في شبه الأم كانت أفره من الثلاثة، وإن كان في الثلاثة ذكر واحد كان أفرهما، وإذا ألقيت الجراء وهي صفار في مكان ندى فأيا مشى على أربع فهو أفره .

ومن أعظم أدوائها : الكلب — بفتح اللام — وهو داء كالجنون يسمى الكلب يؤثر فيمن عضه أنه يخرج من ذكره جراء صفار .

ومن عجيب ما يحكى في ذلك : أن رجلا عضه كلب فلقاه بكه فاصابته أسنانه ولعابه، فشمر كفه ساعة ثم نشره فساقت منه جراء صفار .

ثم كلاب الصيد على ضربين : سَلُوقِيَّة (بفتح السين) وَزَغَارِيَّة (بضم الزاي) .  
فأما "السَلُوقِيَّة" فنسوبة إلى سَلُوق : بلدة من اليمن ، كما قاله صاحب "المصايد  
والمطارد" والمؤيد صاحب حماه في تهويم البُلْدَان ، والمقرّر الشهابي أبْن فضل الله  
في "التعريف" .

قال في "التعريف" : وهي مولدة بين الثعالب والكلاب ، ولذلك لا تقبل التعليم  
إلا في البطن الثالث منها ؛ قال : ولها سِلَاح جيد . قال في "المصايد والمطارد" :  
ولها أنساب كأنسَاب الخيل ، قال : وقل أن يمرض لها مَرَضُ الكَلْب .  
وأما "الزَغَارِيَّة" فهي الطُفْ قَدًا من السَلُوقِيَّة ؛ ولم أدر إلى ماذا تُنسَب .

### الصف الثالث

ما يعنى بصيده من الوحش ، والمشهور منه عشرون ضربا  
الأوّل "الحماره الثابيه" وهي حيوان في صورة البرذون موثى الجلد بالياض  
والسواد يروق الناظر حسنها . وقد كان أهدي للظاهر برقوق — سقى الله عهد —  
حماره من هذا النوع ، فأقامت مدة ، ثم أعطاها فقيرا من قراء العجم فكان يركبها كما  
تركب الخيل والحمير ويمشي بها في القاهرة ، ثم عوضه الناصر بن الظاهر سلطان العصر  
عنها عوضا ، وأعادها منه ، وأرسلها في هدية لابن عثمان صاحب بلاد الروم غربي  
الخليج القسطنطيني .

الثاني "البقر الوحشية" — وتعرف بالمتها ؛ وهي دون البقر الأهلية في المقدار ،  
ولها قرنان في رأسها ، في كل قرن منهما شُعب ؛ وهي من جليل الصيد ، ويقال للثقي  
منها : المتها ؛ وبها يضرب المثل في حُسن العيون وسواها .



ومن طبعه : الشَّبَقُ وشِدَّةُ الشهوة ، ولذلك إذا حملت أُنثاه هَرَبَتْ منه خوفاً  
من تعبته بها وهي حامل ؛ وربما ركب الذكر الذكر لشِدَّةِ شبقه .

قال صاحب "المصايد والمطارد" : وكل إناث الحيوان أرق صوتاً من الذكور  
إلا البقر الوحشية فإن الأُنثى أنغم صوتاً وأظهر من الذكر . ومواضعها من البرية :  
الوَهْدَات ، وما استوى من الأرض ودنا من الماء والعُشْب ، وليست مما يسكن  
الجبل ؛ ولذلك عيب في ذلك محمد بن عبد الملك الزيات كاتب المعتصم ووزيره  
حيث وصف ثورا من ثيرانها برَّصه في الجبل .

وهي مما يُصاد بالطرد على الخيل . ويقال : إن أول من طردها على الخيل ربعة  
ابن زبَّار بن معد بن عدنان ، فإنه أول من ركب الخيل على قول ؛ ولما ركبها رأى  
بقرة وحشية فطردها فلبات إلى مكان يمكنه أخذها منه ، فرق لها وتركها . ويقال :  
إن من الكلاب ما يتسلط عليها ويتعلق بها ؛ وأقدر معين له عليها من جوارح الطير  
العقاب . قال ابن السدي : ودما أسرع إلى الجُود من دم سائر الحيوان .

الثالث "الحُمُر الوحشية" — ويقال للأُنثى من حُمُر الوحش : أُنْثَى ، ولذا ذكر : حَمَارٌ  
وعيرٌ ، كما يقال في الحُمُر الإنسية ؛ وربما قيل : القَرَاء ؛ وهو من أشدَّ الصيد عدواً ،  
ولذلك يُضْرَب به المثل فيقال : « كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَنْبِ الْقَرَاءِ » أو في جَوْفِ الْقَرَاءِ . وبه  
تشبه العرب خيلها وإبلها في السُرعة . ويقال : إن الحمار الوحشي لا يترو إلا إذا  
كان له من العمر ثلاثون شهراً ؛ وإن الأُنثى لا تلقح منه حتى يتم له ثلاث سنين ،  
وقيل ستان وستة أشهر . ويوصف بشدَّة الغيرة على أُنْثَى حتى يقال : إن فيها ما إذا  
وُلِدَ له ولد ذكر كَدَمَ قِصِيْبِهِ وَخُصِيْبِهِ حتى يقطعهما .

قال في "المصايد والمطارد" : وليس يتعلَّق به شيء من الصَّواري ولا الجوارح  
إلا العقاب ؛ ولا شيء أبلغ في صيده من الرمي بالنشاب .

الرابع "الفزلان" ويقال : لها الطَّباء ( بكسر الظاء ) واحدها ظبي . ثم الطَّباء على ثلاثة أضرب :

أحدها : البيض ، ويقال لها : الآرام جمع رِثم ، ومساكنها الرمل ، ويقال : هي ضأن الطَّباء .

وثانيها : الأثم ، وهي ظباءٌ شمر الظهور ، بيضُ البُطون ، طويلة الأعناق والقوائم ، وهي أسرعها حذواً ، ومساكنها الجبال والشعاب .

وثالثها : الثغر ، وهو صنف يخلو مع اليباض حمرة ؛ قصار الأعناق ، ومساكنها صلاب الأرض .

ويصيد جميعها الفهد والكلب والعقاب ، وتُصاد أيضاً بالحبال والشرك ، وربما صيدت بإيقاد النار بإزائها ، لأن الظبي إذا رأى النار في الليل تأملها وأدمن النظر إليها وعشى بصره وذهل ، وقد يُضاف إلى النار تحريك جرس ويحوى فيزداد ذهوله فيؤخذ ؛ وتصاد بأمور أخرى غير ذلك .

الخامس "الأيابيل" جمع أييل ( بضم الهمزة وتسديد الياء المثناة تحت ولام في الآخر ) . وهو حيوان قريب الشَّبه من الظباء ، له قرنان في رأسه كالظبي . قال في "المصايد والمطارد" : وهو معتصم بالجبل قلماً يحل السهل ؛ وقرونة مُصنَّعة لا ينجوي فيها ، ويخفقها في كل عام غيرها ، ويتددى في ذلك بعد مضي ستين من ولادته ؛ وله أربع أسنان في كل ناحية من ناحيتي فيه ؛ وذكَّه عصب لا لحم فيه ولا غضروف ولا عظم ، ودم كل حيوان يجمد إلا دمه ؛ وليس للأُنثى منها قرونٌ البتة ؛ وأصوات ذكرها أحمد من أصوات إناثها ؛ وهو يرتاح لسماع الغناء . وإذا

مر بشجرة الزيتون ذلّ لها ؛ وياكل الحيات ولا يضره سمها . وسيأتي في الكلام على الأحجار أن الباذهر الحيوانى من صنف منه .

ومن خواصه : أنه إذا نخر بقرنه مع كبريت أحمر هربت الحيات .

السادس "الأرناب" - جمع أرنب ، والأرنب مؤنثة<sup>(١)</sup> ؛ وهى حيوان صغيرة الجثة قصيرة اليدين قريب من لون الثعلب ؛ وليس شئ مما يوصف يقصر اليدين أسرع منها .

ومن خصائصها : كثرة الشعر حتى إنه لينت فى بطون شديتها وتحت رجلها . وقضيب ذكر الأرنب من عظم ؛ وربما ركبت الأنثى الذكر فى السفاد . ولا ينام الأرنب إلا مفتوح العين . ومن طبعها أنها تغط الأرض بباطن كفها لتعفى أثرها ، إلا أن الكلب الماهر يدرك أثر قوائمها .

ومن شأنها : ألا تأوى إلى ساحل البحر ، وإذا طردت لجأت إلى الجبال واشتد عدوها فيها ؛ والأنثى لا تسمن ؛ وهى عند العرب مما يبيض ؛ وتُسفد وهى حيل ؛ وتلد الأول والثانى على ما فى بطنها .

السابع "الذئب" - جمع ذئب ؛ وهو حيوان فى صورة الكلب فى لونه بلق بكودة ؛ والنسبة أجراً من الذئب وأشدّ صنواً ؛ وأسنانه عظم مخلوق فى فكه ليست مغروسة فهما كسائر الحيوان .

قال ابن السندى : وأخبرنى أبو بكر البقيشى أن هذه الخلقة فى أسنان الضبع أيضاً . والذئب صاحب خلوة وأفراد ، ومتى رأى الإنسان قبل أن يراه أخفى صوته ؛ وإن رآه جزع منه أجترأ عليه وساوره . وإذا تسافد هو وأتساء

(١) فى الصحيح : ويقع على الذكر والأنثى ، وقد يثبت بلفظ .

التحما تماما شديدا حتى يقال : إنه اذا هم عليهما داخل في هذه الحالة قتلها  
 كيف شاء ، ولذلك يعضدان في هذه الحال إلى مكان لا يُريَان فيه . وإذا تهارش  
 ذئبان فادى أحدهما الآخر عدا الذي أدى على المُدعى ققتله خوفاً من أخذ الثار ؛  
 وإذا عجز الذئب عن الدفع عوى فاجتمع إليه الذئاب نُصرة له ؛ وإذا لقي الفارس  
 والأرض مثلوحة تمشّس التلج بيديه ورمى به في وجه الفارس ليُدْهشه ثم يعقر دابته  
 فيتمكّن منه ؛ ومتى وطئ الفرس أثر الذئب رُعيد ونرج الدخان من جسده كله ،  
 ولذلك قلّ مَنْ يطرد من الفُرسان ولا يتفطن لوطء أثره . ويصاد بالكلاب وغيرها ؛  
 وقد تقدّم أن السودانيّ ضرى ذئبا حتى أصطاد له الأطباء .

الثامن "الثعلب" — جمع ثعلب ؛ وهو حيوان معروف ، موصوف بكثرة الرّوغان  
 في عدوه وبالجيل حتى إنه يتماوت عند رؤية الفُراب فيزُل عليه الفُراب على ظنّ  
 موته لياكل منه فيقبضه هو . ومن حُبته وحيلته يختلط بكبار الوحوش وجِلَّتْها .

قال في " المصايد والمطارد " : ومن فضائله تشبيههم مِشْيَة الخليل بمشيته التي  
 يقال لها : الثعلبية .

ومن عجائبه : أن قضيبه في خلقة الأنبوبة ، أوسطه عظم في صورة الثقب والباقي  
 عَصَب ولحم . وهو كريم الوبر ؛ والأسود من وبره في الغاية القصوى ، والأبيض منه  
 لا يكاد يُفرّق بينه وبين الفَنَك .

ومن خصائصه : أنه يتمرّغ في الزرع فلا ينبت موضعه ؛ وربما سَقَد الكلبة  
 فولدت كلبا في خلقة السلوقي الذي لا يُقدر على مثله ؛ وقد تقدّم ذكر ذلك  
 في الكلام على الكلاب السلوقية . ومواضعه الكروم والآجام . ويصيده الفهد  
 والكلب وجوارح الطير .

التاسع "الضباع" - جمع ضبع - ويقال لها : أم عامر؛ وهى مما يؤكل وإن كانت من ذوات الناب لورود النص بذلك . وترجم العرب أنها تكون سنة ذكرا وسنة أنثى .

ومن خصائصها : أنها إذا رأت الكلب فى ليلة مقمرة على سطح ووطئت ظله وقع فاكلته . وإذا أقتحم عليها مقتحم وجارها وقد سد جميع منافذ بحرها حتى يمنع منه الضوء فلا يبقى فيه حرم لبرة ، ربطها بجبل ونخرج بها ، وإن بقى ما يدخل منه الضوء ، ولو قدر سم لبرة وبئت عليه فاكلته . ومن كان معه شيء من النمل لم تقربه الضبع .

العاشر "سنور البر" - وهو النفا . وفى حله عند الشافية وجهان ، أحدهما التحريم . وصيده يحتاج إلى علاج كبير؛ وربما وثب على وجوه الناس؛ وطرده بانخيل من أعسر الطراد؛ وأولى ما يُصاد به الرى . ومنهم من يعتد فى السباع .

قال فى "المصايد والمطارد" : **وقلنا أنتفع به فى صيد إلا أنه يتب على الكرى** وما فى مقداره من الطيور فيصيده . أما السنور الأهلى ، وهو الهر المعروف ، فغير ما كول ولا يصيد إلا الفار وما فى معناه من خشاش الأرض ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الهزة : **"ولكنها من الطوائف عليكم"** بمعنى أنها تطوف على النائم فى بيته فتقبض ما لعله يسرح عليه من الخشاش .

الحادى عشر "الذب" - وهو حيوان قريب فى الصورة من السبع؛ وهو يسكن الجبال والمغائر<sup>(١)</sup> والأشجار ترفع ولها أياها هربا به من الذر والنمل لأنها تضمه كقطعة لحم ، فلا تزال تنقله وتزاعيه حتى تشتت أعضائه ، ويجعله تحت شجرة الجوز وتضعها فتجمع الجوز فى كنفها ثم تضرب أيمنى على اليسرى وترى إليه ؛ فإذا شبع تلت ؛

وربما قطعتم من الشجرة العود الذي ينجس الناس عنه وتقبض عليه في موضع مقبوض العصا وتشد به على الفارس وغيره فلا تُصيب به شيئا إلا أهلكته .

ومن خصيسته : أنه يستتر في الشتاء فلا يظهر إلا في الصيف بخلاف سائر الحيوان .

الثاني عشر "الخترير" — وهو حرام بنص القرآن، نجس في مذهب الشافعي رضي الله عنه قياسا على الكلب، بل قالوا: إنه أسوأ حالا منه لعدم حل أقتنائه، إلا أنه مباح القتل فيكون في معنى الصيد. وهو حيوان في نحو مقدار الحمار وشعره كالإبر، وله نابان بارزان من فكّه الأسفل .

ومن خاصته : أنه لا يلقي شيئا من أسنانه، بخلاف سائر الحيوان فإنها تلقي أسنانها خلا الأضراس . وهو كثير السّفاد كثير النسل ، حتى إنه ربما بلغت مدة خنّان<sup>(١)</sup>يه ، وهي أولاده، اثني عشر خنوصا<sup>(١)</sup> .

قال في "المصايد والمطارد" : وهو من الحيوان البري الجاهل الذي لا يقبل التأديب والتعليم ، ويقبل السّنّ سرما ، ويقال إنه إذا جعل بين الخيل سمّنت .

الثالث عشر "السّمور" — بفتح السين وبالميم المشددة المضمومة على وزن السّفود والكلوب ؛ وهو حيوان برى يشبه السّور، وقد يكون أكبر منه .

قال عبد اللطيف البغدادي : وهو حيوان جرى ليس في الحيوان أجزأ منه على الانسان، لا يصاد إلا بالحيل . ووقع للنووي في "تهذيب الأسماء واللغات" : أن السّمور طير؛ ولعله سبق قلم منه . وأغرب ابن هشام البستي في "شرح التلخيص" فقال : إنه ضرب من الجن . والتحقيق أنه من جملة الوحوش كما هتّم . وحكمه

(١) في الأصل : بالسين وهو تصحيف ، أنظر كتب اللغة .

حِلُّ أَكَلِهِ . ومنه يُتَخَذُ قَيْسُ الْفِرَاءِ الَّتِي لَا يَلْبَسُهَا إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَكْبَارُ الْأَعْيَانِ مِنْ  
يَدَايِ الْمُلُوكِ لِحُسْنِهَا وَدِفَاقِهَا ؛ وَأَحْسَنُ مَا كَانَ مِنْهُ شَدِيدُ الثَّوْمَةِ مَاثِلًا إِلَى السَّوَادِ .  
الرَّابِعُ عَشَرَ "الْفَنَكُ" — بَفَتْحِ الْفَاءِ وَالنُّونِ — وَهُوَ دَوِّيَّةٌ لَطِيفَةٌ لَهَا وَبَرَحَسٌ  
أَبْيَضٌ يَخَالُطُهُ بَعْضُ حُمْرَةِ يُتَخَذُ مِنْ جُلُودِهِ الْفِرَاءُ .

قَالَ ابْنُ الْبَيْطَارِ : وَفِرْوُهُ أَطْيَبُ مِنْ جَمِيعِ الْفِرَاءِ ؛ وَمِزَاجُهُ أَرْدُ مِنْ السُّمُورِ  
وَأَحْمَرُ مِنَ السَّنَجَابِ ؛ وَيَصْلَحُ لِلْأَبْدَانِ الْمُعْتَلَةِ ؛ قَالَ : وَكَثِيرًا مَا يُحْلَبُ مِنْ بِلَادِ  
الصَّقَالِبَةِ .

الخَامِسُ عَشَرَ "الْقَاقِمُ" — بِقَافَيْنِ الثَّانِيَةِ مِنْهُمَا مَضْمُومَةٌ — وَهُوَ دَوِّيَّةٌ فِي قَدْرِ  
الْفَارِ لَهَا شَعْرٌ أَبْيَضٌ نَاعِمٌ ؛ وَمِنْهُ يُتَخَذُ الْفِرَاءُ . وَهُوَ أَرْدُ مِزَاجًا وَأَرْطَبُ مِنَ السَّنَجَابِ ؛  
وَلِذَلِكَ كَانَ لَوْنُهُ الْيَاسَافُ ؛ وَهُوَ أَعَزُّ قِيَمَةً مِنَ السَّنَجَابِ .

السادس عشر "الدَّقَقُ" — بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَاللَّامِ وَقَافٍ فِي الْآخِرِ —  
فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ؛ وَهُوَ دَوِّيَّةٌ تَهْرَبُ مِنَ السُّمُورِ .

قَالَ عَبْدِاللطيف البغدادى : وَهُوَ يَفْتَرِسُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَاءِ وَيَكْرَهُ فِي الدَّمِ .  
وَذَكَرَ ابْنُ فَارِسٍ : أَنَّهُ الثَّمَسُ . وَقَدْ ذَكَرَ الرَّافِعِيُّ أَنَّهُ يُسَمَّى : ابْنُ مُقْرِضٍ ؛  
وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الدَّقَقَ حَيَوَانٌ يُتَخَذُ مِنْهُ الْفِرَاءُ .

السَّابِعُ عَشَرَ "السَّنَجَابُ" — وَهُوَ حَيَوَانٌ أَكْبَرُ مِنَ الْفَارِ وَوَبَرُهُ فِي غَايَةِ  
الثَّوْمَةِ وَجِلْدُهُ فِي نِهَازَةِ الْقُوَّةِ . وَحَكَمَ الْحُلُّ ؛ وَقَالَ بِتَحْرِيمِهِ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ . وَيُتَخَذُ  
مِنْ جِلْدِهِ الْفِرَاءُ النَّفِيسَةُ الَّتِي يَلْبَسُهَا أَعْيَانُ النَّاسِ وَرُؤُسَاؤُهُمْ .

وَمِنْ شَأْنِهِ : أَنَّهُ إِذَا أَبْصَرَ الْإِنْسَانُ صَعِدَ الشَّجَرُ الْعَالِي ، وَفِيهَا يَأْوِي ، وَمِنْهَا  
يَأْكُلُ . وَهُوَ كَثِيرُ بِلَادِ الْفَرَجِ وَالصَّقَالِبَةِ ؛ وَأَحْسَنُ أَلْوَانِهِ الْأَزْرَقُ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ يُقَالُ

إنه ربما تبقى زُرْقته لأنه يُحْتَق ولا يُدَكِّي ، فإن صح ذلك فهو ميتة لا يظهر شعره  
بالدباغ على أظهر القولين من منعب الشافعي رضى الله عنه خلافا للأستاذ أبي إسحاق  
الاسفرايحي وأبن أبي عَصْرُون فإنهما يريان طهارة الشعر بالدباغ وهو رواية الربيع  
الجيزي عن الشافعي وأخاره الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله .

الثامن عشر "سُور الزَّيَّاد" — وهو في صورة السُّور الأهل — إلا أنه أطول ذَنَباً  
منه وأكبر جَنَّةً ، ولونه إلى السواد أَمِيلٌ ، وربما كان أَمَرٌ ، وهو يُحَلَّب من بلاد  
الهند والسند ، والزَّيَّاد فيه شبهة بالوجه الأسود اللزج ، ذِفَر الرائحة ، يخالطه طيب  
كطيب المسك ، ويوجد في باطن إبطه ، وباطن أنفاه ، وباطن ذنبه ، وحول دُبُرِه ؛  
فيؤخذ من هذه الأماكن بملقعة ونحوها .

التاسع عشر "السُّور الأهل" — وهو المهر — ويقال في أصل خلقه : إن أهل  
السفينة شكَّوا إلى نوح عليه السلام ضرر الفأر فسح على وجه الأسد بيده فَعَطَسَ  
نفجر السُّور من أنفه ، ولذلك هو يشبه في التكوين وكيفية الأعضاء . وفيه مشاركة  
للإنسان في خصال :

منها : أنه يَمُطِسُ ، ويتألم ، ويتناول الشيء بيده ، وياكل اللحم ، ويمسح  
وجهه بلعابه كأنه يغسله ؛ وإذا آتسخ شيء من بدنه نظَّفه ، وإذا قضى حاجته خَبَأَ  
ما يخرج منه ، وَيَسْمُهُ حتى تخفى رائحته . ويقال : إنه يفعل ذلك كيلا يَسْمُهُ  
الفأر فيهرب ؛ وهو يهيج للسَّقَاد في آخر الشتاء ، ويكثر الصباح حيثئذ ، وتعمل  
الأثني منه مرة في السنة ، ويُقِيم حاملاً خمسين يوماً ؛ وإذا ألف متراً منع غيره من  
الساتين من الدخول إليه ؛ وإذا طرده أهل البيت تَمَلَّق لهم وترقق ؛ وإذا أختطف  
شيئاً هرب به خوفاً المعاقبة عليه .



والهزة إذا جاعت أكلت أولادها، ويقال : إنها تفعل ذلك من شمة الحشو .  
وقد ذكر القزويني : أن نوما من السناير له أجنحة كأجنحة الخفافيش متصلة من  
أذنها إلى ذنبها .

العشرون "النمس" — قال الجوهري : وهو دَوِيَّةٌ عريضة كأنها قطعة قيد،  
تمون بأرض مصر تقتل الثعالب ، والنمس بمصر معروف ؛ وهو حيوان قصير اليدين  
والرجلين أضبر اللون ، طويل الذنب ، يصيد الدجاج ؛ وإذا رأى ثعبانا قبض عليه  
وقتلته ؛ وربما صيد وأنس فأنس .

فلذا علم الكاتب صفات الوحوش وخصائصها ، عرف كيف يورد الجليل منها  
من الأسد والفيل ونحوها موارد في الوصف ، وكيف يصف ضواري الصيد كالقهد  
وكيف يصف وحوش الصيد كالقطباء ، وبقر الوحش ، وحمر الوحش وغيرها ؛  
وكذلك ما يقع من التشبيهات بشيء من الحيوان كما قال بعض الشعراء :  
وَيَجْتَنِبُ الْأَسْوَدُ وَرُودَ مَاءٍ \* إِذَا كَانَ الْكَلَابُ يَلْفَنَ فِيهِ  
وكما أنشد الجاحظ :

جاءت مع الأفسنين في هودج \* تُزجى إلى البصرة أجاندها  
كأنها في فعلها هرة \* تُريد أن تأكل أولادها

مشيرا بذلك إلى ما تقدم من أكل الهزة أولادها ، وغير ذلك مما يجرى هذا  
الجرى ؛ وميأتى ذكر ما في معنى ذلك من الرسائل المتعلقة بأوصاف الحيوان في المقالة  
العاشرة المعلقة لتلك إن شاء الله تعالى .

## النوع الرابع

فيما يحتاج إلى وصفه من الطيور

ويحتاج الكاتب إلى ذلك في رسائل الصيد، وإهداء الجوارح، والجواب عن إهدائها، وكتابة قدم البنتق، وما يجري مجرى ذلك؛ وهو على أربعة أصناف .

### الصفن الأول

#### ”الجوارح“

وهي يُصاد بها الطير والوحش؛ ويحتاج الكاتب إلى وصفها في الرسائل الصيدية وفي إهداء شيء من الجوارح أو الجواب عنها .

واعلم أن الصائد الكبير الجئنة المعتبر في الصيد في جميع أجناس الجوارح هي الإناث؛ أما ذكرها فإنها ألطف في المقدار وأضعف في الصيد على ما يأتي بيانه فيها بعد إن شاء الله تعالى .

قال في ”التعريف“ : ويستحب في الجوارح كبرها متها، وتوسد صدرها، واتساع حاليها، وقوة إصبارها، وحدة مناسرها، وصفاء ألوانها، ونعومة ريشها، وقوة قوادمها، وتكاثف خوافها، وتقل عملها، وخفة وثباتها، وأشتدادها في الطلب، ونهمها في الأكل؛ وقد قسمها في ”التعريف“ إلى قسمين : صقور وبراة، وفرق بينهما بأن الصقر ما كان أسود العين، والبازي ما كان أصفر العين على اختلاف المسميات، ثم قال : أما العقاب فإنه لا يعد في الصقور ولا في البراة وهو معدود في الجوارح، وفي الطير الجليل . وبالجملة فالجوارح على ثلاثة أقسام :

## القسم الأول

”العُقَاب“، وهو ضربان

الضرب الأول — المخصوص باسم العُقَاب وهو مؤنثة لا تذكّر، وتجمع على عُقَبَانٍ وَأَعْقَبَ .

قال في ”المصايد والمطارد“ : وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر الطير أعظم منها ؛ وأصل لونها السواد .

فنها : سوداء دَجُوجِيَّةٌ ، وخُدَّارِيَّةٌ ، وهي التي لا بياض فيها .

ومنها : البَقَعَاءُ ، وهي التي يخالط سوادها بياضٌ .

ومنها : الشَّقْرَاءُ ؛ وهي التي في رأسها قُطْعٌ بياض . قال أبو عبيدة ويونس : ويقال لذكر العقاب التَّرنُّ — بفتح التين والراء المهملة — ويقال : إن ذكور العُقَبَانِ من طير آتَرَ لَطَافِ الجرم لا تُساوى شيئاً، تلعب بها الصَّبَّانُ . والعُقَاب من أسرع الطير طَيْرَاناً ؛ فقد حُكِيَ أن عُقَاباً حملت كَفَّ عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد المسمى بِعَسُوب قريش المقتول يوم الجمل بالكوفة ؛ فألقته بمكة فَأَخَذَتْ فَوُجِدَ بها حَلَقَةٌ فعرف أنها كفسه ؛ وأُرِّخَ ذلك الوقت فتبين أنها ألقته يوم الجمل الذي قتل فيه .

وأول من صادها أهل المغرب ؛ فلما نظرت الروم إلى شدة أمرها وإفراط سَلَاحِهَا قال حِكْمُومُ : هذا لا يفي خيره بشرة .

وصفة الوثيق العجيب منها : وَثَاقَةُ الخلق ، وَثُبُوت الأركان ، وَحُمرة اللون ، وَغُثُور العين بالجماليق ؛ وأن تكون صَقْعَاء ، عَجَزَاء ، لا سيما ما كان منها من أرض مُرْتَ أو جبال المغرب . وهي تصيد الطَّبَّاءَ وَالثَّعَالِبَ والأرانب ، وقد تصيد حُرَّ

الوحش، وطريق صيدها إياها أنها إذا نظرت حمار الوحش رمت بنفسها في الماء حتى يبل جناحها ثم تخرج فتقع على التراب فتحمل منه ومن الرمل ما يعلق بهما، ثم تطير طياراً ثقيلاً حتى تقع على هامته فتصقق على عينيه بجناحيها فيمكثان تراباً من ذلك التراب الذي علق بجناحيها، فلا تستطيع المسير بعد ذلك فيدركها القانص فيأخذها وربما كمرت الأذى .

ومما يحكى في ذلك : أن قيصر ملك الروم أهدى الى كسرى ملك الفرس عقاباً، وكتب إليه : إنها تعمل أكثر من عمل الصقور، فأمر بها كسرى فأرسلت على ظني فاقنصته، فأعجبه ما رأى منها فأنصرف وجوعها ليصيد بها فوثبت على صبي له فقتله، فقال كسرى : إن قيصر قد جعل بيننا وبينه دماً ثاراً بغير جيش، ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر تمراً وكتب إليه : أن قد بعثت إليك فهذا يقتل الظباء وأمثالها من الوحش، وكنتم ما صنعت العقاب، فأعجب قيصر حسن الثمر ووافق صفته ما وصف من الفهد، وغفل عنه فاقترس بعض فتيانه فقال : صادنا كسرى .

ومن شأنها : أنها لا تطلب شيئاً من الوحش الذي تصيده، وهي لا تقرب إنساناً أبداً خوفاً من أن يطلب صيدها، ولا تزال مرقبة<sup>(١)</sup> على مرقب عال؛ فإذا رأت بعض سباع الطير قد صاد شيئاً أقضت عليه، فإذا أبصرها هرب وترك الصيد لها؛ فإن جاءت لم يتمتع عليها الذئب في صيدها، وربما آغثت البزاة فقتلتها .

ومن خصائصها : أنها أشد إخفاء لإفراخها من سائر الطير .

قال غطريف بن قدامة النسابي صاحب صيد هشام بن عبد الملك : وأول من لعب بالعقاب أهل المغرب؛ فلما عرفوا أسرارها تقنذوها إلى ملك الروم

(١) له : مرقبة .

فاستدعى جميع حكاكه فقال لهم : أنظروا في قوة هذا الطير وعظم سلاحه ، كيف تجب تربيته ، وتعزفوا أسرارَه في صيده وتعليمه ، وكيف ينبغي أن يكون ؟ فأجابوا جميعا : بأن هذا الطائر دون سائر أجناسه كالأسد في سائر الوحوش وكما أن الأسد ملك كذلك هذا ملك بين سائر سباع الطير . وعند المداوة والغضب كل الأجناس عنده من سائر الحيوان على اختلاف أنواعه واحد لقوة غضبه وشدة بأسه فهو لا يستعظم الأدنى ولا يخيه من الحيوان .

الضرب الثاني : ”الزُجَجُ“ — بضم الزاي وفتح الميم المشددة ثم جيم — والعامة تبدل الزاي جيا والجيم زايًا ؛ وهو طائر معروف تصيد به الملوك الوحش ، وأهل البيرة يُعدونه من خفاف الطير الجوارح ، إلا أنهم يصفونه بالغر وقلة الإلف لكثافة طبعه وكونه لا يقبل التعليم إلا بعد بطله .

ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض ؛ وأحسن صفاته أن يكون أحمر اللون .

وقال الليث : الزُجَجُ طائر دون العقاب حرته غالبة ، والعجم تسميه دُورًا درآن ، ومعناه أنه إن عجز عن الصيد أعانه عليه أخوه .

### القسم الثاني

من الجوارح ”البُرَّاة“ وهي ما أصغرت عينه ، وهي على خمسة أصرب :

الأول ”البازي“ — المختص في زماننا باسم البازي ؛ وفي ضبطه ثلاث لغات أفصحها بازي بكسر الزاي وتخفيف الياء في الآخر ، والثاني باز بنيرياء في آخره ، والثالث بازي بإثبات الياء وتشديدها حكاها ابن سيده ؛ ويقال في التنجية : بازِيَان ، وفي الجمع : بَوَازٍ وبُرَّاة ، ولفظه مشتق من البزوان ، وهو الوثب . وهو خفيف

الجَنَاح ، سريع الطيران ؛ وهو من أشرف الطيور الجوارح وأحرصها على طلب صيده .

قضى أخبار نصر بن ميسار أن بعض كبراء الدَّهَّاقِينَ غَدَا عليه بطَبَرِستان ومعه مَنَدِيل فيه شيءٌ مَلْفَفٌ ، فكشف عنه بين يديه فإذا فيه شُلُوباز ودُرَّاجَة ، فأطلقه عليها فأحسَّت به — وكنت قد أمرت بإحراق قَصَبٍ قد أفسد أرضا لى — فتعاملت الدُّرَّاجَة حتَّى أفتحمت النَّارَ هاربة من البازى ، وأشدَّت طلبه لها وحرصه عليها فلم ترده النَّارَ عنها وأفتحمها فى أثرها ، فأسرعتَ فيهما ، فادركهما وقد أحترقا ، فاحضرهما إلى الأمير ليراهما فيرى بهما ثمرةَ إفراط الحرص وإفراط الجُبن ؛ وهو من أشدَّ الحيوان كبرا وأضيقها خُلُقًا .

قال القزويني : ولا يكون إلا أُنثى ، وذكرها نوع آخر من حِدَاة أو شاهين أو غيرها ؛ ولذلك تختلف أشكالها . والبازى قليل الصبر على العطش وماواه مساقطُ الشجر .

ومن فضيلته : أن الصيد فيه طبيعةٌ لأنه يؤخذ من وكْره فرخا من غير أن يكون يصيد مع أبويه ، فيصيد ابتداء وقرينة من غير تضرية ، بخلاف الصقر فإنه إذا أخذ قبل أن يتصيد مع أبويه لم يتجَب ولم يصدْ ، وإذا كان قد لحق أبويه وصاد معهما ثم عودَ أكثر مما يوجد صده فى تلك الحال وجُرئ على ما هو أكبر من الظباء اعتاد ذلك ومهر فيه .

قال صاحب "المصايد والمطارد" : وصدُّ ريش جَنَاح البازى عشرون ريشةً : أربع قوادم ، وأربع مناكِب ، وأربع أباهر ، وأربع كُلى ، وأربع خواف ؛ ويقال : سبع قوادم ، وسبع خواف ، ومآثره لَقَب . والخواف أخف من القوادم .

والمستحب من صفاته : صغر المنقر، والرأس، وغِلظ العنق، وسعة الخمين، ودائري الأذنين والشدقين، وسعة الحلق، وطول القوادم، وقصر الخواقي والذنب، وشدة اللحم، وعرض ما بين المتكبين والزور، وسعة الحوصلاء، وسعة ما ينتقل إليه طعمه، وعرض الخالب، ورزانة الحمل، وغِلظ خطوط الصدر، وذكاء القلب، والتشمير، وكثرة الأكل، وتسابع النهش، وسرعة الاستمراء، وشدة الانقباض، وضخامة السلاح، وبعد الذرق. وأن تراه كأنه مقيمًا إذا استقبلته على يد حامله، تشبهاً<sup>(١)</sup> بالفراب الأبقع .

قال صاحب "المصايد والمطاردة" : والمختار من ألوانها الأحمر الأكثر سوادا، الغليظ خطوط الصدر، والأشهب الشديد الشبهة، الشبيه بالأبيض، والأصفر المدبج الظهر . قال : وسواد لسانه أدل على نجابته .

والبازي : يصيد الكلب، والأرنب، والغزال، والكركي وما في معناه، والذئب، والجمل، وسائر الحمام، والبطة، وسائر طيور الماء .

ومن محاسن البازي : عدم الإباق، فإنه إن صاد بقي على فريسته وإن لم يصد وقف مكانه فلا يحتاج إلى كد ولا تعب ولا طرد خيل .

وأول من صاده من الملوك قسطنطين ملك الروم ؛ وذلك أنه مر يوما ليحف جبل فرأى بازيا يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الأغصان كبيرة الشوك، فأعجبته صورته، وراقه حسن لباسه ؛ فأمر بأن يصاد له جملة من البزة فصيدت له وحملت إليه فارتبطها في مجلسه ، فعرض لبعضها في بعض الأيام أيم<sup>(٢)</sup> فوثب عليه فقتله ؛ فقال : هذا ملك يُفضيه ما يفضبُ الملوك فنصب له بين يديه كندرة، وكان هناك ثعلب

(١) كذا في الأصل . (٢) الأيم : الحية أنظر القاموس .

داجن، وهو الذي يرثي في البيوت، فَوَقَبَ عليه فما أَقَلَّتْ إلا جريحاً؛ فقال : هذا ملك جَبَّار لا يحتمل ضياعاً؛ ثم مرّ به طائر فكَرَّمَهُ ونهش منه؛ فقال : هذا ملكٌ نوعه لما جاع أخذ طعامه بسُلطان وقُدرة، فحمله على يده وصاد به .

الثاني "الزُّزُق" — بضم الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة المفتوحة وقَفَّ في الآخر — وهو ذكر البازي .

قال في "المصايد والمطارِد" : وهو يصيد ما يصيد البازي من دِقِّ الطير ولا ينتهي إلى صيد الكُرْكُتِ .  
(١١)

الثالث "الفقيمي" — وهو بازٍ قَصِيْفٌ قليل الصيد ذاهل النفس .

الرابع "الباشِق" — بكسر الشين وفتحها — فارسي معزب وهو طائر لطيف وصفاته المحمودة كصفات البازي المحمودة؛ وأفضلها أبقلها وزنا .

قال في "المصايد والمطارِد" : وهو يصيد العصافير وما قاربها . وقال في حياة الحيوان : إنه يصيد أنغر ما يصيده البازي، وهو اللُزَّاج والحَمَام والوَرَشَان، وإذا قَوَّى على صيده لا يتركه إلا أن يتَلَفَّ أحدهما .

الخامس "اليَّدِق" — وهو دون الباشق، وصيده المصافير .

### القسم الثالث

من الجوارح "الصقور" — وهي السود العيون من الجوارح، وهي ضربان :

الضرب الأول : "الشَّواهين" (واحد شاهين) وهي صنفان ؛ الأول :

المشتهر باسم الشاهين، وقد ذكر العلماء بالجوارح : أن الشَّواهين هي أسرع الجوارح

(١) في حياة الحيوان : القمى، ولم نجد ما في القاموس .



كلها وأشجعها وأخفها وأحسنها قلبا، وإقبالا، وإدبارا، وأشدّها ضراوة على الصيد؛ إلا أنهم عابوها بالإيق وما يترى من شدة الحرص، حتى إنها ربما ضربت نفسها على القلظ من الأرض فانت، وهى أصلب عظاما من غيرها من سائر الجوارح؛ ويقال: إن صدرها عصب مجدول ملحم، ولذلك تجدها تضرب بصدرها ثم تتلق بكفها، وهم يحدون منها ما قرئص داجتا تون ما قرئص وحشيا.

ومن كلام بعضهم: الشاهين كاسمه — يعنى كالميزان المسمى بالشاهين — فإنها لا تمهل أيسر حال من الشجع ولا أيسر حال من الجوع؛ بل حالها معتدل كاعتدال الميزان؛ ويقال: إن الحمام يخافها أكثر مما يخاف غيرها من الصقور.

ثم المختار من صفاتها فيما ذكره صاحب "المصايد والمطارد": الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة، واسع العينين حاذهما، سائل السفتين، تام المنير، طويل العنق، رطب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب القعدة من القفا، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ دائرة الخصر، قليل الريش لينه، تام الخواقي، ممتلئ العكوة، رقيق الذنب، إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنهما شئ من ذنبه.

قال صاحب "المصايد والمطارد": وأهل الاسكندرية يزعمون أن السواد منها هى المحموده، وأن السواد هو أصل لونها وإنما آتلفت إلى لون البرارى خالت؛ قال: والحر منها تكون فى الأرياف والمواضع السهلة؛ والشهب فى الجبال والبرارى، ثم قال: ولا يصيد منها الكركى والخبزج إلا البحرية.

وأول من صادها فيما يقر قسطنطين ملك الروم أيضا، وذلك أنه رأى شاهينا محلقا على طير الماء يصطاده فأعجبه ما عاين من قرأته وسرعة طيرانه وحسن صيده؛

فإنه رآه يَحَلِّقُ في طيرانه حتى يلحق بِمَنَ الجَوْم يعود في طرفه عين فيضرب طير الماء فيأخذه قَنَاصاً، فقال : ينبغي أن يصاد هذا الطائر ويُعَلَّم، فإن كان قابلاً للتعليم ظهر منه أُنْجُوبَةٌ في أمر الصيد، فأمر بصيده وتعليمه، فصيد وعلم وحمله على يده .

قال في "المصايد والمطارد" : وأنه كان من رتبة ملوك الروم أنه إذا ركب سارت الشواهين حائمة على رأس الملك حتى يتزل فتقع حَوْلَه إلى أن ركب بها ملك منهم، وسار وهي على رأسه فطار طائر فاقصَّ بعض تلك الشواهين عليه فاقتنصه، وأُنْجِبَ الملك به فضراًها على الصيد وصاد بها .

وقال ابن عُفَيْر : كانت ملوك العرب إذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم، وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة .

الثاني من الشواهين : الأَنْبُوهُ<sup>(١)</sup>، قال في "المصايد والمطارد" : وهو دون الشاهين في القوة، وله سُرْعَةٌ لا تزيد على صيد المصاير .

الضرب الثاني : من الصقور ما عدا الشواهين وهي أصناف :

الأول "الصَّقْر" . قال في "التعريف" وهو أشرفُ الجوارح وإن كان لا ذِكْرَ له في القديم . قال : والسَّاقِرُ يُجَلَّبُ من البحر الشامي مغالً في أمانها، ثم قال : وكان الواحد منها يبلغ ألف دينار، ثم نزل عن تلك الرتبة، وأنحط عن تلك المُنْصَبَةِ .

الثاني — المخصوص في زماننا باسم "الصَّقْر" ، ويجمع على أصْقُرُ وصُقُورُ وصُقُورَةٌ، قال في "التعريف" : والعرب تسمى هذا النوع الحُرَّ، ويقال له : الأَكْدَرُ، والأَجْدَلُ .

(١) لم نثر على هذا الاسم .

قال في "المصايد والمطارد" : ويقال لها : ينال الطير، لأنها أصبر على الأذى، وأحمل لطيف الغذاء، وأحسن لقا، وأشد إقداما على جيلة الطير، ومزاجه أبرد من البازي والشاهين .

وبسبب ذلك يضري على الغزال والأرنب ولا يضري على الطير لأنه يفوته، وهو أهدى من البازي نفسا، وأسرع استئناسا بالناس، وأكثرها قنما، وأبرد مزاجا، لا يشرب ماء وإن أقام دهرا، ونوعه يوصف بالبخر وقن الفم، ومسكنه المغائر والكهوف وصُدوع الجبال دون رعوس الأشجار وأعلى الجبال .

والعرب يسمونه من الصقور ما قرئص وحشيا، وتلم ما قرئص داجنا، ويقول : إنه يتبلد ولا يكاد يفلح . وهي تصيد الكركي وما في معناه، والبط وسائر طير الماء . والصقور من أثبت الجوارح جناها في الطيران، وأحرصها في اتباع الصيد، حتى يحكي أن بعض ملوك مصر أرسل صقرا على كركي صبيحة يوم الجمعة بمصر، فبينما الناس يصلون الجمعة بدمشق إذ وقع هو والكركي بالجامع الأموي بدمشق، فأخذ فوجد فيه لوح السلطان مفرد به، فكتب نائب الشام إلى السلطان يخبره وأرسله إليه هو وصيده .

قال في "المصايد والمطارد" : ومن ألوان الصقر كونه أحمر، وأبيض، وأحوى، وأبيض، وأخرج، وهو الذي فيه ققط بيض . قال : ويستحب في الصقر أن يكون أحمر اللون، عظيم الهامة، واسع العينين، تام المنسر، طويل العنق، رطب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل التخزين، قصير الساقين، قريب القدم من القفا، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ الأصابع فيوزجها، أسود اللسان . قال : وتجمع هذه الصفات الفرامة والوثاقة والسرمة .

قال أدهم بن محرز : وأول من لعب بالصقر الحارث بن معاوية بن كندة الكندي ، خرج يوما الى الصيد فرأى صيادين قد نصبوا شباكاً كعنة ، فوقع فيها عصافير عنة ، فحين رآها صقر من الجو أقصص عليها يطلبها ، فأمر الحارث بنصيب الشباك للصقور فنصبت لها فاصطاد منها جملة . ويقال : إن صيد الصقر غير طبعي له ، وإنما يستفيد ذلك بالتعليم ، بدليل أن فراخ الباز إذا أخذت من العش وتعلمت اصطادات أجود صيد لأن صيدها طبعي ، بخلاف الصقر فإنه إذا أخذ من الوكر ثم كبر فإنه لا يصطاد غير طعمه فلذلك يُنهي عن تربية الصقر .

الثالث "الكوتنج" — قال في حياة الحيوان : نسبته من الصقور كنسبة الزرق إلى البازي إلا أنه أحر منه ، ولذلك كان أخف جناحا وأقل بجرا . قال : ويصيد أشياء من طير الماء ويسجز عن الغزال لصغره .

الرابع "المكوهية" — وهي موشاة بالياض والسواد يخالط لونها صفرة .

وقال في "التعريف" : وتجلب من البحر .

الخامس "السقاوة" — وهي قرية الشكل من الصقر .

السادس "اليؤيؤ" — بضم الياء المثناة تحت وهمزة بعدها وضم الثانية وهمزة بعدها أيضا .

قال في "المصايد والمطارد" : وتسميه أهل مصر والشام "الجلم"، وبهذا سماه في "التعريف" : وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقعة ، وهي مع صفرها يجتمع الاثنان منها على الكركي فيصيدانه ، وسموه الجلم أخذا من الجلم ، وهو المقصص تشبيها به لأن له سرعة كسرعة المتقص في قطعه ، ومزاجه بالنسبة إلى الباشق بارد رطب لأنه أصبر نفسا منه ، وأهمل حركة . وهو يشرب الماء شربا ضروريا كما

يشربه الباشق؛ ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حاز يابس ولذلك هو أشجع منه . ويقال :  
إن أول من ضرّاه على الصيد وأصطاد به بهرام جور — أحد ملوك الفرس — وذلك  
أنه رأى يُقْرِؤًا يطارد قنبرة ، ويراوغها ، ويرتفع معها ثم لم يتركها حتى صادها ، فأمر  
بتأديبه والصيد به .

## الصنف الثاني

### الطير الجليل

وهو المعبر عنه بطير الواجب ، وبه تعنى رماة البندق ونحوها ، وتغصن بإصابتها  
وصّرعها ، ويحتاج إليه في الرسائل الصيدية ، وفي كتابة قدم البندق ونحوها . وهو  
أربعة عشر طائرا ، وهى على ضربين :

الضرب الأول "طيور الشتاء" — وهى التى يكثر وجدانها فيه ، وهى عشرة  
طيور :

الأول "الكركي" — وهو طائر أعبر ، طويل الساقين ، فى قدر الإوزة ، ويجمع  
على كركاي ، وفى طبعه خور يجعله على التحارس ، حتى إنه إذا أجمع جماعة من  
الكركاي لا بد لها من حارس يحرسها بالتوبة بينها . ومن شأن الذى يحرس منها أن  
يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بأنه حارس ، فإذا قضى نوبته ، قام واحد من كان  
نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل  
صفا واحدا ، بقدماها واحد منها كالرئيس لما وهى تتبعه ، يكون ذلك حينما ثم يحلفه  
آخر منها مقلما حتى يصير الذى كان مقلما مؤثرا ، وفى طبعها التناصّر والتعاصّد .  
ومن خاصتها أن أتناها لا تقعد للسفاد بل يسفدها وهى قائمة ، ويكون سفاده سرعا  
كالصقور .

وذكر جَمِيع بن عبد التيمي أَن الكراكِي تبيض في السماء، ولا تقع فرائحها؛  
وكذبته المحدثون في ذلك وإن كان قد روى عنه أهل السنن .

قال القزويني في عجائب المخلوقات: والكراكِي لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه  
ويعلق الأخرى ، وإن وضعها وضعا خفيفا غافاة أن تحسَف به الأرض .

قال في "المصايد والمطارد": وهو من أجد الطير صوتا يُسمع على أميال . قال :  
وإذا تقمَّ بجبِّها في الفصل استبدلَ بذلك على قوَّة الشتاء . ويقال : إن الكراكِي  
تأتي إلى مصر من بلاد الترك . وفي طلبه وصيده تتعالى ملوكُ مصر تعاليا لا يدرك  
حده، وتتفق في ذلك الأموال الجمة التي لا نهاية لها، وكان لهم علو الشأن بذلك  
ما لا يكون لغيرهم . وأكله حلال بلا نزاع .

الثاني "الإوز" — بكسر الهمزة وفتح الواو — واحدته إوزة وجمعوه على إوزون،  
والمراد هنا الإوز المعروف بالتركي، وهو : طير في قدر الإوز البلدي أبيض اللون .  
وله تبقُّر في مشيته كالنجل . وهو من جملة طير الماء مقطوع بحل أكله .

الثالث "الفلنج" : وهو دون الإوز في المقدار ، لونه كلون الإوز الحبشي إلى  
السواد، أبيض الجفن، أصفر العين، ويعرف في مصر بالعراقي، ويأتي إليها في مبادئ  
طلوع زرعها في زمن إتيان الكراكِي إليها ، ومن شأنها أن يتقتمها واحد منها  
كالدليل لها، ثم قد تكون صفًا واحدًا ممتدًا كالجلجل، ودليلها في وسطها متقتم عليها  
بعض التقتم ، وقد يصفَّ خلفه صفين ممتدين يلتقيانه في زاوية حادة حتى يصير  
كأنه حرف جيم بلا عراققة، متساوية الطرفين؛ ومن خاصتها أنها إذا كبرت حدث  
في بياض بطونها وصدورها ققطٌ سُدود، والفرخ منها لا يستره ذلك .

الرابع "الحبرج" — بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وضم الراء المهملة وجيم  
في الآخر — وهو الحبارى .

قال في "المصايد والمطارد" : ويقع على الذكر والأنثى ويجمع على حَبَارِيَات ؛  
وذكر غيره أن واحده وجمعه سواء ، وبعضهم يقول : إِنَّ الحُبْرَج هو ذكر الحبارى .  
قال في "المصايد والمطارد" : وهو طائر في قَدْرِ الدبك كثير الرِّيش ، ويقال  
لها : دَبَاجَة البر .

قال في حياة الحيوان : وهى طائر طويل العُنُق ، رَمَادَى اللون ، في منقاره  
بعض طول ؛ يقال لذكر الحبارى : الخُرْب — بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء<sup>(١)</sup>  
المهملة وباء موحدة في الآخر — ويجمع على خِرَاب وخِرَابٍ وخِرَابان .

ومن خاصته : أن الجارح إذا أعتقها أرسلت عليه ذَرْقًا حاصلًا معها — متى  
أحب أرسلته — فيه حدة تَمُط ريشه ، ولذلك يقال : سَلَحُهَا سِلَاحُهَا .

قال في حياة الحيوان : وهى من أشد الطير طَيْرَانَا ، وأبسطها شَوْطًا ، فإنها  
تُصَاد بالبصرة فيوجد في حواصلها الحبة الخضراء التى شجرها البُطْم ، ومنابتها تُحْموم  
بلاد الشام ، وإذا نُفِث ريشها وأبطل نباته ماتت كذا ؛ قال : وهى من أكثر الطير  
جَهْدًا في تحصيل الرزق ، ومع ذلك تموت جوعًا بهذا السبب .

قال في "المصايد والمطارد" : وهى مما يُعَاف لأنها تأكل كل شئ حتى الخنافس ؛  
وقال في حياة الحيوان : حكها الحلُّ لأنها من الطيبات ، وأسند له بحديث الترمذى  
من رواية سَفِينَة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أكلت مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم حُبَارَى" ويقال لولدها : اليَحْبور ، وربما قيل له : نَّهَار ،  
كما يقال لولد الكَرَوَان : ليل .

الخامس "الثم" — بفتح التاء وتشديد الميم — وهو طائر في قدر الإوز أبيض  
اللون ، طويل العُنُق ، أحمر المنقار ، وهو أعظم طيور الواجب وأرضها قدرا .

(١) لله وضع الراء - أنظر القاموس .

السادس "الصوغ" - بضم الصاد المهملة وغيث معجمة في الآخر - وهو طائر يختلط اللون من السواد والياض، أحمر الصدر، وأكثر ميله إلى الخضرة والأشجار. السابع "العناز" - بضم العين المهملة وتشديد النون وزاى معجمة في الآخر - وهو طائر أسود اللون، أبيض الصدر، أحمر الرجلين والمتقار.

الثامن "العقاب" - وقد تقدم ذكره في الكلام على الجوارح حيث هو محدود منها ومن طير الواجب؛ وما يتعلق بهذا المكان أنها منها: الأسود، والخوخية، والسُّفْع، والأبيض، والأشقر؛ ومنها ما يأوى الجبال، وما يأوى الصحارى، وما يأوى النياض، وما يأوى حول المذن.

وقد تقدم ذكر الخلاف في أن ذكرهما من جنسها أو من جنس آخر في الكلام على الجوارح. وحكمها تحريم الأكل لأنها من ذوات الخلب من الطير، وأختلف في قتلها هل هو مستحب أم لا؟ فحزم الرافعي والنووي من أصحابنا الشافعية في الجح باستحباب قتلها. وحزم النووي في شرح المذهب بأنها من القسم الذي لا يستحب قتله ولا يكره، وهو ما يجمع فيه نفع ومضرة؛ وبه جزم القاضي أبو الطيب رحمه الله.

التاسع "النسر" - بفتح النون - ويجمع في القلة على أنسر؛ وفي الكثرة على نُسُور وسمي نُسُراً لأنه يُنْسَر الشيء ويطلبه.

والنسر ذو منسر وليس بذى خلب وإنما له أظفار حادة الخالب، وهو يسفد كما يسفد الديك. وزعم قوم أن الأتقي منه تبيض من نظر الذكر إليها وهي لا تحضن بيضها، وإنما تبيض في الأماكن العالية الظاهرة للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن.

(١) ذكره المحيد وغيره في فصل الصاد المعجمة: من باب العين المهملة وضبطه كسر دة فليتبه.



والنسر حاذ البصر يرى الحيفة من أربعمائة فرسخ، وكذلك حاسة شمه في الغاية؛ ويقال : إنه إذا شم الرائحة الطيبة مات لوقته؛ وهو أشد الطير طيارا وأقواها جناحا حتى يقال : إنه يطير مابين المشرق والمغرب في يوم واحد؛ وإذا وقع على جيفة وعليها عقيبان تأخرت ولم تأكل مادام يأكل منها، وكل الجوارح تخافه، وهو في غاية الشره والنهم في الأكل إذا وقع على جيفة وأمتلأ منها لم يستطع الطيران حتى يثب وتبات يرفع بها نفسه طبقة في الهواء حتى يدخل تحت الريح؛ وربما صاده الضعيف من الناس في هذه الحالة . والأيتى منه تخاف على بيضها وفراخها الخفّاش فتفرش في أوكارها ورق الدلب لتفر منه الخفّاش؛ وهو من أشد الطير حرّا على فراق إلقه، حتى إذا فارق أحدهما الآخر مات حزنا .

وهو من أطول الطير أعمارا حتى يقال : إنه يعمّر ألف سنة وحكمه تحريم أكله لأنه يأكل الحيف .

العاشر "الأنيسة" — قال في حياة الحيوان : بذلك تسميه الرّماة وإنما أسمه الأنيس .

قال : وهو طائر حاذ البصر، يشبه صوته صوت الحمل ، وماواه قرب الأنهار والأماكن الكثيرة المياه المتلفة الأشجار؛ وله لونٌ حسن، وتدير في معاشه .

وقال أرسطو : إنه يتولد من الشّرقاق والغراب، وذلك بين في لونه . ويقال : إنه يحب الأنس، ويقبل الأدب والتربية، وفي صغره وقرّته أعاجيب، حتى إنه ربما أنصح بالأصوات كالقمرى؛ وغذاؤه الفاكهة والحلم وغير ذلك . ومن شأنه ألفة الفياض . وحكمه الحل لأنه طيب غير مستحب . فإن صح تولده من الشّرقاق والغراب فينبى تحريمه .

والأيسية ذات ألوان مختلفة، بنّها يميل إلى القُبّة، وعُتْقها يشتمل على خضرة وزُرْقَة؛ ويقال : إنها أشرف طيور الواجب وأعزّها وجودا .

الضرب الثاني : "طيور الصيف" وهي التي يكثر وجودها فيه، وهي أربعة أطيّار: الأول "الكُكّي" — بضم الكاف — وهو طير أغبر اللون إلى البياض، أحمر المنقار والحوصلَة، رجلاه تَضْرِبَان إلى السواد .

الثاني "الفرنوق" — بكسر الفين المعجمة وفتح النون — ويقال : فيه غُرْنِيقٌ — بضم الفين وفتح النون — ويجمع على غُرَانِيقَ . قال الجوهري : وهو طائر أبيض من طير الماء طويلُ العنق، وتبعه الزمخشري على ذلك . وقال أبو خيرة : وسمى غُرْنِيقًا لبياضه .

وقد صاحب "المصايد والمطارد" : الفرنيق كركي إلا أنه أخضرٌ طويل المنقار، وقيل : لونه كلون الكركي إلا أنه أسود الصدر والرأس، وله ذؤابتان في رأسه . وقال : ومن خصائصها أن ريشها في شبيبتها يكون رماديًا، فإذا كبرت أسودَ وليس ذلك في سائر الطير، فإن الريش لا يحوّل بياضه إلى السواد بل يحوّل سواده إلى البياض كما في الغريّان والمصافير والخطاطيف .

الثالث "المرزم" — وهو طير أبيضٌ في أطراف ريشه حُمْرة، طويل الرجلين والعُنُق، وهو حلال الأكل .

الرابع "الشَّيْطَر" — بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة والطاء المهملة — ويسمى: اللَقْلَقُ أيضًا، ويعرف بالبلاج، وكنيته عند أهل العراق : أبو خَدِيج، وهو طائر

(١) لم نقرطه في حياة الحيوان، ولم يذكر في سماجيم الفقه .

(٢) مصحف لم نهند إليه، ولله الباج .

أبيض، أسود طرقي الجناحين، ورجلاه ومقارؤه حمراء، وهو يأكل الحيات ولكنه يوصف بالفطنة والذكاء .

وفي حله عند الشافية وجهان أحدهما في شرح المهلب والروضة : الحرمة، وإن كان من طير الماء .

وسأق الكلام على ما يحمل من هذه الطيور الأربعة عشر بأعناقها وما يحمل منها بأسياها فيما يتعلق بمصطلح الرماة في الكلام على كتابة قدم البندق في موضعه إن شاء الله تعالى . وطيور الواجب كلها حلال إلا النسر والعقاب .

### الصنف الثالث

ما عدا الطير الجليل مما يُصَاد بالحوارج وغيرها ، وهو على ضربين :  
الضرب الأول ما يحمل أكله وهو أنواع كثيرة لا يأخذ الحصر ، ونحن نقصر على ذكر المشهور من أنواعه .

فإنها "النعام" — وهو اسم جنس الواحدة نعامة ؛ وهو طائر معروف مركب من صورتين جمل وطائر، ولذلك تسميه الترك : دواقش بمعنى طير جمل ؛ وتسميه الفرس : أشتر مرك، ومعناه جمل وطائر . وتجمع النعامات على نعامات، ويسمى ذكرها : الظليم .

ومن المتكلمين على طبائع الحيوان من لم يجعلها طيرا وإن كانت تبيض لعدم طيرانها، ومن الناس من يظن أنها متولدة من جمل وطير ولم يصح ذلك .

ومساكنها الرمل، وتضع بيضها سطرا مستطيلا بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها نصبها من الحفن، لأنها

لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها ، وإذا خرجت للطعم فوجدت بيض نعام أخرى  
حضنته ونسيت بيضها ، فربما حضنت هذه بيض هذه ، وربما حضنت هذه  
بيض هذه ؛ ولذلك توصف في الطير بالحقى ؛ ويقال : إنها تقسم بيضها أثلاثا : فثمة  
ما تحضنه ، وثمة ما تجعله غذاء لها ، وثمة ما تفتححه وتجعله في الهواء حتى يتولد فيه  
الدود فتندى به أفراسها إذا خرجت .

وليس للنعام حاسة سمع ولكنه قوى الشم ، يستغنى بشمه عن سماعه حتى  
يقال : إنه يشم رائحة القانص من بعد .

والعرب تقول : إن النعام ذهب تطلب قرنين فقطموا أذنيها . وهو لا يشرب  
ماء ، وإن طال عليه الأمد ، ولذلك يسكن البرارى التى لا ماء فيها . وأكثر ما يكون  
صنوها إذا استقبلت الريح .

ومن خصائصها أنها تتلع العظم الصلب والمجر والحديد فتذنيه معدتها حتى تدفعه  
كلما ، وتتلع الجمر فيطفئه جوفها ؛ وإذا رأت في أذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفها .  
وحكمه حل أكله إجماعا . ومن خاصته أن مرارته سم وحي .

ومنها "الإوز" — بكسر الهمزة وفتح الواو — وهو أسم جنس واحد إوزة ،  
وجمعوه على إوزون ، وهو مما يجب السباحة في البحر ، وإذا خرج فرخه من البيضة  
سبح في الحال ؛ وإذا حضنت الأثنى قام الذكر يحرسها لا يفارقها ، ويخرج فرخها  
في دون الشهر من البيضة . وهو من الطييات ، وغذاؤه جيد إلا أنه بلىء  
الهضم .

ومنها "البط" ، وهو من طيور الماء ، واحد بطّة للذكر والأثنى وليس  
بعرى ، وهو عند العرب من جملة الإوز .

ومنها "الْقِرْيَةُ" — بكسر القاف — ويسمى : مُلَاعِبَ ظِلِّهِ . وهو طائر صغير الحجم من طيور الماء ، سريعُ الاختطاف ، لا يزال مرفوقاً على وجه الماء على جانب كطيران الحِدَاة ، يهوى بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا ، ويرفع الأخرى حذرا ، فإن أبصر في الماء ما يستقلُّ بحمله من السمك أو غيره أنقضَّ عليه كالسهم المرسل فأنخرجه من قعر الماء ، وإن أبصر في الخو جارحا مرَّ في الأرض . وبه يضرب المثل في الإقبال على الخير والإدبار عن الشر ، فيقال : "كأنه قِرْيٌ ، إن رأى خيرا تثلَّى ، أو رأى شرا تولى" .

ومنها "الْفَطَّاسُ" — ويقال له : الفواص ، وهو طائر أسودُّ نحو الإوزة ، يغوص في الماء فيستخرج السمك فيأكله . ووجع فيه في حياة الحيوان بجعله : القِرْيَى .

ومنها "الدَّجَاجُ" — بفتح الدال المهملة وكسرهما وضمها — حكاه ابن معن الدمشقي وأبن مالك وغيرهما ، وأفصحها الفتح وأضعفها الضم والواحدة دجاجة ، والذكر والأُنثى فيه سواء .

قال ابن سيده : وميمت دجاجة لإقبالها وإدبارها ، يقال : دَجَّ القوم إذا مشوا بتقارب خطو ، وقيل : إذا أمبلوا وأدبروا . والفرخ يخرج من البيضة بالحضين ، وتارة بالصعنة والتدفئة بالنار ، وإذا خرج الفرخ من البيضة خرج كاسيا ظريفا سريع الحركة ، يُدعى فيُجيب ، ثم كلما مرَّت عليه الأيام حَمَقَ ونقص حسنه . ومما يعرف به الذكر من الأنثى في حالة الصغر أن يعلق الفرخُ بمقارنه فإن اضطرب فهو ذكر ، وإلا فهو أنثى .

والدجاج يبيض في جميع السنة ، وربما باضت الدجاجة في اليوم مرتين ، ويتم خلق البيض في عشرة أيام ، وتخرج لينة القشر فإذا أصابها الهواء تصلبت . وتشتمل

البيضة على بياض وصُفرة ويسمى : المُح ، ومن البياض يتخلق الولد ؛ والصفرة غذاء له في البيضة يتغذى من سُرته ، وربما كان للبيضة بياضان ، ويتخلق من كل بياض فرخ ، فإذا كبرت الدجاجة لم يبق ليضها مُحٌ وحينئذ فلا يتخلق منه فرخ . ثم الدجاج من الطيور الدواجن في البيوت .

وقد ورد في سنن ابن ماجه من رواية أبي هريرة رضى الله عنه : أمر الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج . قال عبد اللطيف البغدادي : أمر كل قوم من الكسب بحسب مقدرتهم .

ومن عجيب أمر الدجاجة أنها تمر بها سائر السباع فلا تَحَمَّأها ، فإذا مر بها ابن آدم أوى على سطح رمت نفسها إليه ؛ وهى توصف بقلة النوم وسرعة الانتباه ويقال : إن ذلك لخوفها وخَوَرِ طباعها .

ومن الدجاج نوع يقال له : الحبشي ؛ أرقط اللون ، متوحش ، وربما ألف البيوت . والحكم في الجمع الحل .

ومنها "الديك" — وهو ذكر الدجاج ، ويجمع على دِيَكَةٍ ودِيُوك ، وهو أبله الطبيعية حتى إنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله ، ومع ذلك فقد خصه الله تعالى بمعرفة الأوقات حتى رجح الرافعي من مذهب الشافعي رضى الله عنه اعتماد الديك المحزب وفقاً لِلْمُتَوَلَّى والقاضى حسين .

ومن عجيب أمره أنه يُقَسِّطُ أوقات الليل تسطيلاً لا يُحِيلُ فيه شئ طال الليل أم قصر . لكن قد ورد في معجم الطبراني وغيره : إن الله سبحانه وتعالى ديكاً أبيض ، جناحه مؤشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ، رأسه تحت العرش ، وقوائمه في الهواء ، يُؤَدِّنُ كُلَّ سَحَرٍ فيسمع تلك

الصبيحة أهل السموات وأهل الأرض إلا الثقلين: الجن والإنس، فند ذلك يُجيبه  
دُيوك الأرض؛ وحيثذ فيكون الديك في ذلك تابعا . وقد ورد عدّة أحاديث  
في النهى عن سب الديك، ومدح الديك الأبيض، والحثّ على أخذه .

ومن حميد خصال الديك: أنه يسوى بين دجاجة، ولا يُؤثر واحدة على الأخرى .  
ويقال: إنه يبيض في السنة بيضة؛ ويَفَرِّق بين بيضته وبيضة الدجاجة أن يبيضته  
أصفر من بيضة الدجاجة، وهي مدوّرة لا تمحيد في رأسها .

ومنها "القطّاء" — بفتح القاف — وهو طائر معروف واحد قطاة ويجمع على قَطَوَاتٍ  
وقَطَيَاتٍ، وأكثر ما يبيض ثلاث بيضات، ويسمى قطّا لحكاية صوته، لأنه يصبح  
"قطّا قطّا" ولذلك تصفها العرب بالصدق .

قال الجوهري: وهو معدود من الحمام، وبه قال ابن قتيبة، وعليه جرى  
الرافى في الج والأطعمة؛ قال الشيخ محب الدين الطبري: والمشهور خلافه .

ثم القطا نوعان: كُكْرِيٌّ وَجُونِيٌّ؛ وزاد الجوهري نوعا ثالثا وهو النَطَاط،  
فالككري: غُبر اللون، رُقش البطون والظهور، صفر الحلق، قصار الأذنان،  
والجوني: سُود بطون الأجنحة والقوائم، وظهرها أغبر أرقط، تعلوه صُفرة، وهي  
أكبر جرما من الككري، تسيل كل جونية ككريتين، والككريّة تُفصح باسمها  
في صباحها، والجونية لا تفصح بل تُفَرِّقُ بصوت في حلقها .

ومن خاصتها أنها لا تسير إلا جماعة . ومن طبعها أنها تبيض في القفر على مسافة  
بعيدة من الماء؛ وتطلب الماء من مسافة عشرين ليلة وفوقها ودونها؛ وتخرج من  
أفاحيصها في طلب الماء عند طلوع الفجر فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة  
سبع مراحل، تترد الماء فتشرب ثم تُقيم على الماء ساعتين أو ثلاثا ثم تعود إلى

الماء ثانية . والجونية تخرج إلى الماء قبل الكُدْرِيَّة؛ وهي توصف بالمداية فتأتي أفاحيصها ليلا ونهارا فلا تفضل عنها؛ وتوصف بحسن المشي وبقلة النوم .

ومنها "الكَرَّوَانُ" — بفتح الكاف والراء — وهو طائر في قدر الدجاجة ، طويل الرجلين ، حسن الصوت ، لا ينام الليل ، ويجمع على كِرَّوَان — بكسر الكاف — والأُنثى : كِرَّوَانَة .

ومنها "الْمَجْلُ" — بفتح الحاء المهملة والجم — وهو طائر على قدر الحمام كالمقطأ ، أحمر المنقار والرجلين ؛ ويسمى : دَجَاج البر ؛ ويقع على الذكر والأنثى ؛ وقد يقال له : الْقَبِجُ أيضا — بفتح القاف وسكون الموحدة وجم في الآخر — يقال للذكر والأنثى منه : قَبِجَة ، ويسمى الذكر منه : الْيَقُوب . والقَبِجُ<sup>(١)</sup> — بفتح القاف والموحدة وجم في الآخر — ويقال في الأنثى منه : مَجَلَة ؛ وهو صِفَان : تَجِدِي وَتِهَامِي ، فالنجدى — أحمر الرجلين ، والتهامى فيه بياض وخضرة ؛ ومن شأنه أنه يأتي إلى مصر عند هيجان زرعها ويصبح صياحا حسنا ، تقول العاتمة : إنه يقول في صياحه : "طَابَ دَقِيقُ السَّبِيل" . ومن شأن الأنثى منه إذا لم تلقح ، أنها تفرغ في التراب وتصبه على أصول ريشها تلقح ؛ ويقال : إنها تلقح بسمع صوت الذكر ، وبريح يهب من قبله ؛ وإذا باضت ميز الذكر الذكر منها فحضا ، وتحضن الأنثى الإناث ، وكذلك في التربية . وفرخها يخرج كاسيا يزغب الريش كما في الدجاج ؛

وفي "المصايد والمطارد" : أن القَبِج كثير السفاد ، وأنه إذا اشتغلت عنه الأنثى ورأى بيضا كسره .

(١) هذا مطوف على القَبِج الأول إشارة إلى لغة أخرى ، وليس مطوقا على اليقوب كما قد يتوهم .



قال التوحيدى : ويمش الجمل عشر سنين ويعمل عُشَّين ، يحلس الذكر فى واحد والآثى فى واحد ؛ وهو من أشد الطيور غيرةً على أنثاه حتى إن الذكرين ربما قتل أحدهما الآخر بسبب الآثى ، فن غلب منهما دانت له .

ومن طبعه أنه يأتى عُشَّ غيره فيأخذ بيضه ويحضنه ، فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التى باضتها ، وفيه من قوة الطيران ما يظنه من لم يحقِّقه عند طيرانه أنه حجر رُمى بمقلع لسرعته .

ومنها "القُمريُّ" — بضم القاف وسكون الميم — وهو طائر معروف حسن الصوت ، ويجمع على قَمَارَى غير مصروف . قال فى "المحكم" : ويجمع على قُمَرٍ أيضاً ؛ والآثى منه قُمَرِيَّةٌ ؛ ويقال للذكر منه : الـوَرَّشَانُ — بفتح الواو والراء المهملة والشين المعجمة — ويقال له أيضاً : سَأَى حَرَّ . قال البَطْلَوِسى : ومُنَى سَأَى حَرَّ ، حكاية لصوته كأنه يقول ذلك ، ويكنى : أبا الأخضر ، وأبا عمران ، وأبا الناجية .

قال ابن السمعاني : والقُمريُّ منسوب إلى القُمَرِ ، وهى بلدة تشبه الجحش لياضها ؛ قال : وأظنها بمصر . وقال ابن سيده القُمريُّ طير صغير ، وعنده فى "المحكم" من الحمام . ويقال : إن الهوام تهرب من صوت القمارى .

قال القزوينى : ومن خاصية القمارى أنها إذا ماتت ذكورها لم تتزوج إناثها . والـوَرَّشَانُ الذى هو ذكر القُمريِّ يوصف بالحنو على أولاده حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها فى يد القانص .

قال عطاء : وهو يقول فى صياحه :

\* لُدُوا لَلْمَوْتِ وَأَبْنُو لَلْغَرَابِ \*

ومنه نوع أسود حجازى يقال له : النوى ، شحى الصوت جداً .

ومنها "الفاخنة" — بالفاء والخاء المعجمة والتاء المثناة — والجمع الفواخت — بفتح الفاء وكسر الخاء — وهي طائر من ذوات الأظواق، حجازية في قدر الحمام، حسنة الصوت، ويقال: إن الحيات تهرب من صوتها؛ حتى يحكى أن الحيات كثرت بأرض، فشكا أهلها ذلك إلى بعض الحكماء، فأمرهم بنقل الفواخت إليها فانقطعت الحيات عنها. وفي طبعها الأتس بالناس؛ وتعيش في الدور، إلا أن العرب تسمها بالكذب، فإن صوتها عندهم يقول فيه: هذا أوان الرطب، وهي تقول ذلك والنخل لم يطليح بعد؛ ولذلك تقول العرب في أمثالهم: «أكذب من فاخنة».

ومنها "الدببى" — بضم الدال — وهو طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب — بكسر الدال — وذلك أنهم يسيرون في النسب فيقولون في النسبة إلى الدهر: دهرى ونحو ذلك، وهو ضرب من الحمام. ثم هو أصناف: مصرى، وحجازى، وعراقى؛ وكلها متقاربة، لكن أغربها المصرى، ولونه الدكنة، وقيل: هو ذكر الحمام. وفي طبع الدببى ألا يرى ساقطاً على وجه الأرض، بل في الشتاء له مشق، وفي الصيف له مصيف؛ لا يعرف له ذكر.

ومنها "الشفتين" <sup>(١)</sup> — بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت ثم نون — وهو الذى تسميه العامة بمصر: الحمام، وهو دون الحمام في المقدار، ولونه الحمرة مع كدودة، وفي صوته ترجيع وتخزين. ومن شأنها أنها تحسن أصواتها إذا اختلطت. ومن طبعه أنه إذا فقد أنثاه لم يزل أعزب إلى أن يموت، وكذلك الذئب إذا فقدت ذكرها؛ وفيه ألفة لليوت، وعنده أحقراس.

(١) الذى فى حياة الحيوان: أنه بالكسر.

ومنها "الدراج" — بفتح الدال — وكنيته أبو الجحاج وأبو خطار؛ وهو طائر ظاهر جناحيه أغبر وباطنها أسود، على خلفة القفا إلا أنه اللطف. وهو يطلق على الذكر والأنثى. والملاحظ يسه من جنس الحمام لأنه يجمع بيضه تحت جناحه كما يفعل الحمام. والناس يعبرون عن صوته بأنه يقول: "إِلشكر تَكوم النَّم". ويقال: إنه طائر مبارك؛ وهو كثير التاج، ينشر قنوم الريح؛ وهو يصلح بهبوب الشمال، وصفاء الهواء؛ ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى لا يقدر على الطيران.

ومنها "المصفور" — بضم الميم — وحكى ابن رَشيق في كتاب "الغرائب": فتحها، والأنثى: عُصفورة، وكنيته: أبو الصفو، وأبو محرز، وأبو مزاحم، وأبو يعقوب.

قال حمزة: يسمى عصفورا لأنه عصى وفز؛ وهو أنواع كثيرة، وأشهرها المعروف بالدورى؛ ووكره العُمران تحت السقوف خوفا من الجوارح؛ فإذا خلت مدينة من أهلها ذهبت المصافير منها؛ وهو كثير السفاد حتى إنه ربما سَفَد في الساعة الواحدة مائة مرة؛ ولفرخه تقرب على الطيران حتى إنه يدعى فيجيب. قال الملاحظ: بلغنى أنه يرجع من فرسخ.

ومنها "الشحرور" — بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة — وهو طائر أسود فوق المصفور له صوت شهي؛ ويكون بأرض الشام كثيرا.

ومنها "القرار" — بفتح الهاء والزاي المعجمة — طائر نحو المصفور له صوت حسن ويسمى: التتلبب أيضا، ويجمع على عتائل.

(١) في حياة الحيوان والقاموس: ضبطه بضم الدال، أما الذى بالفتح فهو التفتد.

(٢) قال في حياة الحيوان: إنه كسحون، وكذلك ضبطه في القاموس بالضم.

ومنها "البُلبُل" — بضم الموحدين وسكون اللام الأولى والثانية — وهو طائر أسود فوق العصفور، والمجرى منه فوق ذلك؛ ويقال له: النُّفْر — بضم النون وفتح الغين المعجمة وراء مهملة في الآخر — والكُفَيْت — بضم الكاف وفتح العين المهملة ومثناة فوقية في الآخر — والجُحَيْل — بضم الجيم — وقد ثبت في الصحيحين من رواية أنس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخٌ لأُمِّي فَطِيمٌ يقال له: عُمَيْرٌ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءنا قال: "يا أبا عُمَيْرٍ ما فعل النُّفَيْرُ؟" لنُفَرَ كان يلعب به .

ومنها "السَّمَانِي" — بضم السين المهملة وفتح النون ولا تشدد ميمه — وهو طائر معروف فوق العصفور ويجمع على سُمَانِيَّاتٍ ، وهو من الطيور التي لا يعرف من أبين تأتي، بل يأتي في البحر الملح يقوص بأحد جناحيه في الماء ويقيم الآخر كالقُلْع للسفينة فتدفعه الريح حتى يأتي الساحل؛ وكثيراً ما يوجد ببلاد السواحل، وله صوت حسن . ومن شأنه أنه يسكت في الشتاء فإذا أقبل الربيع صاح .

ومنها "الحُسُون" — وتسميه أهل الجزيرة والشام وحلب وتوابعها: زُفَيْقِيَّة، وهو طائر قِطْنٌ، ويسميه الأندلسيون: أبو الحسن، والمصريون: أبو زقاية، وربما أبدلوا الزاي: منه سينا؛ وهو عصفور ذو ألوان: سُحْرَةٌ وصُفْرَةٌ وبياض وسواد وزرقة وخضرة؛ وهو قابل للتعليم يُسَلَّمُ أخذ الشيء كالقَلْبِ ونحوه من يد الإنسان على البعد والإتيان به لصاحبه .

ومنها "أَبُو بَرَّاقِشَ" — بكسر القاف وبالشين المعجمة — وهو طائر كالعصفور يتلون ألواناً، وبه يضرب المثل في التلون .

ومنها "الزراع" — بزأى وغين معجمتين بينهما ألف — وهو ضرب من الغريبان صغير أخضر اللون لطيف الشكل حسن المنظر، وقد يكون أحمر المنقار والرجلين، وهو الذى يقال له : غراب الزيتون، سمي بذلك لأنه يأكل الزيتون .

ومنها "الغُدَّافُ" — بضم الغين المعجمة وبالذال المهملة والفاء فى آخره — وهو غراب القيط، ويجمع على غُدَّافان بكسر الغين .<sup>(١)</sup>

قال ابن فارس : هو الغراب الضخم . وقال العبدري : هو غراب صغير أسود، لونه كلون الرماد . وقد قال النوى : فى الروضة : بقرينه وإن كان الزافى قد جزم بيطه، ورجحه صاحب المهمات .

ومنها غراب "الزراع" — وهو غراب أسود المنقار . وفيه وجه بالتحريم .

### الضرب الثانى — ما يحرم أكله

وهو أنواع كثيرة أيضا :

منها "الطاموس" — ويجمع على طواويس — وهو طائر فى نحو مقدار الإوزة حسن اللون، والذكر منه غاية فى الحسن، له فى رأسه ريش خضر قائمة كالشروش، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر، وليس للأُنثى شيء من ذلك؛ وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزا وحسنا؛ وفى طبعه الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه؛ والأُنثى منه تبيض بعد ثلاث سنين من عمرها، وفى هذا الحد يكمل ريش الذكر ويتم لونه . ويبضه مرة واحدة فى السنة، ويكون بيضه من اثنتى عشرة بيضة إلى ما حولها، ولا يبيض متابعا . وسقاده فى أيام الربيع . وفى الخريف يُلْقِي ريشه كما يُلْقِي الشجر ورقه حيفئذ؛ فإذا بدا طلوع أوراق الأشجار طلع ريشه . وهو

(١) القى فى الطاموس وحياة الحيوان : غراب القيط .

كثير السَّبَبِ بالأشْي إِذَا حَصَنَتْ وربما كسر بيضها ؛ ولذلك يُحْضَنُ بِيضُهُ تحت الدُّجَاجِ ؛ لكن لا تقوى الدجاجة على حَضْنِ أَكْثَرِ من بيضتين منها ، وتُعَاهِدُ الدجاجة بالطَّعْمَةِ والسَّقِيَّةِ وهى راقدة عليه ، كيلا تهوم عنه فيفسد بالهواء ، إلا أن ما تحضنه الدجاجة يكون ناقص الخلة عما تحضنه أُنثاه ؛ وليس له من الحسن والبهجة ما لذلك ؛ ومدة حضنته ثلاثون يوما ؛ وفرخه يخرج من البيضة كالقروج كاسيا بالريش يلقط الحب للحال .

ومنها "السَّمْدَلُ" — بفتح السين المهملة والميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ولام فى الآخر — وقال الجوهرى : السَّمْدَلُ بغير ميم . وقال ابن خَلْكَانَ : السَّمْدَلُ بغير لام ، وهو طائر يكون بأرض الصِّينِ والهند ؛ ومن خاصته أنه لا تؤثر النار فيه حتى يقال : إنه يبيض ويُفْرِخُ فيها ويستلذ بمكثه فيها . ويتخذ من ريشه متاديل ونحوها ، فإذا أَسْخَتْ أَلْقَيْت فى النار ، فتأكل النار ويحترق ولا تتأثره فى قَسمها .

قال ابن خَلْكَانَ فى ترجمة يعقوب بن صابر المتجنق : رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة فى طوله وعرضه ، فألقيت فى النار فأتت فيها ، فغمس أحد جوانبها فى الزيت وجعل فى النار فاشتعل وبقى زمانا طويلا ثم أطفئ ، وهو على حاله لم يتغير . قال : ورأيت بخط عبد اللطيف البغدادى : أنه أُهْدِيَ للظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب قطعة منه عرض ذراع فى طول ذراعين ، فغمست فى الزيت وقربت من النار فاشتعلت حتى قُبِيَ الزيت ، ثم عادت بيضاء كما كانت . وبعضهم يقول : إنه وحش كالثعلب وإن ذلك يعمل من وبره .

ومنها "البَيَّاءُ" — بياض مفتوحين ، الأولى منهما مخففة والثانية مشددة وغين معجمة بعدها ثم ألف — وهو المعبر عنه بالذرة — بدال مهملة مضمومة — وقال

أبن السمعاني في الأنساب: هي بامسكان الباء الثانية، وهي طائر أخضر اللون في قدر الحمام يحاكي ما يسمعه من اللفظ؛ ثم هي على ضربين: هندية وهي أكبر جنة ومتقارها أحمر، ونوبى وهي أدونها ومتقارها أسود؛ ويقال: إن منها نوعا أبيض؛ ويذكر أنه أهدي لمعز الدولة ابن بويه ببقاء بيضاء اللون سوداء المتقار والرجلين، على رأسها ذؤابة فسقية. وهي طائر دمث الأخلاق، ثاقب الفهم، له قوة على حكاية الأصوات وقبول التلقين؛ تتخذ الملوك والأكابر ليم بما يسمع. ومن شأنه أنه يتناول طعمه برجله كما يتناوله الإنسان بيده؛ والهندي منه أقرب إلى التعليم من النوبي.

ومنها "أبورزقي" — بزاي مضمومة ثم راء مهملة وفي آخره قاف — ويقال له: اليقي — بكسر القاف — والزر ياب — بزاي معجمة مكسورة ثم راء مهملة ساكنة ثم باء مشاة تحت، وبعد الألف باء موحدة — وهو طائر ألوف للناس يقبل التعليم، سريع الإدراك لما يعلم؛ وقد يزيد على البيضاء إذا أنجب، بل إذا تعلم جاء بالحروف مبينة حتى يظن سامعه أنه إنسان، بخلاف البيضاء فإنها لا تفصح كل الإفصاح.

ومن غريب ما يحكي في أمره ما حكاه صاحب "منطق الطير": أن رجلا خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم، لا يملك غيرها، فوجد في طريقه عدة من فراخه فاشتراها بما معه، ثم رجع إلى بغداد فعلقها في أقفاص في حابوته، فهبت عليها ريح باردة فأتت كلها إلا واحدا كان أضعفها وأصغرهما، فقتل ذلك عليه وبات ليلته تلك يتهلل إلى الله تعالى بالدعاء وينادي: يا غياث المستغيثين أغني؛ فلما أصبح إذا ذلك الفرخ الذي بقي يصيح بلسان فصيح: يا غياث المستغيثين أغني؛ فاجتمع الناس عليه يسمعون صوته؛ فاجتازت جارية للخليفة فاشتريته منه بألف درهم.

ومنها "المُهدَّدُ" — بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما — وهو طائر معروف ذو خطوط مَوْشِيَّةٍ وألوان، ويجمع على هَدَاهِدَ. ويذكر عنه أنه يرى الماء من باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاج — قُوَّةُ ركبها الله تعالى فيه — ولذلك عُنِيَ به سليمان عليه السلام مع صِفَرِهِ كما قاله البيهقي في "شُعَبِ الإيمان". ويقال : إنه كان دليلاً لسليمان عليه السلام على الماء ؛ وقصته مع سليمان مذكورة في التزويل .

وقد ذكر الزحمرى أن سبب تخلفه عن سليمان أنه رأى هُدُوداً آخر، فحكى له عظيم مُلْكٍ سليمان؛ فحكى له ذلك المهدد عظيم مُلْكٍ يَلْقِيَسَ باليمن؛ فذهب ليكشف الخبر فلم يرجع إلا بعد العصر؛ فلما عاد إليه توصَّده، فأرعى رأسه وجناحيه تواضعا بين يديه، وقال : يا نبي الله، أذكر وقوفك بين يدي الله ! فأرتد سليمان وعفا عنه . ومنها "الْخَطَّافُ" — بضم الخاء المعجمة — ويجمع على خَطَّاطِيْفٍ وهو طائر في قدر المصفر، أسود، وباطن جناحيه إلى الحمرة؛ والناس يسمونه عصفور الجنة لأنه يُعْرِضُ عن أقواتهم ويقنط البعوض والدَّبَاب . ومن شأنه السكنى في البيوت المعمورة بالناس في أفاحيص بينها من الطين ؛ ويختار منها السقوف والأماكن التي لا يصل إليه فيها أحد .

وقد ذكر الثعلبي في تفسيره في سورة النمل : أن سبب قُرْبِ الخطاطيف من الناس أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض، استوحش؛ فأنسه الله تعالى بالخطَّاف وألزمه البيوت؛ فهو لا يفارق بني آدم أنسا لهم . والخطَّاف يماديه فلذلك إذا أفرخ جعل في عُشِّه قُضْبَانِ الكَرْفِيسِ ليَنفِرَ الخُفَّاشُ عنها .

ومن عادته أنه لا يُفْرِخُ في عُشٍّ عتيق حتى يُطَيِّبَهُ بطين جديد، ولا يلق شيئا من ذَرَقِهِ في عُشِّه بل يلقيه إلى ما شاء . وإذا سمع حس الرعد يكاد يموت . ويوجد



في عَشه حَجَرُ الْيَرْقَانِ وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد إذا علق على من به الْيَرْقَانُ أو شرب من مُحالته بَرِيءٌ ؛ وإنما يَأْتِي بهذا الحجر إذا أصاب فِرَاحَه الْيَرْقَانُ ؛ ولذلك يَحْتَالُ بَعْضُ النَّاسِ بَطْلُخِ فِرَاحِه بِالزَّعْفَرَانِ لِيُظَنَّ أَنَّ الْيَرْقَانَ قَدْ أَصَابَهَا فَيَأْتِي إِلَيْهَا بهذا الحجر فيؤْخَذُ منه .

ومن الخطاطيف نوع آخر أَلْطُفٌ قَدْرًا من هذا ، يَسْكُنُ شَطُوطَ الْأَنْهَارِ وجَوَانِبَ الْمِيَاهِ . وعَدُوٌّ من أنواعه أيضا الذي يسميه أهل مصر : الْخُضَيْرِي ؛ وهو طائر أخضر دون الْبَيْغَاءِ في المقدار لا يزال طائرًا وهو يصبح ؛ يَفْتَنُ الْفَرَاشَ وَالذَّبَابَ .

ومنها "الصَّرْدُ" — بضم الصاد وفتح المهمله ودال المهمله في الآخر — ويجمع على صُرْدَان . قال ابن قتيبة : وسمى صُرْدًا ، حكاية لصوته ، ويسمى : الْوَاقِ — بكسر القاف — وكنته : أَبُو كَثِيرٍ ؛ وهو طائر فوق المصفر ، نصفه أبيض ونصفه أسود ، ضخم الرأس ، ضخم المنقار والبراز ؛ لا يُرَى إِلَّا فِي شَعْفَةٍ أَوْ شَجَرَةٍ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ؛ وله صَيفَرٌ مُخْتَلِفٌ .

ومن شأنه أنه يصيد العصافير وما في معناها ؛ فيصفر لكل طير يريد صيده بلغته ، يدعوهُ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْهُ فَيُثْبِ عَلَيْهِ فَيَأْكُلُهُ . والعرب تنشأم به وتنفر من صياحه . وهو مما وردت الشريعة بالنهي عن قتله .

ومنها "الْعَقَقُ" — بعينين مهملتين مفتوحتين بينهما قاف ساكنة — وربما قيل فيه : الْعَقَقُ عَلَى الْقَلْبِ .

قال الجاحظ : سمي بذلك لأنه يَمُوقُ فِرَاحَه فَيَتَرَكُهُمْ أَيَّامًا بَلَا طُعْمٍ . ويقال لصوته : الْعَقَقَةُ ؛ وهو طائر على قدر الحمامة في شكل الغراب وجناحه أكبر من جناح الحمامة ؛ ذواوين : أبيض وأسود ، طويل الذنب .

ومن شأنه أنه لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، بل يهيج وكفه في المواضع المشرفة ؛ وفي طبعه الزنا والحياة ؛ ويوصف بالسرقة والنبت . وإذا رأى حلياً أو عقداً اختطفه ؛ والعرب تضرب به المثل في جميع ذلك . وإذا باضت الأنثى منه أخفت بيضها بورق الدلب خوفاً عليه من الخفاش ، فإنه متى قرب من البيض مذر وتغير من ساعته . ويقال : إنه يحتاج قوته كما يحتاج الإنسان والفيلة إلا أنه ينسى ما يحتاجه . وبعضهم يعدّه في جملة الغربان . وفيه وجه عندنا بحلّ أكله .

ومنها "الشِّقْرَاقُ" — بفتح الشين المعجمة وسكون القاف وألف بين الراء المهملة والقاف الثانية — ويحوز فيه كسر الشين أيضاً ، وربما قلبوه فقالوا : الشِّقْرَاقُ ؛ ويسمى : الأخيّل أيضاً ؛ وهو طائر صغير بقدر الحمام أخضر مُشْبَعُ الخُضْرَةِ ، حسن المنظر في أجنته سواد . والعرب تشام به .

وفي طبعه الشرّ حتى إنه يسرق فراخ غيره . وعدّه الجاحظ نوعاً من الغربان ؛ ويكثر ببلاد الشام والروم وتُرَاسَانَ ؛ ولا يزال متباعداً من الإنس ، يألف الرّوايَ وَرُؤُوسَ الجبال ؛ إلا أنه يحضن بيضه في عوالي العُمران التي لا تاله الأيدي . وعُشّه شديد البُيَاض ، وله مَشَتَّى ومَصِيف .

قال الجاحظ : وهو كثير الاستفانة ، إذا مر به طائر ضرب به يمتاحه وصاح كأنه هو المضروب . وفيه وجه بحلّ أكله .

ومنها "الغُرَابُ الأَبْعَقُ" قال الجوهرى : وهو الذى فيه بياض وسواد ، ويسمى : غراب البين أيضاً ؛ قال صاحب "المجالسة" : سمى بذلك لأنه بان عن نوح عليه السلام حين أرسله لينظر الماء فذهب ولم يرجع ؛ قال ابن قتيبة : وجعل فاسقاً لأجل ذلك . ويسمى : الأعور . أمّا لانه يُقْمِضُ إحدى عينيه لقوة بصره ، وإما لصفاء عينيه وحدة بصره من باب الأضداد .

ومن طبعه الخيانة والسرقة؛ والعرب تشام به وتكره صوته؛ وقد سبق القول على ذلك في أوابد العرب من هذه المقالة .

ومن طبع الغراب الاستتار عند السَّاد وأنه يَسْفِدُها مواجهة مُلقاة على ظهرها؛ والأشئ تبيض أربع بيضات ونحما؛ وإذا خرجت الفِراخ من البيض ففر عنها الأبوان لبشاعة مَنْظَرِها، حيثذ تفتنذى من البعوض والذباب الكائن في عُسْها حتى ينبت ريشها فيعود الأبوان إليها؛ وعلى الأثنئ الحَضْنُ وعلى الذكر أن يأتبها بالطعم . وفيه حَذَرٌ شديد وتناصر، حتى إنه إذا صاح الغراب مستنصرا أجمع إليه عتة من الغِرْبَان .

ومنها "الغراب الأسود الكبير" وهو الجَلِيل . وفيه وجه بجله .

ومنها "الحِدَاةُ" — بكسر الحاء . واخمز — الطائر المعروف ، ويجمع على حِدَاٍ وحِدَايِن . ومن ألوانها السُّود والرُّمْد . وهى لا تصيد بل تختطف؛

ومن طبعها أنها تَصَفُّ في الطيران وليس ذلك لشيء من الكواسر غيرها . وزعم ابن وحشية وابن زهر: أن الحِدَاةَ والمُقَابَ يتبدلان، فتصير الحِدَاةُ عُقَابًا والعُقَابُ حِدَاةً . وربما قيل: الغراب بدل العُقَاب . ويقال: إنها تصير سنة ذ كرا وسنة أثنئ . ويقال: إنها أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير حتى لو ماتت جوعا لا تعدو على فرخ جارتها .

وفى طبعها أنها إنما تختطف ممن تختطف منه من يده اليمنى دون اليسرى حتى يقال: إنها عسراء . وقد ثبت فى الصحيحين حل قتلها فى الحل والحرم .

ومنها "الرَّئِعةُ" — بفتح الراء المهملَة والحاء المحجمة — وكتبها: أم جِعْرَان، وأم رِسَالَة وأم عَجِيبة، وأم قَهَس، وأم كثير. ويقال لها: <sup>(١)</sup>الْأَثْوَى — بفتح الهمزة —

وهي طائر أبيض بياض وسواد، فوق الحِدَّةِ في المقدار تأكل الحَيْفَ . وهي معدودة في بُقَاتِ الطير . وهي تسكن رموس الجبال العالية وأبداها من أماكن أعدائها ؛ ولذلك تضرب العرب المثل بيضه فيقولون : « أَعْرُ مِنْ بَيْضِ الْأَنْثَى » والأنثى لا تمكن من نفسها غير ذكراها وتبيض بيضة واحدة وربما باضت بيضتين .

ومنها "البومة" — بضم الباء الموحدة وفتح الميم — للذكر والأنثى ؛ وهو طائر من طير الليل في قدر الإوزة ؛ لها وجه مستدير بالريش النبات حوله ، يشبه وجه الآدمي ، في صفة عيني وتوقدهما . ويقال للذكر منها : الصدى والضَّوْعُ — بضم الضاد المعجمة — والقيادُ — بالفاء وتشديد المثناة تحت — ويقال للأنثى : الهامة . وكنية الأنثى : أم الخراب ، وأم الصبيان ؛ ولها في الليل قوة سلطان لا يحتملها شيء من الطير ؛ تدخل على كل طائر في وكزه في الليل فتخرجه منه وتأكل فراخه ويبيضه ، ولا تام الليل ، والطير يجمله بصاديا من أجل ذلك ؛ فإذا رأوها في النهار قتلوها وتنشأ ريشها ؛ ومن ثم يحملها الصيادون في شبابهم ليقع عليها الطير فيقتنصونها ؛ فهي لا تظهر بالنهار لذلك .

ونقل المسعودي في مروج الذهب عن الجاحظ أنها إنما تمتنع من ظهورها في النهار خوفاً من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها ، لأنها تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان . ومن طبعها سكنى الخراب دون العاصر .

ومن غريب ما يُمَكِّي ما ذكره الطرطوشي في "سراج الملوك" : أن عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى يميلاً يحدثه ، فكان مما حدثه أن قال : يا أمير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة ، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بتها لأبنا ؛

(١) عبارة حياة الحيوان فإذا رأها الطير قتلها وتنشأ ريشها ... الخ ، وهي أصوب .

فقال بومة البصرة : لا أفضل حتى تمجلى في صداقتها مائة ضيقة خراب ؛ فقلت بومة الموصل : لا أقدر على ذلك الآن ولكن إن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ؛ فاستيقظ لها وجلس للظالم .

ومنها "البؤة"<sup>(١)</sup> - بضم الباء وفتح الهمزة - قال الجوهري : وهو طائر يشبه البومة إلا أنه أصغر منها . وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب نحوه ، وقال له : البؤة أيضا ؛ وهى من طير الليل أيضا . ولا يخفى أنها التى يسميها الناس فى زماننا المصاصة ويرغمون أنها تنزل على الأطفال فتمص أنوفهم .

ومنها "الخفّاش" - بضم الخاء المعجمة وتشديد الفاء وبالشين المعجمة ، ويجمع على خفّاشين - وهو طائر غريب الشكل والوصف لاريش عليه ؛ وأجنته جلدة لاصقة بيديه ، وقيل لا صقعة يجنبه . وسمى خفّاشا لأنه لا يبصر نهارا ، وبه سمي الرجل : أخفش ، والعامة تسميه الوطواط . وقيل : الخفّاش الصغير ، والوطواط الكبير ، ويقال : إن الوطواط هو الخفّاش . وليس هو من الطير فى شيء ، فإن له أستانا وخصيتين ، ويبيض ويضحك كما يضحك الإنسان ؛ ويبول كما تبول ذوات الأربع ، ويرضع ولده من ثديه .

ولما كان لا يبصر نهارا آلتس وقتا يكون بين الظلمة والضوء وهو قريب غروب الشمس ، لأنه وقت هيجان البعوض ، فالبعوض يخرج فى ذلك الوقت يطلب قوته من دماء الحيوان ؛ والخفّاش يخرج لطلب الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق . ويقال : إنه هو الذى خلقه المسيح عليه السلام من الطين ، ونفع فيه فكان طيرا بإذن الله . قال بعض المفسرين : ومن أجل ذلك كان مباينا لغيره من الطيور ،

(١) لم يسمه أحد من اللغويين بل ذكره فى باب الماء ، وقد رسم فى الصحاح بالواو ، وكذا فى القاموس وقال بالضم .

ولذلك سائر الطيور مُبَغِضَةٌ له وتسطو عليه؛ فما كان منها يأكل اللحم أكله، وما كان منها لا يأكل اللحم قتله؛ وهو شديد الطيران، سريع القلب؛ يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه. وهو موصوف بطول العمر حتى يقال: إنه أطول عمرا من النسر؛ وتلد الأنثى ما بين ثلاثة أفراس وسبعة، وكثيرا ما يسفد وهو طائر في الهواء. وهو يحمل ولده معه إذا طارت تحت جناحه، وربما قبض عليه بفيه حنوا عليه، وربما أرضعت الأنثى ولدها وهي طائرة. وفي طباعه أنه متى أصابه ورق الدلب خدر ولم يطير. وقد ورد النهي عن قتله.

فإذا عرف الكاتب أحوال الطير وخواصها، تصرف فيها بحسب ما يحتاج إليه في نظمه وشعره، كما في قول الشاعر:

وَإِذَا السَّعَادَةُ لَأَحْظَنَكَ عَيْنُهَا \* نَمَّ، فَالْخَفَافُ كُلُّهُ أَمَانٌ  
وَأَصْطَدَّ بِهَا الْعَقَاءُ فَهِيَ حَبَائِلُ \* وَأَقْتَدَّ بِهَا الْجَوَازُ فَهِيَ عِنَانٌ

إشارة إلى عظم العناء وعدم القدرة على مقاومتها؛ ومع ذلك تنقاد بالسعد. وكما في قول أبي الفتح كُشَّاجِم، مخاطبا لولده يطلب البر منه:

أَتُخِذُ فِي خُلَّةٍ فِي الْكَرَاكِي \* أَتُخِذُ فِيكَ خُلَّةَ الْوُطُوطِ  
أَنَا إِنَّمَا لَمْ تَعْرِفْ فِي عَنَاءٍ \* فَيُفِيرُ تَرْجُو جَوَازَ السَّرَاطِ

يشير إلى ما تقدم من أن في طبع الكركي بر والديه إذا كبرا، كما أن في طبع الوطواط بر أولاده بحيث يحملها معه إلى حيث توجه؛ وكما في قول الشاعر:

مثل النهار يزيد إصبار الوري \* نورا ويضيئ عين الخفاش

إشارة إلى أن الخفاش لا يبصر نهارا، بخلاف سائر أرباب الأبصار؛ وكما قيل في وصف شارذ عن القتال:

وَمَنْ تَرْكُوهُ أَسْلَحَ مِنْ حُبَّارَى \* رَأَى صَقْرًا ، وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ  
يريد ما تقدم مما يعرض للحبارى من إرسالها سلاحها على الجارح عند اقتناصه  
لها ؛ وأن النعام في غاية ما يكون في البرية من الشراء والتغار ، ونحو ذلك مما  
يجرى هذا الجبرى .

### الصنف الرابع الحمام

وقد اختلف في الحمام في أصل اللغة ؛ فنقل الأزهري عن الشافعي رضي الله  
عنه أن الحمام يطلق على كل ما عُبَّ وهدر وإن فُزقت أسماؤه ، فيدخل فيه الحمام ،  
واليمام ، والدبابسي ، والقناري ، والفواخت وغيرها . وذهب الأصمعي إلى أن الحمام  
يطلق على كل ذات طوق كالقواخت والقناري وأشباهاها . ونقل أبو عبيد عن  
الكسائي سماعا منه أن الحمام هو الذي لا يالف البيوت ، وأن الحمام هو الذي يالف  
البيوت ؛ لكن الذي غلب عليه إطلاق الحمام هذا النوع المخصوص المعروف .  
ثم هو على قسمين :

أحدهما ما ليس له أهتداء في الطيران من المسافة البعيدة ،

والثاني ما له أهتداء ، ويعرف بالحمام الهدى وهو المراد هنا . وقد أعنى الناس  
بشأنه في القديم والحديث ، وأهتم بأمره الخلفاء ؛ كالمهدي ثالث خلفاء بني العباس ،  
والواثق ، والناصر ؛ وتنافس فيه رؤساء الناس بالعراق ، لا سيما بالبصرة .

فقد ذكر صاحب "الروض المعطار" : أنهم تنافسوا في اقتنائه ، ولحقوا بذكوره ،  
وبالغوا في أثمانه حتى بلغ ثمن الطائر الفاره منها سبعمائة دينار ؛ ويقال : إنه بلغ ثمن

(١) ورد هذا البيت في حياة الحيوان هكذا : وَمَنْ تَرْكُوهُ ... \* رَأَى صَقْرًا ... الخ .

طائر منها جاء من خليج القسطنطينية ألف دينار؛ وكانت تباع بيضة الطائر المشهور بالفراة بعشرين ديناراً . وإنه كان عندهم دقاتر بأنساب الحمام كأنساب العرب . وإنه كان لا يتمتع الرجل بالليل ولا الفقيه ولا العدل من أخذ الحمام والمنافسة فيه والإخبار عنها ، والوصف لأمرها والنعت لمشهورها ؛ حتى وجه أهل البصرة إلى بكار بن قتيبة البكراني ، قاضي مصر -- وكان في فضله وعقله ودينه وورعه ما لم يكن عليه قاض -- بمحامات لهم مع حِمَمَات ، وكتبوا إليه يسألونه أن يتولى إرسالها بنفسه ، وكان الحمام عندهم متجراً من المتاجر لا يروون بذلك بأساً .

وذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الحمام أول ما نشأ -- يعني في الديار المصرية والبلاد الشامية -- من الموصِّل وأت أول من أعنى به من الملوك ونقله من الموصل : الشهيد نور الدين بن زنكي صاحب الشام رحمه الله في سنة خمس وستين وخمسمائة . وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر ، وبالغوا حتى أفردوا له ديواناً وجرائد بأنساب الحمام . وقد اعتنى بعض المصنفين بأمره ؛ حتى صنف فيه أبو الحسن بن ملاعب القواس البغدادي كتاباً للناصر لدين الله العباسي ، ذكر فيه أسماء أعضاء الطائر ، ورياشه ، والوشوم التي توشم في كل عضو ، وألوان الطيور ، وما يستحسن من صفاتها ، وكيفية إفراخها ، وبعض المسافات التي أرسلت منها ، وذكر شيء من نوادرها وحكاياتها وما يجري مجرى ذلك .

وذكر في "التعريف" : أن القاضي محي الدين بن عبد الظاهر صنف فيها كتاباً سماه "تسائم الحمام" ويتعلق الغرض منها بأمور .



## الأمـر الأول

### ذكر ألوانها

قال أبو الحسن القواس : وقد أكثر الناس من ذكر ألوانها ؛ ويرجع القصد فيها الى ذكر ألوان ستة :

اللون الأول "البياض" ومنه الأبيض الصافي، والأشقر ؛ وهو ما كان يملوه حمرة ؛ فإن كان الغالب في شُقرته البياض قيل : فِضِّي ؛ فإن زاد قيل : أشقر .

اللون الثاني "الخضرة" إن كانت خضرته مُشبعة الى السواد قيل : أخضر مسِّي ؛ فإن كان دون ذلك قيل : نَبَّيْ الخضرة ؛ فإن كان دون ذلك قيل : صافي الخضرة ؛ فان تكدّرت خضرته بأن لم يكن صافي الخضرة قيل : أسمر .

اللون الثالث "الصفرة" وهي عبارة عن أن تكون خضرته تميل الى البياض ؛ فإن كان صافيا قيل : أصفر قرطاسي .

اللون الرابع "الحمرة" إذا كان شديد الحمرة قيل : عُنَّي ؛ فإن كان دون ذلك قيل : نَعْمَرِي ؛ فإن كان دون ذلك قيل : خَلُوق ؛ فإن كانت حُمْرته تضرب الى الخضرة قيل : أَكْغَفَا ؛ فإن كانت حمرة تضرب الى البياض قيل : أحمر صدقي .

اللون الخامس "السواد" إذا كان شديد السواد لابياض فيه قيل : أسود مُطْبَق ؛ فإن كان لون سواده ناقصا قيل : أسود أخلَس ؛ فإن كان سواده يضرب الى الخضرة قيل : أسود رَمَادِي ؛ فإن كان في سواده مائية قيل : أسود بَرَّاق ؛ فإن كان ساقاه أيضا أسودين قيل : أسود حالك ، وأسود زَنْجِي .

اللون السادس "التمري" وهو أن يكون في الطائر قط يخالف بعضها بعضا ، ويختلف الحال فيه باختلاف كبر القُط وصغرها ، فتارة يقال : مدَّز ، وتارة يقال :

مُدَّعٍ، وتارة يقال : أَبْرُشُ، وتارة يقال : مُوَشَّحٌ، وتارة يقال : أَبْقَعَ، وتارة يقال : أَبْلَقُ، وتارة يقال : كَبَّسَى، وتارة يقال : مُدَّرَعٌ، إلى غير ذلك مما لا يُستوفى كثرةً .  
ثم إن كان الطائر أَحْلَى العَيْنَيْنِ وَحَوْلَ عَيْنَيْهِ حَمْرَةٌ قِيلَ : قَعِيقٌ ؛ فَإِنْ كَانَ أَصْفَرَ الْعَيْنِ قِيلَ : أَصْفَرُ زُرَيْجِيٍّ ؛ فَإِنْ كَانَ أبيضَ العنقِ قِيلَ : هَلَالِيٌّ ، وهو أَحْسَنُهَا ، والأصْفَرُ الْعَيْنِ بَعْدُ ؛ فَإِنْ كَانَتِ الْعَيْنُ بَيْضَاءَ وَفِيهَا حَمْرَةٌ قِيلَ : رُمَانِي الْعَيْنِ .

### الأمر الثاني

في عدد ريش الجناحين والذنب المعتد به وأسمائها

أما الجناحان فإن فيهما عشرين ريشةً ، في كل جناح منهما عشرُ ريشاتٍ ؛ الأولى منها وهي التي في طرف الجناح تسمى : الصمة ؛ والثانية وهي التي بعدها تسمى : المضافة الرئيسية ؛ والثالثة وهي التي بعدها تُسمى : الواسطية ؛ والرابعة وهي التي بعدها تسمى : المضافة ؛ والخامسة وهي التي بعدها تسمى : المنطفة ؛ والسادسة وهي التي بعدها تسمى : المنحدرة ؛ والسابعة وهي التي بعدها تسمى : الناقصة ؛ والثامنة وهي التي بعدها تسمى : المؤنسة ؛ والتاسعة وهي التي بعدها تسمى : الزائلة ؛ والعاشرية وهي التي بعدها تسمى : المعينة .

وبعضهم يسمى الأولى : الصغيرة ، والثانية : الرقيقة ، والثالثة : الموفية ، والرابعة : الباحلة ، والخامسة : الحيرة ، والسادسة : الصرافة ، والسابعة : ممسكة الرمي ، والثامنة والتاسعة : الحافظتين ، والعاشرية : الملكة .

وربما كان في كل جناح إحدى عشرة ريشةً ، فيسمى الطائر حينئذ : أعلم .  
ولهذه الريشات العشر عشر ريشات مع كل واحدة منها رادفةٌ ؛ وهي الريش الصغار التي تغطي قصب الجناح من ظاهره ؛ ولكل ريشة من هذه الريشات العشر ريشة صغيرة تغطي قصبها ؛ لكل واحدة منها اسم يخصها .

ومن ريش الجناح أيضا : الخَوَافِي ؛ وهى الريش المسطَّر مع العشر ريشات الطَّوَالِ  
المنقلبُ برؤوسه إلى مُؤَثَّر الجناح ؛ وهى تسع ريشات ، الأولى منها تسمى : الحَلْدَقَة ،  
والثانية : الرِّمَّة ، والثالثة : الغَزَّة ، والرابعة : الحَزْ ، والخامسة : الجَاوِزَة ، والسادسة :  
المسَّامَة ، والسابعة : الملازِمَة ، والثامنة : الشَّعْثَة ، والتاسعة : اللامعة ؛ وبعضهم يسمّى  
الأولى : بنت الملكة ، والثانية : الإبرة ، والثالثة : المقشعة ، والرابعة : الصافية ،  
والخامسة : المصفية ، والسادسة : المصفرة ، والسابعة : الزرقاء ، والثامنة : السوداء ،  
والتاسعة : المزرقَّة ؛ وعدَّ فيها عشرة تسمى : المخضرة ؛ ولكل ريشة من الريشات التسع  
ريشة صغيرة تغطى قصبتها لها أسم يخصها أيضا .

وبعد الخوافى : الفخار ، ولكل ريشة من الفخار ريشة صغيرة من باطنها تغطى قصبتها .  
ومن ريش الجناحين : المَقُومَات ؛ وهى ثلاث ريشات فى طَرَف الجناح ،  
تسمى : الزوائد ؛ ومن فوقها ثلاث ريشات صغار تغطى قصبتها ، تسمى : الفَوَاشِي ،  
وأصلها مع أصل<sup>(١)</sup> أيضا .

وأما الذَّنْبُ ، فالمعتبر فيه اثنتا عشرة ريشة من كل جانب : منه ست ريشات  
تسمى الأولى منها : الفزالة ، والثانية : العُرُوس ، والثالثة : الباشقة ، والرابعة :  
الباقية ، والخامسة : المجاورة ، والسادسة : العمود ، ومن الجانب الآخر كذلك .

### الأمر الثالث

الفرق بين الذكر والأنثى

وقد ذكروا بينهما فروقا ؛ منها أن الأنثى إذا تمتدَّ قَدَمَتِ الرَّجُلِ اليسرى ،  
والذكر يُقَدِّمُ الرَّجُلَ الأيمنى ؛ ومنها أن يرى الذكر مُقْتَدِرًا فى الأرض مُسْتَيْطِلًا ،

(١) له مع أصل الزوائد أيضا كما يفيد المقام تأمل .

والأُثْيُ بالضد من ذلك ؛ ومنها أن ريش الذكْر أعرُض وأطول وأحسن استواءً من الأُثْيُ ؛ ومنها أن مَذْيَج الذكْر يكون عريضاً ومذْيَج الأُثْيُ دقيقاً ؛ ومنها أن يكون وجه الذكْر عريضاً الخلد والأُثْيُ بالضد من ذلك ؛ ومنها أن الأُثْيُ إذا طارت فتحت جناحها والذكْر إذا طار أنحرج عَشْرِيه .

### الأمر الرابع

في بيان صفة الطائر الفارِه

قال أبو الحسن القوَّاس : علامته أن يكون رأسه مكعباً ، وعينه معتدلةً ، غير نائلة ولا غائرة ، ولا فائرة ، ولا قلقة مرتعجة ؛ وأن يكون متقاربه غليظاً قصيراً ؛ وأن يكون وسط المخيرين ، مُكَلَّم القِرْطَمَتَيْنِ ، أَهْرَتَ الشَّدَقَيْنِ ، واسع الصدر ، نَقِيَّ الرِّيشِ ، طويل الفخذين ، قصير الساقين ، غليظ الأصابع ، شَتَنَ البرائن ، طويل القوائم من غير إفراط .

ويستحب فيه قِصْرُ الذنب ودِقَّتُهُ ؛ واجتماع ريشه من غير تفرق ؛ وأن يكون ظهره معتدلاً وإلى القِصْرِ أقرب ؛ وأن يكون جُجُجُوهُ ، وهو جانب الصدر طويلاً ممتداً ؛ وعُنْقُهُ طويلاً منتصباً ؛ وريش قوامه وخوافيه مَبْنِيًّا متطابقاً بمضه مع بعض من غير تفرق ولا تَمَحُّط ؛ وأن يكون شديد اللحم مكتنزاً ، غير رِخْوٍ ولا رَهْلٍ .

ويستحب فيه أيضاً أن يكون قليل الرَّمْدَةِ عند الفزع ؛ سريع اللقْطِ للهب ؛ خفيف الحركة والنهوض ؛ والتزول من غير طيش ولا اختلاط ؛ وأن يكون ظهره مسطوحاً لا أحْدَبَ ولا أَوْقَصَ ؛ ويستحب فيه إذا وقف أن ينصب صدره ، ويرفع عُنْقَهُ ، ويفتح ما بين نَحْدَيْهِ شبه البازي .

ومن علامة قَرَاهته أنه إذا طال عليه الطَّيْرَان وأراد النزول على سطحه<sup>(١)</sup> ألا يُلَيِّ رجليه حتى يقع صدره على سطحه لأنه إذا دُلَّ ساقيه كان عيا عظيمًا، يقولون : قد انحلت سراويله بمعنى أنه قد أدَّى جميع ما عنده من القوة والطاقة ؛ ويكره فيه دقة المفْرِز، وطولُ الذَّنْب، وتفرُّق الرِّش .

### الأمر الخامس

الفِرَاسَة في الطائر من حال صغره قبل الطيران

قالوا من علامة الطائر الفاره في صِغَرِه : أن يكون حديدَ النظر، شديدَ الحِذْر، خفيف اللحم ، قليلَ الرِّش ، سريعَ التَّهَضُّبَة، كثيرَ التَّطَفُّبِ في الجَوِّ، ممتدَّ العظم، مستويا، لطيفَ الذَّنْب، خارجَ العُنُقِ، قصيرَ السَّاقين، طويلَ الفَخِذَيْن، مُجَبَّلًا، مذيَلُ المتقار، مدوَّر القَرَاطِم، مضاعفُ المخَّارِ، يلزم موضعا واحدا من صغره، إلى ازدواجه ؛ فإذا ازدوج على السَّطْح يكون حريصا على طائرته، حسنَ الأخلاق معها لا يَطْرُدُهَا طَرْدَ الكلاب ، ولا يَتَنَالُ غِيلَةَ الذَّنَاب ، قليلُ الذَّرْقِ ، كثيرُ الدهن ؛ مُدِلًّا بنفسه، كأنه يعلم أنه فاره . فإن كان فيه بعضُ هذه الخصال كانت فراسته على قدر ما فيه من ذلك .

قال أبو الحسن الكاتب : ومن علامة شهامة الفَرخ أن تكون فيه الحركة وهو تحت أبيه وأمه، وكلما جمعتَه تَضَمُّه تحتها ، خرج من تحتها ويتعلق بالفروج ؛ وأن يكون ريش رأسه كأن فيه جَلَمًا، وريشُ جسده وجتاحه مستطيلا عند تَبَنُّه من جسده ؛ وأن يطول ريشُه حتى يغطِّي ظهره ولا ينتشر إلا بعد ذلك ؛ وأن يكون من جَوْجُو الصدر إلى مَفْرِزِه أقصر من بطنه إلى رأس برائته .

وفي الحمام طائر يقال له : الأتيم ، وصفته أن يكون أسود المتقار ليس فيه بياض ،  
ورأس متقار وأصله سواء ، لا تحميد في رأسه ؛ حريص القراطم ؛ غليظ الشدين ؛  
منتشر المنخرين ؛ جهوي الصوت ؛ غائر العين ؛ قال أبو الحسن القواس : ولا تكون  
هذه الصفة إلا في الطائر الفاره الأصيل ، الكريم الأب والأم .

### الأمر السادس

بيان الزمان والمكان اللاتحين بالإفراخ

أما الزمان فأصلح أوقات التأليف : أيلول ، وتشرين الأول ، وتشرين الثاني ،  
وأذار ، ونيسان ، وإيار ؛ فإذا وقع الإفراخ في شيء من هذه الأوقات كانت الفراخ  
أقوياء ، نُجباء ، أذكاء ؛ ونُها عن الإفراخ في كانون الأول ، وكانون الثاني ، وشباط ،  
وأب ، وتموز ، وحزيران ؛ فإن الذي يُفرخ فيه لا يزال ناقص البدن ، قليل الفطنة ،  
يلقى ريشه في السنة مرتين فيضعف .

وأما المكان فقد حكى عن إقليم الهندى : أن أولى ما أفرخ الحمام بالسطوح ،  
وذلك أن الفرخ يخرج من القشر فيلقى خشونة الهواء وحرا الموضع فيصير له عادة  
ثم لا ينهض حتى يعرف وطنه ويتقلب إليه أبوه وأمه بالزق واللقف فيعرف السطح  
حق المعرفة ، وينقل خلفهما فيعلمانه الصعود والهبوط ، وربما أخذه إلى الرعى  
بالصحراء فلا يكمل حتى يصير شهما عارفا بأمور الطيران ؛ بخلاف ما إذا أفرخ  
بالسفل فإنه يتربى جسده على برودة التئ و لين الهواء ، فإذا كمل وترقى إلى السطح  
لقيه خشونة الهواء وقوة الحر ، فيحدث له الحر الجامد بقواده الجكاد والدق .

## الأمير السابع

في مسافة الطيران

قد تقم أن طائرا طار من الخليج القسطنطيني إلى البصرة؛ وأن الحمام كان يرسل من مصر إلى البصرة أيضا .

وذكر ابن سعيد في كتابه "جنى المحل وجنى النمل" : أن العزيز ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره يعقوب بن كلس أنه ما رأى القراصية البعلبكية، وأنه يحب أن يراها، وكان بدمشق حمام من مصر وبمصر حمام من الشام؛ فكتب الوزير بطاقة يأمر فيها من بدمشق أن يجمع ما بها من الحمام المصري ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية وترسل فعل ذلك؛ فلم يمض النهار إلا وعنده قدر كثير من القراصية، فطلع بها إلى العزيز من يومه؛ وذكر أيضا في كتابه "المغرب في أخبار المغرب" : أن الوزير اليازوري المغربي وزير المستنصر الفاطمي وجه الحمام من مدينة تونس من إفريقية من بلاد المغرب إلى مصر فجاء إلى مصر .

وقد ذكر أبو الحسن القواس في كتابه في الحمام : أن حماما طار من عبادان إلى الكوفة، وأن حماما طار من الترتاوذ إلى الأبلّة ونحو ذلك . وسيأتي الكلام على أبراج الحمام بالديار المصرية في المقالة العاشرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

## النوع الخامس

ما يحتاج إلى وصفه من فئس الأحمجار

ويحتاج الكاتب إليه من وجهين : أحدهما من حيث غلظة الملوك ، فلا بد أن يكون عارفا بصفات الجواهر وأثمانها والتفيس منها وخواصها ، لأنه ربما جرى

ذكر شيء من ذلك بحضرة ملكه ، فتكون مشاركته فيه زيادة في رتبة محله ، وعلو مقداره ؛ وهذا هو الذي عول عليه صاحب "مواد البيان" في احتياج الكاتب إلى ذلك .

والثاني : أن يحتاج إلى وصف شيء من ذلك مع هدية تصدر عن ملكه أو هدية تصل إليه ، مع ما يحتاج إليه من ذلك لمعرفة التشبيهات والاستعارات التي هي عمود البلاغة ؛ فمن لم يكن عارفاً بأوصاف الأحجار ، ونفائس الجواهر لا يحسن التعبير عنها ؛ ألا ترى إلى تشبيهات ابن المعتز ووصفه للجواهر كيف تقع في نهاية الحسن ، وغاية الكمال لمعرفة المشاهدات فهو يقول عن علم ، ويتكلم عن معرفة «وليس الخبر كالمعاينة» وقد أعنى الناس بالصنيف في الأحجار في القديم والحديث .

فمن صنف فيه في القديم من حكماء الفلاسفة : أرسطوطاليس ، وبليوس ، وياقوس الأنطاكي .

ومن صنف فيه من الإسلاميين : أحمد بن أبي خالد المعروف بابن الحزاز ، ويعقوب بن إسحاق الكندي وغيرهما . وأحسن مصنف فيه مصنف أبي العباس أحمد بن يوسف التيفائي .

والذي يتعلق الغرض منه بذلك اثنا عشر صنفاً .

## الصنف الأول

### الؤلؤ

وهو يتكون في باطن الصدف ؛ وهو حيوان من حيوان البحر الملح له جلد عظمي كاللؤلؤ ، ويفوص عليه القواصون ، فيستخرجونه من قعر البحر ، ويصعدون به فيستخرجونه منه . وله مفاصل كثيرة ، إلا أن مقلان النفيس منه بئر نديب



من الهند ، ويكيش ، وحمّان ، والبحرين من أرض فارس ، وأخره لؤلؤ جزيرة خاركه ، بين كيش والبحرين .

أما ما يوجد منه يبحر القلزم وسائر بحار الجحاز فردى ، ولو كانت الدرّة منه في نهاية الكبر ، لأنه لا يكون لها طائل ثمن . وجيد اللؤلؤ في الجملة هو الشفاف الشديد البياض ، الكبير الحجم ، الكثير الوزن ، المستدير الشكل ، الذي لا تضريس فيه ، ولا تفرطح ، ولا أعوجاج . ومن عيوبه أن يكون في الحبة تفرطح ، أو أعوجاج ، أو يلصق بها قشر أو دودة ، أو تكون مجوّفة غير مصمتة ، أو يكون قبحا منسما .

ثم من مصطلح الجوهرين أنه إذا اجتمع في الدرّة أوصاف الجوّدة ، فما زاد على وزن درهمن ، ولو حبة يسّى دزّاه فإن نقصت عن الدرهمين ولو حبة سميت حبة لؤلؤ ، وإذا كانت زتها أكثر من درهمن وفيها عيب من العيوب فإنها تسمى حبة أيضا ، ولا عبرة بوزنها مع عدم اجتماع أوصاف الجوّدة فيها . وتسمى الحبة المستديرة الشكل عند الجوهرين : الفارة ، وفي عرف العامة : المُدحرجة . ومن طبع الجوهر أنه يتكوّن قشورا رقاقا طبقة على طبقة حتى لو لم يكن كذلك فليس على أصل الحلقة بل مصنوع .

ومن خواصه أنه إذا سحق وسقى مع سمن البقر نفع من السموم .

وقال أرسطوطاليس : من وقف على حل اللؤلؤ من كباره وصغاره حتى يصير ماء زبراجا ثم طلى به البرص أنه يبرأ . وقيمة الدرّة التي زتها درهمان حبة مثلا أو وحيثان مع اجتماع شرائط الجوّدة فيها سبعمائة دينار ، فإن كان اثنتان على هذه الصفة كانت قيمتهما أثنى دينار ، كل واحدة ألف دينار لاختلافهما في النظم ، والتي زتها مثقال وهي بصفة الجوّدة قيمتها ثلثمائة دينار ، فإن كان اثنتان زتهما مثقال وهما

بهذه الصفة على شكل واحد لا خريق بينهما في الشكل والصورة : كانت قيمتهما أكثر من سبعمائة دينار .

وقد ذكر ابن الطوير في تاريخ النولة الفاطمية : أنه كان عند خلفائهم دُرّة تسمى اليخيمة زنتها سبعة دراهم تجعل على جبهة الخليفة بين عينيه عند ركوبه في المواكب العظام على ما سيأتى ذكره في الكلام على ترتيب دولتهم في المسالك والممالك إن شاء الله تعالى .

ويضربه جميع الأدهان ، والمخوضات بأسرها لاسيما الليمون ، ووجع النار ، والعرق ، وذفر الرائحة ، والاحتكاك بالأشياء الخشنة ، ويملوه ماء حامض الأريج إلا أنه إذا أُخِجَ عليه به قشره وقص وزنه ؛ فإن كانت صفوته من أصل تكونه في البحر فلا سبيل إلى جلاؤها .

## الصف الثاني

### الباقوت

قال بليزوس : وهو حجر ذهبي ، وهو حصي يتكون بجزيرة خلف مرتديب من بلاد الهند نحو أربعين فرسخا ، دورها نحو ستين فرسخا في مثلها ، وفيها جبل عظيم يقال له : جبل الراهون تُحْدِر منه الرياح والسيول الباقوت فيلتقط ، والباقوت حصباؤه ؛ — وهو الجبل الذي أهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام — فإذا لم تُحْدِر السيول منه شيئا عمد أهل ذلك الموضع إلى حيوان فذبجوه وسلخوا جلده وقطعوه قطعاً كبارا وتركوه في سفح ذلك الجبل فيختطفه أسود تأوى إلى ذلك الجبل فتصمد باللم إلى أعلاه فيلصق بها الباقوت ، ثم تأخذه النسور وتترل به إلى أسفل فيسقط منه ما علق به من الباقوت ؛ فإذا أخذ كان لونه مظلماً ثم يشف بملقاة الشمس ويظهر لونه على أى لون كان .

ثم هو على أربعة أضرب :

الضرب الأول "الأحمر" — ومنه البهرمان ؛ ولونه كلون المصفر الشديد الحمرة  
الناصع في القوة الذي لا يشوب حمرة شائبة ؛ ويسمى : الرمانى لمشابهته حب الرمان  
الرائق الحب ؛ وهو أعلى أصناف الياقوت وأفضلها وأغلاها ثما .

ومنه : الخيرى ؛ وهو شبه بلون الخيرى ؛ وهو المشهور ؛ ويتفاضل في قوة الصبغ  
وضعفه حتى يقرب من البياض .

ومنه الوردى ؛ وهو كلون الورد ويتفاضل في شدة الصبغ وضعفه حتى يقرب  
من البياض .

وأردأ ألوانه الوردى الذى يضرب الى البياض ، والسماق الذى يضرب الى  
السواد .

الضرب الثانى "الأصفر" — وأغلاه الجلتارى ؛ وهو أشده صفرة ، وأكثره  
شعاعا ومائية ؛ ودونه الخلوقة ، وهو أقل صفرة منه ؛ ودونه الرقيق وهو قليل الصفرة  
كثير الماء ساطع الشعاع . وأردأ الأصفر ما قص لونه وهال الى البياض .

الضرب الثالث "الأبيض" — ومنه المهائى ؛ وهو أشدها وأكثرها ماء وأقواها  
شعاعا ؛ ومنه الذكر ؛ وهو أقلل من المهائى وأقلل شعاعا وأصلب حجرا ؛ وهو أدون  
أصناف الياقوت وأقلها ثما . وأجود الياقوت الأحمر البهرمانى والرمانى والوردى  
النير المشرق اللون الشفاف الذى لا يتفقه البصر بسرعة . ويؤبه الشعرة ؛ وهى شبه  
تشقق يرى فيه ، والسوس ؛ وهو خروق توجد فيه باطنة ويلوها شئ من ترابسة  
المعدن .

ومن أردأ صفاته قبح الشكل .

ومن خواص الياقوت : أنه يقطع كل الحجارة كما يقطعها الماس ، وليس يقطعه هو على أى لون كان غير الماس .

ومن خواصه أيضا : أنه لا يمحك على خشب العُشر الذى تجلى به جميع الأحجار ؛ بل طريق جلته أن يكسر الجزع اليماني ويمرّق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء ثم يحك على وجه صفيحة من نحاس حجر الياقوت ؛ فيجلى ويصير من أشدّ الجواهر صقالة .

ومن خواصه : أنه ليس لشيء من الأحجار المشقة شعاع مثله ، وأنه أثقل من سائر الأحجار المساوية له في المقدار ، وأنه يصبر على النار فلا يتكلس بها كما يتكلس غيره من الحجارة النفيسة ؛ وإذا خرج من النار بردّ بسرعة حتى إنّ الإنسان يضعه في فيه عَقَبَ إنراجه من النار فلا يتأثر به ؛ إلا أن لون غير الأحمر منه كالصفرة وغيرها يتحوّل الى البياض ؛ أما الحمرة فإنها تحوى بالنار ، بل اذا كان في الفص نُكْتَةٌ حمراء ؛ فإنها تتسبّع بالنار وتبسط في الحجر بخلاف النكتة السوداء فيه ، فإنها تنقص بالنار ، فإذ هبت حرته بالنار فليس بياقوت بل ياقوت أبيض مصبوغ أو حجر يشبه الياقوت .

ومن منافعه ما ذكره أوطا طاليس : أن التخم به يمنع صاحبه أن يصيبه الطاعون اذا ظهر في بلد هو فيه ، وأنه يعظم لانه في عيون الناس ، ويسهل عليه قضاء الحوائج ، وتيسر له أسباب المعاش ، ويقوى قلبه ويشجعه ، وأن الصاعقة لا تقع على من تخم به . وإذا وضع تحت اللسان ، قطع العطش . وأما تحانه أن يمحك به ما يشبه من الأحجار ، فإنه يمحّحها بأسرها ولا تؤثر في فيه .

قال الثيفاني : وقيمة الأحمر الخالص على ما جرى عليه العرف بمصر والعراق أن الحجر إذا كان زنته نصف درهم كانت قيمته ستة مثاقيل من الذهب الخالص ؛

والجمر الذى زنته درهم قيمته ستة عشر دينارا، والجمر الذى زنته مثقال قيمته بدينارين  
القيراط، والجمر الذى زنته مثقال وثلاث قيمته ثلاثة دنانير القيراط إلى ثلاثة ونصف؛  
وزيد ذلك بحسب زيادة لونه ومائته وكبر جرمه، حتى ربما بلغ ما زنته مثقال من  
جيده مائة مثقال من الذهب إذا كان بهرمانا نهاية في الصِّبْغ والمائية والشعاع، قد  
نقص منه بالملك كثير من جرمه؛ وقيمة الأصفر منه زنة كل درهم بدينارين؛ وقيمة  
الأزرق والمساهاني كل درهم بأربعة دنانير؛ وقيمة الأبيض على النصف من  
الأصفر. ويختلف ذلك كله بالزيادة والنقص في الصِّبْغ والمائية مع القرب من المعدن  
والبعد عنه.

وقد ذكر ابن الطوير في ترتيب مملكة الفاطميين: أنه كان عندهم حجر ياقوت  
أحمر في صورة هلال زنته أحد عشر مثقالا يُعرف بالخاص، يجعل على جبين الخليفة  
بين عينيه مع الدرة المتقدمة الذكر عند ركوبه.

### الصنف الثالث

#### البَلَّخَشُ

قال في مسالك الأبصار: ويسمى اللَّلَّ.

قال بلبنوس: وأنقاده في الأصل ليكون ياقوتا إلا أنه أبعد عن الياقوتية على  
من اليُس والرطوبة وغيرهما، وكذلك سائر الأحجار الجمر. ومعدن البَلَّخَش الذى  
يتكون فيه بنواحي بَلَّخَشَان، والعجم تقول: بَدَخَشَان بذال معجمة وهى من بلاد  
(١)

(١) في ياقوت: أنها في أهل طمارستان متاخمة لبلاد الترك.

قال التيفاشي : وأخبرني من رأى معدنه من التجار أنه وجد منه في المعدن حجرا وفي باطنه ما لم يكمل طبعه وأنقاده بعد . والحجر مجتمع عليه ؛ وهو على ثلاثة أضرب : أحمر مُعَقَّبٌ ، وأخضر زَرْجَدِيٌّ ، وأصفر ؛ والأحمر أجوده .

قال التيفاشي : وليس لجميعه شيء من خواص الياقوت ومنافعه ؛ وإنما فضيلته تشبه به في الصِّبْغِ والمائية والشعاع لا غير . قال : وقيمته في الجملة غالبا على النصف من قيمة الياقوت الجيد .

قال في مسالك الأبصار : وهو لا يؤخذ من معدنه إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب والإنفاق ، ولهذا عز وجوده ، وغَلَّتْ قيمته ، وكثر طالبه ، والتفتت الأعناق إلى التحل به . قال : وأنفس قطعة وصلت إلى بلادنا من البَلْخَشِ قطعة وصلت مع تاجر في أيام العادل كتبها وأحضرت اليه وهو يدمشق ، وكانت قطعة جليسةً مثلثة على هيئة المُشِطِ المودى . وهي في نهاية الحسن وغاية الجودة ، زنتها خمسون درهما ، كاد المجلس يُضَيءُ منها ، فأحضر الصاحبُ نجم الدين الحنفى الجوهرى وسأله عن قيمتها ، فقال له نجم الدين الجوهرى : إنما يعرف قيمتها من رأى مثلها ، وأنا وأنت والساطان ومن حضر لم نرمثلها فكيف نعرف قيمتها ؟ فأُعْجِبَ بكلامه ، وصالح عليها صاحبها .

### الصنف الرابع

#### عين المسر

قال التيفاشي : وهو في معنى الياقوت إلا أن الأهراس المقتصرة به أقصده عن الياقوتية ، ولذلك إنما يوجد في معدن الياقوت المتقدم ذكره ، وتفرجه الرياح والسيول كما تُخْرِجُ الياقوت على ما تهتم ، قال : ولم أجده في كتب الأحجار ، وكأنه

مُحَدَّثُ الظهور بأيدي الناس، والغالب على لونه البياض بإشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة، إلا أنه تُرى في باطنه نُكْثَةٌ على قدر ناظر المِرِّ الحامل للنور المتحرك في قَصِّ مقلته، وعلى لونه — على السواد — وإذا تحرك القَصُّ الى جهة، تحركت تلك النكتة بخلاف جهته؛ فإن مال إلى جهة اليمين، مالت النكتة إلى جهة اليسار وبالعكس، وكذلك الأعلى والأسفل؛ وإن كسر الحجر أو قطع على أقل جزء، ظهرت تلك النكتة في كل جزء من أجزائه، ولذلك يسمى : عين المر .

وأجوده ما أشتد بياض أبيضه وشفيفه، وكثرت مائية النكتة التي فيه مع سرعة حركتها وظهور نورها وإشراقها؛ ولا يخفى أن حُسْنَ الشكل وكِبَرَ الجرم يزيدان في قيمته كسائر الأحجار .

قال التيفاشي : والمشهور من منافعه عند الجمهور أنه يحفظ حامله من أعين السوء . ونقل عن بعض ثقاة الجواهريين : أنه يجمع سائر الخواص التي في الياقوت البهرمانى في منافعه، ويزيد عليه ألا يتقصَّ مألَّ حامله ولا تعثره الآفات، وأنه إذا كان في يد رجل وحضر مصافَّ حرب وهُزِمَ حزبه فآلَى نفسه بين القتلِ رآه كل من يتر به من أصدائه كأنه مقتول مشحط في دمه؛ وإن ثمنه بالهند مع قُرب معدنه أظَلَّ من ثمنه ببلاد المغرب بكثير، لعالمهم بخواصه؛ وقيمه تختلف بحسب الرغبة فيه؛ وإذا وقع ببلاد المغرب بيعَ المقال منه بخمسة دنانير، ويزيد على ذلك بحسب الغرض .

وذكر التيفاشي عن بعض التجار أن همرا منه بيعَ في المغرب من بلاد الهند بمائة ونمسين ديناراً؛ وأنه بيع منه حجر ببلاد القُرُس بسبعائة دينار .

## الصنف الخامس الماس

قال بلينوس في كتاب الأحجار: وأبدأ في معدنه لينعقد ذهباً، فأبدته العوارض عن ذلك؛ وهو يتكون في معدن الياقوت المقسم ذكره، وتخرجه الرياح والسيول من معدنه كما تخرج الياقوت؛ وهو ضربان: أحدهما أبيض شديد البياض يشبه البلورى يسمى البلورى لذلك؛ والثاني يخالط بياضه صفرة فيصير كلون الزجاج الفرونى، ويسمر عنه: بالزيتى .

قال الكندى: والذي طاقته من هذا الحجر ما بين الخردلة الى الجوزة ولم أر أعظم من ذلك .

ومن خواصه: أنه يقطع كل حجر يمر عليه؛ وإذا وضع على سندال حديد ودق بالمطرقة لم ينكسر، وغاص في وجه السندال والمطرقة وكسرها، ولا يلتصق بشيء من الأجساد إلا هشم؛ ويحو النقوش التي في الأحجار كلها؛ وإنما يكسر بأحد طريقين: أحدهما أن يجعل داخل شيء من الشمع ويدخل في أنبوب قصب وينقر بمطرقة أو غيرها برفق بحيث لا يباشر جسمه الحديد، فينكسر حينئذ؛ أو يجعل في أسرب وهو الرصاص ويفعل به ذلك فيكسر أيضا .

ومن خواصه: أن الذباب يشهى أكله لما سقطت منه قطعة صغيرة إلا سقط عليها الذباب وأبتلعها أو طار بها؛ ومتى أبتلع منه الإنسان قطعة، ولو أصغر ما يكون تحرق أعضائه وقتله على الفور .

قال أرسطوطاليس: وبينه وبين الذهب محبة يتشبث به حيث كان .

ومن خاصته: أن كل قطعة تؤخذ منه تكون ذات زوايا قائمة الرأس: ست زوايا وثمان زوايا وأكثر؛ وأقله: ثلاث زوايا، وإذا كسر لا ينكسر إلا منتظا،



وبه يتقب الذر والياقوت والزمرد وغيرها من جميع ما لا يعمل فيه الحديد من الأحجار كما يتقب الحديد الخشب، بأن يركب في رأس منقار حديد منه قطعة بقدر ما يراد من سعة التقب وضيقه ثم يتقب به، فيتقب بسرعة.

ومن منفعته فيما ذكره أرسطو طاليس: أن من كان به الحصاة الحادثة في المثانة في مجرى البول إذا أخذ حبة من هذا الحجر والصقها في مِرْوَدِ نَحَّاسٍ يُمْصِطُكِ الصباغَ مُحْكَمًا ثم أدخل المِرْوَدَ إلى الحصاة فإنها تنقبها.

قال أحمد بن أبي خالد: وبذلك عالج وصيفا الخادم من حصاة أصابته وأمتع من الشق عليها بالحديد.

وقال ابن بوسطر: وإذا علّق على البطن من الخارج قمع من القيس الشديد، ومن فساد المعدة. وقيمه الوسطى فيما ذكره التيفاشي أن زنة قيراط منه بدينارين. وتقل عن الكندي: أن أغلى ما شاهد منه ببغداد المتقال بمائتين ديناراً، وأرخص ما شاهد منه ببغداد أيضاً المتقال بخمسة عشر ديناراً؛ وأنه إذا بدرت منه قطعة كبيرة تصلح لقص قدر نصف متقال يضاعف ثمنها على ما هو قدر الخردلة أو الفلفلة ثلاثة أضعاف وأربعة وخمسة.

## الصف السادس

### الزمرد

يقال — بالذال المعجمة والمهملية — قال بلينوس: والزمرد يبدأ لينقذ ياقوتاً، وكان لونه أحمر إلا أنه لثلاثة تكلف الحرة بعضها على بعض عرّض له السوداء، وأمتزجت الحرة والود فصار لونه أخضر. ومعينه الذي يتكون فيه في الخوم

بين بلاد مصر والسودان خلف أسوان من بلاد الديار المصرية ، يوجد في جبل هناك تمتد كالخمر فيه معادن .

قال في مسالك الأبصار : وبينه وبين قوص ثمانية أيام بالسير المعتدل ، ولا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه ، والماء عنده على مسيرة نصف يوم أو أكثر في موضع يعرف بقدير أعين . فنه ما يوجد قطعاً صفاراً كالخصى منبته في تراب المعدن وهي الفصوص ، وربما أصيب العرق منه متصلاً فيقطع وهو القصب ؛ وهو أجوده .

قال في مسالك الأبصار : وتلك العروق منبته في حجر أبيض تستخرج منه بقطع الحجر . قال اليفاشي : ويوجد على بعضه تربة كالكحل الشديد السواد ، وهو أشده خضرة وأكثره ماء . وقد ذكر المؤيد صاحب حمّاه في تاريخه : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله لما استولى على قصر الفاطميين بعد موت الفاضل ، وجد فيه قسبة من زمرّد طولها أربعة أذرع أو نحوها . وهو على ثلاثة أضرب :

الأول "الذبابي" — وهو شديد الخضرة ، لا يشوب خضرته شيء آخر من الألوان من صفرة ولا سواد ولا غيرهما ، حسن الصبغ ، جيد المائبة ، شديد الشعاع ؛ ويسمى : ذبابيا ، لمشابهة لونه في الخضرة لون كبار الذباب الأخضر الربيعي ؛ وهو من أحسن الألوان خضرة وبصيصا .

قال في مسالك الأبصار : وهو أقل من القليل بل لا يكاد يوجد .

الثاني "الريحاني" — وهو مفتوح اللون ، شبه بلون ورق الزيتون .

الثالث "السلقي" — وخضرته أشبه شيء بلون السلقي .

الرابع "الصابيوني" — ولونه كلون الصابيون الأخضر .

قال في "مسالك الأبصار" : وإذا استخرج الزمرد من المعدن جُعل في زيت الكُكَّانِ ثم نُفِّ في قطن وصِرَّ في خرفة كُكَّان ونحوها ولم يزل العمل في هذا المعدن إلى إنشاء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون قَرَّكَ لكثرة كُلفته .

وأفضل أنواعه وأشرفها : الذبابي ، ويزداد حسنه بأكبر الحرم ، وأستواء القصبه ، وعدم الأعوجاج فيها . ومن عيوب الذبابي : اختلاف الصِّبغ بحيث يكون موضع منه مخالفا للموضع الآخر ، وعدم الاستواء في الشكل ، والتشعير ، وهو شبه شقوق خفية إلا أنه لا يكاد يخلو منه ، والرَّخاوة ، وخفة الوزن ، وشدة المَلَّاسَة والصِّقَال والتَّعومة ، وزيادة الخضره والمائيه إذا ركب على البطانة ؛ وهو يخل بالنار ويتكلس فيها ولا يثبت ثبات الياقوت .

ومن خاصية الذبابي التي أمتاز بها عن سائر الأحجار : أن الأفاعي إذا نظرت إليه ووقع بصرها عليه آفقت عيونها ؛ قال التيفاشي : وقد جربت ذلك في قطعة زمرد ذبابي خالص فحصلت أفعى وجعلتها في طشت وألصقته بشمع في رأس سهم وقربته من عينها فسمعت قهقهة خفية كما في قتل صُوابية ، فنظرت الى عينيها فإذا هما قد برزتا على وجهها وضُغفت حركتها وبهذه الخاصية يمتحن الزمرد الخالص من غيره كما يمتحن الياقوت بالصبر على النار .

ومن منافعه : أن من أذعن نظره أذهب عن بصره الكلال ؛ ومن تخم به دفع عنه داء الصرع إذا كان قد لبسه قبل ذلك ؛ ومن أجل ذلك كانت الملوك تعلقه على أولادها ؛ وإذا كان في موضع لم تقر به نوات السموم ؛ وإذا سُحِّل منه وزن ثمان شعيرات وسقيته شارب السم قبل أن يعمل السم فيه ، خلصته منه ؛ وإذا تخم به من به نفث الدم أو إسهاله منع من ذلك ؛ وإذا علَّق على المعدة من خارج نفع من وجعها ؛ وشرب حكا كته ينفع من الجُذَام .

وقيمة الذبابي الخالص في الحجر الذي زنته درهم : أربعة دنانير القيراط ،  
وتضاعف بحسب كبره ، وينقص بحسب صغره ؛ إلا أنه لا ينقص بالصغر نقص  
غيره من الأحجار لوجود خاصيته في الكبير والصغير والمعوّج والمستقيم . أما بقية  
أصناف الزمرد فإنه لا قيمة لها يعتد بها لعدم المنافع الموجودة في الذبابي .

### الصف السابع

#### الزمرد

وهو حجر أخضر يتكون في معدن الزمرد ؛ ولذلك يظنه كثير من الناس نوعا  
منه إلا أنه أقل وجودا من الزمرد .

قال التيفاشي : أما في هذا الزمان فإنه لا يوجد في المعدن أصلا ، وإنما الموجود  
منه بأيدي الناس فصوص تستخرج بالنش من الآثار القديمة بالإسكندرية ؛ وذكر  
أنه رأى منه فصا في يد رجل أخبره أنه استخرجه من هنالك ، زنته درهم ، لا يكاد  
البصر يقطع عنه لونه مائه وحسن صفائه .

وأجوده : الأخضر المعتدل الأخضر ، الحسن المائية ، الرقيق المستشف ، الذي  
ينفذ البصر بسرعة ؛ ودونه الأخضر المفتوح اللون ؛ وليس فيه شيء من خواص  
الزمرد إلا أن إيمان النظر إليه يحلو البصر . وقيمة خالصه نصف درهم بدینار .

### الصف الثامن

#### القيروذج

وهو حجر نحاسي يتكون في معادن النحاس من الأبخرة الصاعدة منها ، إلا أنه  
لا يوجد في جميع معادن النحاس ؛ ومعدنه الذي يوجد فيه يتساقط ، ومنه يجلب  
إلى سائر البلدان ؛ ومنه نوع آخر يوجد في نساور إلا أن النيسابوري خير منه .

وهو ضربان : بسحاق<sup>(١)</sup> وختيجي ؛ والخالص منه المتبق هو البسحاق ؛

وأجوده : الأزرق الصافي اللون ، المشرق الصفاء ، الشديد الصقالة ، المستوى الصبغ ؛ وأكثر ما يكون فصوصا ؛ وذكر الكندي أنه رأى منه حجرا زنته أوقية ونصف .

ومن خاصته : أنه يصفو بصفاء الجو ويكثر بكدريته ؛ وإذا مسه الدهن أذهب حسنه وغير لونه ؛ والمروق يطفى لونه ، والمسك اذا باشره أفسده وأذهب حسنه ؛ وإذا وضع الفص الجيد منه إلى جانب ما هو دونه في الجودة أذهب بهجته ؛ وإذا وضع إلى جانب الدهن غلب الدهن على لونه فأذهب بهجته ، ولو كانت الفص القيروزج في غاية الحسن والجودة .

ومن منافعه : أنه يحلو البصر بالنظر إليه ؛ وإذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب . وقيمته تختلف باختلاف الجودة اختلافا كثيرا فربما كان الفصان منه زنتهما واحدة وثمن أحدهما دينار وثمن الآخر درهم .

وبالجملة : فاختلجى الجيد على النصف من البسحاق الجيد .

قال التيفاشي : وأهل المغرب أكثر الناس له طلبا وأشتهم في ثمنه مغالاة ، وربما بلغوا بالفص منه عشرة دنانير مغربية ، ويحرصون على التحتم به ، وربما زعموا أنه يدخل في أعمال الكيمياء .

(١) في مفردات ابن اليطار : ستياني ، ولعل ما في الأصل تصحيف .

## الصنف التاسع

### التَّعْجُ

وقد ذكر أرسطوطاليس : أنه أيضا حجر ثَمَامِيّ يتكوّن في معادن النحاس يرتفع من أبحرتها وينعقد ، لكنه لا يوجد في جميع معادن كَرْمَانَ وِجِسْتَانَ من بلاد فارس . قال : ومنه ما يؤتى به من غاربى سُلَيْم من بركة المغرب ، في مواضع أخرى كثيرة . وأجود أنواعه أربعة : وهى الافرنديّ ، والهنديّ ، والكَرْمَانِيّ ، والكركيّ ، وأجوده في الجملة الأخضر المشبع الخضرة ، الشبيه اللون بالزُّمُرْد ، معزق بخضرة حسنة ، فيه أَهْلَةٌ وعبون بعضها من بعض حسان ؛ وأن يكون صلباً أملس يقبل الصّقالة . ومن خاصته في نفسه : أن فيه رخاوة بحيث إنه إذا صنع منه آنية أو نُصِبَ للسكاكين وممرت عليه أعداد سنين ، ذهب نوره لرخاوته وأُخِل ، ولذلك إذا حُكَّ أُنْحَك سريعاً ، وإذا خرط خرزا أو أواني أو غير ذلك كان في خرطه سهولة ، وإذا قع في الزيت أشتدت خضرته وحسن ، فإن غُفِلَ عنه حتى يطول لُبُّهُ في الزيت مال إلى السواد .

ومن منافعه : أنه إذا مسح به على مواضع لدغ العقرب سكنه بعض السكون ؛ وإذا سحق منه شيء وأذيب بالخل وذلك به موضع القوبة الحادثة من المِرَّة السوداء أذهبها .

ومن عجيب : خواصه أنه إذا سقى من مُخَالَته شارب سَم فعمه بعض النفع ؛ وإن شرب منه من لم يشرب سماً كان سماً مفراطاً يُنْقِطُ الأُمعاء ، ويُطَهِّرُ البدن ، ويحدث فيه سماً لا يبرأ سريعاً ، لا سيما إذا حُكَّ بمحديدة ؛ ومن أمسكه في فيه ومصه

(١) في مفردات ابن اليطاريزاء ، وهى أوضح .

أضر به . وقيمته أن الأفریدی الخالص منه كل مثقال بمثقالين من الذهب، ويوجد منه فصوص وغيرها . وقد ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي: أنه رأى منه صحيفةً تسع ثلاثين رطلا .

## الصف العاشر

### البلور

قال بلينوس : وهو حجر يورقي وأصله اليونانية إلا أنه فعلت به أعراض عن بلوغ رتبة الياقوت ؛ وقد اختلف أصحابنا الشافعية رحمهم الله في نقاسته على وجهين : أحدهما أنه من الجوهر النفيس كالياقوت ونحوه ؛ والثاني أنه ليس بنفيس لأن نقاسته في صناعته لا في جوهره .

ويوجد بأماكن منها برية العرب من أرض الحجاز وهو أجوده، ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دونه ، ومنه ما يكون ببلاد الفرنجة وهو في غاية الجودة، ومنه معادن توجد بأرمينية تميل إلى الصفرة الزجاجية .

وقد ذكر التيفاشي : أنه ظهر في زمنه معدن منه بالقرب من مرأش من المغرب الأقصى إلا أن فيه تشعيرا، وكثر عندهم حتى فرش منه الملك المغرب مجلس كبير، أرضا وحيطانا . ونقل عن بعض التجار : أن بالقرب من غزنة من بلاد الهند على مسيرة ثلاثة عشر يوما منها ينثا وبين كاشغر جبلين من بلور خالص مطلقين على واد بينهما، وأنه يُقطع في الليل لتأثير شعاعه إذا طلعت عليه الشمس بالنهار في الأعين .

وأجوده : أصفاه وأقواه وأشقه وأبيضه وأسلمه من التشعير، فإن كان مع ذلك كبير الحجم — آنية أو غيرها — كلان غاية في نوعه .

وقد ذكر الكندي : أن في البلور قطعا تخرج كل قطعة منه من المثلث أكبر من مائة من . ونقل التيفاشي : أنه كان بقصر شهاب الدين الفوري صاحب غزنة أربع خوابٍ للاء كل خابية تسع ثلاث رَوَايا ماء على حاملٍ من بلور ، كل محل ما بين ثلاثة قناطير الى أربعة ، وذكر أيضا أنه رأى منه صورة ديك غروط من صنعة الفرنج اذا صب فيه الشراب ظهر لونه في أظفار الديك .

ومن خاصيته : ما ذكره أفرسطس الحكيم أنه ينوب بالنار كما ينوب الزجاج ويقبل الصَّيغ .

ومن خاصته أيضا : أنه اذا استقبل به الشمس ووجه موضع الشعاع الذي يخرج منه الى خِرْقَةٍ سوداء احترقت وظهر فيها النار .

ومن منافعه : أن من تختم به أو علقه عليه لم يرمم سوء . وقيمته تختلف بحسب كِبَرِ آتيته وصغرها وإحكام صنعها .

قال التيفاشي : وبالجملة فالقطعة التي تحمل<sup>(١)</sup> منه رطلا إذا كانت شديدة الصفاء سالمة من التشعير، تساوي عشرة دنانير مصرية .

### الصنف الحادى عشر

#### المرجان

وهو حجر أحمر في صورة الأحجار المتشعبة الأغصان؛ ومعدنه الذى يتكون فيه بموضع من بحر القلزم بساحل إفريقية، يعرف بمرسى الخرز، ينبت بقاعه كما ينبت النبات، وتعمل له شباك قوية متقلبة بالرصاص، وتدار عليه حتى يلتف فيها، ويجذب

(١) مراده : وزن ولكنه كثيرا ما يستعمل بعض لغات العامة .



جذبا عنيفا فيطَّلُع فيها المَرْجَان . وربما وجد ببعض بلاد التِّرْيَمَّة إلا أن الأكبر والأكثر والأحسن بمرسى الخرز؛ ومنه يحلب الى بلاد المشرق .

ولأهل الهند فيه رغبة عظيمة ؛ وإذا استخرج حك على مِسْنِ الماء ؛ ويحل بالسُّبَّاذَجِ المصجون بالماء على رُخَامَةٍ فيظهر لونه ويمسح ؛ ويثقب بالفولاذ أو الحديد المسقى .

وأجوده ما عظم حرِّمه ، وأستوت قَصَبَاتِه ، وأشتدت حُرْمَتِه ، وسَلِمَ من التسويس — وهو خروق توجد في باطنه حتى ربما كان منه شيءٌ خالٍ كالْعَقْلَمِ — وأردؤه : ما مال منه إلى البياض أو كثرت عُقْدُهُ وكان فيه تشطيب ، ولا سبل الى سلامته من العُقْدِ لوجود التشعب فيه ؛ فإن اتفق أن تَنَقَّعَ منه قطعة مُصَمَّتَةٌ مستوية لا عُقْدَ فيها ولا تشطيب كانت في نهاية الجَوْدَةِ .

وقد يوجد منه قِطْعٌ يَكَارِ فَتَحْمَلُ الى صاحبِ إِفْرِيقِيَّةَ فيعمل له منها دُيُوءٌ وأَنْصِبَةٌ سَكَكِينَ .

قال التيفاشي : رأيت منها عَجَبَةٌ طول شبر ونصف ، في عرض ثلاث أصابع ، وارتفاع مثلها بنطائشها في غاية الحمرة وصفاء اللون . وقد ذكر ابن الطوير في تاريخ الدولة الفاطمية بالديار المصرية وترتيبها : أنه كان لخلفاء الفاطميين دَوَاةٌ من المَرْجَانِ تُجَمَّلُ مع الخليفة إذا ركب في المواكب العظام أماناً رَاكِبَ على فرس ، كما سيأتى ذكره في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ومن خاصته في نفسه : أنه إذا أُلْقِيَ في الخل لَانَ وَأَبْيَضَ ، وإن طال مكثه فيه أَنَحَلَ ؛ وإذا أَخَذَ منه خَاتَمٌ أو غَيْرُهُ وَلَبَّسَ جميعه بالشمع ثم قش في الشمع بإبرة بحيث ينكشف حَرْمُ المَرْجَانِ وجعل في خل الخمر الحاذق يوما وليلة أو يومين

وليتين ثم أخرج وأزيل عنه الشمع ظهرت الكتابة فيه حَفراً بتأثير النحل فيه، وبقية الخاتم على حاله لم يتغير .

قال التيفاشي : وقد جربنا ذلك مرارا . ومتى ألقى في الدهن ظهرت حُمرة وأشرق لونها .

ومن منافعه فيما ذكره الاسكندر : أنه إذا علق على المصروع أو مَنْ به النَّعْرُسُ نفعه ؛ وإن أحرق وأسْتَنَّ به زاد في بياض الأسنان وقطع الحفر منها وقوى اللَّسَّة ؛ وطريق إحقاقه أن يحلَّ في كوز نِظَارٍ ويُطْلِنَ رأسه ويوضع في تَنُورٍ ليلة . وإذا سحق وشربه من به عسر البول نفعه ذلك ؛ ويحلل أورام الطحال بشره ؛ وإذا علق على المَعِدَّة نفع من جميع عللها كما في الزُّمْرَد ؛ وإذا أحرق على ما تقدّم وشرب منه ثلاثة دَوَاقٍ مع دَاقٍ ونصف صمغ عربيّ بياض البيض وشرب بماء بارد نفع من نَقَثِ الدَّم .

قال التيفاشي : وقيمته بإفريقية عَشِيَا الرطل المصري من خمسة دنانير إلى سبعة مَفْرِية ، وهي بقدر دينارين إلى ما يقاربهما من الذهب المصري ، وبالإسكندرية على ضِعْفَي ذلك وثلاثة أضعافه ؛ ومن أسكندرية يحمل إلى سائر البلاد ؛ ويختلف سعره بحسب قرب البلاد وبعدها ، وقلته ، وكثرته ، وصفره ، وجودته ، وردائه ، وحسن صنعه .

## الصف الثاني عشر

### البادزهر الحيواني

وهو حجر خفيف هَسّ . وأصل تكوُّنه في الحيوان المعروف بالأبَلِّ يخضوم الصين ؛ وإن هذا الحيوان هناك يأكل الحيات ، قد أعتاد ذلك غذاء له ، فيحدث عن ذلك وجود هذا الحجر منه على ماسياتي بيانه ؛ وقد اختلف الناس في أي موضع يكون

من هذا الحيوان، فقيل : إنه يتكوّن في مآقي عذيه من الدموع التي تسقط من عذيه عند أكل الحيات، ويربّي الجحر حتى يكبر فيحتك فيسقط عنه ؛ وقيل : يكون في قلبه فيصاّد لأجله ويذبح ويستخرج منه ؛ وقيل : في مرارته .

قال أرسطاطاليس : وله ألوان كثيرة منها : الأصفر والأخضر المشرب بالحمرة والمشب بالبياض . وأعظم ما يوجد منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل .

وأجوده : الخالص الأصفر الخفيف المشّ ؛ ويستدلّ على خلوصه بكونه ذا طبقات رفاق متراكبة كما في اللؤلؤ ؛ وبه قط خفية سود ؛ وأن يكون أبيض المحكّ مرّ المذاق .

قال التيفاشي : وكثيرا ما يُنشّ فتصنع حجارة صفار مطبقة من أشياء مجموعة تشبه شكل البادزهر الحيواني، ولكنها تميز عن البادزهر الحقيقي بأن المصنوع أغبر كمد اللون ساذج غير منقط ؛ والبادزهر الحقيقي الخالص : أصفر أو أغبر بصفرة فيه قط صفار كالشمس، وطبقاته أرق من طبقات المصنوع بكثير، وهو أحسن من المصنوع، وأهش وعحكه أبيض .

ومن خاصته في نفسه : أن احتكاكه بالأجسام الخشنة يخبثه ويغير لونه وسائر صفاته حتى لا يكاد يعرف . وقد ذكر التيفاشي : أنه كان معه حجر منه، فجعله مع ذهب في كيس وسافر به فاحتك بالذهب فتغير لونه وقص وزنه حتى ظن أنه غير عليه؛ وأنه ربطه بعد ذلك في خرقة وتركه أياما فساد في الصفة إلى ما كان، إلا أنه بقي على قصص ما ذهب منه .

ومن منافعه : دفع السموم القاتلة وغير القاتلة، حارة كانت أو باردة، من حيوان كانت أو من نبات؛ وأنه ينفع من عسّ الحوام ونهشها ولدغها؛ وليس في جميع

الأحجار ما يقوم مقامه في دفع السموم . وقد قيل : إن معنى لفظ بادزهر : النافى للسم ؛ فإذا شرب منه المسموم من ثلاث شعيرات إلى اثنتى عشرة شعيرة مسحوقة أو مسحولة أو محكوكة على الميرد بزيت الزيتون أو بالماء أخرج السم من جسده بالعرق؛ وخلصه من الموت . وإذا سحق وذرَّ على موضع النهشة جذب السم إلى خارج وأبطل فعله .

قال ابن جمع : وإن حُكَّ منه على مسنَّ في كل يوم وزن نصف دانيق وسقيته الصحيح على طريق الاستعداد والاحتياط قاوم السموم القتَّالة ولم تحش له غائلة ولا إثارة خلط . ومن تختم منه بوزن اثنتى عشرة شعيرة في قصَّ حاتم ثم وُضع ذلك القص على موضع اللدغة من العقارب وسائر الهوام ذوات السموم نفع منها نفعا بينا ؛ وإن وضع على فم الملدوغ أو من سقى سما نفعه .

قلت : هذه هي الأحجار النفيسة الملوكية التي تلتفت الملوك اليها وتعنى بشأنها ؛ أما غيرها من الأحجار كالبنفش ، والعقيق ، والجَزْج ، والمِفْتَاطِيس ، واليشم ، والسبع ، والأَزَوْرْد ، وغيرها مما ذكره المصنفون في الأحجار فلا أعتدَّادَ به ولا نظر إليه وذلك أهملت ذكره .

## النوع السادس

### نقيس الطيب

ويحتاج الكاتب إلى وصفه عند وصوله في هَدِيَّة وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعبر منه أربعة أصناف :

## الصنف الأول

### المسك

وهو أجملها . قال محمد بن أحمد التيمي المقدمي في كتابه "طبيب العروس" :  
وأصل المسك من دابة ذات أربع ، أشبه شيء بالظبي الصغير ، قيل : لها قرن واحد ،  
وقيل : قرنان ، غير أن له تابين رقيقين أبيضين في فكه الأسفل خارجين من فيه قائمين  
في وجهه كالخزير .

قال بعض أهل المعرفة بالمسك : وهو فضلٌ دموى يجتمع من جسمها إلى  
سرتها ، بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء في كل سنة في وقت معلوم ، فيقع الورم  
في سرتها ويجتمع إليها دم غليظ أسود فيشتد وجعها حتى تمسك عن الرمي وورود  
المياه حتى يسقط عنها .

ثم قيل : إن تلك الظباء تصاد وتذبح وتؤخذ سررها بما عليها من الشعر ، والمسك  
فيها دم عتيق ، وهي النواغ ، فإن كانت النافخة كثيرة الدم آكفتى بما فيها ، وإن  
كانت واسعة قليلة الدم زيد فيها من غيرها ، ويصب فيها الرصاص المذاب وتحاط  
بالخوص وتعلق في حلق مستراح أربعين يوما ، ثم تخرج وتعلق في موضع آخر حتى  
يتكامل جفافها وتشتد رائحتها ، ثم تُصير النواغ في مزاود صغار وتخيطنها التجار  
وتحملها ، وقيل : أنه ينبت لهذه الظباء حين يعرض لها هذا العارض بناءً كالمنازة  
في طول عظم الذراع لتأتي الظباء فتحك سررها بذلك البناء فتسقط النواغ ، حتى إنه  
يوجد في تلك المراغة ألوف من النواغ ما بين رطب وجامد .

ثم قيل : إن هذه الظباء توجد بمغازات بين الصين وبين التبت والصغد من بلاد  
الترك ، وإن أهل التبت يلتقطون ما قرب اليهم ، وقد قيل : إن المسك يحمل إلى التبت  
من أرض بينها وبين التبت مسيرة شهرين ؛

وبالجملة فإنه تختلف أسماء أنواعه باختلاف الأماكن التي ينسب إليها، إما باعتبار أصل وجوده فيها، وإما باعتبار مصيره إليها .

وأجوده في الجملة : ما طاب مرعى ظليه، ومرعى ظبائه النبات الذي يتخذ منه الطيب كالسنبيل ونحوه ؛ ولا يخفى أن بعض نبات الطيب أطيب رائحة من بعض، حتى يقال إن منه ما رائحته كرائحة المسك . وقيل أجوده : ما كمل في الطيب قبل ينوته عنه .

وقال أحمد بن يعقوب : وأجود المسك في الرائحة والنظر ما كان تفاحياً تشبه رائحته رائحة التفاح اللباني، وكان لونه يغلب عليه الصفرة، ومقاديره وسطا بين الحلال والرقاق، ثم ما هو أشد سوادا منه إلا أنه يقاربه في الرأي والمنظر، ثم ما هو أشد سوادا منه، وهو أذناه قدرا وقيمة . قال وبلغني عن تجار الهند : أن من المسك صنفين آخرين يُخفزان من نبات أرض : أحدهما لا يفسد بطول المكث، والثاني يفسد بطول المكث، والمشهور منه عشرة أصناف .

ونحن نوردنا على ترتيبها في الفضل مقدما منها في الذكر الأفضل فالأفضل على ما رتبته أحمد :

الأول : التبي - وهو ما حمله التجار من التبت إلى خراسان على الظهر لطيب مرعاه وحله في البر دون البحر .

الثاني : الصغد - وهو ما حمل من الصغد من بلاد الترك على الظهر إلى خراسان .

الثالث : الصين - وإنما قصت رتبته لأن مرعاه في الطيب دون مرعى التبي، ولما يلحقه من حفونة هواء البحر بطول مكثه فيه . وأفضل الصين : ما يؤتى به من خافو، وهي مدينة الصين العظمى، وبها ترمو مراكب تجار المسلمين، ومنها

يحمل في البحر إلى بحر فارس؛ فإذا قرب من بلد الأبلّة أرخت رانحته؛ وإذا خرج من المركب جادت رانحته وزهبت عنه رائحة البحر .

الرابع : الهندي - وهو ما يحمل من التبت إلى الهند ثم يحمل من الهند إلى الديبل ثم يحمل في البحر إلى سيراڤ من بلاد الصين، وعمّات من البحرين، وعدن من اليمن، وغيرها من النواحي؛ وسبب انحطاط رتبته عن الصينى وإن كان من جنس التبتى مع أنه أقرب مسافة من الصينى ما ذكره المسعودى : أنه إذا حل إلى الهند أخذه كفرة الهند فطغوه على أصنامهم من العام إلى العام ثم يبدّلونه بغيره؛ ويبيعه سدة الأصنام، فيطول مكثه على الأصنام تضعف رانحته؛ على أن محمد بن العباس قد فضل الهندي على الصينى لقرب مسافة حمله في البحر .

الخامس : القنبارى - ويؤتى به من بلد تسمى قنبارين الصين والتبت .

قال أحمد بن يعقوب : وهو مسك جيد إلا أنه دون التبتى في القيمة، والجوهر، واللون، والرائحة . قال : وربما غلطوا به فنسبوه إلى التبتى .

السادس : الطفرغزى - وهو مسك رزين يضرب إلى السواد، يؤتى به من أرض الترك الطفرغزى - وهم التتر - وهو بطيء السحق، ولا يسلم من الخشونة إلا أنهم ربما غلطوا به أيضا .

السابع : القصارى - ويؤتى به من بلد يقال لها القصارين الهند والصين .

قال ابن يعقوب : وقد يلحق بالصينى إلا أنه دونه في الجوهر والرائحة والقيمة .

الثامن : الجزيرى - وهو مسك أصفر حسن الرائحة، يشابه التبتى إلا أن

فيه زبارة .

التامع : الجليل - وهو مسك يؤتى به من السند من أرض الموليان، وهو كبير النوايح حسن اللون إلا أنه ضعيف الرائحة .

العاشر : العصارى - وهو أضعف أصناف المسك كلها وأدناها قيمة، يخرج من النابغة التي زتها أوقية زنة درهم واحد من المسك .

قلت : أما المسك الباري فإنه منسوب إلى دارين، وهي جزيرة في بحر فارس معدودة من بلاد البحرين ترسو إليها مراكب تجار الهند، ويحمل منها إلى الأقطار وليست بمعدن للمسك .

## الصف الثاني

### العنبر

قال محمد بن أحمد التيمي : والأصل الصحيح فيه أنه ينبع من صخور وعيون في الأرض ، يمتنع في قرار البحر، فإذا تكاثف اجتذبت الدهانة التي هي فيه على أقطانه من موضعه الذي تعلّق به ، وطافاً على وجه الماء وهو حار ذائب فتقطعه الرياح وأمواج البحر قطعاً بكراً وصغاراً فتري به الريح إلى السواحل ، لا يستطيع أحد أن يدنو منه لشدة حره وقوّارنه، فإذا أقام أياماً وضربه الهواء جمد ، فيجمعه أهل السواحل .

قال أحمد بن يعقوب : وربما ابتلته سمكة عظيمة يقال لها : ايكال وهو فائر فلا يستقر في جوفها حتى تموت فتطفو ويطرحها البحر إلى الساحل فيشق جوفها ويستخرج منها، ويسمى : العنبر السمكي، والعنبر المبلوع .

قال التيمي : وهو في لونه شبه بالنار، رديء في الطيب للسهوكة التي يكتسبها من السمك . قال : وربما طرح البحر القطعة العنبر فيصيرها طائر أسود كأنه طاب



فيرفرف عليها يمتاحيه ، فإذا سقط عليها ليختطف بمقاره منها تعلق مقاره ومخاليه بها فيموت ويبلى ويبقى مقاره ومخاليه فيها ، ويعرف : بالعبر المتأقيرى .

قال التيمي : ولأهل سواحل البحر التي يوجد بها العبر تجب ركوبها مؤذبة تعرف العبر ، يسبرون عليها في ليالى القمر على شاطئ البحر ، فإذا رأت العبر وقد نام رايكها أو غفل بركت بصاحبها حتى يتزل عنها فيأخذها .

قال التيمي : وألوان العبر مختلفة ، منها : الأبيض ، وهو الأشهب ، والأزرق ، والرمادى ، والجزازى ، وهو الأبرش ، والصفائح وهو الأحمر ، وهما أدنى العبر قدرا . قال : وأفضل العبر وأجوده ما جمع قوة رائحة وذكاء بغير زعارة .

قال أحمد بن يعقوب : وأنواع العبر كثيرة ، وأصنافه مختلفة ، ومعادنه متباينة ، وهو يتفاضل بمعادنه ويجوهره ، والذي وقفت على ذكره منه ستة أضرب :

الأول : الشحري — وهو ما يقذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن . قال : وهو أجود أنواع العبر ، وأرضه ، وأفضله وأحسنه لوناً ، وأصفاه جوهرًا وأغلاه قيمة .

الثانى : الزنجي — وهو ما يقذفه بحر البربر الآخذ من بحر الهند في جهة الجنوب إلى سواحل الزنج وما والاها .

قال التيمي : وزعم الحسين بن يزيد السيرافى أنه أجود العبر وأفضله ، ويؤتى به منها إلى عدن ، ولونه البياض .

الثالث : السلاطى — قال التيمي : وأجوده الأزرق الدسم الكثير الدخن ، وهو الذى يستعمل فى القنوالى .

الراجح : القاقليّ — وهو ما يؤقّى به من بحر قاقلة من بلاد الهند إلى عدن من بلاد اليمن ، وهو أشهبُ جيد الريح ، حسن المنظر خفيف ، وفيه يس يسير ؛ وهو دون السلاهطى لا يصلح للغوالى إلا عن ضرورة ؛ وهو صالح للذرائر والمكلسات .

انخامس : الهنديّ — وهو ما يؤقّى به من سواحل الهند الداخلة ، ويعمل إلى البصرة وغيرها ؛ ومنه نوع يؤقّى به من الهند يسمى : الكرك بالوس ، يأتون به إلى قرب عُمان تستريه منهم اصحاب المراكب .

السادس : المقرَّب — وهو ما يؤقّى به من بحر الأندلس فتحمله التجار إلى مصر ؛ وهو اردأ الأنواع كلّها ، وهو شبيه في لونه بالعنبر الشحريّ . قال التيمي . وبناظر به فيه .

قال التيمي : ومن العنبر صنف يعرف بالنديّ وتقل عن جماعة من أهل المعرفة أن دابة تخرج من البحر شبيهة ببقر الوحش فتلقيه من دبرها فيؤخذ وهو لين يمتدّ ، فما كان منه مذنب الرائحة حسن الجوهر فهو أفضله وأجوده . قال : وهو أصناف : أحدها الشحريّ وهو أسودّ فيه صفرة ، يتخضبُ البَد إذا لمس ، ورائحته كرائحة العنبر اليابس ، إلا أنه لا بقاء له على النار ، وإنما يستعمل في الغوالى إذا عزّ العنبر السلاهطى . ومنه : الزنجيّ وهو نظير الشحريّ في المنظر ودونه في الرائحة ؛ وهو أسودّ بنير صُفرة . ومنه : الخمرى وهو يتخضبُ اليد وأصول الشعر خضبا جيدا ، ولا ينفع في الطيب .

قلت : أما المعروف في زماننا بالعنبر مما يلبسه النساء فإنما يقال له : الندّ ، وفيه جزء من العنبر . قال في نهاية الأرب : وهو على ثلاثة أضرب :

الأول : المُثَلَّث — وهو أجودها وأعطرها ؛ وهو يركب من ثلاثة أجزاء : جزء من العنبر الطيب ، وجزء من العود الهندى الطيب ، وجزء من المسك الطيب .

الثانى — وهو دونه أن يجعل فيه من العنبر انحام الطيب عشرة مثاقيل ، ومن الندّ العتيق الجيد عشرة مثاقيل ، ومن العود الجيد عشرون مثقالا .

الثالث — وهو أدناها أن يؤخذ لكل عشرة مثاقيل من انحام عشرة مثاقيل من الندّ العتيق وثلاثون مثقالا من العود ، ومن المسك ما أحب .

### الصفى الثالث

#### العود

قال التيمى : أخبرنى أبى عن جماعة من أهل المعرفة أنه شجر عظامُ تنبت ببلاد الهند ، فنه ما يحطب من أرض قشيمير الداخلة ؛ من أرض سرّنديب ، ومن قسار ، وما اتصل بتلك النواحي ؛ وأنه لا تصير له رائحة إلا بعد أن يعتق ويُقشّر ؛ فإذا قشر وجفف حمل الى النواحي حيثئذ .

قال : وأخبرنى بعض العلماء به أنه لا يكون إلا من قلب الشجرة ، بخلاف ما قارب القشركا فى الأبنوس والمُنَاب ونحوهما من الأشجار التى داخلها فيه دهانٌ ، وما فى خارجها خشب أبيض ؛ وأنه يقطع ويقطع ظاهره من الخشب الأبيض ، ويدفن فى التراب سنين حتى تأكل الأرض ما داخله من الخشب ويبقى العود لا تؤثر فيه الأرض .

وحكى محمد بن العباس : أنه يكون فى أودية بين جبال شاهقة ، لا وصول لأحد إليها لصعوبة مسلكها ؛ فيتكسر بعض أشجاره أو يتعفن بكثرة السيول ليمتز الأزمان ، فتأكل الأرض ما فيه من الخشب ويبقى صميم العود وخالصه فتجزه السيول

وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْأُودِيَةِ إِلَى الْبَحْرِ فَيَقْطَعُهُ الْأُمُوجُ إِلَى السَّوَاوِلِ ، فَيَلْقِطُهُ أَهْلُ السَّوَاوِلِ وَيَجْمَعُونَهُ فَيَبْعُونَهُ .

ويقال : إنه يَأْتِي بِهِ قَوْمٌ فِي الْمَرَاكِبِ إِلَى سَاحِلِ الْهِنْدِ فَيَقْفُونَ عَلَى الْبَعْدِ بِحَيْثُ لَا تَرَى أَشْخَاصَهُمْ ، ثُمَّ يَطْلُبُونَ لَيْلًا فَيَضَعُونَهُ بِفَرْصَةِ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ الْبِلَادِ نَهَارًا فَيَضَعُونَ بِلَازَاتِهِ بَضَائِعَ وَيَتْرَكُونَهَا إِلَى اللَّيْلِ ، فَيَأْتِي أَصْحَابُ الْمَوَدِّ قَرْنٌ أَعْجَبَهُ مَا بِلَازِئِهِ مَتَاعَهُ أَخَذَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ ؛ فَيَزِيدُونَهُ حَتَّى يُعْجِبَهُ فَيَأْخُذَهُ ؛ كَمَا يَحْكِي فِي السُّمُورِ وَغَيْرِهِ فِي سَاكِنِي أَقْصَى الشَّامِ .

وَأَجُودُ الْعُودِ مَا كَانَ صُلْبًا ، رَزِينًا ، ظَاهِرَ الرُّطُوبَةِ ، كَثِيرَ الْمَائِيَةِ وَالذَّهْنِيَةِ ، الَّذِي لَهُ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، وَغَلِيَانٌ ، وَبَقَاءٌ فِي الثِّيَابِ .

أَمَّا اللَّوْنُ فَأَفْضَلُهُ : الْأَسْوَدُ ، وَالْأَزْرَقُ الَّذِي لَا بَيَاضَ فِيهِ ؛ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَفْضَلُ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَزْرَقِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْضَلُ الْأَزْرَقَ عَلَى الْأَسْوَدِ .

وهو على ثمانية عشر ضربا :

الأَوَّلُ : الْمَنْدَلُ — نَسَبُهُ إِلَى مَعْدِنِهِ ؛ وَهُوَ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : الْمَنْدَلُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ .

قال محمد بن العباس الخشبي : وهو أرفع أنواع العُودِ وَأَفْضَلُهَا وَأَجُودُهَا وَأَبْقَاهَا عَلَى النَّارِ وَأَعْبَقَهَا بِالثِّيَابِ ؛ عَلَى أَنَّ التُّجَّارَ لَمْ تَكُنْ تَجْتَلِبُهُ فِي الْجَاهِلِيَةِ وَإِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَلَا تَرْغَبُ فِي حَمَلِهِ لِلرَّارَةِ فِي رَائِحَتِهِ إِلَى أَنْ دَخَلَ الْحُسَيْنُ بْنُ بَرْمَكٍ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ هَارِبًا مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَرَأَى الْعُودَ الْمَنْدَلُ فَاسْتَجَادَهُ وَرَغِبَ التَّجَارَةَ فِي حَمَلِهِ ؛ فَلَمَّا غَلِبَ بَنُو الْعَبَّاسِ عَلَى بَنِي أُمِيَّةَ ، وَحَضَرَ بَنُو بَرْمَكٍ إِلَيْهِمْ وَقُرْبُوهُمْ ؛ دَخَلَ الْحُسَيْنُ

أَبْن بَرْمَكْ يَوْمَا عَلَى الْمَنْصُورِ فَرَأَهُ يَتَجَرَّبُ الْعُودَ الْقَهَّارِيَّ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّ عِنْدَهُ مَا هُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ، فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهِ، فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهِ فَأَسْتَحْصَنَهُ، وَأَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْهِنْدِ بِجَمَلِ الْكَثِيرِ مِنْهُ، فَاشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ وَعِزَّ مِنْ يَوْمِئِذٍ، وَأَحْتَمَلَ مَا فِيهِ مِنْ مَرَارَةِ الرَّاحَةِ وَزَعَارَتِهَا، لِأَنَّهَا تَقْتُلُ الْقَمَلَ وَتَمْنَعُ مِنْ تَكُونِهِ فِي الثِّيَابِ<sup>(١)</sup>.

الثاني : الْقَاهِرُ وَفِيَّ — وَهُوَ مَا يَحْلِبُ مِنَ الْقَاهِرُونَ، وَهُوَ مَكَانٌ مَرْتَفِعٌ مِنَ الْهِنْدِ. وَقِيلَ الْقَاهِرُونَ : أَسْمٌ لِشَجَرٍ مِنْ شَجَرِ الْعُودِ، وَهُوَ أَغْلَى الْعُودِ ثَمَنًا وَأَرْفَعُهُ قَدْرًا.

قال التيمي : وهو قليل لا يكاد يُحْلِبُ إِلَّا فِي بَعْضِ الْحِينِ، وَهُوَ عُودٌ رَطْبٌ جَدًّا، شَدِيدٌ سَوَادِ اللَّوْنِ، وَزَيْنٌ، كَثِيرُ الْمَاءِ.

وذكر الحسين بن يزيد السيرافي : أَنَّهُ رَجَا خَتَمَ عَلَيْهِ فَأَنْطَبَجَ وَقِيلَ انْخَلَمَ لِلْيَنَةِ. قَالَ : وَيَكُونُ فِيهِ مَا قِيَمَةُ الْمَتِّ مِنْهُ مِائَتًا دِينَارًا.

الثالث : السَّمَنْدُورِيَّ — وَهُوَ مَا يَحْلِبُ مِنْ بِلَادِ سَمَنْدُورٍ، وَهِيَ بِلَدٌ مُسَفَّالَةٌ الْهِنْدِ، وَيُسَمَّى لِطَبِيبِ رَاحَتِهِ : رَيْحَانُ الْعُودِ، وَبَعْضُهُ يَفْضَلُ بَعْضًا. قَالَ التيمي : وَتَكُونُ الْقِطْعَةُ الضَّخْمَةُ مِنْهُ مِثْلًا وَاحِدًا.

الرابع : الْقَهَّارِيَّ — وَهُوَ مَا يَحْلِبُ مِنْ قَهَّارٍ، وَهِيَ أَرْضٌ مُسَفَّالَةٌ الْهِنْدِ، وَبَعْضُهُ يَفْضَلُ بَعْضًا أَيْضًا، وَتَكُونُ الْقِطْعَةُ مِنْهُ نِصْفَ رطلٍ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ.

الخامس : الْقَاقِلِيُّ — وَهُوَ مَا يَحْلِبُ مِنْ جَزَائِرِ بَحْرِ قَاقِلَةٍ، وَهُوَ عُودٌ حَسَنُ اللَّوْنِ، شَدِيدُ الصَّلَابَةِ دَسِمٌ، فِيهِ رَيْحَانِيَّةٌ نَحْمَرَةٌ، وَلَهُ بَقَاءٌ فِي الثِّيَابِ إِلَّا أَنْ قُتِرَ بِهِ رِيحُهُ رُبَّمَا تَغَيَّرَ عَلَى النَّارِ فَيَنْبَغِي أَلَّا يُسْتَقْصَى إِلَى آخِرِهِ.

(١) في الأصل : تَوْنُهُ وَهُوَ تَصْغِيرُ.

السادس : الصَّنِيَّ — وهو ما يجلب من بلد يقال لها؛ الصَّنَف ببلاد الصين : وهو من أحلى الأعواد وأبقاها في الثياب .

قال التيمي : ومنهم من يفضلُه على القاقِلِّ ويرى أنه أطيب وأعقب وآمن من القُتَار ، وربما قدّموه على القَهَارِي أيضا . قالوا : وأجود الصَّنِيَّ الأسود الكثير الماء، وتكون القطعة منه مَنَّا وأكثر وأقل . ويقال : إن شجره أعظم من شجر الهندى والقَهَارِي .

السابع : الصندفوري — وهو ما يجلب من بلاد الصندفور من بلاد الصين ؛ وهو دون الصَّنِيَّ ، ويقال : إنه صِنْفٌ منه ولذلك كانت قيمته لاحقة بقيمته ، وفيه حسن لون وحلاوة رائحة ، ورزانة ، وصلابة ؛ إلا أنه ليس بالقَطْع الجار .

الثامن : الصَّنِيَّ — ويؤتى به من الصين ؛ وهو عود حسن اللون ، أول رائحته تشاكل رائحة الهندى إلا أن قُتَارَه غير محمود ؛ وتكون القطعة منه نصف رطل وأكثر وأقل .

التاسع : القطعى — وهو عود رطب حلويات الرائحة ، وهو نوع من الصَّنِيَّ .  
العاشر : القصور — وهو عود رطب حُلُوطِيَّ الرائحة ؛ وهو أعذب رائحة من القطعى إلا أنه دونه في القيمة .

الحادى عشر : الكلهى — وهو عود رطب يَمْضَغ ، وفيه زَعَارَةٌ ، وشدة مرارة للدّهانة التى فيه ؛ وهو من أعقب الأعواد في الثياب وأبقاها .

الثانى عشر : العولاتى — وهو عود يجلب من جزيرة العولات بنواحى قَسَار من أرض الهند .

(١) في ياقوت ؛ وهو من ردا العود لأمرك به وبين الخشب الا اليسير .

الثالث عشر : اللوقيني — وهو ما يجلب من لوقين ؛ وهي طرف من أطراف الهند وله نَمْرَةٌ في الثياب إلا أنه دون هذه الأعواد في الرائحة والقيمة .

الرابع عشر : المسنطائي — وهو ما يجلب من جزيرة ما نطاء ؛ وقيمه مثل قيمة اللوقيني ، وهو خفيف ليس بالحسن اللون .

قال أحمد بن العباس : وهو قطع كبار ملس لا عُقْدَ فيها ، إلا أن رائحته ليست بطيبة وإنما يصلح للأدوية .

الخامس عشر : القندغلي — ويؤتى به من ناحية كَلَه وهي ساحل الزنج — وهو يشبه القماري إلا أنه لا طيب رائحته .

السادس عشر : السمولي — وهو عود حسن المنظر فيه نَمْرَةٌ وله بقاء في الثياب .

السابع عشر : الرانيجي — وهو عود يشبه قرون الشيران ، لا ذكاء له ، ولا بقاء في الثياب .

الثامن عشر : المحرم — سمي بذلك لأنه قد وقع بالبصرة فشك الناس في أمره ، فحزمه السلطان ومنعه فسمى المحزم ؛ وهو من أدنى أصناف العود .

وجعل بعضهم بين الصنفي والقافلي صنفا يقال له : العطل يؤتى به من الصين ، وهو عود صلب خفيف حسن المنظر إلا أنه قليل الصبر على النار . وقد ذكر أحمد ابن العباس بعد ذلك أصنافا من العود ليست بذات طائل .

منها : الأفليق — وهو عود يؤتى به من أرض الصين ، يكون في العظم مثل خشب الرانيجي التلاط يباع المن منه بدينار وأقل وأكثر ؛ والعود الطيب الريح

(١) الذي في معجم البلدان لياقوت : أنها كُورَة ، وأما كَهْ فقد قال : إنها فرضة بأندلس .

في قشوره ، وداخله خشب خفيف مثل الخلاف ، وإذا وضع على الحجر وجد له في أوله رائحة حلوة طيبة ؛ فإذا أخذت النار منه ظهرت منه رائحة رديئة كرائحة الشعر .

## الصنف الرابع

### الصننل

وهو خشب شجري يؤتى به من سفالة الهند ؛ وهو على سبعة أضرب :

الأول : المقاصيرى — وهو الأصفر ، الدسم ، الرزين ، الذى كأنه مسح بالزعفران الذكى الرائحة .

وآخلف في سبب تسميته بالمقاصيرى فقليل : نسبة إلى بلد تسمى : مقاصير ؛ وقيل : إن بعض خلفاء بنى العباس آخذ لبعض أمهات أولاده ومحاطيه مقاصير منه ؛ وهو شجر عظام يُقطع رطباً ؛ وأجوده ما أصفر لونه وذكت رائحته ولم يكن فيه زقارة .

قال التيمى : وهو يدخل في طيب النساء الرطب واليابس ؛ وفي البرميكات ، والمثلثات ، والذرائر ؛ ويتخذ منه قلائد ، ويدخل في الأدوية ؛ ويقال : إن صاحب البن الآن يعمل له منه الأبرّة ، وإنه يأمر بقطع ما يحمل منه من البن إلى غيرها من البلاد قطعاً صفاراً حتى لا يكون منها ما يعمل سريراً لغيره من الملوك .

الثانى : الأبيض منه الطيب الريح — وهو من جنس المقاصيرى المتقدم ذكره لا يخالفه في شئ ، إلا في البياض ؛ ويقال : إن المقاصيرى هو باطن الخشب وهذا الأبيض ظاهره .



الثالث: الجوزى — وهو صُلب العود أبيض، يَضْرِبُ لونه الى السُمرة، ويؤتى به من موضع يقال له: الجَوْزُ؛ وهو طيب الرائحة إلا أنه أضعف رائحة من الذى قبله .  
الرابع : الساوس ويقال : الكاوس — وهو صندل أصفر طيب الرائحة إلا أن رائحته زعارة؛ ويستعمل فى الذرائع، والمثلثات، فى الطيب والبخورات .

الخامس : يضرب لونه الى الحمرة — وهو على نحو من الذى قبله .

السادس : صندل جعد الشعرة — لا بساطة فيه اذا شقق بل يكون فيه تجعبد كما فى خشب الزيتون ؛ وهو أذكى أصناف الصندل إلا أنه لا يستعمل فى شيء سوى البخورات والمثلثات .

السابع : أحمر اللون — وهو خشب حسن اللون ، ثقیل الوزن لا رائحة له ، إلا أنه تتخذ منه المنجورات والمخروطات كالنوى وقطع الشطرنج ونحوها مع ما يدخل فيه من الأعمال الطيبة .

قلت : هذا ما يحتاج الكاتب الى وصفه من أصناف الطيب النفيسة مما يهدى أو يرد هدية، ويمر ذكره فى مكاتبات الملوك؛ أما ما عدا ذلك من أصناف الطيب كالسُبُل، والقرنفل، والكافور، فليس من هذا القيل .

### النوع السابع

ما يحتاج الى وصفه من الآلات، وهى أصناف :

#### الصنف الأول

#### الآلات الملوكة

ويحتاج الكاتب الى وصفها عند وصف المواكب الخفيفة التى يركب فيها

السلطان، وهى عتة آلات :

١- منها : الخاتم - بفتح التاء وكسرهما - وحكى فيه ابن قتيبة والجوهري وغيرهما خِتَامٌ وَخَاتَمٌ ، وهو ما يجعل في الإصبع من الخي ، وهو مأخوذ من الختم ، وهو الطبع ؛ سمي بذلك لأنه يختم بنقشه على الكتب الصادرة عن الملوك . وسيأتى في الكلام على ختم الكتب : أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى بعض ملوك الأعاجم ف قيل له : إنهم لا يقرءون كتابا غير مختوم ، فأتخذ خاتما من ورق وجعل نقشه "محمد رسول الله" وأقتدى به في ذلك الخلفاء بعده ؛ ثم توسعوا فيه إلى أن جعلوا للكتب طابعا مخصوصا وأفردوا له ديوانا سموه "ديوان الخاتم" وأقتنى الملوك أثرهم في ذلك ، ثم غلب بمملكتنا وما ناهزها الاكتفاء في المكتبات باللباق ، وصار أسم الخاتم مقصورا على ما يعمل في الإصبع خاصة سواء كان فيه نقش أم لا ؛ وصارت الملوك إنما تلبس الخواتم بفصوص الجواهر من اليواقيت ونحوها تتجلا ؛ وربما بثت بها في تأمين الخائف علامة للرضا عليه والصفح عما جناه وأقرفته .

٢- ومنها : المنديل بكسر الميم ، وهو منديل يُجعل في المتطقة المشدودة في الوسط مع الصولقي وغيره ؛ ثم جرى اصطلاح الملوك على البحث به في الأمانات كما تقدم في الخاتم .

والمنديل : آلة قديمة للوك ؛ فقد حكي أنه كان للأفضل بن أمير الجيوش أحد وزراء الفاطميين مائة بذلة معلقة على أوتاد من ذهب ، على كل بذلة منها منديل من لونها ، ولم يكن المنديل من آلات الخلافة بل إنما كان من آلاتها البردة على ما سيأتى ذكره في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

ومنها : التخت ، ويقال له : السرير ؛ وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب ؛ ولم يزل من رسوم الملوك قديما وحديثا ، روضة لمكان الملك في الجلوس عن غيره حتى لا يساويه غيره من جلسائه ؛ وقد أخبر تعالى في كتابه العزيز أنه كان لسليمان عليه

السلام كرسى بقوله : (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) ورأيتُ في بعض التواريخ أنه كان له كرسى من عاج مُقَشَّى بالذهب .

ثم هذه الأسيرة تختلف باختلاف حال الملوك، فتارة تكون من أبنية رخام ونحوه، وتارة تكون من خشب، وتارة من فُرُش محشوة متراكبة؛ وقد حكى أنه كان للملك الفرس سرير من ذهب يجلسون عليه، وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو أمير مصر يجلس مع قومه على الأرض غير مرتفع عليهم، ويأتيه الموقوس ومعه سرير من ذهب، يجلس معه على الأيدي، فيجلس عليه فلا يمنعه عمرو من ذلك، إجرأ له على عاداته في الملوك فيما قيل، لما عقده له من الذقة وأخذ معه من العهد .

ومنها : المِظْلَةُ، وأسمها بالفارسية : الجتر - بنون بين الجيم والزاي المعجمة - ويسمونها العامة الآن بالقبة والطير؛ وهي قبة من حرير أصفر، تجعل على رأس الملك، على رأس رمح بيد أمير يكون راجلاً بجذاء الملك، يُظَلُّ بها حالة الركوب من الشمس في المواكب العظام؛ وسيأتى ذكرها في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية . وهذه الدولة في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

ومنها : الرِّقْبَةُ، وهي لباس لرقبة فرس السلطان من حرير أصفر، قد طُرِزَت بالذهب الزركش حتى غلب عليها وصار الحرير غير مرئى فيها، تشد على رقبة فرس الملك في المواكب العظام لتكون مضاهية لما يركب به من الكنبوش الزركش المنقطى لظهر الفرس وكعله .

ومنها : الفناشِيَّة، وهي غاشية سرج من أديم غمروزة بالذهب، يظنها الناظر كلها ذهباً، يلقبها على يديه يميناً وشمالاً .

ومنها : الجفناه، وهي قرصان أشبهان قريباً الشبه، برقتين من زركش، وعدة تضاهي عدة مركوب السلطان كأنهما معدتان لأن يركبهما السلطان، يملوهما مملوكان

من الممالك السلطانية قريبي الشبه أيضا ، على رأس كل منهما قُبعة من زَرَكَش مشابه للآخر .

ومنها : **الْمِنْطَقَةُ** — بكسر الميم — وهى ما يشد في الوسط ، وعنها يعبر أهل زماننا بالحِصَاة ؛ وهى من الآلات القديمة ؛ فقد روى : أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه كان له **مِنْطَقَةٌ** . وهذه الآلة قد ذكرها في " التعريف " في الآلات الملوكية ؛ على أن ملوك الزمان لم تجر لهم عادةً بَشْدَ **مِنْطَقَةٍ** ، وإنما يُلْبِسُهَا الملكُ للأُمراء عند إلباسهم **الِنَلَعِ** والشاريف ؛ وهى تختلف بحسب اختلاف الرتب ، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بالفضوص ، ومنها ما ليس كذلك .

ومنها : **الأعلام** ؛ وهى الرايات التى تُجَلُّ خلف السلطان عند ركوبه ؛ وهى من شعار الملوك القديمة ؛ وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخذُ لأُمراء سراياه الرايات عند بعثها ؛ ثم قد يعبرُ عن بعضها بالعصائب جمع **عِصَابَةٍ** ؛ وهى الألوية ، أخذًا من عصاية الرأس ؛ لأن الراية **تَعْصِبُ** رأس الرمح من أعلاه ؛ وقد يعبر عنها بالسَّاجِق جمع **سَنَجِقٍ** . والسَّنجِق باللفظة التركية معناه الطعن ؛ سميت الراية بذلك لأنها تكون في أعلى الرمح ؛ والرمح هو آلة الطعن يسمى بذلك مجازا .

ومنها : **الطُّبُول** ؛ ويقال لها : **الدَّيَادِبُ** ، **والبُوقَاتُ** ، والزمر المعروف بالصهان الذى يُضْرَبُ به عَشِيَّة كل ليلة بباب الملك وخلفه إذا ركب في المواكب ونحوها ، وهى المعبر عنها **بِالطُّبْلَخَانَةِ** ؛ وهى من شعار الملوك القديم .

وقد ذكر في " مسالك الأبصار " : أن الطبل في بلاد المغرب يختص ضربه بالسلطان دون غيره من كل أحد كما سيأتى ذكره في الكلام على مملكة المغرب في المسالك والممالك إن شاء الله تعالى .

والسرفها لإرهاق العدو وتخذيله كما كتب به أرسطو في كتاب "السياسة" للإسكندر، أو تقوية النفوس وتشجيعها على الحرب كما قاله الفزائى رحمه الله في "الإحياء"، وكلما كثرت أعدادها كان أنغم لشأن الملك وأبلغ في رفعة شأنه . وقد حكى أن دبابدب الإسكندر كانت أربعين حملا .

قلت : وقد ذكر في "التعريف" من جملة الآلات الملكية البوابة، والقلم، والمِرْمَلَةُ ؛ ولا يخفى أنها بالآلات الكُتَّاب أليق وإن كان السلطان لا يستغنى عنها ؛ وسيأتى الكلام عليها في الكلام على آلات الكتابة من هذه المقالة إن شاء الله تعالى .

## الصنف الثانى

### آلات الركوب ؛ وهى عدة آلات

منها : السرج — وهو ما يقعد فيه الراكب على ظهر الفرس ؛ وأشكال قوابله مختلفة ؛ ثم من السرج ما يكون مُغَشًى بالذهب ، وهو مما يصلح للولوك .

ومنها : ما يكون مغشًى بالفضة البيضاء ؛ وكل منها قد يكون منقوشا وقد يكون غير منقوش ، ومنها ما يكون بأطراف فضة ، ومنها ما يكون سادجا .

ومنها : الخِجَام — وهو الذى يكون في فَكَّ الفرس يمنة من الخِجَاح ؛ وقوابله أيضا مختلفة ؛ ثم منها ما يكون مطليا بالذهب ، ومنها ما يكون مطليا بالفضة ، ومنها ما يكون سادجا ، ومنها ما يكون رأسه وجنباه محلى بالفضة ، ومنها ما يكون غير محلى .

ومنها : الكنبوش — وهو ما يستربه مؤخر ظهر الفرس وكَفَلُهُ ؛ وهو تارة يكون من الذهب الزركش ، وتارة يكون من الخنايش ؛ وهى الفضة الملبسة بالذهب ، وتارة يكون من الصوف المرقوم ؛ وبه يركب القضاة وأهل العلم .

ومنها : السباعة بالمذ — وهى التى تقوم مقام الكنبوش .

ومنها : المِهْمَازُ — وهو آلة من حديد تكون في رِجْلِ الفارس ، فوق كعبه ، فوق الخلف وما في معناه ؛ ومؤخره يصبح مَحْدُّ الرأس إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت في المشي أو جئت في العدو ؛ وهو تارة يكون من ذهب محض ، وتارة يكون من فضة ، وتارة يكون من حديد مَعْلَى بالذهب أو الفضة ؛ وقد اعتاد القضاة والعلماء في زماننا تركه .

ومنها : الكُور — وهو ما يَقْعُد فيه الراكب في ظهر النجيب ؛ وهو الهجين ، والعرب تسميه : الرَّحْل ؛ ثم قد يكون مقدّمه ومؤخره مغنّى بالذهب أو الفضة ، وقد يكون غير مغنّى .

ومنها : الزَّام — وهو ما يُقَاد به النّجيب ، وَيَضْبُطُ به الراكب كما يَضْبُطُ الفارس الفرس بالعنان .

ومنها : الرِّكَابُ — وهو ما تجمل فيه الرَّجُلُ عند الركوب ، وكانت العرب تعتاده من الجلد والخشب ، ثم عُدل عن ذلك إلى الحديد .

قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وأول من آتخذه من الحديد المَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ؛ وكانت رُكْبُ العرب من خَشَب فكان الفارس يَصُكُّ<sup>(١)</sup> الراكب بركابه فيوهن مِرْقَقَه .

ومنها : السُّوط — وهو ما يكون بيد الراكب يَضْرِبُ به الفرس أو النجيب ، وأهل زماننا يعبرون عنه بالمِقْرَعَة لأنه يُقْرَع به المركوب إذا تقاعس ؛ وهو بدل من القضيب الذي كان للفقهاء على ما سيأتى ذكره في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

### الصننف الثالث

#### آلات السفر؛ وهى علة آلات

منها : المِخْفَةُ — بكسر الميم — وهى تَحْمِلُ على أعلاه قُبَّةٌ، وله أربعة سواعد : ساعدان أمامها وساعدان خلفها، تكون مغطاة بالجوخ تارة وبالحرير أخرى، تَحْمِلُ على بغلين أو سيرين يكون أحدهما فى مقدمتها والآخر فى مؤخرتها؛ إذا رَكِبَ فيها الراكب صار كأنه قاعد على سرير، لا يلحقه ارتجاج؛ وقد جرت عادة الملوك والأكابر باستصحابها فى السفر خشية ما يَعرِضُ من المرض .

ومنها : المِحْمَلُ — بكسر الميم الأولى ويضع الثانية<sup>(١)</sup> — وهو آلة كالمِخْفَةِ إلا أنه يحمل على أعلى ظهر الجمل بخلاف المِخْفَةِ فإنها تحمل بين جملين أو بغلين .

ومنها : القَوَانِيس — جمع قَانُوس — وهى آلة كُرِيَّة ذات أضلاع من حديد، مغطاة بخرقه من رقيق الكتان الصافى الأبيض، يتخذ للاستضاءة بفوز الشمعة فى أسفل باطنه فيشرف عن ضوئها؛ ومن شأنها أن يحمل منها آتنان أمام السلطان أو الأمير فى السفر فى الليل .

ومنها : المشاعل، جمع مَشْعَل؛ وهى آلة من حديد كالقَفَص مفتوح الأعلى، وفى أسفلها حرقه لطيفة، توقد فيه النار بالحطب فيسط ضوءه؛ يحمل أمام السلطان ويحوى فى السفر ليلا أيضا .

ومنها : الخِيَام، جمع خِيَمَةٍ؛ ويقال لها : الفُسْطَاط والقُبَّة أيضا؛ وهى بيوت تتخذ من نِزَق القطن الغليظ ونحوه، تحمل فى السفر لوقاية الحر والبرد؛ وكانت العرب تفضلها من الأديم، وقد آمنت الله تعالى عليهم بذلك فى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ .

(١) ضبطه فى القاموس والصحاح : كهلبيس؛ ولعل ما فى الأصل لغة ثانية نظرا لكونه آلة .

والمملوك نَتَاهِي فِي سَعَمَهَا ، وَنَتَاهِي بِكِبَرِهَا . وَسَيَأْتِي فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ  
الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِ خُلَفَائِهِمْ خَيْمَةٌ تَسْمَى : الْقَاتُولُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ  
قَرَأَهَا مِنَ الْفَرَاشِينَ وَقَعَ مِنْ أَعْلَى عَمُودِهَا فَهَاتَ لَطُولَهُ .

ومنها : الْخُرْكَاهُ ، وَهِيَ بَيْتٌ مِنْ خَشَبٍ مَصْنُوعٌ عَلَى هَيْئَةِ مَخْصُوصَةٍ وَيُسْتَقْبَلُ  
بِالْجُورْخِ وَنَحْوِهِ ، تَحْمِلُ فِي السَّفَرِ لَتَكُونَ فِي الْخَيْمَةِ لَلْبَيْتِ فِي الشِّتَاءِ لَوْ قَايَةِ الْبَرْدِ .

ومنها : الْقُقُورُ ، جَمْعُ قَدِيرٍ ، وَهِيَ الْآلَةُ الَّتِي يَطْبِخُ فِيهَا وَتَكُونُ مِنْ نَحَاسٍ غَالِبًا ،  
وَرُبَّمَا كَانَتْ مِنْ بَرَامٍ .

والمملوك نَتَاهِي بِكِبَرِهَا وَعِظَمِهَا ، لِأَنَّهَا مِنْ دَلَائِلِ كَرَمِ الْمَلِكِ وَكَثْرَةِ رَجَالِهِ ؛ وَقَدْ  
أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَا كَانَتْ الْجِنُّ تَعْمَلُهُ لَهُ مِنَ الْقُدُورِ  
بِقَوْلِهِ : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) .  
ومنها : الْأَتَافِي ؛ وَهِيَ الْآلَةُ الْمَثَلَةُ الَّتِي تَعْلَقُ عَلَيْهَا الْقُدْرُ عِنْدَ الطَّبِخِ ، وَتَكُونُ  
مِنْ حَلِيدٍ .

ومنها : النَّارُ الَّتِي يوقِدُ بِهَا لِلطَّبِخِ وَنَحْوِهِ ؛ وَقَدْ تَهَدَّمُ فِي الْكَلَامِ عَلَى نِيرَانِ الْعَرَبِ  
ذِكْرُ نَارِ الْقِرَى ؛ وَهِيَ نَارُ كَانَتْ تُرْفَعُ لِيَلَا لِيَرَاهَا الضَّيْفُ فَيَهْتَدِي بِهَا إِلَى الْحَيِّ .

ومنها : الْخِفَانُ ، جَمْعُ جَفَنَةٍ ؛ وَهِيَ الْآتِيَّةُ الَّتِي يَوْضَعُ فِيهَا الطَّعَامُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ  
فِي الْكَلَامِ عَلَى الْقُدُورِ أَنَّهَا مِمَّا كَانَتْ الْجِنُّ تَعْمَلُهُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا . وَقَدْ  
كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْتَخِرُ بِكِبَرِ الْخِفَانِ لِدَلَالَتِهَا عَلَى الْكَرَمِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعْشَى  
فِي مَدْحِ الْمُعَلَّقِ لَيْلَةً بَاتَ عَلَيْهِ :

تَمَى النَّامَ عَنْ آلِ الْمُعَلَّقِ جَفَنَةً \* بِكَأَيَّةِ الشَّيْخِ الْعِسْرَاقِيِّ تَهَنَّقُ

قِيلَ : أَرَادَ بِالشَّيْخِ الْعِرَاقِي كَسْرِي ، فَشَبَّهَ جَفَنَتَهُ بِجَفَنَتِهِ .



ومنها : حَيَاضُ الْمَاءِ ؛ وهى حِيَاضٌ من جلد تحمل فى السفر ليقى الماء فيها  
لسقى الدوابِّ ونحوها ؛ وكَبَرَقَتْهَا دليل على رِفْعَةِ قدر صاحبها ونظامته لدلائلها  
على كثرة دوابه ، واقساع عسكره .

### الصفن الرابع

آلات السلاح ؛ وهى عدة آلات

منها : السِّيفُ ؛ وهو معروف . وسيأتى فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة  
أنه مأخوذ من قولهم : سَافَ إِذَا هَلَكَ لَأنَّه به يقع الهُلُكُ .

واعلم أن السيف إن كان من حديد ذَكَرَ — وهو المعبَّر عنه بالفولاذ — قيل : سيف  
فُولَازٍ ، وإن كان من حديد أَثْبَى — وهو المعبَّر عنه فى زماننا بالحديد — قيل : سيف  
أَثْبِتْ ؛ فإن كان مُتْنُهُ من حديد أَثْبَى وحتاه من حديد ذكر كما فى سيوف الفِرْسِيَّةِ ،  
قيل : سيف مُدَّكَّرٌ . ويقال : إن الصاعقة إذا تزلت الى الأرض ورذت صارت  
حديدا ، وربما حفر عليها وأخرجت فطبت سيوفا ، فتجىء فى غايَةِ الحُسْنِ والمُضَاءِ .  
ثم إن كان عريض الصِّفِيح قيل له : صَفِيحَةٌ ؛ وإن كان محدقا لطيفا قيل له :  
قَضِيبٌ ؛ فإن كان قَصِيْرًا قيل : أَثْبَرٌ ؛ فإن كان قِصْرُهُ بحيث يحمل تحت الثياب  
ويُشْتَمَلُ عليه قيل : مِشْمَلٌ — بكسر الميم — فإن كان له حد واحد وجانبه الآخر  
جاف قيل فيه : مِصْمَامة — وبهذا كان يُوصَفُ سيفُ عمرو بن معدى كرب فارس  
العرب ، فإن كان فيه حُرُوز مستطيلة قيل فيه : قَقَارَاتٌ — وبذلك سُمي سيفُ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ذَا الْقَقَار" يروى أنه كان فيه سبع عشرة قَقَارَةً .

(١) هكذا فى الأصل ولعلها : مصحفه عن بردت .

(٢) لعله : مدقا . (٣) كذا بالأصل ، مصوابه مطبوعة كما فى المخصر والسابق .

ثم تارة ينسب السيف الى الموضع الذي طُبع فيه، فيقال فيما طبع بالهند: هِنْدِيٌّ ومُهَنْدٌ، وفيما طبع باليمن: يَمَانِيٌّ، وفيما طبع بالمشارف—وهي قُرَى من قُرَى العرب قرية من ريف العراق—قيل له: مَشَرَفِيٌّ؛ فإن كان من المعدن المسحق بَقَسَاسٍ؛ وهو معدن موصوف بجودة الحديد قيل له: قُصَاسِيٌّ .

وتارة ينسب السيف الى صاحبه كالسيف السُرْنِيحِيّ نسبة الى قَيْن من قُيُون العرب اسمه: سُرَيْح معروف عندهم بِحُسْن الصنعة . ويوصف السيف بالحَسَامِ، وهو القاطع؛ أخذنا من الحَسَمِ؛ وهو القِطْعُ، وبالصارم؛ وهو الذي لا ينبوعن الضريبة .

والناس يبالغون في تحلية السُيُوف فتارة تُرَصَّع بالجوهر، وتارة يُحْلَوْنَها بالذهب، وتارة يحلونها بالفضة؛ وإن كان الاعتبار إنما هو بالسيف لا بالحلية .

ومنها: الرُّنَحُ: وهو آلة الطعن . والرماح ضربان :

أحدهما: مُتَّخَذٌ مِنَ الْقَنَا؛ وهو قَصَبٌ مسدود الداخل، يَنْبُتُ ببلاد الهند يقال للواحدة منه: قَنَاءٌ، ويقال لمقاصلها: أُنَابِبُ، ولمُقَدَّها: كُؤُوبٌ؛ فإن كان قد نَشَأَ في نباته مستقيماً بحيث لا يحتاج الى تثقيب قيل له: الصَّعْدَةُ—بفتح الصاد وسكون العين المهملتين—وإن احتاج الى تقويم مقوم قيل له: مُثَقَّفٌ .

ويُوصَفُ القَنَا: بِالْخَطِّ—بفتح الخاء المعجمة—نسبة الى الخط؛ وهي بلدة بالبحرين تجلبُ اليها الرِّمَاح من الهند، وتنقل منها الى بلاد العرب، وليست تُنْبِتُ الْقَنَا كما تَوْهَّمه ابن أصبغ في أرجوزته المذهبة .

الثاني: مَا يُتَّخَذُ مِنَ الْخَشَبِ كالزَّانِ ونحوه، ويسمى: الزَّائِلُ—بالذال المعجمة

وكسر الموحدة—؛

ويقال للحديد الذى فى أعلى الرُخ : السَّنان، وللذى فى أسفله : الرُّج واليَقَب .  
ويُوصف الرُّخ : بالأشمر، لأن لون القنَّ السُّمْرُ، وبالسَّال ؛ وهو الذى يضطرب  
فى هزّه، وباللَّذن ؛ وهو اللّين، وبالسُّمهرى، نسبة الى بلدة يقال لها سَمَّهْرَة من  
بلاد الحبشة، وقيل الى السُّمهره ؛ وهى الصَّلابه .

ومنها : الطَّبَر ؛ وهو باللغة الفارسية الفأُس، ولذلك يسمّى السُّكَّر الصُّلب :  
بالطَّبَر زَد يعنى الذى يكسر بالفأس . والى الطَّبَر تنسب الطَّبَر داريّة — وهم الذين يحملون  
الأطبار حولَ السلطان — على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب المملكة فى المسالك  
والممالك إن شاء الله تعالى .

ومنها : السَّكين، وسيأتى ذكرها فى آلات الدَّواة فى الكلام على آلات الكتابة،  
وانما سميت سَكِينًا لأنها تُسَكِّن حركة الحيوان ؛ وتسمى : المَدْيَة أيضا لأنها تقطع  
مدى الأَجَل . وهذه الاشتقاقات أوّلَى بآلة الحرب من آلة الكتابة .

وحاصل الأمر أن السكين تختلف أحوالها بحسب الحاجة اليها، فتكون لكل  
شئ بحسب ما يناسبه .

ومنها : القَوْس، وهى مؤنثة . والقَيْسُ على ضربين :

أحدهما : العربية ؛ وهى التى من خشب فقط، ثم إن كانت من عُودٍ واحد  
قيل لها : قَيْصِب، وإن كانت من قَطين قيل لها : قَيْطى .

الثانى : الفارسية ؛ وهى التى تُرَكَّب من أجزاء من الخشب والقَرْن والعَقَب  
والغراء ؛ ولأجزائها أسماء يخص كل جزء منها اسمٌ ؛ فوضع إمساك الرامى من القوس  
يسمى : المَقْبِض ؛ ويجرى السهم فوق قَبِض الرامى يسمى : كَيْد القوس ؛ وما يُعْطَف  
من القوس يسمى : سِيَّة القوس ؛ وما فوق المَقْبِض من القوس ؛ وهو ما على

يُمَيِّنُ الرَّايَ يُمَيِّنُ : رَأْسَ الْقَوْسِ ؛ وَمَا أَسْفَلَهُ ؛ وَهُوَ مَا عَلَى إِسَارِ الرَّايِ يُمَيِّنُ : رَجُلُ الْقَوْسِ .

ومنها : النَّشَابُ ، وَالنَّبَلُ ؛ فَالنَّبَلُ مَا يَرْمِي بِهِ عَنِ الْقَيْسِ الْعَرَبِيَّةُ ؛ وَالنَّشَابُ مَا يَرْمِي بِهِ عَنِ الْقَيْسِ الْفَارِسِيَّةُ حَكَاهُ الْأَزْهَرِيُّ .

وَيَجْمَعُ الْوَتْرَ مِنَ السَّهْمِ يَسْمِي : الْفُوقَ ؛ حَدِيدُهُ يَسْمِي : النَّصْلَ ؛ وَالرِّيشُ يَسْمِي : الْقُدَّذَ ؛ وَالسَّهْمَ قَبْلَ تَرْكِيبِ الرِّيشِ يَسْمِي : الْقِدْحَ — بِكسر القاف وسكون الدال المهمله — .

ومنها : الْكَائِنَةُ ، وَيُقَالُ لَهَا الْجَعْبَةُ ؛ وَهِيَ بِكسر الكاف ، وَهِيَ ظَرْفُ السَّهَامِ ، وَتَكُونُ تَارَةً مِنْ جِلْدٍ وَتَارَةً مِنْ خَشَبٍ .

ومنها : الدَّبُوسُ ، وَيَسْمِي : الْعَامُودَ ؛ وَهُوَ آلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ذَاتُ أَضْلَاحٍ يَنْتَفَعُ بِهَا فِي قِتَالِ لَابِسِ الْبَيْضَةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ ؛ وَيُقَالُ إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِهِ كَانَ يُقَاتَلُ .

ومنها : الْمَصْبَا ؛ وَهِيَ آلَةٌ مِنْ خَشَبٍ تَفِيدُ فِي الْقِتَالِ نَحْوَ إِفَادَةِ الدَّبُوسِ .

ومنها : الْبَيْضَةُ ؛ وَهِيَ آلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ تَوْضَعُ عَلَى الرَّأْسِ لَوَقَايَةِ الضَّرْبِ وَنَحْوِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَرْسِلُ عَلَى الْقَفَا وَالْأَذَانِ ؛ وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ زَرْدٍ .

ومنها : الْمِغْفَرُ — بِكسر الميم ؛ وَهُوَ كَالْبَيْضَةِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ أَطْرَافًا مَسْدُولَةً عَلَى قَفَا اللَّابِسِ وَأُذُنَيْهِ ، وَرَبَّمَا جُلِّدَ مِنْهَا وَقَايَةً لِأَنْفِهِ أَيْضًا ؛ وَقَدْ تَكُونُ مِنْ زَرْدٍ أَيْضًا .

ومنها : الدَّرْعُ ؛ وَهُوَ جُبَّةٌ مِنَ الزَّرْدِ الْمَنْسُوجِ يَلْبَسُهَا الْمُقَاتِلُ لَوَقَايَةِ السِّيفِ وَالسَّهَامِ ؛ وَهِيَ تَذَكُّرٌ وَتَوْثِقٌ ؛ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَلِيَنَ لَهُ الْحَدِيدَ فَكَانَ يَعْمَلُ مِنْهُ الدَّرْعَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَلَيْنَا لَهُ الْحَدِيدُ أَنْ أَعْمَلَ سَاطِعَاتٍ ﴾

وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ . وَقَوْلِهِ : (وَعَلَّمَنَاهُ صَنَعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) ولذلك  
تنسب الدروع الفاتحة الى نَسِج داود عليه السلام .

ومن الدروع ما يقال لها : السَّلَوِيَّةُ ، نسبة الى سَلَوَق — قرية من قُرَى اَيمَن ؛  
وربما قيل : دُرُوع حَطُومِيَّةٌ — بضم الحاء المهملة — نسبة لحطوم رجل من  
عَبْدِ الْقَيْسِ .

وأعلم أن لبس العرب في الحرب كان الزرد ، أما الآن فقد غلب عمل القِرَقَلَاتِ  
من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض .

ومنها : التُّرْس ؛ وهو الآلة التي يتقى بها الضرب والرمي عن الوجه ونحوه ،  
وتسمى : الجُنَّة أيضا بضم الجيم أخذا من الاجتنان وهو الاختفاء ؛ وربما قيل  
لها : الجَنْجَفَةُ — بفتح الحاء المهملة والجيم — ثم هي تارة تكون من خشب ، وتارة  
تكون من حديد ، وتارة تكون من عِبدان مضموم بعضها الى بعض بخيط القطن  
ونحوه ؛ فإن كانت من جلد قيل لها : دَرَقَةٌ — بفتح الدال والراء المهملتين — .

## الصنف الخامس

آلات الحصار ، وهي عدة آلات

منها : المَنْجَنِيقُ — بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية  
وسكون الياء وقاف في الآخر — وحكى ابن الجواليقي فيه كسر الميم ، وحكى فيه  
منجوق بالواو وَمَنْجَمِيقُ بإبدال النون الثانية ميما ؛ وهو آسم أعجمي ، فإن الجيم  
والقاف لا يمتعان في كلمة عربية ، ويجمع على مجانيق ومناجيق .

(١) لعل زيادة الواو من تحريف الساخ . والصواب حَلَمِيَّة نسبة الى حَلَم رجل الح ؛ أنظر

اللسان والقاموس .

قال الجوهري : وأصله من رمى نيك وتفسيره بالعربية : ما أجودنى . قال ابن خلكان : تفسير من وتفسير جى : ايش ، وتفسير نيك : جيد .

قال ابن قتيبة فى كتابه "المعارف" وأبو هلال العسكري فى "الأوائل" : وهو آلة من خشب لها دقان قائمان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف ، وفيه تحمل كفة المتجنيق التى يعمل فيها الحجر ، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئا إلا أهلكه .

وأقل من وضع المتجنيق : جذعة الأبرش ملك الحيرة على العرب . وذكر الواحدى فى تفسير سورة الأنبياء : أن الكفار لما أضرموا النار لإحراق إبراهيم عليه السلام لم يقدروا على القرب من النار ليقتلوه فيها ، فجاءهم الأعين إبليس فلمهم وضع المتجنيق فعملوه وألقوه فيه فقتلوه به فى النار ، فكان أول متجنيق عمل .

وما يتحقق بالمتجنيق : الزيارات وهى اللوالب والحبال التى يجذب بها المتجنيق حتى يخطأ أصلاه ليرمى به الحجر .

ومنها : السهام الخطاية<sup>(١)</sup> وهى سهام عظام يرمى بها عن قسي عظام توتر بلوالب يمزجها ويرمى عنها فتكاد تحرق الحجر .

ومنها : مكاحل البارود وهى المدافع التى يرمى عنها بالنقطة وحالها مختلف : فبعضها يرمى عنه بأسم عظام تكاد تحرق الحجر وبعضها يرمى عنه بندق من حديد من زينة عشرة أطلال بالمصرى الى ما يزيد على مائة رطل ، وقد رأيت بالإسكندرية فى الدولة الأشرفية - شعبان بن حسين ، فى نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله - بها مدفعا قد صنيع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد رمى عنه

(١) لعله مصحف والذى يؤخذ من انحصص أن السهم الخطاى هو السهم العليظ الحاد فقل هذا منه كما يفيد التفسير به ، تأمل .

من المِيدَانِ بُنْدُقَةٌ من حديد عظيمة مُحَمَّاةٌ، فوقعتُ في بحر السلسلة خارج باب البحر، وهى مسافة بعيدة .

ومنها قوارير النَّقْطِ ؛ وهى قدور ونحوها يحصل فيها النَّقْطُ ويرى بها على الحصون والقلاع للإحراق ؛ على أن القوارير فى اللغة اسم للزجاج وإنما استعملت فى آلات النَّقْطِ مجازاً .

ومنها السناثر؛ وهى آلات الوقاية من الطوارق وما فى معناها مما يستبره على الأسوار والسفن التى يقع فيها القتال ونحو ذلك .

### الصنف السادس

آلات الصيد؛ وهى عدة آلات

منها قوس البُنْدُقِ — ويسمى الجُلَّاهِقَ — قوس يتخذ من القنأ ويلق عليه الحرير وينزى ؛ وفى وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البُنْدُقَةُ عند الرَّمْيِ .

ومنها الجراوة ؛ وهى آلة من جلد يحصل فيها البُنْدُقُ الطين الذى يرى به عن القوس المقدم ذكره .

ومنها الشبَّاكُ ؛ وهى آلة تُتخذُ تتخذ من خيطان وتصب لاختصاص الصيد، وكذلك تطرح فى الماء فيصاها بها السمك .

ومنها الزَّبَطَانَةُ<sup>(١)</sup> ؛ وهى آلة من خشب مستطيلة كالرَّحْجِ مجوفة الداخل يحصل الصائد بُنْدُقَةً من طين صغيرة فى فيه ، وينفخ بها فيها فتخرج منها بحدة فتصيب الطير قربه ؛ وهى كثيرة الإصابة .

(١) فى الأصل : الزربطانة، والتصحيح عن القاموس .

ومنها القنخ ؛ وهو آلة مقوسة لها دفتان تفتحان قسرا ، وتعاقدان في طرف  
شظاة ونحوها ، إذا أصابها الصيد انطبقت عليه .  
ومنها الصنابير ، جمع صنارة ؛ وهي حديدة معلقة بحدة الرأس يصاد بها  
السمك .

### الصف السابع

آلات المعاملة ؛ وهي عدة آلات

منها الميزان ؛ وهو أحد الآلات التي يقع بها تقدير المقدرات ، فالموازين قديمة  
الوضع قال تعالى : **زُيِّنَ لِلنَّاسِ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا  
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ؛ وأمر شعيب عليه السلام قومه بإقامة  
القسط بالوزن كما أخبر تعالى عنه بقوله : **(وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ)** .

قال أبو هلال العسكري : وأول من اتخذ الموازين من الحديد عبد الله بن  
عامر . قال : وأول من وضع الأوزان سمير اليهودي ، وذلك أن الحجاج ضرب  
الدراهم بأمر عبد الملك بن مروان ونهى أن يضربها أحد غيره ؛ فضربها سمير ،  
فأمر الحجاج بقتله لاجترأه عليه . فقال سمير : أما أدلك على ما هو خير للسلمين من  
قتلي ، فوضع الأوزان ؛ وزن ألف ونحماية وثلاثمائة الى وزن ربيع قيراط ، وجعلها  
حديدا قصفا عنه .

وكان الناس قبل ذلك انما يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به غيره ، وأكثروا  
يؤخذ عددا .

ومنها : الفرع ، مؤنثة ؛ وهي إحدى الآلات التي تقدر بها المقادير أيضا ، بها  
تقدر الأرضون ، ويقاس البر وما في معناه ؛ ولم يزل الناس قديما وحديثا يتعاملون بها



على اختلافها ؛ وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ( فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ) . وقد ذكر المأوردى في الأحكام السلطانية سبع أذرع : إحداها العُمريّة ؛ وهى الذراع التى قدرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمسح سواد العراق . قال موسى بن طلحة : وطولها ذراع وقبضة وإبهام . قال الحكم بن عتيبة : عمّد عمر رضى الله عنه الى أطولها ذراعا وأقصرها ذراعا ، بجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها وزاد عليها قبضة وإبهاما قائمة ، ثم ختم فى طرفها بالرصاص ، وبعت بذلك الى حُدَيْفَةَ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ فمسا بها السواد .

الثانية الهاشمية ، وتسمى الزِيَادِيَّة .

قال : وهى أربع وعشرون إصبعا ، كل إصبع سبع شعيرات مُعْتَدَلَاتٍ معترضات ظهراً لبطن ؛ كل شعيرة عرض سبع شَعَرَاتٍ من شعر الِيزْدُونِ ؛ وهذه الذراع التى يعتمدها الفقهاء فى الشرعيات ، وبها قدروا البريد المعتبر فى مسافة قصر الصلاة وغيرها ، وربما عبّروا عنها بذراع الملك ؛ وسميت بالهاشمية لأن أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس اعتبرها وميل بمقتضاها فى المساحة وتبعه سائر خلفائهم على ذلك ، وبنو العباس من بنى هاشم ؛ فنسبت الى بنى هاشم مَبَايِنَةً لِمَنْ تَقْتَضِيهِمْ من خلفاء بنى أُمِيَّة .

قال المأوردى : وتسمى الزِيَادِيَّة ، لأن زيادا مسح بها السواد أيضا .

الثالثة الْبِلَالِيَّةُ ؛ وهى أقصر من الهاشمية المقدم ذكرها ثلاثة أرباع عُشرها ؛ وإنما سميت الْبِلَالِيَّةُ لِأَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ هو الذى وضعها ، وذكر أنها ذراع جده أبى موسى .

الرابعة السَّوْدَاءُ ؛ وهى دون البلالية بإصبعين وثلاثى أصبع ؛ وأقل من وضعها الرشيد ، قدرها بذراع خادم أسود كان قائما على رأسه .

قال الماوردي : وهي التي يتعامل بها الناس في ذرع البز والتجارة والأبنة وقياس نيل مصر .

الخامسة اليوسيفية ؛ وهي دون الذراع السوداء بثلاث أصابع ؛ وأول من وضعها أبو يوسف صاحب أبي حنيفة .

قال الماوردي : وبها يذرع الفضاة الدور بقداد .

السادسة القصبه ؛ وهي أقص من الذراع السوداء بأصبع وثلاث أصابع ، وأول من وضعها ابن أبي ليلى القاضي .

قال الماوردي : وبها يتعامل أهل كوازي .

السابعة المهرانية ؛ قال الماوردي : وهي بالذراع السوداء ذراعان وثلاث ذراع ، وأول من وضعها المأمون ؛ وهي التي يتعامل بها في حفر الأنهار ونحوها .

ومنها : المقص — بكسر الميم — وهو الآلة المعروفة ، ويُنْتَفَعُ به في أمور مختلفة .

### الصف الثامن

#### آلات اللعب ؛ وهي عدة آلات

منها : النرد — بفتح النون وسكون اراء المهملة — وهو من حِكم الفرس ، وضعه أردشير بن بابك أول طبقة الأكاسرة ، من ملوكهم ، ولذلك قيل له : نردشير ، وضعه مثالا للعالم وأهلها ، فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة ، والمهاريك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر ؛ وجعل القصوص بمنابة الأفلاك ، ورميها مثل ثقلها ودورانها ، والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة ، كل وجهين منها سبعة ؛ وهي الشمس ويقابله اليك ، والبنج ويقابله النور ، والجهاز ويقابله الش ؛ وجعل

ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه ، وهو يعترف  
المهارة على ما جاءت به النقوش ، إلا أنه اذا كان عنده حُسن نظر عرف كيف  
يتألى ، وكيف يتجمل على القلب وقهر خصمه ، مع الوقوف عند ما حكمت به  
الفصوص كما هو مذهب الأشاعرة ، لكن قد وردت الشريعة بنقه ، قال صلى  
الله عليه وسلم : ” مَنْ لَبَّ بِالزُّدْشِيرِ فَكَأَنَّمَا غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ “ وفي رواية :  
” مَلْعُونٌ مَنْ لَبَّ بِالزُّدْشِيرِ “ . وفي تحريره عند أصحابنا الشافعية وجهان : أحدهما  
التحریم ، والثاني الكراهة . وإذا قلنا : حرام فالأصح أنه صغيرة ، وقيل : كبيرة .

ومنها : الشُّطْرَجُ<sup>(١)</sup> — بفتح الشين المعجمة أو السين المهملة لغتان ، والأولى منهما  
أنصح — وهو فارسيّ معرب ، وأصله بالفارسية شش رنگ ، ومعناه ستة ألوان وهي  
الشاه — والمراد بها الملك — والفرزان ، والفيل ، والفرس ، والأرغ ، والبيق .

ثم الشُّطْرَجُ من أوضاع حكاية الهند وحكيمهم . وضعه صمصم بن داهر الهندي  
لبلهيب ملك الهند مساواة لأردشير بن بابك في وضعه الترد ، وصرضه على حكاية  
زمانه فتمضوا بتفضيله ؛ ثم عررضه على الملك وعزّفه أمره ، فقال : أحتمك على ،  
فتمنى عليه عدد تضييف بيوته من قبة الى نهاية البيوت ، فاستصغره منه وأنكر  
عليه مواجهته بطلب تزييسير ؛ فقال : هذه طليقي ، فأمر له بذلك ، فحسبه أرباب  
دواوينه فقالوا لللك : إنه لم يكن عندنا ما يقارب القليل من ذلك ، فأنكر ذلك فأوضحوه  
له بالبرهان ، فكان إعجابه بالأمر الثاني أكثر من الأول .

قال ابن خلكان : ولقد كان في نفسى من هذه المبالغة شيء حتى أجمع في  
بعض حساب الإسكندرية ، فأوضح لي ذلك وبينه ؛ وذلك أنه ذكر أنه ضاعف  
(١) التي في القاموس أنه بكر الشين ولا يفتح آتله ، وفي لسان العرب أنت الكسرية أجود  
ليكون من باب جردل .

الأعداد الى البيت السادس عشر ، فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعائة وثمانية وستين حبة ، وقال : تجعل هذه الجملة مقدار قَدَحٍ ، ثم ضاعف السابغ عشر الى البيت العشرين فكان فيه وية ؛ ثم انتقل من الويات الى الأردب ، ولم يزل يُضَعِّفُهَا حَتَّى أَتَمَّى فِي الْبَيْتِ الْأَرْبَعِينَ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ إِرْدَبٍ وَأَرْبَعَةَ وَسَبْعِينَ أَلْفٍ إِرْدَبٍ وَسَبْعِائَةٍ وَأَتْنِينَ وَسِتِينَ إِرْدَبًا وَثَلَاثِينَ إِرْدَبًا ، وقال : هذا المقدار شونة ، ثم ضاعف الشُّونَ إِلَى بَيْتِ الْخَمْسِينَ فَكَانَتِ الْجُمْلَةُ أَلْفًا وَأَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ شُونَةً ، وقال : هذا المقدار مدينة ؛ ثم انه ضاعف ذلك البيت الى الرابع والستين ، وهو نهايتها ؛ فكانت الجملة ست عشرة ألف مدينة وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة ، وقال : تعلم أنه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد .

قال الصلاح الصَّفْدِيُّ فِي شَرْحِ اللَّامِيَةِ : وَأَخْرَجَ مَا اقْتَضَاهُ تَضْعِيفُ رَقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفٍ أَلْفٍ سِتِّ مَرَّاتٍ ، وَأَرْبَعِائَةَ وَسِتَّةً وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَسَبْعِائَةَ وَأَرْبَعَةَ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَثَلَاثَةَ وَسَبْعُونَ أَلْفًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَسَبْعِائَةَ وَتِسْعَةَ أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ ، وَخَمْسِائَةَ وَاحِدًا وَخَمْسُونَ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ حبة عددا .

قال الشيخ شمس الدين الأنصاري : إِذَا جُمِعَ هَذَا الْعَدَدُ هَرَمًا وَاحِدًا مُكَمَّبًا ، كَانَ طَوْلُهُ سِتِينَ مِيلًا ، وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ ، وَأَرْضَاعُهُ كَذَلِكَ ؛ بِالْمِيلِ الَّذِي هُوَ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ ذِرَاعٍ .

واللاعب بالشَّطْرَنْجِ مَبَاحٌ ؛ وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمَهْذَبِ" : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ الْإِمَامَ الْكَبِيرَ التَّائِبِيَّ الْمَشْهُورَ كَانَ يَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ عَنْ أَسْتِدْبَارٍ . وَمَنْ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي لَعِبِ الشَّطْرَنْجِ الصُّوْلِي ؛ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ صَوْلٍ تَكْنِيهِ الْكَاتِبُ . وَيُقَالُ : إِنَّ الْمَأْمُونُ كَانَ

لا يَجِدُ لَعَبَ الشَّطْرَنْجِ، فكان يقول : عَجَباً منى كيف أدَّبَ طُوكَ الأرض من الشرق إلى الغرب ولا أَحْسَنَ تَدْيِيرَ رَقْعَةِ ذِرَاعَيْنِ فِي ذِرَاعَيْنِ . ثم في حِلِّهِ عند أَحْجَابِنَا الشَّافِعِيَّةِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ أَحْمَرُ إِنَّهُ مَكْرُوهٌ، وَالثَّانِي أَنَّهُ مَبَاحٌ، وَالثَّالِثُ حَرَامٌ؛ فَإِنْ اقْتَرَنَ بِهِ رَهْنٌ مِنَ الْجَانَيْنِ أَوْ أَحَدُهُمَا فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ بِلَا تَرَاعٍ .

### الصنف التاسع

آلات الطرب؛ وهى عدة آلات

منها العُودُ؛ وهو آلة من خشبٍ مَحْرَقَةٌ، له عُنُقٌ ورأسه مُمَالٌ إلى خلقه، وهو آلة قديمة وتسميه العرب المِزْمَرَ — بكسر الميم — وهو أغر آلات الطرب وأرفعها قدرا وأطيبها سماعاً، حتى يقال إنه قيل له : هل يُسَمِعُ أَحْسَنُ مِنْكَ؟ فقال : لا، وأمال رأسه إلى خلقه فهى مِمَالَةٌ لِأَجْلِ ذَلِكَ .

ومنها الجَنْكُ، قال في "التعريف" : وهو آلة مُحَدَّثَةٌ طيبة النِّفْمَةِ، لذيق السماع يقارب العود في حسنه، وشكله مبين لشكل العود، ورأسه مِمَالٌ إلى أسفل؛ يقال إنه قيل له : هل يُسَمِعُ أَحْسَنُ مِنْكَ؟ فقال : نعم، يريد العود .

ومنها الرَّبَابُ — بفتح الراء — وهى آلة مَحْوُوفَةٌ مَرَكَبٌ عليها خُصْلَةٌ لطيفة من شعر مُتَوِّزٍ عليها بقوس وَتَرَةٌ من شعر فيسمع لها حِسٌّ طَيِّبٌ؛ وأكثر من يعانها العَرَبُ .

ومن أنواعها نوع يعبر عنه بالكَنْجَةِ لطيف القدر في تدوير، أطيّب حساً وأشهى من الرَّبَابِ .

ومنها الدَّفُّ — بضم الدال — وهو معروف، ثم إن كان بغير صُنُوجٍ — وهى المعبر عنها فى زمننا بالصرابير — حلَّ سماعه، أو بصُنُوجٍ فالأصح كذا .

ومنها : الشَّابَّةُ — بفتح الشين — وهى الآلة المتخذة من القَصَبِ المخوف ، ويقال لها : البرَّاع أيضا تسمية لها بأسم ما أُنْجِذَتْ منه ، وهى البراع يعنى القصب ؛ وربما عُبِّرَ عنها بِالْمِزْمَارِ العِراقِيّ ؛ وتصحيح مذهب الشافعى رضى الله عنه يختلف فيها ، فالرافى رحمه الله يميز سماعها والتَّوَيُّ يُمنع من ذلك .

### الصنف العاشر

المسكرات وآلاتها ؛ وهى عدة أشياء

منها الخمرُ ؛ وهى ما أُتخذ من عصير العنب خاصة ؛ وهى مُحَرَّمَةٌ بنص القرآن . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ وأبو حنيفة يبيحها للتداوى والعطش ، ولم يُنَجِّحْ عند الشافعية إلا لاساغة لقمة المفصوص خاصة ؛ وشاربها يحذّر بالاتفاق ؛ وحكم نجاستها تفليظا فى الزجر عنها ؛ وأباح أبو حنيفة المُثَلَّثَ : وهو ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، وقال بطهارته ، وجرى عند أصحابنا الشافعية وجه بالطهارة .

أما المتخذ من الزبيب والخمر وما شاكله فإنما يقال له نبيذ ؛ وقد ذهب الشافعى رضى الله عنه الى القول بتنجيسه والحدّ بشربه وإن لم ينته منه الى قدر يحصل منه سُكْرٌ ، ومنع أبو حنيفة الحدّ فى القدر الذى لا يُسْكِرُ .

ثم للخمر أسماء كثيرة باعتبار أحوال ، فسمّى الخمر لانّها تُخَمِّرُ العقل أى تغطيه ، والحُمَيَّا لانّها تُنمِّي الجسد ، والمُعَار لانّها تعافر الدنّ أى تطول مدتها فيه الى غير ذلك من الإسماء التى تكاد تتجاوز مائة .

ومنها الإبريق ؛ وهو الإناء الذى يُصَبُّ منه ؛ والإبريق فى أصل اللغة ماله نرطوم يصب منه .

ومنها القَدْحُ ، وهو إناء من زجاج ونحوه يصب فيه من الإبريق المقيم ذكره .  
ومنها الكَأْسُ ، وهو القَدْحُ بعد امتلائه ، ولا يسمى كأساً اذا كان فارغاً بل  
قَدْحاً كما تقدم .

ومنها الكُوبُ — باباء الموحدة — وهو الذى لا عُرْوَةَ له يمسك بها ، أما  
إذا كانت له عُرْوَةٌ فإنه يقال له كُوز بالزاي المعجمة .

قلت : والعَجَبُ من يُذهِب طيباته فى حياته الدنيا ، ويفوز بما وصّفه المראה  
وطبعه إزالة العقل الذى به تُدرَكُ الآلة ، ويفوت النعيم المقيم فى دار البقاء ! فقد  
ورد " أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يطعمها فى الآخرة " .

قال العلماء : إذا رآها ، لا يستهيا ولم تطلبها نفسه ، وقد وصف الله تعالى حال  
نهر الجنة بقوله : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّغْلَدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ  
لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفَرُونَ ﴾ وأنعى ذلك بكال النعمة فى قوله : ﴿ وَقَالِكُمَا يَمَّا  
يَتَغَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَرَاءً مِّمَّا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ .

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ! فلا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا .

ومنها : الحَيْشَةُ التى يأكلها سفلةُ الناس وأراذلهم ، وتسميها الأطباء بالشَّهْدَانِج ،  
وصبر عنها ابن البيطار فى فرداته بالقَنْبِ المنْدَرى ، وهى مذمومة شرذا ، مضرة  
طبا ، تُفسد المزاج ، وتؤثر فيه الجفاف وظلّة السوداء ، وتفسد الذهن ، وتورث  
مَسَاءَةَ الأخلاق ، وتَحْطُّ قدر متاعها عند الناس ؛ الى غير ذلك من الصفات الذميمة  
الاشكارة . وعلام الفاضى حُسَيْن يدل على أنه لا يحد متاعها وإن فسق ، فإنه قال :  
وغير الخمر مثل البَنجِ وجوز مائل والأفيون لا يحسد متاعه بحال ؛ بل إن تعبد

تساو له فسق به، وإن تناوله غلطاً أو لتداوى لم يُفسق؛ وقد أفرد ابن القسطلاني الحاشية بتصنيف سماه "تكملة المعبشة، في ذم الحاشية" ذكر الكثير من معانيها ومساوي متا عليها، أعاننا الله تعالى من ذلك .

### النوع الثامن

ما يحتاج الى وصفه الأفلاك والكواكب، وفيه مقصدان :

#### المقصد الأول

في بيان ما يقع عليه اسم الفلك وعدد أكره<sup>(١)</sup>، وما بين كل كرتين

وحركة الأفلاك في اليوم واليلة

أما ما يقع عليه اسم الفلك فالمراد بالأفلاك السموات . قال صاحب "مناجج الفكر" : توأطأت الأمم على تسمية أجرام السموات أفلاكا ، وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" : الفلك مدار النجوم الذي يضمها ، وأحج بقوله تعالى بعد ذكر النجوم : "وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" قال : وسمى فلكا لاستدارته ، ومنه قيل : فلكة المغزل لاستدارتها .

وأما شكل الفلك وهيئته ، فقد اختلف علماء الهيئة في ذلك : فذكر الأكثرون منهم أنها كرية لا مسطحة ، لأن أسرع الأشياء حركة السموات وأسرع الأشكال حركة الكرة لأنها لا تثبت على مكان من الأمكنة إلا بأصغر أجزائها .

وأما عدد أكره ، فقد ذكر الجمهور من علماء الهيئة أن الفلك عبارة عن تسع أكره متسقة ، ملتفة بعضها فوق بعض التناوب طبقات البصلة ، بحيث يماس محذب

(١) في القاموس الأكره لية في الكرة . وقد جمعها المؤلف على هذه اللفظة ، وفي اللسان : أن أكره جمع كرة مغلوب اللام الى موضع الداء فأنظره .



كلُّ كُرَّةٍ سَفَلَى مَقَرُّ كُرَّةٍ أُخْرَى عَلَيَا اذْ لَا خَلَاءَ بَيْنَهُمَا عِنْدَهُمْ . قالوا : وأقربُ هذه الأَكْرَى الى الأرضِ كُرَّةُ الْقَمَرِ ، ثم كُرَّةُ عَطَّارِدَ ، ثم كُرَّةُ الزُّهْرَةِ ، ثم كُرَّةُ الشَّمْسِ ، ثم كُرَّةُ الْمِرْيَخِ ، ثم كُرَّةُ الْمُشْتَرَى ، ثم كُرَّةُ زُحَلْ ، ثم كُرَّةُ الكواكبِ الثابتة ، ثم كُرَّةُ الْفَلَكَ الْأَطْلَسِ ، وسمى بالأطلس لأنه لا كواكب فيه ، ثم الْفَلَكَ الْحَيْطُ . ويسمى الْفَلَكَ الْكَلْ ، وفلكَ الْإِفْلَاقِ ، والفلكَ الْأَعْلَى ، والفلكَ الْأَعْظَمُ ، وحكى النوحى<sup>(١)</sup> في "كتاب الآراء والديانات" أن بعض القدماء ذهب الى أن كُرَّةَ الشمسِ أعلى من سائر كُرَّاتِ الكواكب ، وبعدها كُرَّةُ القمرِ ، وبعدها كُرَّةُ الكواكبِ المتحركة ، ثم كُرَّةُ الكواكبِ الثابتة . والمتفلسفون من الإسلاميين لما حكمت عليهم نصوص الكتاب والسنة بالاعتصار على ذكر سبع سموات ، زعموا أن الفلك الثامن من الأفلاك التسعة هو الْكُرْبِيُّ ، والفلك التاسع هو الْعَرْشُ . وذهب بعض القدماء من علماء الهيئة الى أن فوق الكُرَّةِ التاسعة كُرَّةٌ ناشئة هي المحركة لسائر الأَكْرَى . وذهب آخرون الى أن وراء نهاية الأجرام السماوية خَلَاءٌ لا نهاية له ، وذهب بعض الفلاسفة الى أن وراءها عالمُ الصورة ، ثم عالمُ النفس ، ثم عالمُ السياسة ، ثم عالمُ الْعِلَّةِ الْأُولَى ، ويعنون به البارئ تعالى عن الجهة . والصابئة يسمون هذه العوالم أَفْلَاقًا .

وأما ما بين كلِّ كُرَّتَيْنِ ، فذهب أهل الهيئة الى أنها مَرَاصَّةٌ لا خلاءَ بينها لكن قد ورد الشرع بما يخالف ذلك ، فطبق الْقُصَّاصُ من أهل الأرض الى أن بين كلِّ سماءَ وسماءَ تَحْسِمَاتُهُ سَنَةٌ ؛ وفي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ أن "بين كلِّ سماءَ وسماءَ واحدة أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنة" .

(١) أمهله في الأصل ولم نشر عليه بعد البحث . هو النوحى

وأما حركة الأفلاك اليومية، فإن الفلك الأطلس المتقدم ذكره يتحرك بما في ضمنه في اليوم واللييلة حركة واحدة دورية على قطبين مائلين بسميان قطبي العالم أحدهما عظمى تقطع هذا الفلك نصفين تسمى دائرة معدل النهار، لأن الشمس متى حلت بها اعتدل النهار في سائر الأقطار، وتقاطع هذه الدائرة دائرة أخرى متوهمة تقسم هذا الفلك نصفين على تقطين متقابلتين، يصير نصفها في شمالي معدل النهار ونصفها الآخر في جنوبيه، ويسمى منطقة البروج، وهذه الدائرة ترسمها الشمس بحركتها الخاصة في السنة الشمسية، ومن ثم قسمت أثنى عشر قسما ويسمى كل قسم منها برجاً.

### المقصود الثاني

في ذكر الكواكب ومحلها من الأفلاك؛ وهي على ضربين

#### الضرب الأول

##### الكواكب السبعة السيارة

وهي زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. ويتعلق القول بها من جهة مراتبها، وأشتقاق أسمائها، ومقادير أبعادها من الأرض، وقدر عطف كل كوكب منها.

فأما القمر، فماخوذ من القمرية وهي البياض، سمي بذلك لبياضه؛ وقد تقدم أن فلكه أقرب الأفلاك إلى الأرض؛ وهو المعبر عنه بالسماء الدنيا، ودوره ألف ومائة وخمسة وثمانون ميلاً؛ وهو جزء من تسعة وثلاثين جزءاً من الأرض؛ وبعده

(١) في المواظف للقريني - «و يقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين ... وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار» - قلل في عبارة الأصل سقطاً من النسخ وجر.

عن الأرض مائة ألف وسبعة آلاف وثمانمائة وتسعون ميلاً . وهو يسمى هلالاً  
الليلة الأولى والثانية والثالثة ؛ ثم هو قمرٌ إلى آخر الشهر . ويسمى في ليلة أربع عشرة :  
بالبدر ، قيل لمباذنه الشمس قبل الغروب ، وقيل : تمامه وأتملانه ، كما قيل  
لعشرة آلاف : بذرة لأنها تمام العدد ومنتهاه . ويسمى ليلة في آخر الشهر ، وربما  
أستسرى ليلتين فلا يرى بمعنى أنه يخفى فلا يرى ؛ ويسمى هذا الاختفاء السرار .

وأما عطاردٌ فعناه النافذ في الأمور ، ولذلك سمي الكاتب ؛ وهو في الفلك  
الثاني بعد فلك القمر ؛ ودور قمره سبعمائة وعشرون ميلاً ؛ وهو جزء من اثنين وعشرين  
جزءاً من الأرض ؛ وبعد ما بينه وبين الأرض مائتا ألف ونحسة آلاف وثمانمائة  
ميل .

وأما الزهرة فآخونة من الزاهر وهو الأبيض ، سميت بذلك لياضها ؛  
وهي في الفلك الثالث من القمر ، ودور قمرها ستة آلاف وسبعة وأربعون ميلاً ؛ وهي  
جزء من ستة وثلاثين جزءاً من الأرض ؛ وبمدها عن الأرض ثمانمائة ألف ونحسة  
وثلاثون ألفاً وستمائة وأربعة عشر ميلاً .

وأما الشمس فسميت بذلك لشبهها بالشمسة وهي واسطة التي في المحقة ،  
لأن الشمس واسطة بين ثلاثة كواكب سفلية ، وهي القمر وعطارد والزهرة ؛ وبين  
ثلاثة علوية ، وهي المريخ والمشتري وزحل ، وذلك أنها في الفلك الرابع من القمر ؛  
ودور قمرها مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلاً ؛ وهي مثل الأرض مائة وست  
وستون مرة وربع وثمن مرة ؛ وبعدّها عن الأرض ثلاثة آلاف ألف ونحسة آلاف  
وأثنان وتسعون ألفاً ومائة وثلاثة وأربعون ميلاً .

وأما المِرْيَحُ فماخوذ من المَرَجُ ، وهو شجرٌ تَحْتَكُ أغصانه فتورى النارُ ، فسمى بذلك لشبهه بالنار في أحمراره ، وقيل : المِرْيَحُ في اللغة هو السهم الذي لا ريشَ له ، والسهم الذي لا ريشَ له يلتوى في سيره ، فسمى النجم المذكور بذلك لكثرة التوائه في سيره ؛ وهو في الفلك الخامس من القمر ؛ وهو مثل الأرض مرةً ونصفاً ؛ وبُعْدُه عن الأرض ثلاثة آلاف ألف وتسعمائة ألف وأثنى عشر ألفاً وثمانمائة وستة وستون ميلاً .

وأما المُشْتَرَى فسمى بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن نفسه ، وقيل : لأنه نجم الشراء والبيع عندهم ؛ وهو في الفلك السادس من القمر ؛ ودَوْرُ قرصه أحد وتسعون ألفاً وتسعمائة وتسعة وسبعون ميلاً ؛ وهو مثل الأرض خمس وسبعون مرةً ونصف وثمن مرةً ؛ وبُعْدُه عن الأرض ثمانية وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف وثمانية وستون ألفاً ومائتا ميل .

وأما زُحَلُ فماخوذ من زَحَلَ إذا أبطأ ، سمي بذلك لبطئه في سيره ؛ وقد فُسِّرَ به بعض المفسرين قوله تعالى « النَّجْمُ الثَّاقِبُ » ودَوْرُ قرصه تسعون ألفاً وسبعمائة وتسعة عشر ميلاً ؛ وبُعْدُه عن الأرض ستة وأربعون ألف ألف ومائتا ألف وسبعمائة وسبعة وسبعون ميلاً ؛ وأهل المغرب يسمون زُحَلَ الْمُقَاتِلِ ، ويسمون المِرْيَحَ الأحمر ، ويسمون عَطَّارِدَ الكَاتِبِ .

والقُرْسُ يسمون الكواكب السبعة بأسماء بلغتهم ، فيسمون زُحَلَ كِيَوَانَ ، والمُشْتَرَى نير ، والمِرْيَحَ بهرام ، والشمس مهر ، والزُّهْرَةَ أناعيد ، وعطَّارِدَ هرمن ، والقمر ماه .

وأعلم أن لكل من هذه الكواكب السبعة حركتين :

أحدهما قسرية ؛ وهى حركته بحركة فلك الكل فى اليوم والليلة حركة ثامة ،  
وتسمى الحركة السريعة .

والثانية حركة ذاتية يتحرك فيها هو بنفسه من المغرب الى المشرق وتسمى  
الحركة البطيئة .

ويختلف الحال فيها بالسير باختلاف الكواكب ، فلكل واحد منها سير يخصه ؛  
وهذه الحركة فى القمر أين ل سرعة سيره ، إذ يقطع الفلك بالسير من المغرب الى  
المشرق فى كل ثمانية وعشرين يوما مرة . وقد مثل القدماء من الحكماء للحركتين  
المذكورتين بمثالين .

أحدهما بحركة السفينة براكبها الى جهة جريان الماء وتحرك الراكب فيها الى  
خلاف تلك الجهة .

والثانى تحرك نملة تدب على دُولاب الى ذات الشمال ، والدُولاب يدور الى  
ذات اليمين .

## الضرب الثانى

### الكواكب الثابتة

وهى الكواكب التى فى الفلك الثامن على رأى علماء الهيئة ، وسميت ثابتة لأنها  
ثابتة بمكانها من الفلك لا تتحرك من المغرب الى المشرق ، كما تتحرك السبعة السيارة ،  
إلا حركة يسيرة جدا ، وإنما تتحرك بحسب حركة فلك الكل بها من المشرق الى  
المغرب فى اليوم والليلة ؛ والذى يحتاج الى ذكره منها الكواكب المشهورة مما تُعترف به  
الأزمنة على ما تقدم ذكره ، أو ما يدخل تحت الوصف والتشبيه .

وهى ثلاثة أصناف :

## الصنف الأول

نجوم البروج التي تنقل فيها الشمس في فصول السنة

وهي اثنتا عشرة صورة في اثني عشر برجاً، بعضها من منازل القمر، وبعضها من صور أخرى جنوبيّة وشماليّة، وبعضها من كواكب متفرقة لا تنسب الى صورة .

الأول الحمل وهو الكبش ؛ وهو صورة كبش على خط وسط السماء مُقدّمه في المغرب ومؤخره للشرق ؛ وأول ما يطلّع منه هـ ؛ وهو الكوكب الجنوبي المنفرد من الكوكبين الشماليين من مفصل اليد من الشرطين ، وعلى قرنيه الكوكبان الجنوبيان المقتربان من الشرطين ، وعلى عينه اليمنى الكوكب الشمالي المضيء من الشرطين ، وعلى عينه اليسرى كوكب خفي بقرب الشمال من الشرطين ، وعلى تحيته آخر مثله ، وعلى مفصل يده الكوكبان الشماليان اللذان على عقيب الرجل اليسرى من الثريا ، وهو الذي زال له البطيئ ، ويده وسافاه ممتدان الى الشمال ، وكأنه إنما يظهر منه يد واحدة ورجل واحدة ، والثريا على طرف اليته .

الثاني الثور وهو صورة ثور على خط وسط السماء ، مُقدّمه الى المشرق ومؤخره الى المغرب ، وظهره الى الشمال ، ويده ورجلاه الى الجنوب ، وعلى مؤخره أربعة كواكب تسمى القطع أي هي موضع ذنبه المقطوع ، والدبران وجهه ، وركن الدبران فمه ، والكوكب المضيء الذي في الدبران عينه ، وكوكبان خارجان عن الدبران فردة قرنيه ، وقرنه الآخر كوكب متباعد عن الدبران نفسه الى الشمال ، وليس وجهه مستويا ولكنه شبهه بالمقطوع الذي جعل خذه على رأس عنقه ويده منحطان الى الجنوب ، ويظهر منه رجل واحدة ويدان ، وذنبه أتر ، واثريا خارجة عنه الى الشمال وكذلك اللطخة ، وهي ثلاثة أنجم تشبه الثريا بين الثريا والدبران وليستا من صورته .

الثالث التَّوَمُ : وهو المعبر عنه في أَلِسَةِ الناس بالجوزاء . قال الحسين بن يونس الحاسب في كتابه في "هيئة الصُّور الفلكية" : والناس مخطئون في ذلك وإنما الجوزاء هي الصورة المعروفة بالجبار في الصور الجنوبية ، وقدم التوَم الأيمن بعض كواكب الجبار التي على تاجه . قال : والتوَم على خط وسط السماء جَسَدَانِ ملتصقان برأسين ، يظهر لكل واحد منهما يد واحدة ورجل واحدة ، والرأسان في جهة المشرق ، ورجلاهما في جهة المغرب ، والذراع الشامي هو الرأسان ، ويده اليمنى وهي التي في جهة الشمال هي الذراع اليماني ، والمضىء من الذراع اليماني يسمى الشَّعْرَى الفُصَيْصَاء ، ويده اليسرى ممتدة الى التوابع .

الرابع السَّرَطَانُ : وهو صورة سَرَطَانٍ على وسط السماء ، رأسه الى الشمال ومؤخره الى الجنوب ؛ والنُّتْرَةُ على صدره ، وعيناه كوكبان خفيان تحت النثرة يُدْعَيَانِ بالحمارين وَزُبَانَاهُ كوكبان فيهما خفاء ، وأحدهما أضوأ من الآخر ، يكونان شماليين من التوَم ومؤخره كَفُ الأَسَد .

الخامس الأَسَد ، في وسط السماء ، فَمُّه مفتوح الى النُّتْرَةَ ، وعلى رأسه كواكب مضيفة ، والطَّرْف على عقه ، والجهة على صدره وقلبه الكوكب الجنوبي المضىء من النُّتْرَةَ ؛ وهو عظيم النور ، وكاهله كواكب خفية خارجة عن الطَّرْف والجهة الى الشمال والخراثان خاضرتيه ، والصَّرْفَةُ ذنبه ، وكَفُّهُ المتقدمة في آخر السَّرَطَان ، وكفه الأخرى بعد هذه الكف الى المشرق ، ورجله الأولى تخرج من الكوكب القبلي من الخراثين الى الجنوب ، والأخرى تحت هذه للمشرق ، وكبده كوكب يتوسط مع الجهة شمالي منها ، وسائر تقاراته الى المشرق .

(١) لعل الصواب اليمنى .

السادس العَدْرَاءُ في وسط السماء . قال حسين بن يونس : والعرب تسميها السُّنْبَلَةَ وهو خطأ ، وإنما هي حاملة السنبلة ، ورأسها في الشمال بيلة الى المغرب ويرجلها في الجنوب ؛ وهي مستقبلة المشرق وظهرها الى المغرب . قال : ورأسها كواكبٌ صفار مستديرة كاستدارة رأس الإنسان تكون جنوبية من كوكبي النحرَين ومتجاها أربعة كواكب تحت هذه الى الشرق ؛ وجناحها الأيمن ستة كواكب كهيئة الجناح .

السابع الميزان ، وهو صورة ميزان<sup>(١)</sup> ؛ كفتها الى جهة المشرق وقبها الى جهة المغرب ، والسمك الأعزل على قبها من الجهة اليمنى ومقابله كوكب آخر على قبها من الجهة الشمالية ، وكوكب آخر خارج من وسطها الى المغرب على علاقتها ، وهو على قصبة السُّنْبَلَةِ ؛ وكوكبان من النَفَرِ على محامله مع كواكبٍ أُخرى ؛ وزُبَانِيَا العقرب كِفَتَاهُ .

الثامن العقرب ، وهو صورة عَقْرَبٍ على وسط السماء ، رأسه في المغرب ، وذنبه في المشرق ، وإحدى رجليه في الجنوب ، والأخرى في الشمال ، والنَفَرُ على رأسه ، والزُّبَانِيَانِ اللذان هما كِفَتَا الميزان زُبَانِيَاهُ ، وعينه كوكبان خفيان فيما بينهما وبين الإكليل ، والإكليل على صدره ، والقلب هو قلبه ، ونِيَّاطُ القلب كوكبان خفيان والقلب في وسطهما ، وهو خارج عنهما الى الشمال ، والشُّوْلَةُ ذَنَبُهُ ، والكواكب التي على طرفها جهته ، وإبرته لَطَخَةٌ مستطيلة فيما بين الشُّوْلَةِ والنَّعَامِ الصادرة ؛ ففيه من منازل القمر خمسُ منازلٍ ، وهي النَفَرُ ، والزُّبَانِيَانِ ، والإكليل ، والقلب ، والشُّوْلَةُ ؛ وأظهر ما تكون صورةُ العقرب وهو على الأنف عند الغروب ؛ ففيه من منازل القمر ثلاثُ منازلٍ : الإكليلُ والقلبُ والشُّوْلَةُ .

(١) في الصباح « الميزان مذكر » فكل تأنيث المؤلف له باعتبار أنه صورة .



التاسع القوس، ويسمى الراى، ونجوم هذا البرج نصفه شبه فرس، وهو مؤخره الى جهة المغرب، ونصفه وجه إنسان تقوس وهو فى جهة المشرق، ورأسه فى الشمال ورجلاه فى الجنوب؛ والتعائم الواردة على وسطه، وهو على الجسد الذى يشبه بدن القوس، وذنبه يشبه لطفة مستطيلة مع كوكب صغير تحتها والكواكب <sup>(١)</sup> لعبان أى التعائم، والبلدة على مقيض القوس ويده اليمنى قابضة على رأس السهم، وهى كواكب تكون تحت لطفة صغيرة قرية منها .

العاشر الجدى: وهو صورة جدى مستلق على ظهره، مقدمه فى المغرب، ومؤخره فى المشرق، وظهره للجنوب ويده ورجلاه الى الشمال، وهو شبه بالمتقلب الى القوس وقرناه الى بطنه، وفه الى القوس، وليس له إلا يد واحدة، والكوكب الشمالى من سعد النابح أحد قريته، والجنوبى منه قرنه الآخر، وكوكب آخر خفى تحت سهم القوس غربى سعد النابح فله، وعلى كتفه سعد بلع، وعلى وركه سعد السعود، والمضى من سعد السعود حق وركه وشق الحوت الجنوبى على ظهره، وطرف يده ثلاثة كواكب مضيئة بقرب اللامح فيها خفاء، وطرف رجله الكوكب المسعى رأس الدلو .

الحادى عشر الدلو، وهو صورة رجل قائم بيده دلو، رأسه الى الشمال ورجلاه الى الجنوب، وظهره الى المشرق، ووجهه الى المغرب، والكواكب التى تسمى الحباء من سعد الأخبية رأسه، ويده اليسرى من فوق رأسه حتى تنزل الى الدلو الذى عن يمينه، وسعد الأخبية مرفقه الأيسر، وبطنه يسمى الجزة، ودلوه أربعة سعد من السعود السبعة التى ليست من منازل القمر، هى سعد نائشة، وسعد الملك، وسعد البهائم وسعد المانح؛ وكل سعد منها كوكبان، وعلى رجله اليسرى كوكب عظيم النور،

(١) كما فى المخطوط ولم يند إلى إيضاحه .

وعلى رِجله اليمنى كوكب أبيض يقرب في العِظَم من الذى قبله ، والْفَرَعُ المقدم خارج عن صورته الى الشَّمال .

الثاني عشر الحُوت : وهو صورة سمكتين إحداهما المِزْلَة التى تسميها أصحاب المنازل بطن الحُوت وهى شمالية ، والثانية جنوبية عنها وهى أطول منها وأخفى الكواكب ؛ والكواكب السبعة السَّيَّارة تُرسمُ الجنوبية منها بمسيرهن ، وشق السمكة الجنوبية ثلاثة من السُّعُود السبعة التى من غير منازل القمر هى سعد الهُمام وسعد البارع وسعد الماطر ، وليس الفَرَعُ المؤنث فى جسم الحوت بل خارج عنه الى الشَّمال والمغرب .

### الصف الثاني

نجوم منازل القمر التى ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه وهى ثمان وعشرون منزلة يداخل أكثرها صور البروج الاثنى عشر المتقدمة .  
الأولى الشَّرطان ، والشَّرطان ثنية شَرط ، وهو العلامة ، كأنه سمي بذلك لكونه علامة على طلوع الفجر عند طلوعه ، وتسمى أيضا النَطْع والناطع لأنها عند أصحاب الصور قرنا الجمل ، وهما كوجان تيران بينهما قاب قوسين ، أحدهما فى الشَّمال والآخر فى الجنوب الى الجانب الجنوبي ، ومنها كوكب ألطف منه يعدّ معه أحيانا ولذلك يسمّى بعضهم هذه المِزْلَة الأشراف على الجمع لا على الثنية ، وهذه الثلاثة الكواكب إذا ظهرت فى المشرق ظهرت كأنها مقلوبة منكسة ، وواحد منها أحمر مضى ، وتحته آخر خفى ، والثالث فى الشَّمال وهو أحمر مضى .

الثانية البُطَيْنُ، تصغير بطن، وإنما صُغِرَ فرقا بينه وبين بطن الحوت الآتى ذكره في جملة المنازل، والبُطَيْنُ ثلاثة كواكب مثل أُنَافِ القِدْرِ : وهى الشكل المثلث الذى ينصب عليه القِدْر عند الطبخ، وهى على القرب منها فى موضع بطن الحمل من الصورة، وواحد منها مضى وأثنان خيان، والخفيان يَطْلُمَان قبل المضى .

الثالثة الثُرَيَّا، ويسمى النجم علما عليها، وبه فسر قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ وهى ستة أنجم صغار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم، وهى فى شكل مثلث متساوى الساقين، وبين نجومها نجومٌ صغار جدًا كالرشاش، ومطلعا الى الشمال عن مطلع الشَّرَطَيْنِ والبُطَيْنِ، وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب العريض دون الأنفاذ منها، وهى عند أصحاب الصور بالقرب من حل ذَنَبِ الثور المقطوع . قال ابن يونس : وليست من صورة الثور، وبعضهم يسميها أَلِيَّة الحمل لقربها منه .

الرابعة الدَّرَبَانُ، ويسمى تَالِي النجم لكونه يطلع تَلَو الثُرَيَّا، وربما سُمى حَادِي النجم لذلك، ويسمى أيضا المَجْدَحَ وعَيْن الثور؛ وهذه المترلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال، واحد منها مضى، أحمر عظيم الثور، واسم الدَّرَبَات واقع عليه فى الأصل ثم غلب عليه وعلى باقى المترلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب الصور هى رأس الثور، وأول ما يطلع منه طرف الدال، ويكون رميها الى الجنوب وفتحها الى الشمال، والكوكب الأحمر المضى هو آخر ما يطلع منها، والعرب تقول للكوكبين القريين منه : كَلْبَاهُ، والباقي غَنَمُهُ، وربما قالوا : قِلَاصُهُ، ويقولون فى خرافاتهم : إن الدَّرَبَاتَ خطب الثُرَيَّا الى القمر فقالت : ما أصنع بِسُرُوتِ ؟ فساق اليها الكواكب المسماة بالقِلَاصَ مَهْرًا، فهربت منه فهو يطلبها أبدا، ولا يزال تابعا لها، ومن قَمَّ قالوا فى أمثالهم : «أَوْفَى من الحَادِي وأَعْدَر من الثُرَيَّا» .

(١) المراد بالحادى الدبران كما تقدم فى كلامه وكما يشير اليه قول الشاعر \* كما وفى قِلَاصِ النجم حاديا \* ووقع فى الأصل الجارى وهو تصحيف .

الخامسة الهَقْمَةُ ، سميت بذلك تشبيهاً بدائرة تكون في عُنُقِ الفرس ، وقد مر القول عليها في الكلام على أوصاف الخيل ؛ وهي ثلاثة كواكب محيية صفار تسمى الأثافي ، وهي على أعلى القدم اليسرى من التوهم المعبر عنه بالجوزاء .

السادسة الهَنَعَةُ ، وهي خمسة أنجم على شكل الصُّوْبُلْحَانِ ، أربعة منها على خط مستقيم ، الثالث منها يسمى قوسَ الجوزاءِ ، والخامس منعطف الى جهة الجنوب مقدار شبرٍ في رأى العين ، وسميت هَنَعَةً لانعطافها أخذاً من قولهم : هَنَعْتُ الشَّيْءَ إذا عطفتَه ، وبعضهم يسميها التحية ، وهي عند أصحاب الصُّوَرِ خلاف لأحد التوهمين المعبر عنهما بالجوزاء ، ويقال : الهَنَعَةُ قوس الجوزاء يرمى بها ذراع الأسد ، وقائل ذلك يزعم أنها ثمانية أنجم في صورة قوس من مقبضها النجان اللذان يقال لهما : الهَنَعَةُ ، وبعضهم يقول : إنَّ الهَنَعَةَ كوكبان مقترنان ، الشمالُ منهما أضوؤهما وحذاءهما ثلاثة كواكب تسمى التَّحَايِي وربما عدل القمر فقتل بها .

السابعة الذُّرَاعُ : وهي كوكبان : أحدهما نير والآخر مظلم ، بينهما قدر سوط في رأى العين ، وفيها بينهما كواكبٌ صفار تسميها العرب الأظفار ، وسميت هذه المترلة بالذراع لأنها عندهم ذراع الأسد وللأسد ذراعان ، مقبوضةٌ وفيها ينزل القمر وهي جنوبية ؛ وسميت مقبوضةً لأن الأخرى أرفع منها في السماء ، ولهذا سميت مبسوطةً ، وهي مظلها في الصورة ؛ وأصحاب الصُّوَرِ يحملون هذه الذراع في صورة الكلب الأصفر ، وربما عدل القمر عن المقبوضة فقتل بها .

الثامنة الثَّرَّةُ ، وهي لَطَحَةٌ كَقِطْعَةِ سحاب يحملها أصحاب الصُّوَرِ على صدر السرَّطَانِ ؛ وسميت ثَرَّةً لأن الى جانبها نجمين صغيرين هما عند العرب على منخري

(١) القى في القاموس واللسان في مادة (ه ن ع) أنها تحية وجمعها تحاي .

الأسد، وتسميها الحارين، وقيل إنها لما كانت أمام جبهة الأسد شبهت بشيء نثره من أنه، ويقال إنها فم الأسد ومتخراه، وتسمى اللهاة أيضا وتشبه بالملق .

التاسعة الطرف، وهي كوكبان خفيان مقترنان بين يدي الجبهة، سمي بذلك لموقعهما موقع عيني الأسد، وقدامهما ستة كواكب صفار تسميها العرب الأشعار اثنان منها في نسق الطرف، والأربعة البواق بين يديه .

العاشر الجبهة، ثلاثة كواكب نيرة قد عدل أوسطها الى الشرق، فهي لذلك على شكل مثلث مستطيل القاعدة قصير الساقين، وإلى الجنوب عنها نجم أحمر مضى جدا يسمى قلب الأسد يرسمه المنجمون في الأسطرلاب، وأصحاب الصور يعملون الجبهة على كثيف الأسد .

الحادية عشرة الخراتان، وتسمى الزرة وعرف الأسد والزيرتين، وهما كوكبان نيّان بينهما في رأى العين مقدار ذراعين، وهما معترضان ما بين المشرق والمغرب، يمتدان عند التوسط مع خط الاستواء، وسمي الخراتين تشبيها ببقين في السماء، ومنه تحرّت الإبرة، ونحّت هذين النجمين تسعة أنجم صفار . وسميت الزرة لشعر يكون فوق ظهر الأسد مما على خاصرته، وصلوا الجميع أحد عشر كوكبا منها نجمان هما الخراتان والتسعة الشعر .

الثانية عشرة الصرقة، وهي كوكب نير، وهو عند أصحاب الصور قلب الأسد، والقلب : وعاء القضب، وبالقرّب من هذا الكوكب سبعة أنجم صفار طمس ملاصقة له، وسمى هذا الكوكب بالصرقة لأنصراف الحرّ عند طلوعه مع الفجر من المشرق، وأنصراف البرد إذا غرب مع الشمس؛ ويقال الصرقة ناب الدهر لأنها تنقّرعن فصل الزمانين، ويشكل مع الخراتين مثلاً له زاوية قائمة وإحدى ساقيه أطول من الأخرى وفي قاعدته قصر .

الثالثة عشرة العواء، وهي خمسة كواكب تيرة<sup>(١)</sup> على شكل لام، كان أكثر ابتدائها من الشمال وعطفها من جهة الجنوب لكن المصطف منها أربعة والمنطف واحد، ويقال لها أيضا وركا الأسد، وتشبهها العرب بكلاب تعوى خلف الأسد لأنها وراهم، ولذلك سميت العواء، وأصحاب الصور يحملونها في السنبلة على صدرها.

الرابعة عشرة السماء، وهو السماء الأعزل: وهو كوكب تير يميل لونه الى الزرقة، وسمى تيمنا كما لكونه قريبا من تميم الرأس، وسمت الرأس أعلى ما يكون من الفلك وسمته العرب الأعزل لأنه يطلع الى جانبه نجم مضى يسمونه السماء الراح لكوكب صغير بين يديه، والأعزل لا شيء بين يديه ففرق بينهما، وأحداهما جنوبي، وهو المتلة، وأصحاب الصور يثبتون السماكين: الأعزل والراح في صورة العذراء، وهي السنبلة، والعرب تجعلها ساق الأسد، وربما عدل القمر قتل بعجز الأسد، وهو أربعة كواكب بين يدى السماء الأعزل يقال لها عرش السماء، وتسمى أيضا الخباء، والأحمال، والفراب، وهذه المتلة حد ما بين المنازل اليمانية والمنازل الشامية، فما كان أسفل من مطلقه فهو يمانى وهو شق الجنوب، وما كان فوقه فهو شامى وهو شق الشمال.

الخامسة عشرة الفقر، ثلاثة كواكب خفية على خط فيه قويس، وسميت بذلك لخفائها مأخوذة من المغفرة التي تستر الذنب وتخفيه يوم القيامة، ومنه المغفر الذى فوق الرأس، وقيل لأنها زباني المقرب، وقيل مأخوذة من المغفرة وهي الشعر الذى في طرف ذنب الأسد، وأصحاب الصور يحملونها بين ساقى الأسد.

(١) في لسان العرب كأنها تامة ألف ... ويقال كأنها نون

السادسة عشرة الزبائن، وهما كوكبان يَرَانِ هما عند العرب يد العقرب يترس بهما: أى يدفع عن نفسه، وأصحاب الصُّور يجعلونهما كَفَقَى الميزان، وبينهما فى رأى العين قدرُ قامة الرجل .

السابعة عشرة الإكليلُ، وهو ثلاثة كواكبَ مجتمعةٌ فى خفاء الفَقْرِ مصطفةٌ معترضة، بين كل كوكب وكوكب منها قدرُ ذراع فى رأى العين، سميت بذلك لأنها فوق جبهة العقرب كالنَّاج، وهى عند أصحاب الصُّور على عمود الميزان .

الثامنة عشرة القلبُ، وهو كوكب أحمرُ يَرى مضطرب قريب من الجبهة بين كوكبين خفيين تسميهما العرب نِيَّاطَى القلب أى علاقته، وسمَّته أصحاب الصُّور قلباً لوقوعه موضع القلب من صورة العقرب؛ والقلوب أربعة هذا أحدها، والثانى قلب السمكة، والثالث قلب الثور، والرابع قلب الأسد . وحيثُ ذكر القلب على الإطلاق دون إضافة فالمراد قلب العقرب هذا .

التاسعة عشرة الشُّوْلَةُ، وهى كواكبُ متقاطرة على تقويس فى بُرج العقرب أشبه شئ بدَنَب العقرب إذا شالته، ولذلك سميت الشُّوْلَةُ، وفى الشُّوْلَةُ كوكبان خفيان ملتصقان يظهران كأنهما كوكب واحد مشقوق يسميان الإبرةَ والحمةَ، وخلقهما نجم صغير لا يزيلهما يقال له التابع . وقال قوم : إنما يترل القمر الشُّوْلَةُ على المحاذاة ولا يخط إليها لأنها منحدره عن طريقه، وربما نزل بالسفار فيما بين القلب والشُّوْلَة، وهى ستة كواكبَ بيض منطفة .

العشرون النعائم، وكواكبها ثمانية، منها أربعة يمانية نيرة تشكل مربعا فيه أطراف تسمى الواردة وهى المتلة، وسميت واردة: لأنها لما كانت قريبة من المجرة شبت بنعائم وردت نهارا، والأربعة الأخرى تسمى النعائم الصادرة لأنها لما كانت

بعيدة من المجرة شبت بنعام وردت ثم صدرت ، والواردة التي هي المتزلزة عند أصحاب الصور واقعة في يد الراى الذى يجذب بها القوس .

الحادية والعشرون البَلَدَةُ ، وهى قُرْبَةُ فى السماء مستديرة شبه الرقعة ليس فيها كواكب ، والبَلَدَةُ فى كلام العرب القُرْبَةُ من الأرض ، ويقال لصدر الإنسان : البَلَدَةُ لأنها قطعة مستطيلة ، ويدل عليها ستة كواكب مستديرة صغار خفية تشبه القوس ، وبعضهم يسميها الأُدْيَى لأن بالقرب منها كواكب تسميها العرب اليَصَفَ لقربها من النعائم ، وربما عدل القمر فتزل بالأُدْيَى ، وأصحاب الصور يعملون البلدة على جهة الراى .

الثانية والعشرون سعدُ الذابِجِ ، وهو كوكبان صغيران بينهما فى رأى العين أقل من قدر ذراع ، أحدهما مرتفع فى ناحية الشمال والآخر منخفض فى ناحية الجنوب سمي سعدا لانهما الأمطار فى أيام طلوعه ، وسمى ذابجا لقوة البرد فى إبان طلوعه فتموت المواشى ببرده ، وقيل سمي ذابجا لأن بالقرب من نجمة الشمال نجما صغيرا كأنه ملتصق به ، تقول العرب : هو شأته التى تُذْبِجُ ، ولذلك جعلوا الذابج صفة لسعد بخلاف سائر السعود ، فإنها يضاف إليها ما بعدها كما قاله الزجاج فى مقدمة أدب الكاتب ؛ وأصحاب الصور يشنون هذا السعد فى موضع قرئ الجدى من الصورة .

الثالثة والعشرون سعدُ بُلْعٍ ، وهو نجمان أيضا يشبهان سعدا الذابج فى المسافة التى بينهما لكن أحد الكوكبين خفى وهو الذى يلعبه ؛ وهذا السعد عند أصحاب الصور على كعب ساكب الماء القريب من صورة الدلو ، وسمى بُلْعٍ لأنه فى أيام طلوعه تفيض الأنهار وتزيد الآبار ، فكان الأرض ابتلعت مامعا ، وقيل لأنه يطلع فى الوقت الذى قيل فيه ” يَا أَرْضُ أَبْلَيْ مَآكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَيْ “ زمن نوح ( عليه السلام ) .



الرابعة والعشرون سعد السُّعُود، وعدته كوكبان أيضا على ما تقدم في السعدين من البُعد، وقيل هو ثلاثة كواكب أحدهما يُرى والآخرا ن دونه في النور؛ وأصحاب الصُّور يثبتونه على صدر ساكب الماء القريب من صورة الدُّلو، وربما قصر القمر فترى سعدَ نَاشِرَةً، وهو أسفل من سعد السعود، ويسمى أصحاب الصور نجمة بالحِجَّين، وهما في مؤخر الجُدَى، ومنهم من يثبت سعد السعود نجما واحدا .

الخامسة والعشرون سعد الأُخْيِيَّة، والناس مختلفون فيه؛ فمنهم من يقول : إنه كوكبٌ واحد حوله ثلاثة كواكب مثلثة تشبه رجلَ بَطَّةٍ والكوكب هو السعد والثلاثة الخباء؛ ومنهم من يجعل الكوكب الذي في وسط الثلاثة عموداً الخباء، وهو عند أصحاب الصُّور على الصَّكِّيف الشرقية من جسد ساكب الماء، وسمى سعدَ الأُخْيِيَّة لخروج الخبَّات فيه من الثمار والحشرات، وكانت العرب تَبْرِكُ به لأخضار العود فيه .

السادسة والعشرون الفَرَّغُ المُقَدَّم، ويقال فيه مقدَّم الدُّلو والفَرَّغُ الأوَّل والفَرَّغُ الأعلى وعَرَقُوة الدُّلو العُلْيَا، وهو كوكبان تَبْرَأَن بينهما في رأى العين نحو من خمسة أذرع؛ وأصحاب الصُّور يزعمون أن الشَّمالِيَّ منهما على متن الفرس .

السابعة والعشرون الفَرَّغُ المُؤَخَّر، ويقال له مؤخر الدُّلو السفلى، وهو كوكبان يشبهان ما تقدم، أحدهما شمالي والآخر جنوبي، وهما عند أصحاب الصُّور على مؤخر الفرس، وربما قصر القمر فترى في الكَرَبِ الذي في وسط العَرَّاقِي، وربما نزل بِلْدَةُ الثعلب .

الثامنة والعشرون الحَوْتُ، وهو آخر المنازل، ويقال لها السَّمَكَةُ، وتسمى الرِّشَاء أيضا، وهي ثمانية عشر كوكبا تشكل شكل سمكة رأسها في جهة الشَّمال

وَدَنَّبَا فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا كَوْكَبٌ يُقَرَّ يُسَمَّى سُرَّةَ الْحَوْتِ ، وَبَطْنَ الْحَوْتِ ، وَبَطْنَ السَّمَكَةِ ، وَقَلْبَ السَّمَكَةِ ، وَرَبْمَا عِدْلَ الْقَمَرِ قَرَلُ بِالسَّمَكَةِ الصُّغْرَى ، وَهِيَ مِنَ السَّمَكَةِ الْكُبْرَى فِي الشَّمَالِ مِثْلَ صَوْرَتِهَا إِلَّا أَنَّهَا أَعْرَضُ مِنْهَا وَأَقْصَرُ ، وَأَصْحَابُ الصُّوَرِ يَجْعَلُونَ الْكَوْكَبَ النَّيِّرَ مِنَ الْحَوْتِ فِي حَذِّ الْمَرَأَةِ الْمُسْلَسَةِ ، وَرَأْسُهَا هُوَ الشَّمَالُ مِنَ الْقَرْنِ الْمُؤَخَّرِ .

### الصف الثالث

من النجوم الثوابت ما ليس داخلًا في شيء من البروج ومنازل القمر مما هو مشهور بما ذكرته العرب في شعرها وشبهت به وضربت به الأمثال وهي عدة نجوم :

منها بنات نعش وهي سبعة أنجم على القرب من القطب الشمالي، منها أربعة في صورة نعش وثلاثة أمامه مستطيلة وهي المعبر عنها بالبنات ، وتعرف هذه بنات نعش الكبرى ، وبالقرب منها سبعة أنجم على شكلها .

ومنها الجدي الذي تعرف به القبلة ، وهو نجم صغير على القرب من القطب الشمالي يستدل به على موضع القطب ، ويقال له جدي بنات نعش الصغرى .

ومنها القردان ، وهما كوكبان متقاربان معدودان في بنات نعش .

ومنها السها ، وهو كوكب خفي في بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم لحفاه .

ومنها السماك الراجح ، وهو غير الأعزل المتقدم ذكره في منازل القمر، سمي راجحا لكوكب يقسمه ، تقول العرب : هو رُجْعُه بخلاف الأعزل فإنه الذي لا رُجْع معه .

ومنها النَّسْرُ الواقع ، وهو ثلاثة أنجم كأنها أثنان ، سمي الواقع لأنهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون : قد ضمهما إليه كأنه طائر وقع .

ومنها النَّسْرُ الطائر ، سمي بذلك لأنهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون : قد بسطهما كأنه طائر ، والعامة تسميه الميزان .

ومنها الكَفُّ الخَضِيب ، وهو كف الثَّريا المبسوطة ، ولها كف أخرى يقال لها الجَدْماء ، وهي أسفل من الشَّريطين .

ومنها العَيُوقُ ، وهو في طَرْفِ المَجَرَّةِ الأيمن ، وعلى أثره ثلاثة كواكب بينة يقال لها الأفلام ، وهي من مواقع العَيُوق .

ومنها سُهيل ، وهو كوكب أحمر متفرد عن الكواكب ولقربه من الأُفُقِ كأنه أبداً يضطرب ، وهو من الكواكب الإيمانية ، قال ابن قُتيبة : ومطلعه عن يسار مُستَقِيلَ قِبلة العراق . قال : وهو يُرى في جميع أرض العرب ، ولا يرى في شيء من بلاد أَرَبِيَّةٍ .

ومنها الشَّعْرَانِ : العبور ، وكانت تعبد في الجاهلية لقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ وهي في الجوزاء ، والشَّعْرَى التَّمِيصَاء ، ومع كل واحدة منهما كوكب يقال له المِرْزَمُ .

ومنها سعد ناشرة ، وسعد المَلِكِ ، وسعد اليَهاِم ، وسعد الهُماَم ، وسعد البارِع ، وسعد مَطَرٌ ، وكل سعد منها كوكبان ، بين كل كوكبين في رأي العين قَدْرُ ذراع فهي متناسقة ، وهذه السعود الستة غير السعود الأربعة المتقدمة في منازل القمر ؛ تكون جملة السعود عشرة .

فإذا عَرَفَ الكاتب أحوال الأفلاك والكواكب وأسماءها وصفاتها ، عرف كيف يصفها عند احتياجه الى وصفها ، وكيف يعبر عنها عند جَرَّان ذكرها .

كما قال بعضهم يمدح بعض الرؤساء :

لَا زِلَّتْ تَبَى وَتَرَقَّى لِلْمَلَأِ أَبَدًا \* مَا دَامَ لِلسَّبْعَةِ الْأَفْلَاقِ أَحْكَامُ  
مَهْرٍ وَمَاهٍ وَكِوَانٌ وَتَبَرُّعٌ مَعَا \* وَهَرَمُسٌ وَأَنَا هَيْدٌ وَبَهْرَامُ

مشيرا بذلك الى ذكر الأفلاك السبعة، وما لها من الكواكب السبعة السيارة  
بالأسماء الفارسية المقدم ذكرها .

وكما قال الطُّفْرَانِيُّ في لامية السجيم :

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ \* لِي أَسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلٍ

مشيرا الى كون فلَك زُحَلٍ أعلى من فلَك الشمس لما تقدم أنها في الرابع، وهو  
في السابغ .

وكما قال بعضهم يصف خُضْرَةَ السماء وما لها من الكواكب :

كَأَنَّ سَمَاءَنَا وَالشَّهْبُ فِيهَا \* وَأَصْفَرَّهَا لِأَكْبَرِهَا مُزَارِعُ  
بِساطِ زُمُرِدٍ نَثَرَتْ عَلَيْهِ \* دَنَائِرُ بِخَالِطِهَا دَرَاهِمُ

وكما قال ذو الرِّقَّةِ وقد ذكر الثريا :

يَدْفُ عَلَى آثَارِهَا دَبْرَانُهَا \* فَلَا هُوَ مَسْبُوقٌ وَلَا هُوَ يَلْحَقُ  
بَشَرِينَ مِنْ صُغْرَى النُّجُومِ كَانَهَا \* وَإِيَّاهُ فِي الْخَضِرَاءِ لَوْ كَانَ يَنْطَلِقُ  
فَلَا حَسْرَةَ حَذَاهَا رَاكِبٌ مَتَعَّمٌ \* إِلَى الْمَاءِ مِنْ جَوْزِ التَّنُوفَةِ مُطْلَقُ

مشيرا الى ما تقدم من خِطْبَةِ الدَّبْرَانِ الثَّرِيَا وَهَرَبِهَا مِنْهُ وَإِمَارَةِ إِيَّاهَا بِالْقَلْبِ

وهي النجوم التي حولها .

وكما قال أبو الفَرَحِ الْبَيْهَقِيُّ ذَا كَرَا حَالِ مَخْتَفٍ يَرْجَى لَهُ الظُّهُورُ :

سَتَخْلُصُ مِنْ هَذَا السَّرَارِ وَأَيْمًا \* هَلَالٌ تَوَارَى فِي السَّرَارِ فَا خَلَصَ

مشيرا بذلك الى حالة تَوَارَى الْقَمَرِ حَالَةَ السَّرَارِ ثُمَّ خُلُوصِهِ عِنْدَ إِهْلَالِهِ .

## النوع التاسع

مما يحتاج الكاتب إلى وصفه العلويات مما بين السماء والأرض،

وهي على أصناف

### الصنف الأول

#### الريح

وهي مؤنثة، يقال هبت الريح تهب هبوباً، وتجمع على رياح، وقد دل الاستقراء على أنها حيث وردت في القرآن الكريم في معرض العذاب، كانت بلفظ الإفراد وحيث وردت في معرض الرحمة كانت بلفظ الجمع. قال تعالى في جانب العذاب: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وقال في جانب الرحمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ وقال جلت قدرته: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات. ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشتدت الريح قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَّاحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا» وقد ورد القرآن الكريم بأن الله تعالى هو الذي يرسلها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾

وذهبت الفلاسفة إلى أنها تحدث عن الطبيعة، وأن سبب ذلك دخان يرتفع من الأرض فيضربه البرد في أرتفاعة فيتنكس ويتحامل على الهواء ويمزجه الهواء بشدة فيحصل الريح.

وأصول الرياح أربعة:

الأولى «الصبأ» وهي التي تأتي من المشرق، وتسمى القبول أيضاً، لأنها في مقابلة مستقيـل المشرق.

قال في صناعة الكتاب : وأهل مصر يسمونها الشرقية ، لأنها تأتي من مَشرق الشمس ؛ وهي التي تُصربها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب كما أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله : «تُصْرَبُ بالصَّبَا» .

الثانية «الدُّبُورُ» : ومهها من مغرب الشمس إلى حد القطب الجنوبي ، وسميت الدُّبُورُ لأن مستقبل المشرق يستدبرها ، وتسمى الغربية لخبوها من جهة المغرب ؛ وبها هلكَت عاد كما أخبر عليه السلام بقوله : «وَأَهْلِكَتْ عَادُ بالدُّبُورِ» .

الثالثة «الشَّامَلُ» : ويقال فيها شَمَالٌ وَشَمَالٌ وَشَامِلٌ ومهموزا وغير مهموز ؛ ومهها من حد القطب الشمالي إلى مغرب الشمس ، وسميت شَمَالًا لأنها على شَمَال من آستقبل المشرق .

قال في صناعة الكتاب : وتسمى البحيرة لأنها يُسَار بها في البحر على كل حال .  
الرابعة «الجَنُوبِيَّةُ» : ومهها من حد القطب الأسفل إلى مطلع الشمس وتسمى بالديار المصرية : القِبْلِيَّةُ لأنها تأتي من القبلة فيها ، وتسمى بها أيضا المَرِيْسِيَّةُ لأن في الجهة القبيلة بلاد المَرِيس ، وهم ضرب من السودان ؛ وهي أردأ الرياح عند أهل مصر . وقال النحاس : وكل ريح جاءت من مَهَيَّ ريحين تسمى النِّجَاءُ ، سميت بذلك لأنها نَجَّيَتْ عن مَهَابِّ هذه الرياح وعَدَلَتْ عنها .

قال في «فقه اللغة» : وإذا جاءت بنفيس ضعيف وروَّج فهي النسيم ؛ وإن ابتدأت بشدة قيل لها : النافخة ؛ فإن حركت الأغصان تحريكاً شديداً وقلعت الأشجار قيل : زَعَزَعَ ؛ فإن جاءت بالحَصْبَاءُ قيل : حاصبة ؛ فإذا هبَّت من الأرض كالعمود نحو السماء قيل لها : إعصار . وقد ورد بها القرآن في قوله تعالى : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ) والعامَّة تسميها : الزُّوبَعَة ، ويزعمون أن الشيطان هو

الذى يثيرها ، ومن ثم سماها الترك نعيم بك يعنى الشيطان ؛ فإذا كانت باردة ، فهى :  
الصَّرَصَر . وقد وقع ذكرها فى قوله تعالى : ( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ) ؛  
فإذا لم تُطْفِئ شجرة ولم تحمل مطرا ، فهى العَقِيم . وقد قال تعالى فى قصة عاد :  
( إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ) كانت لا مطر فيها .

## الصنف الثانى

### السحاب

وهو الأجرام التى تُحْمِلُ المطرَين السماء والأرض يُنشئها الله سبحانه وتعالى  
كما أخبر بقوله : ( وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ) ويسوقها إلى حيث يشاء كما ثبت  
فى الصحيح "أن رجلا سمع صوتا من سحابة : أَسْقِ حَديقَةَ فُلَانٍ" .

وزهد الحكماء إلى أنه بُنِيَ متصاعد من الأرض مرتفع من الطبقة الحازة إلى  
الطبقة الباردة فيثقل ويتكاثف وينعقد فيصير سحابا .

قال الثعالبى فى "فقه اللغة" : وأول ما ينشأ يقال له : النَّشْء ؛ فإذا انسحب  
فى الهواء ، قيل له : سَحَاب ؛ فإذا تغيرت به السماء ، قيل له : غَمَام ، فإن سُمِعَ  
صوت رعد من بعيد قيل فيه : عَقَر ؛ فإذا أظلم ، قيل : عَارِض .

وقد أخبر تعالى عن قوم عاد بقوله : ( فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدِيَهُمْ قَالُوا  
هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا ) ؛ فإن كان بحيث إذا رُؤِيَ ظَنَّ أَنَّ فيه مطرا قيل له : مُّحِيلَةٌ ؛  
فإن كان السحاب أبيض قيل له : مُزَنٌّ ؛ فإذا هراق ما فيه قيل : جَهَامٌ ، وقيل  
الجَهَامُ : هو الذى لا مطر فيه .

وقد أولع أهل النظم والنثر بوصفه وتشبيهه .

## الصنف الثالث

## الرعد

وهو صوت هائل يُسَمَّع من السحاب ، وقد اختلف في حقيقته فروى أنه صوت مَلَكٍ يزجُرُ به السحاب ، وقيل : غير ذلك ؛ والنصيرية من الشيعة يزعمون أنه صوت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه حيث زعموا أنّ مسكنه السحاب ؛ وذهبت الفلاسفة إلى أنه دُخَانٌ يتصاعد من الأرض ويرفع حتّى يتصل بالسحاب ويدخل في تضاعيفه ويبرد فيصير ريحا في وسط النجم ، فيتحرك فيه بشدة فيحصل منه صوت الرعد ، ويقال منه : رَعَلَت السماء ؛ فإذا زاد صوتها ، قيل : أرجمت ؛ فإذا زاد قيل : أرزمت ودوت ؛ فإذا اشتد قيل : قصفت وقطعت ؛ فإذا بلغ النهاية قيل : جَلجت وهتعت .

## الصنف الرابع

## البرق

وهو ضوء يرى من جوانب السحاب ، وقد اختلف فيه أيضا فروى أنّ الرعد صوت مَلَكٍ يزجُرُ به السحاب وأنّ البرق صَحْحَكُهُ ؛ والنصيرية من الشيعة يزعمون أنه صَحْحَكُ أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه أيضا ، والفلاسفة يقولون : إنه دُخَانٌ يرتفع من الأرض حتّى يتصل بالسحاب كما تقتضيه الرعد ، ثم تقوى حركته فيشتعل من حرارة الحركة الهواء والدخان فيصير نارا مضيئة وهو البرق ؛ ويقال : ومَضَ البرق إذا لمع لَمَعَانًا قويا ، وأومض إذا لمع لَمَعَانًا خفيا ؛ فإن أطمع في المطر ثم ظهر أن لا مطر فيه قيل : حُلِبَ .



## الصنف الخامس

### المطر

وهو الماء الذى يخلقهُ الله تعالى فى السحاب ويسوقهُ إلى حيث يشاء وقد ذهب الحكماء إلى أنه بُخار يتصاعد من الأرض أيضا فيه أوفى حرارة الشمس أو فيها<sup>(١)</sup> فيجتمع، وربما أعانت الرِّيحُ على جمعه بأن تسوق البعض إلى البعض حتى يتلاحق؛ فإذا انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وصار ماء وثقا طر كالبخار الذى يتصاعد من القدر ويتنهي إلى غطاء القدر، وعند أدنى برودة ينغقد قطرات .

ثم للمطر زمان يكثر فيه ، وزمان يقل فيه ؛ وقد رتب العرب ذلك على أنواع الكواكب التى هى منازل القمر، وجعلوا لكل منها نَوْماً ينسب إليه .

قال أبو حنيفة البَينُورِيُّ "فى كتاب الأنواء الكبير" : كانت العرب تقول : لابد لكل نَوْء كوكب من أن يكون فيه مطر، أو ريح، أو غيم، أو حر، أو برد . ينسبون ما كان فيه من ذلك إليه ؛ وقد اختلف فى معنى النَّوء فذهب ذاهبون إلى أن النَّوء فى اللغة : النَّهْوضُ ؛ وذهب القراء إلى أنه : السُّقُوط والميلان ؛ وذهب آخرون إلى أنه يطلق على النهوض والسقوط جميعا ، على أنهم متفقون أن العرب كانت ترى الأمر للسقوط دون الطلوع ، فمن ذهب إلى أن المراد بالنَّوء : السقوط يجرىه على بابه، ومن ذهب إلى أن المراد بالنَّوء : النهوض يقول : إنما سُمي نَوْماً لطلوع الكوكب لا لسقوط الساقط ، ومنهم من يطلق النَّوء على السقوط وإن كان موضوعه فى اللغة النهوض من باب التفاضل، كما يقال للديع : سَلِمَ، وللهلكة : مفازة، على أن بعضهم قد ذهب إلى أن الكوكب ينوء بمعنى يَنْهَضُ ثم يسقط، فإذا سقط فقد مضى نَوْءُهُ ودخل نوء الكوكب الذى بعده .

(١) كذا بالأصل . ولعل الصواب من الأرض أيضا أوفى حرارة الشمس أو منها .

قال أبو حنيفة السَّيِّدِيُّ : وهو التأويل المشهور الذي لا يَنَازَعُ فيه لأنَّ الكوكب إذا سقط النجم الذي بين يديه أَطْلَلَّ هو على السُّقُوطِ ، وكان أَشْبَهَ حالا بحالِ النَّاهِضِ . وقد علَّها أبو حنيفة ثمانية وعشرين نَوْاً بعد منازل القمر المتقسمة الذكر، وذكر أن بعضها أَجْهَرُ وأشهر من بعض .

الأول — ”نوء الشَّرْطَيْنِ“، وهو ثلاث ليالٍ، وأثره محمود عندهم .

الثاني — ”نوء البَطَيْنِ“، وهو ثلاث ليالٍ، وليس بمذكور عندهم ولا محمود . قال ابن الأَعرابي : يقال إنه ماناء البَطَيْنِ والدَّبْرَانِ أو أحدهما فكان له نظر، إلا كاد ذلك العام يكون جَدْباً .

الثالث — ”نوء الثَّرْيَاءِ“، وهو خمس ليالٍ وقيل سبع؛ وأثره محمود عندهم مشهور .

الرابع — ”نوء الدَّبْرَانِ“، وهو ثلاث ليالٍ وقيل ليلة؛ وليس بمحمود عندهم، ولم يسمع في أشعارهم له ذكر .

الخامس — ”نوء المَقْعَةِ“، وهو ست ليالٍ، ولا يذكرون نَوَْهَا إلا بنوء الجوزاء التي المَقْعَةُ رأسها، والجوزاء مذكورة النوء مشهورة .

السادس — ”نوء المَنَعَةِ“، وهو ثلاث ليالٍ لا يكاد ينفرد عن نَوْهِ الجوزاء .

السابع — ”نوء الذَّرَاعِ المَقْبُوضَةِ“ وهي خمس ليالٍ وقال ابن خُثَّامة : ثلاث ليالٍ، وهو أقلُّ أنواء الأسد، وأثره محمود عندهم موصوف؛ وربما نسب إلى المِرْزَمِ، وهو أحد كوكبي الذراع المذكورة، وربما نسب إلى الشَّعْرَى الغُمَيْصَاءِ، وهو كوكبها الآخر الذي هو أنور من المِرْزَمِ؛ وقد ذكر العرب مع الذراع المَقْبُوضَةِ الذَّرَاعَ المبسوطة فتَجْمَعُهُمَا في النوء، وهما لا يتواءان معاً بل ولا يطلعان معاً، لكن لكثرة

صحبة إحداهما للأخرى في الذكر وأجتماعهما في اسم واحد مع تجاورهما وكونهما  
عُضْوَيَّ صورة واحدة، وهى صورة الأسد .

الثامن — ”نوء النُفْرَة“، وهو سبع ليال، وله عندهم ذكر مشهور .

التاسع — ”نوء الطَّرْفَة“، وهو ست ليال، ولم يسمع به مفردا لغلبة الجبهة  
الآتية الذكر عليه .

العاشر — ”نوء الجبهة“، وهو سبع ليال، وذكره مشهور لديهم .

الحادى عشر — ”نوء الزُّبْرَة“، ونوعها أربع ليال، وقلما تنفرد لغلبة الجبهة  
عليها أيضا .

الثانى عشر — ”نوء الصَّرْفَة“، وهو ثلاث ليال، ولا يكاد يوجد لها ذكر  
عندهم في أشعارهم .

الثالث عشر — ”نوء العَوَاء“، وهو ليلة واحدة، وليس من الأنواء المشهورة .

الرابع عشر — ”نوء السَّيَّكِ الأعزل“، وهو أربع ليال، وله ذكر مشهور، وكثيرا  
ما يذكر معه السَّيَّكِ الراح، وليس له نوء معه ولكنهما متقاربان في الطلوع، وحيث  
يفراد السَّيَّكِ الراح بالنوء خطأ .

الخامس عشر — ”نوء الغَفَر“، وهو ثلاث ليال، وقيل ليلة، وما بينه وبين

نوء الهنعة المتقدمة الذكر من أنواء الأسد، وهى ثمانية أنواء : أولها الفراع، وآخرها  
نوء السَّيَّكِ؛ وليس له في السماء نظير في كثرة الأنواء .

السادس عشر ”نوء الزُّبَانِي“، وهو ثلاث ليال .

السابع عشر ”نوء الإكليل“، وهو أربع ليال .

الثامن عشر — ”نوء القلب“، وهو ليلة واحدة، وليس بمعمود .

- التاسع عشر "نوء الشَّوْلَةِ"، وهو ثلاث ليال، وقبلها يذكر .  
العشرون "نوء النعائم"، وهو ليلة واحدة، وليس له ذكر .  
الحادي والعشرون "نوء البَلْدَةِ"، وهو ثلاث ليال، وقيل ليلة .  
الثاني والعشرون "نوء سعد الذابح"، وهو ليلة واحدة .  
الثالث والعشرون "نوء سعد بلع"، وهو ليلة واحدة .  
الرابع والعشرون "نوء سعد السعد"، وهو ليلة، وليس بمحمود، ولا مذكور .  
الخامس والعشرون "نوء سعد الأخية"، وهو ليلة واحدة .  
السادس والعشرون "نوء الفَرَّغِ المَقْتَمِ"، وهو أربع ليال، وله ذكر مشهور .  
السابع والعشرون "نوء الفَرَّغِ المؤنَّحِ"، وهو أربع ليال، وله ذكر أيضا .  
الثامن والعشرون "نوء الحُوتِ"، وهو ليلة واحدة، وليس بالمذكور من حيث إنه يغلب عليه ما قبله وما بعده فلا يذكر .

قال أبو حنيفة الدِّينَوْرِيُّ : والأيام في هذه الأنواء تابعة لليالي لتتقدم الليل عليها ،  
قال : وإنما جعلوا لهذه النجوم أنواء موقوتة وإن لم تكن جميع فصول السنة مظنة  
الأمطار، لأنه ليس منها وقت إلا وقد يكون فيه مطر .

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ : أقلُّ المطرِ الوَشْيِيُّ، سمي بذلك لأنه يسمُّ الأرض بالنبات ،  
ثم الربيع ، ثم الصيف ، ثم الحميم .

قال الثعالبي عن أبي عمرو : إقبال الشتاء الخريف ، ثم الوَشْيِيُّ ، ثم الربيع ،  
ثم الصيف<sup>(١)</sup> ، ثم الحميم .

(١) في قه القه : الصيف .

## الصف السادس

## الثلج

وهو شيء ينزل من الهواء كالقطن المندوف فيقع على الجبال وعلى سطح الأرض فتُذيب الشمس منه ما لاقته شدة حرارتها، ويبقى في أماكن مخصوصة من أعالي الجبال بالأمكنة الباردة جميع السنة؛ وقد ذكر الحكماء أنه يُنْجَر يتصاعد من الأرض إلى الهواء كما يتصاعد المطر فيصبيه برد شديد قبل أن ينعقد قطرات فيساقط أجزاء لطيفة، ثم ينعقد بالأرض إذا نزل إليها؛ ويوصف بشدة البرد وشدة اليأس وسيأتي الكلام على ما ينقل منه من الشام إلى ملوك الديار المصرية في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى.

## الصف السابع

## البرد بفتح الراء

وهو حب يسقط من الجوّ؛ وقد ذكر الحكماء أنه يُنْجَر يتصاعد من الأرض أيضا ويرتفع في الهواء فلا تدركه البرودة حتى يجتمع قطرات، ثم تدركه حرارة من الجوانب فتنهزم برودتها إلى مواطنها فتنعقد؛ وحب هذا البرد متفاوت المقادير، منه ما هو قدر الخِصّ فما دونه، ومنه ما هو فوق ذلك؛ ويذكر أنه يقع منه ما هو بقدر بيض الحمام والدجاج.

قال الحكماء: ولا يتصور وقوعه إلا في الخريف والربيع ويوصف بما يوصف به الثلج من شدة البرد وشدة اليأس، ويُشَبَّه به أسنان الإنسان الناصعة اليأس.

## الصفن الثامن

## قوس قزح

وهو قوس يظهر في الجوّ من حمرة وخضرة؛ وقد ورد النهى عن تسميته قوس قزح، وتسميته قوس الله، لأن قزح اسم للشيطان.

قال الحكماء: والسبب فيه أن الهواء إذا صار رطبا بالمطر مع أدنى صقالة صار كالمرآة، والمحاذي له إذا كان الشمس في قفاه يرى الشمس في الهواء كما يرى في الشمس المرآة، ويستبك ذلك الضوء بالبخار الرطب فيتولد منه هذا القوس.

قال الحكماء: ويكون له ثلاثة ألوان يعنون حمرة بين خضرتين أو خضرة بين حمرتين، وربما لا يكون اللون المتوسط، ويكون مرتعنا ارتفاعا قريبا من الأرض؛ فإن كان قبل الزوال رُؤى ذلك القوس في المغرب، وإن كان بعد الزوال رُؤى في المشرق، وإن كانت الشمس في وسط السماء، فلا يمكن أن يرى الا قوسا صغيرا في الشتاء إن اتفق.

وفيه تشبيهات للشعراء يأتي ذكرها في آخر المقالة العاشرة إن شاء الله تعالى.

## الصفن التاسع

## المقالة

وهي الدائرة التي تكون حول القمر. قال الحكماء: والسبب فيها أن الهواء المتوسط بين البصر وبين القمر صقيل رطب، فيرى القمر في جزء منه، وهو الجزء الذي لو كان فيه مرآة لرؤى القمر فيها، ثم الشيء الذي يرى في مرآة من موضع لو كانت فيه مرآة كثيرة محيطة بالبصر، وكانت موضوعة على تلك النسبة فيرى

الثنى في كل واحدة من المراتى ، فالذا توأصلت المراتى رؤى في الكل ، قُرى  
حيثذ دائرة .

ولأهل النظم والثرفها وصف وتشبيه .

### الصف العاشر

#### الحَرُّ

وسُلطانه أواخر فصل الربيع وأوائل فصل الصيف ، والسبب فيه مسامحة  
الشمس للرءوس ، قشند دائرة في الهواء وجِرم الأرض ، لاسيما المجاز وما في معناه .  
وأهل النظم والثرمولعون بوصف شدة حره .

### الصف الحادى عشر

#### الْبَرْدُ

وسلطانه أواخر فصل الخريف وأوائل فصل الشتاء .  
وأهل النظم والثرمكثرون من ذكره ووصفه ، حتى إنه ربما أفرد بعض الناس  
ما قيل فيه وفي وصفه بالتصنيف .

### الصف الثانى عشر

#### الْمَبَاءُ

وهو الذى يحصل من ضوء الشمس عند مقابلتها كوة يدخل منها الضوء ، فيكون  
شبه عمود ممتد من الكوة إلى حيث يقع ضوء الشمس من الأرض ، وفيه أجزاء  
لطيفة متفاوتة تُحس بالنظردون اللى ؛ وقد شبه الله تعالى به أعمال الكُفَّار

في القيامة فقال جل من قائل : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ،  
ومن الناس من يزعم أن الواحدة من أجزائه هي المراد بالذرة المذكورة في القرآن  
بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .  
ولأهل النظم والنثر أيضا فيه الوصف والتشبيه .

## النوع العاشر

مما يحتاج الكاتب إلى وصفه الأجسام الأرضية ،  
وهي على أصناف

### الصنف الأول

الجبال ، والأودية ، والقفار

فأما "الجبال" فهي أوتاد الأرض ، أرسى الله تعالى بها الأرض حيث مادت لها  
دحاها الله تعالى على الماء . وقد روى أن الكعبة كانت رابية حمراء طافية على وجه  
الماء قبل أن يدحو الله الأرض ، وأن الأرض منها دُحِيت ، فلما مادت وأرست  
بالجبال كان أول جبل أُرْسِيَ منها جبل أوى قُبَيْس بمكة المشرقة ، فلذلك هو أقرب  
الجبال من الكعبة مكانا . وقد نقل أن قاف جبلٌ محيط بالدنيا عنه تُشْرِعُ جميع  
جبال الأرض ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وتوصف الجبال بالعظمة في القدر والعلو  
وصعوبة المسلك ، وما يجري مجرى ذلك .

وأما "الأودية" فهي وهاد في خلال الجبال جعلها الله تعالى مجارى للسيل ونبات  
الزرع ومدارج الطرق وغير ذلك . وتوصف بالامتداد وبُعد المسافة والعُمق ، وربما  
وصفت بخلاف ذلك .



وأما "الفقار" فهي : البرارى المتسعة الأرجاء الخالية من الساكن . وتوصف بالسعة وبُعد المسافة وقلة الماء والإيجاش وصعوبة المسلك ، وما يجري مجرى ذلك .

## الصف الثاني

المياه الأرضية ؛ وهى على ضربين

### الضرب الأول

#### الماء الملح

ووقع في لغة الامام الشافعى رضى الله عنه الماء المالح ؛ وهو أحد العناصر الأربعة ، وسيأتى في الكلام على الأرض في المقالة الثانية أنه محيط بالأرض من جميع جهاتها إلا ما اقتضته الحكمة الالهية لمارة الدنيا من كشف بعض ظاهرها الأعلى وأنه تفرغت منه بحار منبثة في جهات الأرض لتجرى السفن فيها بما ينفع الناس .

وقد ذكر الحكماء أن في الماء الملح كثافة لا توجد في الماء العذب ، ومن أجل ذلك لا ترسب فيه الأشياء الثقيلة كما ترسب في الماء العذب ، حتى يقال : ان السفن التي تفرق في البحر الملح لا تبلغ أرضه بخلاف التي تفرق في الأنهار فانها تنزل إلى قعرها . وشاهد ذلك أنك اذا طرحت في الماء العذب بيضة دجاجة ونحوها غرقت فيه ، فاذا أذبت في ذلك الماء ملحاً بحيث يثقل على الماء وطرحت فيه البيضة طامت ؛ وقد اختلف في الماء الملح هل هو كذلك من أصل الخلقة أو عرضت له الملوحة بسبب ملاقاته من سبخ الأرض على منبهين . ومن خصائص البحر الملح أنه في غاية الصفاء حتى إنه يرى ما في قعره على القرب من شطئه . ويوصف البحر بالسعة والطول والعرض وكثرة السباب حتى يقال في المثل : "حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ" .

## الضرب الثاني

## الماء المنب

قالت الحكماء : والسبب فيه أن الأبخرة تتصاعد من قعر الأرض فتدخل في الجبال وتحتبس فيها ولا تزال تتكامل ويحصل منها مياه عظيمة فتنبعث لكثرتها . وهو على ثلاثة أنماط :

الخط الأول — "ماء الأنهار"، وهي ما بين صغار وكبار وقرية المدي وبمديته؛ وقد وردت الأخبار بأن أفضلها خمسة أنهار، وهي : سيحون، ويحيون، والدجلة، والقرات، ونيل مصر؛ والنيل أفضل الخمسة وأعذبها وأحضرها ماء على ماسياى ذكره في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى . وفي الأنهار الكبار تسير السفن .

الخط الثاني — "العيون"، وهي مياه تنبع من الأرض وتعلو إلى سطح الأرض ثم تسرح في فني قد حُفرت لها، وهي منبثة في كثير من الأقطار .

الخط الثالث — "الينار"، وهي حفاتر تحفر حتى ينبع الماء من أسفلها ويرفع فيها ارتفاعا لا يبلغ أعلاها . وقد اختلف في الماء الذي ينبع من الأرض هل هو الذي نزل من السماء أو غيره، فذهب زاهبون إلى أنه هو الذي نزل من السماء محتجين لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ الآية . وذهب آخرون إلى أن الذي ينبع من الأرض غير الذي نزل من السماء محتجين بقوله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَجِرٍ وَبَحَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ويوصف الماء للاستحسان بالعدوبة، والصفاء، والرقّة، والحلقة، وشدة البرد؛ وفي معناه الشَّم . ويسبّه في شدة البرد بالزلال وهو ما يربى داخل الثلج في تجاوزيف توجد فيه فيكون من أشد الماء برّدا .

### الصنف الثالث

النبات ؛ وفيه ثلاثة مقاصد

#### المقصد الأول

في أصل النبات

قد ذكر المسعودي في مروج الذهب : أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض خرج من الجنة ومعه ثلاثون قضييا مودعة أصناف الثمر، منها عشرة لها قشر وهي الجوز، واللوز، والجلوز، والفستق، والبُلوط، والشاه بلوط، والصنوبر، والتارنج، والرمان، والخشخاش ؛ ومنها عشرة لثمرها نوى وهي الزيتون، والرطب، والمشمش، والخوخ، والإجاص، والغيراء، والنبق، والعناب، والمخيطي<sup>(١)</sup>، والزعرور؛ ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهي التفاح، والسفرجل، والكثري، والعنب، والتين، والأترج، والخرنوب، والثوت، والقثاء، والبطيخ .

#### المقصد الثاني

فيما تختص به أرض دون أرض من أنواع النبات

إعلم أن النبات منه ما يوجد في كثير من الآفاق، ومنه ما يختص ببعض الأماكن دون بعض ؛ وقد حكى أبو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية : أن بلاد صحابسة من جنوبي بلاد المغرب الأقصى شجرة ترتفع نصف قامه أو أرحم، ورقها كورق الغار، إذا أُكِل منها لأكيل ولبسه الرجل على رأسه ومشي أو عدا أو عمل عملا لم يتم مادام ذلك الإكليل على رأسه، ولا يناله من ضرر السهر وضعف القوة ما ينال من سهر وعمل .

(١) كذا في المفردات لابن اليطار أيضا ولكن في القاموس : وكثامة وجيز، فقل فيه لغة ثالثة .

وفي بلاد إفريقية شجرة إذا قعد الإنسان تحتها نصف ساعة مات، وإن مسها مأس  
أو قطع منها غصنا أو ورقة أو هزها مات .

قلت : وما يختص بأرض دون أرض اللسان وهو : شجرة لطيفة على نحو  
ذراع تنفزع فروعا، لا تنبت في سائر الدنيا إلا في الديار المصرية بموضع مخصوص  
من بلدة يقال لها المطرية، على القرب من مدينة عين شمس، وتسقى من بئر هناك؛  
ويقال : إنه آغتسل فيها المسيح عليه السلام، ولذلك النصارى يعظمون اللسان  
ويتبركون به .

### المقصود الثالث

في ذكر أصناف النبات التي أولع الحُكَّاب والشعراء بوصفها وتشبيهها ،  
وهي على ضرب

### الضرب الأول

ما له ساق

وهو الشجر، وأكثر ما أولع أهل النظم والنثر بتمارها أو نورها في الوصف  
والتشبيه ثرا ونظما ؛ كاللوز، والفستق، والجُلُوز وهو البندق، والشاه بلوط وهو  
القسطل، والصنوبر، والرمان، والجُلنار، والإجاص، والقراصيا، والزعرور  
والخوخ، والمشمش، والمُنَّاب، والتَّق، والمُنْب، والتَّين، والتوت، والثَّاق،  
والسَّجَل، والكُنْزى، والثَّاق، والخروب، والأترج، والنارج، واليُمون،  
والطلع، والبَلح، والبُسْر، والتمر، والرائج وهو جوز الهند؛ والتجار يسمونه  
النارجيل . وربما وقع الوصف والتشبيه لبعض أصول الشجر، كالنخل والكرم  
وغيرها .

## الضرب الثاني

ما ليس له ساق

وقد أولعوا بالوصف والتشبيه منه؛ فمن ذلك الزرع : من البر والشعير ونحوهما ويتبع ذلك نور الباقلاء ، وكذلك الخشخاش ، والككّان ، والبطيخ الهندى وهو الأخضر، والخراسانى وهو العبدلى ؛ نسبة إلى عبد الله بن طاهر ، فانه أول من نقله من خراسان إلى مصر ، والبطيخ الصينى وهو الأصفر؛ والرسيتو وهو المعروف باللقاح ، والقنء ، والخيار ، والباذنجان ، والسلجم وهو اللقت ، والجزر ، والثوم ، والبصل ، والكراث ، والرياس ، والمليون ، والتنناع ، وغير ذلك .

## الضرب الثالث

القواكه المشومة

والذى أولع بوصفه وتشبيهه منه الورد على اختلاف ألوانه : من أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، وأزرق ، وأسود ، والفسرين ، والبان ، والخلاف ، والياقوت ، والبقسج ، والزعجس ، والياسمين ، والآس ، والزعفران ، والريحان .

## الضرب الرابع

الأزهار

والذى وقع اللؤلؤ بوصفه وتشبيهه من ذلك الخيري وهو المشور من أصفر أو أزرق ، والسوسن ، والأذريون وهو ورد أصفر له ريح ، والخزم وهو الخزامى ، والشقيق . ويسمى : الشقاق ، ويقال له : شقاق الثمان ، لأن الثمان بن المنذر <sup>(١)</sup> حى ظهر الكوفة وبه هذا النبات فعرف به ، والبهار وهو نور أحمر والأقوان ، وغير ذلك .

(١) لله والشقيقة ، فنى اللسان : أن الشقاق لا واحده له أو واحدته شقيقة ، وعلى لذلك فأنظره .

## الضرب الخامس

## الرياض

وهي الأماكن المشتعلة على الأشجار، والأزهار، والمياه الجارية ونحو ذلك .  
وقد اتفق جَوَابُ الأرض على أن مترهات الأرض أرسهُ مواضع وهي : سُفْد سَمَرَقَنْدَ،  
وشمب بَوَّانَ، ونهر الأَبْلَةُ، وغُوطة دِمَشَقَ .  
وقد أكثر الشعراء في وصف الرياض وولَّع الكُتَّاب بمثل ذلك .

## الطرف الثالث من الباب الأول من المقالة الأولى

في صناعة الكلام، ومعرفة كيفية إنشائه، ونظمه، وتأليفه، وفيه مقصدان

## المقصد الأول

في الأصول التي يبنى الكلام عليها وهي سبعة أصول

## الأصل الأول

المعرفة بالمعاني، والنظر فيه من وجهين

## الوجه الأول

في شرف المعاني، وفضلها

إعلم أن المعاني من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب؛ فالألفاظ تابعة، والمعاني متبوعة؛ وطلب تحسين الألفاظ إنما هو لتحسين المعاني؛ بل المعاني أرواح الألفاظ وغايتها التي لأجلها وُضعت، وعليها يُبْنَى؛ فأحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى أشد من احتياجه إلى تحسين اللفظ، لأنه إذا كان المعنى صواباً واللفظ منحطاً ساقطاً

(١) وكذا وقع بالأصل ولم نجد في مكتب اللغة التي بأيدينا « انتره » أو « مترها » والصواب « مترهات » بتقديم التاء على النون .

عن أُسْلُوبِ الفَصَاحَةِ كَانَ الْكَلَامُ كَالْإِنْسَانِ الْمَشْوَى الصُّورَةَ مَعَ وَجُودِ الرُّوحِ فِيهِ ، وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى خَطَا كَانَ الْكَلَامُ بِمِثْلَةِ الْإِنْسَانِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ ؛ وَلَوْ كَانَ عَلَى أَحْسَنِ الصُّورِ وَأَجْمَلِهَا .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" : ومما رأيته من المدعين لهذا الفن الذين حصلوا منه على القُشُور ، وقَصَرُوا مَعْرِفَتَهُمْ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْمَسْجُوعَةِ الْغَنِيِّ ، التي لا حاصلَ وراءها ، أنهم إذا أُتِكرَتْ هذه الحالةُ عليهم ؛ وقيل لهم : إنَّ الْكَلَامَ الْمَسْجُوعَ ليس عبارةً عن تَوَاطُّو الْفِقْرِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، إِذْ لَوْ كَانَ عبارة عن هذا وحده لَأَمْكَنَ أَكْثَرُ النَّاسِ أَنْ يَأْتُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَرَاءَ هَذَا ؛ وَلَهُ شُرُوطٌ مُتَعَدَّةٌ ، فَإِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ أَنْكَرُوهُ خَلُوتَهُمْ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ؛ وَإِذَا أُتِكرَ عَلَيْهِمُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْمَسْجُوعَةِ ، وَهَدُّوا إِلَى طَرِيقِ الْمَعَانِي ، يَقُولُونَ : لَنَا أَسْوَةٌ بِالْعَرَبِ الَّذِينَ هُمْ أَرَبَابُ الْفَصَاحَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا اعْتَنَوْا بِالْأَلْفَاظِ ، وَلَمْ يَتَنَوْا بِالْمَعَانِي اعْتِنَاعَهُمْ بِالْأَلْفَاظِ . فَلَمْ يَكْفِهِمْ جَهْلُهُمْ فِيمَا أَرْتَكِبُوهُ حَتَّى أَدَّعَوْا الْأَسْوَةَ بِالْعَرَبِ فِيهِ فَصَارَتْ جَهَالَتُهُمْ جَهَالَتَيْنِ . قَالَ : وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْعَرَبَ ، وَإِنْ كَانَتْ تَعْنِي بِالْأَلْفَاظِ قُصْلِيحِهَا وَتَهْدِيبُهَا فَإِنَّ الْمَعَانِي أَقْوَى عِنْدَهَا ، وَأَكْرَمَ عَلَيْهَا ، وَأَشْرَفَ قَدْرًا فِي قُوسِهَا .

ولما كانت الْأَلْفَاظُ عُنوانَ الْمَعَانِي وطريقَهَا إِلَى إظهارِ أغراضِهَا أَصْلَحُوهَا ، وَزَيَّنُوهَا وَبَالَفُوا فِي تَحْسِينِهَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَوْقَعُ لَهَا فِي النَّفْسِ ، وَأَذْهَبَ بِهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ مَسْجُوعًا لَدَّ لِسَامِعِهِ لِحْفِظِهِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَسْجُوعًا لَمْ يَأْتِسْ بِهِ أَتَسَّهُ فِي حَالَةِ السَّجْعِ ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ الْعَرَبَ قَدْ أَصْلَحُوا أَلْفَاظَهُمْ وَحَسَّنُوهَا وَرَفَّقُوا حَوَاشِيَهَا وَصَقَلُوا أَطْرَافَهَا ، فَلَا تَقْنَنُ أَنَّ الْعَايَةَ إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا هِيَ بِالْأَلْفَاظِ فَقَطْ ، بَلْ هِيَ خِدْمَةُ مِنْهُمْ لِلْعَانِي ؛ فَصَارَ ذَلِكَ كَأَبْرَازِ صُورَةِ الْحَسَنَاءِ

في الحَلَلِ المَوْشَاةِ والأَمْثَابِ المحبَّرةِ ؛ فإنَّما قد نجد من المعاني الفانخة ما شَوَّه من حسنة بذانة لفظه وسوء العبارة عنه .

قال أبو هلال العسكري رحمه الله : ومَنْ عرف ترتيب المعاني وأستعمل الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تبيَّ له فيها من صنعة الكلام ما تبيَّ له في الأولى . ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب أستخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي ، وحوَّلها إلى اللسان العربي . فلا يكفل لصناعة الكلام إلا من تكلَّل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال .

قال في "المثل الثائر" : وأعلم أن المعاني الخطابية قد حُصرت أصولها ، وأول من تكلم في ذلك حكيم اليونان ؛ غير أن الحصر كلي لا جزئي ، ومَحَال أن تُحصَر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفرعات التي لا نهاية لها ، لا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفة صاحب هذا العلم ، ولا يقتصر إليه ؛ فإن البدوي البادئ رايعي الإبل ما كان يترشده من ذلك بفهمه ، ولا يخطئ بياله ، ومع هذا ؛ فإنه كان يأتي بالسحر الحلال إن قال شعرا أو تكلم ثرا .

قال : ولقد فاضلني بعضُ المتفلسفين في هذا ، وأنساق الكلام إلى شيء ذكره لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يقال له اللوغازيا ، وقام فاحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت عليه أستجملته ؛ فإنه طَوَّل فيه وعَرَّض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل هذا الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا ، ثم مع هذا جميعه فإن معول القوم فيما يذكرون من الكلام الخطابي أنه يُورَد على مقدمتين ونتيجة ؛ وهذا مما لم يخطئ لأبي علي بن سينا بيال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع عمله وعند إفاضته



في صَوِّغ مصاغه لم تَخْطِرِ المَقْصِدَانِ والنتيجة له بيال؛ ولو أنه فَكَّرَ أولاً في المَقْدَمَيْنِ والنتيجة، ثم أتى بنظم أوثر بعد ذلك، لما أتى بشيء يُنْتَقَضُ به، ولطال الخَطْبُ عليه .

قال : بل إن اليونان أنفَسَمَ لما نظموا ما نظموه من أشعارهم، لم ينظموه في وقت نظمه وعندهم فكرة في مَقْدَمَيْنِ ولا نَتِيجَة، وإنما هذه أوضاع توضع وتطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر، وهي كما يقال :

فَمَافِئُ لَيْسَ لَهَا طَائِلٌ \* كَأَنَّهَا شِعْرُ الْأَيُّورِدِيِّ

### الوجه الثاني

في تحقيق المعاني، ومعرفة صوابها من خطئها، وحسنها من قبحها .  
وقد قسم صاحب الصنائع المعاني على خمسة أصناف

#### الصنف الأول

ما كان من المعاني مستقيماً حسناً، كقولك رأيت زيدا

وهو أعلى الأنواع الخمسة وأشرفها

قال في "الصنائع" : والمعنى الصحيح الثابت ينادى على نفسه بالصحة، ولا يجوز إلى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيئاً .

فأما المعنى المستقيم الجَزَلُ من النظم؛ فمن الوعظ قول النمر بن تَوَلَّب يذم طول الحياة :

يُودُ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى \* فَكَيْفَ تَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ؟

يَكَادُ الْفَتَى بَعْدَ اغْتِدَالٍ وَجْهَةً \* يَنْسُو إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُجَمِّلُ

وقول أبي التَّائِبَةِ في الوعظ بزوال العز والنعمة بالموت :

وكانت في حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ \* وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا !

وفي وصف الأيام قول أبي تَمَّام :

على أنها الأيامُ قد صِرْنَ كُلُّهَا \* عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

ومن المدح قول أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَأَمْرِي إِنْ حَبَوْتَهُ \* بِسَبَبٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَالِ يَزِينُ

وليس بِشَيْءٍ لَأَمْرِي بَذْلٌ وَجْهَهُ \* إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

وقول أبي تَمَّام :

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَابِئَهُمْ كَأَنَّهُمْ \* لَا يَشْتُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قِيلُوا

وقول الآخر :

هَمُّ الْأَلَى وَهَبُوا لِلْجِدِّ أَنْفُسَهُمْ \* فَسَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا إِذَا حُودُوا

ومن الفخر قول مَعْنٍ بْنِ أَوْسٍ :

لَعَمْرُكَ مَا أَهْدَيْتُ كَفَى لِرِسِي \* وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةِ رَجُلِي !

وَلَا قَادِنِي سَمِعِي وَلَا بَصَرِي لَهَا \* وَلَا دَلَّتْ رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي !

وَأَعْلَمْتُ أَنِّي لَمْ تُصْنِئْ مُصِيبَةً \* مِنَ النَّهْرِ إِلا قَدْ أَصَابَتْ قَتِي قَبْلِي !

وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيَّيْتُ لِمُنْكَرٍ \* مِنَ الْأَمْرِ لَا يَمُتُّ إِلَى مِثْلِهِ مِنِّي !

وَلَا مُؤَثِّرٍ نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ \* وَأَوْثَرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ ، عَلَى أَهْلِي !

وقول الآخر :

وَلَسْتُ بِنَقَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى \* إِذَا كَانَتِ الْعِلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وقول الشفري :

أَطِيلُ مِقَالَ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ \* وَأُضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَفْعًا فَيَهْلُ  
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الْعَارِ لَمْ يُلَفَّ شَرْبُ \* يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَى وَمَأْكُلُ

ومن الغزل قول جرير :

لِمَنِ الْعُيُونُ إِلَى فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ \* قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَ قَتْلَانَا  
يَصْرَعَنَّ ذَا الثَّلْبِ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ \* وَمَنْ أضعَفَ خَلْقِي اللهُ أَرْكَانَا

وقول النظام :

تَوَمَّمَهُ طَرْفِي فَأَلَمْ خَدَّهُ \* فَصَارَ مَكَانَ الْوَجْهِ مِنْ نَظَرِي أَثَرُ  
وَصَالِحُهُ قَلْبِي فَأَلَمْ كَفَّهُ \* قَيْنَ صَفْحِ قَلْبِي فِي أَنَامِيلِهِ حَفَرُ  
وَمَرَّ بِنِكْرِي خَاطِرًا بِفَرْخَتِهِ \* وَلَمْ أَرَ خَلْقًا قَطُّ يُحَرِّحُهُ الْفِكْرُ

ومن التسيب قول القائل :

وَمِنْ عَجِيبِ أَنِّي أَحْبَبْتُ إِلَيْهِمْ \* وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي  
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا \* وَيَسْتَأْثِفُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي

وقول الآخر :

إِنْ لَمْ أَزُرْ رَبَّكُمْ سَعَا عَلَى حَدَقِي \* فَإِنِّي وَدِدْتُ مَنُوسًا إِلَى الْمَلَقِ  
تَبَّتْ يَدِي إِنْ سَتَيْتِي عَنْ زِيَارَتِكُمْ \* يَبُضُّ الصَّفَاحُ وَلَوْ سَلَّتْ بِهَا طُرُقِي

ومن الحكمة قول المتنبي :

وَالظُّلَمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ \* ذَا عَفْءٍ فَلِمَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

وقول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى \* ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ؟

وقول الآخر :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقِي أَخَا لَا تَلُتْهُ \* عَلَى شَعَبِ أَى الرِّجَالِ الْمُهْدَبِ؟

ومن المهجو قول الطرمّاح فى تميم :

تَمِيمٌ يَطْرُقُ الثُّؤْمَ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا \* وَلَوْ مَلَكَتْ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

وقول الآخر :

لَوْ أَطْلَعَ الْفُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ \* وَمَا فِيهَا مِنَ السُّوءَاتِ شَابَا

إلى غير ذلك من معانى الشعر الحسنة البهجة الرائقة .

ومما يغفرط فى هذا السلك من الثرما يُنْحَى أن أعرابيا وقف على عبد الملك بن مروان برملة اللوى فقال : رحم الله امرأاً لم تُنَجِّ أذناه كلالى، وقَلَمَ معاذة من سوء مُقايى، فإن البلاد مُجْدبة، والحال مُسْغِبة؛ والحياه زاجر، يمنع من كلامك؛ والفقر عاذر، يدعو إلى إخباركم؛ والدعاء إحدى الصلّتين، فرحم الله امرأاً أمر بغير؛ أودعا بغير .

ومعانى القاضى الفاضل هى التى ترُقْص لها القلوب، وتطرَب لها الأبواب، ويهْجُم قَبولها على النفوس من غير حاجب ولا بَوَّاب؛ فمن ذلك قوله :

”يا بنى أَيْوَبَ، لو ملكتمُ الدهرَ لا متطعتمُ لِيَالِيهِ أَدَاهِمَ، وَقَلَدْتُمْ إِيامَهُ صَوَارِمَ، وَأَفْنَيْتُمْ شُمُوسَهُ وَأَقْصَارَهُ فِي الْهَيَاتِ دَنَائِدَ وَدَرَاهِمَ؛ وَأَيَّامُكُمْ أَعْرَاسَ وَمَا تَمَّ فِيهَا عَلَى الْأَمْوَالِ مَا تَمَّ، وَالْجُودُ فِي أَيْدِيكُمْ خَاتَمَ، وَنَفْسُ حَاتِمٍ فِي قَفْسِ ذَلِكَ الْخَاتَمِ“ .

فهذا هو السّحر الحلال، والمعانى التى تخضع لها شُمُ الجبال، ولا يقال فيه قيل

ولا قال .

## الصنف الثانى

ما كان مستقيا قبيحا كقولك قد زيدا رأيت

قال فى "الصناعتين" : وإنما قُبِحَ لأنك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير . وهذا النوع يسميه علماء المعانى : التحقيد . وسماه ابن الأثير فى "المثل السائر" المعاظلة المعنوية ، وهو تقديم ما الأول به التأخير ، كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف ، وتقديم الصلة على الموصول ونحو ذلك ؛ وهو من المذموم المرفوض عند أهل الصنعة ، لأن المعنى يختل به ويضطرب . قال فى "المثل السائر" : وهو ضد الفصاحة ، لأن الفصاحة هى الظهور والبيان ، وهذا عار عن هذا الوصف ؛ فمن ذلك قول بعضهم :

فأصبحت بعد خط بهجتها \* كأن قفرا رؤسومها قلما

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رؤسومها فقدم خبر كأن ، وهو خطأ عليها بجاء مختلا مضطربا ، وأقبح منه وأكثر اختلالا قول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب \* أبوه ، ولا كانت كليب نصاهره

يريد إلى ملك أبه ما أمه من محارب ، والمعنى ما أم أبيه من محارب ؛ يمدحه بذلك ذمًا لمحارب . وكذلك قوله ، يمدح خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله فى الناس إلا مملكا \* أبو أمه حتى أبوه يقاربه

يريد وما مثله فى الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ؛ وهو خاله ، فلما استعمل فيه التقديم والتأخير فى غير موضعه جاء مشوها رأيا كما تراه . قال الوزير "ضياء الدين ابن الأثير" : وقد استعمل الفرزدق من التعاطل كثيرا كأنه يقصد ذلك ويتعمده لأن مثله لا يحمى إلا متكلفا مقصودا ، وإلا فإننا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى

على نحيبها وطبيعتها في الاسترسال لم يمرض له شيء من هذا التعقيد؛ ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا النوع، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى؛ فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به . ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما .

### الصنف الثالث

ما كان مستقيماً ولكنه كذب كقولك حملت الجبل ،

وشربت ماء البحر، وما أشبه ذلك

وأعلم أن المعاني المستعملة في الشعر والكتابة أكثرها جارية على هذا الأسلوب خصوصاً المعاني الشعرية، فإنه مقدمات تخيلية تُوجب في النفس انقباضاً وأنسباطاً على ما هو معتز في علم المنطق . وقد قال في "الصناعتين": إن أكثر الشعر مبني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتعة، والنعوت الخارجة عن العادة، والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهل الذي هو أقوى الشعر وأخفله . قال : وليس يراد منه إلا حُسن اللفظ وجودة المعنى فهذا الذي سوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه . وقيل لبعض الفلاسفة : فلان يكذب في شعره . فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يُراد من الأثنياء عليهم السلام .

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع رحمه الله في كتابه "تمهيد التحرير" : وأنا أقول قد اختلف في المبالغة، فقوم يرون أن أجود الشعر أكذبه، وخير الكلام ما بُورِغ فيه، ويحتجون بما جرى للناطقة الذبياني مع حسان بن ثابت رضي الله عنه في استدراك النابتة عليه تلك المواقع المحجة في قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرِيدَتَيْنِ بِالضُّحَى \* وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ تَجْدِيدِ دَمَا

فإن النابغة إنما عاب على حسان ترك المبالغة والقصة مشهورة . قال : والصواب مع حسان وإن روى عنه أقطاعه في يد النابغة ؛ وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ، ولا يرون محاسنه إلا ما نخرج مخرج الصدق ، وجاء على منبج الحق ؛ ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وتجزئه عن أن يتخترع معنى ، أو يفترع معنى من معنى ؛ أو يحيل كلامه شيئا من البدع ، أو ينتخب ألفاظا موصوفة بصفات الحسن ، ويحدد تركيبها ، فإذا عجز عن ذلك كله عدل إلى المبالغة يستدبها خلله ويتم قصصه ؛ لما فيها من التحويل على السامع ، ويدعون أنها ربما أحالت المعاني فأخرجتها عن حد الإمكان إلى حد الامتناع . قال : وعندي أن هذين المذهبين مردودان ؛ أما الأول فلقول صاحبه إن خير الكلام ما بولغ فيه ، وهذا قول من لا ينظر له ، لأننا نرى كثيرا من الكلام والأشعار جاريا على الصدق المحض خارجا مخرج البحث ، وهو في غاية الجودة ، ونهاية الحسن ، وتمام القوة ؛ وكيف لا والمبالغة ضرب واحد من المحاسن ، والمحاسن لا تُحصَرُ ضرورها ؛ فكيف يقال : إن هذا الضرب على أفرادهِ يفضل سائر ضرب المحاسن على كثرتها ! وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ، ومن كان مذهبه توثيق الصدق في شعره غالبا ، ليس فوق أشعارهم غايةً لمتقٍّ ؛ ألا ترى إلى قول زهير :

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ \* وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمَ

وإلى قول طرفة :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى \* لَكَ لَطَوِيلُ الْمُرْتَنَى وَثَنَاءُ فِي الْيَدِ

وإلى قوله :

سَتُبْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

وإلى قول الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ \* لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
فإنك تجد هذه الأشعار في الطبقة العليا من البلاغة، وإن خلت من المبالغة؛  
والذي يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصديق في أشعارهم على الكذب  
ما روي عن الحرورية امرأة عمران بن حطان قاضى الصفرية من الخوارج أنها  
قالت له يوما : أنت أعطيت الله تعالى عهدا ألا تكذب في شعرك ، فكيف  
قلت :

فهنالك بجزاة بن ثو \* ركان أشجع من أسامه ؟

فقال : يا هذه، إن هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة  
قط ، وهذا حسان يقول :

وإنما الشعر لب المرء يعرضه \* على المجالس إن تكهنا وإن حمقا  
وإن أشعر يلب أنت قائله \* بيت يقال إذا أنشدته صدقا

على أن هؤلاء الفحول وإن ربحوا هذا المذهب لا يكرهون ضده ، ولا يمتحلون  
فضله ، وقلبا تخلو بعض أشعارهم منه إلا أن توتى الصديق كان الغالب عليهم ،  
وكانوا يكثر من منه ، ومن أكثر من شيء عرف به ، كما أن النابغة ومن تابعه  
على مذهبه لا يكرهون ضده المبالغة ، وإلا فكل احتجاج جاء به على الثعلب في  
الاعتذار جار مجرى الحقيقة ، كقوله :

حلفت فلم أترك لنفسي ربة \* وليس وراء الله للره مذهب

فائب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ ، وعائب المبالغة على الإطلاق  
غير مصيب ، وخير الأمور أوسطها .



والتحقيق أن المبالغة إذا لم تخرج عن حد الإمكان ، ولم تجر مجرى الكذب المحض ، فإنها لا تُدَمِّجُ بحال ، كقول قيس بن الخطيم :

طَعَنْتُ أَبْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرَ \* لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَضَاعَهَا

ملكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا \* يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مِنْ وَرَاءَهَا <sup>(١)</sup>

فإن ذلك من جيد المبالغة ، إذ لم يكن خارجا مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية في وصف الطعنة ؛ وكذلك قول أبي تمام :

نَكَادُ نَتَقِلُّ الْأُرُوحَ لَوْ تَرَكْتُ \* مِنْ الْجُسُومِ إِلَيْهَا حِينَ نَتَقِلُّ

فإنه لم يقع بصحيح المبالغة وقربها من الوقوع فضلا عن الجواز بتقديم كَادَ ، حتى قال : لَوْ تَرَكْتُ ، قال : وهذا أصح بيت سمعته في المبالغة وأحسنه ؛ وعلى حده ورد قول شاعر الحماسة ، وقد بالغ في مدح ممدوحه فقال :

رَهَتْ يَدِي بِالْعِزِّ عَنْ شُكْرِ رَهْ \* وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ

ولو كان مما يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعَتْهُ \* وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

فإن هذا الشاعر ألقى بيده وأظهر عجزه ، وأعترف بقصوره عن شكر ربه هذا الممدوح ، وقطن أنه لو أقصر على ذلك ، لأحتمل أن يقال له : عجزك عن شكره لا يدل على كثرة ربه ، لأحتمل أن يكون لضعف ماذك عن الشكر ، إذ لا يلزم من عجز الإنسان عن شيء تعظيم ذلك الشيء ، ولا بُدَّ لأحتمال أن يكون المعجز لضعف الإنسان ، فأحترز عن ذلك بقوله :

\* وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ \*

ثم تم المعنى بأن قال للشُّكُور، للبالغة في الشكر، فإن شكورا معدول عن شاكر للبالغة كما تقدم؛ ثم أظهر عنّره في عجزه بأن قال في البيت الذي يليه :

\* ولو كان مما يُستطاع أستطاعته \*

ثم ذيل هذا المعنى بإخراج بقية البيت مُخَرَّج المثل السائر ليكثر دَوْرَانَهُ على الألسنة فيحصل تجديد مدح المدوح كل حين، والتنويهُ بذكره في كل زمان ، حيث قال :

\* ولكنّ مالا يُستطاعُ شديدٌ \*

أما إذا خرجت المبالغة عن حدّ الإمكان، وجرت مجرى الكذب المحض، فإنها مذمومة في الشرع وإن كان الشعراء يستريحون مثل ذلك ولا يتعاشون الوقوع فيه . وقد أخبر تعالى عنهم بالكذب بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ وفي قوله صلى الله عليه وسلم : "أصدقُ كلمة قالها شاعرُ كلمةٌ لبيدٍ : \* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ " \* إشارةً لذلك أيضا .

فن المبالغة في الشعر المنتهية إلى حدّ الكذب قول البُحْتَرِيِّ :

ولو قُستَ يوماً مجملها بحقيها \* لكانا سواءَ لا بل المجلُّ أوسعُ  
وصفها رِقّةً انْخَصِرَ وَغَلِظَ الساقُ حتّى جعل مجملها الذي يدور على ساقها أوسعُ  
من حقيها الذي يدور على خصرها ؛ وأبلغ منه قول الآخر :

من الحيف لو أن الخَلَاخِيلَ صُبِرَتْ \* لها ومُحَا جَاءَتْ عليها الخَلَاخِيلُ  
بجعل الخَلَاخِيلَ يحول في بدنها ، لكنه ليس من المدح في شيء لأن الخَلَاخِيلَ لو صار  
وَشَاحًا للوأة لكانت في غاية الدَّماة حتّى تصير في خَلْقَةِ الجُرُودِ والمِرِّ .<sup>(١)</sup>

(١) الجُرودُ مثلُ الجِهم وهو ولد الكلب والسيّاح .

وأبلغ منه قول الآخر .  
 وَرَحْبُ صَدْرِ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ \* كَوْسُهُ لَمْ يَصُقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ  
 فجعل صدره في السعة والرحب أوسع من الأرض ، ونحوه قول الآخر :  
 وَيَوْمَ كَهْلُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ \* وَوَجْدِي مِنْ هَذَا وَمَآذَاكَ أَطْوَلُ  
 إلا أنه استعمل العَرَضُ في غير موضعه ، إذ الدهر يوصف بالطول لا بالعرض ،  
 وهو قد جعل له طولاً وعَرَضاً ، ويقرب منه قول أبي الطيب :  
 كَفَى بِمِجْنِي نُحُولًا أَيُّ رَجُلٍ \* لَوْلَا غَاطِي لِمَاكَ لَمْ أَبْنِ<sup>(١)</sup>  
 فجعل كلامه هو الذي يدل عليه من شدة النحول .

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبح : ومما يجرى به التمثيل في باب المبالغة  
 قول بعض العرب يذم إنساناً بقوله : فَلَان تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ فَيَقْضَبُ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَهَا ،  
 وتكون إليه فيردّها قبل أن يفهمها . وقول بعض بنياء الكُتَّاب : إن من النعمة على  
 المُتَنَبِّئِ عَلَيْكَ أَلَّا يَخْلُوَ مِنْ مَسَاعِدٍ وَلَا يَخْشَى مِنْ مَعَانِدٍ ، ولا تلحقه نقيصة المكذِّبِ ،  
 وَلَا يُكْرِهُهُ عَوَزُ الْأَوْصَافِ بِالْتَطَلُّبِ ، ولا ينتهي من القول إلى منتهى إلا وجد بعده  
 مقتضى ووراءه منحنى . وسبأني من المبالغة في أوصاف الخيل والسلاح ، وغيرها في  
 قسم الأوصاف من ذلك ما فيه مَقْنَعٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الصف الرابع

ما كان محالاً ، وهو ما لا يمكن كونه البتة ، كقولك أتيتك أمس ،  
 وأتيتك غداً ، وما أشبه ذلك

قال في "الصناعين" : "فإن اتصل الكذب بحال صار كذباً محالاً، كقولك :  
 رأيت قاعدا قائماً، ومررت بيقظان نائم، فإنه كذب للإخبار بخلاف الواقع، ومحال  
 (١) المشهور في الرواية : لم تَرَى ، وهي التي شرح عليها المكي .

لعدم إمكان الجمع بين التقييذين؛ وقد تقدم في النوع الثالث أن أكثر الشعر مبني على الكذب، والاستحالة من الصفات المتنعة والتعوت الخارجة عن العادة، وذلك في الكذب مما لا نزاع في كثرته في الشعر كما تقدم .

أما المحال فانه قليل الوقوع، نادر في النظم والنثر، معدود من المعاييب، محكوم عليه بالرد .

فمن ذلك قول عبد الرحمن بن عبد الله القس :

ولإني إذا ما الموت حلّ بنفسها \* يُزَالُ بنفسي قبلَ ذاك فأقبُرُ

قال العسكري : هذا من المحال الذي لا وجه له ، قال : وهو شبه بقول القائل : إذا دخل زيد الدار ، دخل عمرو قبله ، ثم قال : وهذا عين المحال المتعنى الذي لا يجوز يريد أنه قد توقف كل من الأمرين على الآخر لأنه لا يوجد إلا به فيلزم الدور ، وهو محال فيحكم فيه بالبطلان وقطع الدور .

ومما يلتحق بالمحال ويغروط في سلكه تناقض المعاني وأضطرابها .

فمن ذلك قول المسيب بن عيسى في وصف ناقة :

فتسل حاجتها إذا هي أعرضت \* بجيصة سرج الدين وساع  
فكانت قنطرة موضع كورها \* ملساء بين غوامض الأضلاع  
وإذا أظفت بها أظفت بكل كل \* بيض الفرائص مجفّر الأضلاع

قال في "الصناعين" : وهذا من المتناقض لأنه قال بجيصة ، ثم قال موضع كورها قنطرة ، وهي مجفّر الأضلاع فكيف تكون جيصة وهذه صفتها !  
وقريب منه قول الحطيئة :

حرج يلاوذ بالكاس كأنه \* متطوف حتى الصباح يدور

حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ شَقَّ عَمودَهُ \* وعلاه أَسْطَعُ من سَنَاه مُبِير  
وَحَصَى الكَثِيبَ بِصَفْحَتِهِ كَأَنَّهُ \* خَبَثُ الحديدِ أَطَارَهُنَّ الكِبِيرُ  
زعم أنه لم يزل يطوف حتى أصبح وأشرف على الكتيب، فمن أين صار الحصى  
بصفحته ! . وقول المُرْقِش الأصغر :  
مَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنْفِ دُرَّةٍ \* إِذَا خَطَرْتُ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا  
وكيف محَا عنها مَنْ إِذَا ذَكَرْتَ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ !

### الصنف الخامس

ما كَانَ غَلَطًا، وهو أن تريد الكلام بشئٍ فَيَسْبِقَ لسانك إلى خلافه، كقولك :  
ضَرَبَنِي زَيْدٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ ضَرَبْتُ زَيْدًا  
قال في "الصناعين" : "فإن تَمَنَّيْتَ ذلك، صار كَذِبًا، وهذا النوع أكثر وقوعه  
من الذي قبله، قال : وقد وقع فيه الفحول من الشعراء .  
وأصناف الغلط في المعاني كثيرة، فمن ذلك الغلط في الأوصاف، وهي على  
وجوه : منها وصف الشيء بخلاف ما هو عليه وذَكَرَهُ بما ينافية .  
فمن غريب هذا النوع قول الراعي في وصف المِسْك :  
يَكْسُو المَفَارِقَ وَاللِّبَاتِ ذَا أَرْجٍ \* من قُصِبِ مُتَعَلِّفِ الكافُورِ دَوَاجٍ  
بفعل المِسْك من قُصِبِ الظُّلِيِّ، وهو مِعَاهُ وجعل الظُّلِيَّ يتلف الكافُورَ فينولد منه  
المِسْك، وهذا من طرائف الغلط . وقريبٌ منه قولُ زُهَيْرٍ يصف الضَّفَادِعَ :  
يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَابَاتِ مَاؤِهَا طَحِلٌ \* عَلَى الجُلُودِ تَخَافُ النِّمَّ وَالْقَرَفَا

ظن أن الضفادع يخرجن من الماء مخافة الفرق، ونشومها فيه . وقريب منه قول ذى الرمة :

إذا أنجابت الظلماء أضحى رؤوسها \* عليهن من جهد الكرى وهى ضلّ  
فوصف الرؤوس بالضلّج . قال ابن أبي فروة : ما أغفلت هذا، ولقد قلت  
لدى الرمة : ما علمتُ أحدا أضلّج الرؤوس غيرك، قال : أجل .

قال في "الصناعتين" : ومما لم يُسمع مثله قط قول عدي بن زيد في النحر :  
والشريف الهديب يسعى بها \* أخضر مطموئاً بماء الحريص  
فوصف النحر بالحضرة، والحريص : السحابة تحرّص وجه الأرض أى تقشرها،  
ومنه سميت إحدى الشجّاج في الرأس الحارصة لأنها تنشق الجلد .

ومنها وصف الشيء على خلاف المهود والعادة المعروفة .  
فمن ذلك قول المرّار :

وخالٍ على خديك يسدو كأنه \* سنّا البدر في دغجاء بادٍ دجونها  
 والمعروف أن الخيلان سودّ أو سمّر، والحدود الحسان إنما هى البيض، فأتى  
هذا الشاعر بقلب المعنى؛ ومثله قول الآخر :

كأنما الخيلان في وجهه \* كواكبٌ أحذقن بالبدر

قال أبو هلال العسكري : ويمكن أن يُحتج لهذا الشاعر بأن يقال : تشبه  
الخيلان بالكواكب من جهة الاستدارة لا من جهة اللون .

ومن ذلك قول امرئ القيس في وصف الفرس أيضا :  
وللسوط المبوب وللحاق ديرة \* وللزجر منه وقع أترج مهذب

قال أبو هلال العسكري : فلو وصف أحسن حمار وأضعفه ، ما زاد على ذلك ؛  
وقول القائل :

صَبَّنا عليها ظِلْمِينَ سَيَّطَنَا \* فطارت بها أيدٍ سراعٍ وأرجلُ

بفعل ضربها بالسوط من باب الظلم لأنها لا تحوجه إلى ذلك ؛ ومن ذلك قول  
امرئ القيس :

وَأَرْكَبُ فِي الرُّوعِ خَيْفَانَةً \* كَمَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُشْتَر

شبه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها ، وإذا غطى الشعر عينَ الفرس  
لم يكن كريما .

ومثله قول طرفة يصف ذنبَ البعير :

كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْتَفَا \* خِفَافِي ، شُكَّا فِي السَّيْبِ مَسْرِدِ

بفعل ذنبه كشفا ، طويلا عريضا ؛ وإنما توصف النجائب بخفة الذنب  
ورقة الشعر .

ومنها أن يحمرى في مقاصد المعاني على خلاف المألوف المعروف ، وذلك قول  
جنادة :

مَنْ حَبَا أَتَمَّتْ أَنْ يُلَاقِيَنِي \* مَنْ نَحْوِ بَلَدِهَا نَاجٍ فَيُعَايَا

لِكَيْ يَكُونَ فِرَاقِي لَا لِقَاءَ لَهُ \* وَتُضْمِرُ النَّفْسُ بِأَسَاثِمَ تَسْلَاهَا

فإذا تمى الحب للهييب الموتَ فماذا عسى أن يتمنى البيضُ لبغيضه !  
وقول الآخر :

وَلَقَدْ حَمَمْتُ بِقَتْلِهَا مَنْ حُبَّهَا \* كَيْمَا تَكُونَ خَصِيمَتِي فِي الْحَمَرِ

فذكر أن شدة الحب حملته على قتل محبوبته حتى تخافه في الحشر لطلب حقها،  
 وشدة الحب لا تعمل إلا على الإكرام والبر، على أنها قد تكون تكرهه، فتترك حقها  
 له حتى لا يطول وقوفها معه للخصام؛ وقول نصيب :

فإن تصلي أميك وإن تعودى \* بهجر بعد ذلك فلا أبالي  
 والعاشق يلاطف قلب محبوبه ولا يخاصمه، ولا يلاجه .

## الأصل الثاني

من صناعة إنشاء الكلام النظر في الألفاظ؛ والنظر فيها من وجهين

### الوجه الأول

في فضل الألفاظ وشرفها

قد تقدم في الكلام على المعاني أن الألفاظ من المعاني بمنزلة الثياب من الأبدان  
 فالوجه الصحيح يزداد حسنا بالحلل الفاتحة والملابس البهية، والقيح يزول عنه  
 بعض القبح، كما أن الحسن ينقص حسنه برثاءة ثيابه وعدم بهجة ملبوسه؛ والقيح  
 يزداد قبيحا إلى قبحه . فالألفاظ ظواهر المعاني، تحسن بحسنها، وتقيح بقبحها؛  
 وقد قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : ليس الشأن في إيراد المعاني،  
 لأن المعاني يعرفها العربي والجمي والقروي والبدوي وإنما هو في جودة اللفظ؛  
 وصفاته، وحسنه وبهائه، ونزاهته وقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك  
 والتركيب، والخلق من أود النظم والتأليف .

قال : وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ولا يقع من اللفظ بذلك  
 حتى يكون على ما تقدم من نوعه؛ ثم قال : ومن الدليل على أن مدار البلاغة تحسين  
 اللفظ أن الخطيب الرائعة، والأشعر الرائعة، ماعملت لإفهام المعاني فقط، لأن



الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام ، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صناعته ، وروثى ألفاظه ، وجودة مقاطعه ، وبديع مباديه ، وغريب مبانيه ، على فضل قائله ، وفهم منبثه ، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني ، وتوثق صواب المعاني أحسن من توثق هذه الأمور في الألفاظ ؛ فلهذا يتأق الكاتب في الرسالة ، والخطيب في الخطبة ، والشاعر في القصيدة ، ويالنون في تجويدها ، ويقولون في ترتيبها ، ليدلوا على براعتهم ، وحذقهم بصناعتهم ؛ ولو كان الأمر في المعاني لطرخوا أكثر ذلك فرحوا كذا كثيرا ، وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً ؛ وأيضا فإن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذبا ، وسائاً سهلاً ، ومعناه سطواً ، دخل في جملة الجيد ، وجرى مع الرائع التادرك قول الشاعر :

ولما قضيتا من مني كل حاجة \* ومسح بالأركان من هو مايح  
وشدت على حذب المهاري رحالتنا \* ولم ينظر النأدي الذي هو رانح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا \* وسالت بأعناق الميلى الأباطح

وليس تحت هذه الألفاظ كثير معنى ، وهي رائعة مُعجبة ، وإنما هي : ولما قضيتا الحج ، ومسحتا بالأركان ، وشدت رحالتنا على مهازيل الإيل ، ولم ينظر بعضنا بعضا ، جلنا تحت وتسير بنا الإيل في بطون الأودية ؛ وإذا كان المعنى صوابا واللفظ بارداً فاتراكنا مستهجنات ملفوظات ، ومنموما مردودات ؛ كقول أبي التائية في أبي عثمان سعيد بن وهب :

مات والله سعيد بن وهب \* ربح الله سعيد بن وهب  
يا أبا عثمان أبكيت عني \* يا أبا عثمان أوجعت قلبي

## الوجه الثاني

الألفاظ المفردة، وبيان ما ينبغي استعماله منها، وما يجب تركه

اعلم أن الذي ينبغي أن يستعمل في النظم والنثر من الألفاظ هو الرائق البهج الذي قبله النفس، ويميل إليه الطبع، وهو الفصيح من الألفاظ دون غيره .

والفصيح في أصل اللغة هو الظاهر البين، يقال : أفصح الصبح إذا ظهر وبان ضومه ، وأفصح اللبن إذا تجلت عنه رغوته وظهر، وأفصح الأعجمي وقصَح إذا أبان بعد أن لم يكن يُبين، وأفصح الرجل عما في نفسه إذا أظهره .

قال في "المثل السائر" : وأهل البيان يَقْفُونَ عند هذا التفسير، ولا يكشفون عن السرفيه . قال : وبهذا القول لا تبين حقيقة الفصاحة، لأنه يلزم أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحاً جيداً، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً؛ على أنه قد يكون اللفظ ظاهراً لازيد ولا يكون ظاهراً للعموم، فيكون فصيحاً عند واحد دون آخر، وليس كذلك؛ بل الفصيح ما لم يختلف في فصاحته، لأنه إذا تحقق حد الفصاحة وعُرف ما هي لم يبق في اللفظ المختص بها خلاف؛ وأيضاً فإنه لو جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع، وهو مع ذلك ظاهر يَبِينُ فينبغي أن يكون فصيحاً، وليس كذلك لأن الفصاحة وصفٌ حسنٌ للفظ لا وصفٌ قبيح .

قال : وتحقيق القول في ذلك أن يقال : الكلام الفصيح هو الظاهر البين، والظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتب لغة؛ وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر، دائرة في كلامهم؛ وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها، وذلك أن أرباب النظم والنثر غَرِبُوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسَرَبُوا

وقسموا فأختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا الصيغ منها فلم يستعملوه؛  
 فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعملها دون غيرها سبب ظهورها  
 وبيانها؛ فالفصح إذا من الألفاظ هو الحسن. ثم قال: والمرجع في تحسين الألفاظ  
 وقبحها إلى حاسة السمع، فما يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، وما يكرهه  
 وينفر عنه هو الفحيح، بدليل أن السمع يستلذ صوت الببل من الطير وصوت  
 الشحرور ويميل إليهما، ويكره صوت الغراب وينفر عنه، وكذلك يكره نقيق الجمار  
 ولا يحد ذلك في صهيل الفرس؛ والألفاظ جارية هذا المجرى؛ فإنه لا خلاف في أن  
 لفظة المزنة والدببة يستلذهما السمع، ولفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع، والألفاظ  
 الثلاثة من صفة المطر ومعناها واحد؛ وأنت ترى لفظي المزنة والدببة وما جرى مجراها  
 مألوفة الاستعمال، وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل وإن استعمل  
 فإنما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من دونه غير سليم؛ لأجرم أنه ذم وقبح فيه،  
 ولم يلتفت إليه، وإن كان عربياً محضاً من الجاهلية الأقدمين؛ فإن حقيقة الشيء إذا  
 علمت وجب الوقوف عندها ولم يُخرج على ما خرج عنها.

إذا علمت ذلك فلا يوصف اللفظ المفرد بالحسن حتى يتصف بأربع صفات:

### الصفة الأولى

ألا يكون غريباً، وهو ما ليس مانوس الاستعمال ولا ظاهر المعنى.  
 ويسمى: الوحشي أيضاً نسبة إلى الوحش لبقاره وعدم تأمسه وتألفه،  
 وربما قلب فقيل: الحوشي نسبة إلى الحوش، وهو الثَّغَار.

قال الجوهري: وزعم قوم أن الحوش بلاد الجن وراء رمل يترين لا يسكنها  
 أحد من الناس، فالغريب والوحشي والحوشي كله بمعنى.

(١) كذا في الضوء أيضاً، وفي ساهل لأن الفارسي لا يحاضر لالحاش، انظر القاموس.

ثم الغريب على ضريين :

الضرب الأول — ما يُصاب آسماله مطلقا، وهو ما يُحتاج في فهمه الى بحث وتفتيح، وكشف من كتب اللغة ؛ كقول ابن جحدر .

حَلَقْتُ بِمَا أَرَقَلْتُ حَوْلَهُ \* هَمْرَجَلَةٌ خَلَقَهَا شَيْطَنٌ

وما شَبَرَقْتُ مِنْ تَوَفِيَةٍ \* بها من وَحَى الْجَنِّ زِيَزَمَ

فالإرقال : ضرب من السير؛ وهو نوع من الخَبَب، يقال منه : أرقلت الناقة تُرْقِل إرقالا، والهمرجلة : الناقة السريعة، وقال أبو زيد : الهمرجلة : الناقة النجبية الراحلة. والشَيْطَنُ : الشديد الطويل، وهو من صفات الإبل والخليل والأُنثى شَيْطَمَةٌ . والشَرْقَةُ : القطع، يقال : شَبَرَقْتُ الثوبَ أَشْبَرَقَهُ شَبْرَقَةً إذا قطعته، وشبرقت الطريق إذا قطعته . والتَوَفِيَةُ : المفازة، ويقال فيها : تَوَفِيَةٌ أَيْضًا. والوَحَى هنا : الصوت الخفيُّ، يقال : سمعت وَحَاةَ الرعد، وهو صوته المتمدُّ الخفي . وقوله زِيَزَمَ : حكاية لأصوات الجن إذا قالت : زى زى؛ وحاصله أنه يقول : حَلَقْتُ هذه الحلقة بما سارت هذه الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق، وما قطعت من مفازة لا يُسمع فيها إلا أصواتُ الجن؛ وهذا مما لا يوقف على معناه إلا بكذ وتعب في كشفه وتبعه من كتب اللغة .

الضرب الثاني — ما يحتاج إلى تدقيق النظر في التصريف وتخريج اللفظ على وجه بعيد، كلفظ مسرج من قول المعجاج .

وَمُقَلَّةٌ وَحَاجِبًا مُرْجَجًا \* وَفَاحًا وَمَرَسِنًا مُسْرَجًا

فالمُقَلَّةُ : شحمة العين . والحاجب معروف . والمزجج : المُقَوَّس مع طول ودَقَّة في طَرَفِهِ . والفاحم : الشَّعْر الأسود الذى لونه كلون الفَحْم . والمَرَسِنُ : الأنف ؛

وصفه بكونه مُسرَّجاً إما أنه كالسيف السَّرَجِيّ في الدِّقَّة والاستواء، والسَّرَجِيّ نسبة إلى قَيْن يسمَّى سَرَجِيّاً تنسب إليه السيوف؛ وإما أنه كالسَّراج في البريق واللمعان؛ أو من قولهم سَرَجَ الله وجهه إذا بهَّجه وحسَّنه . فهذا ومثله مما لا يقف على معناه إلا من عرف التصريف وأهَّنه .

إذا تقرر ذلك فاعلم أن اللفظ يختلف في الغرابة وعدمها باختلاف النسب والإضافات؛ فقد يكون اللفظ مألوفاً متداولاً الاستعمال عند كل قوم في كل زمن، وقد يكون غريباً متوحشاً في زمن دون زمن، وقد يكون غريباً متوحشاً عند قوم، مستعملاً مألوفاً عند آخرين .  
وهو أربعة أصناف :

### الصنف الأول

المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمن

وهو ما تداول استعماله الأئمة والآخر من الزمان القديم وإلى زماننا كالسماء والأرض، والليل والنهار، والحز والبرد، وما أشبه ذلك؛ وهو أحسن الألفاظ وأعتبها، وأعلىها درجة، وأغلاها قيمة؛ إذ أحسن اللفظ ما كان مألوفاً متداولاً كما تقدم؛ وهذا لا يقع عليه اسم الوحش بحال .

قال في "المثل السائر" وأنت إذا نظرت إلى كتاب الله العزيز الذي هو أفصح الكلام وجدته سهلاً سليماً، وما تضمنته من الكلمات الغريبة يسيراً جداً . هذا وقد أنزل في زمن العرب الغرابة، وألفاظه كلها من أسهل الألفاظ وأقربها استعمالاً وكفى بالقرآن الكريم قدوة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني " يريد فائحة الكتاب . وإذا نظرت إلى

ما أشقّت عليه من الألفاظ وجعلتها سهلة فريسة يفهمها كل أحد حتى صبيان  
المكاتب وعوام السوق وإن لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة، فإن  
أحسن الكلام ما عرف انحصار فضله، وفهم العامة معناه؛ وهكذا فلتكن الألفاظ  
المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها؛ والمقتدى بألفاظ القرآن يكفى بها عن  
غيرها من جميع الألفاظ المثورة والمنظومة؛ وقد كانت العرب الأول في الزمن القديم  
تُعاشي اللفظ الغريب في نظمها وشرها، وتميل إلى السهل وتستعذب به؛ ويكفى من  
ذلك كلام قيس بن نعيم لما قدم على امرئ القيس في أشياخ بني أسد يسألونه  
العفو عن دم أبيه، فقال له: "إنك في المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما  
تُحدثه أيامه، وتثقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ، ولا تبصير من  
مجزب؛ ولك من سودّد منصبك، وشرف أعراقك، وكرم أصلك في العرب تحبّد  
يحتمل ما حمل عليه من إقالة الثرة ورجوع عن الحقوة؛ ولا تتجاوز الهمم إلى غاية  
إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم الصفح  
ما يطول رغباتها، ويستغرق طلباتها، وقد كان الذي كان من الخطب الحليل، الذي  
عمت رزيتة زارا واليمن، ولم تُخصص بذلك كندة دوتا للشرف البارع الذي كان  
تُجر؛ ولو كان يقضى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله،  
ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أنراه على أولاه؛ ولا يلحق أقصاه أدناه؛ فأحد  
الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث: إما أن اخترت  
من بني أسد أشرفها بيتا، وأعلاه في بناء المكرمات صوتا، فقدناه إليك بنسعة تذهب  
مع شقرات حُسامك بياق قصرته فنقول: رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستلّ تغييمته  
إلا تمكينته من الانتقام؛ أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها، فهي ألوف  
تجاوز الحسبة، فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها، لم يرددها تسليط

الإحسَن على البرءاء؛ وإما أن وادَعْنَا إلى أن تَضَعَ الحوائِلُ قُتْسِدَ الأُزُر وتَعْقِدُ النُحُر  
فوق الرِايَات ” .

فبكى أمرؤ القيس ساعةً، ثم رفع رأسه فقال :

”لقد عَلِمَتِ العَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفَّاءَ لِحُجْرِي ذِمٍّ، وَأَنِّي إِنِ اعْتَصَصَ بِهِ جَمَلًا وَلَا نَافَقَةً،  
فَاكْتَسَبَ بِهِ سُبَّةَ الْإِيدِ، وَفَتَّ الْمَضْدُ؛ وَأَمَّا النَّظَرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْإِجْنَةُ فِي بَطُونِ  
أَمَهَاتِهَا، وَلِنِ أَكُونُ لِعَلْبِهَا سَبِيًّا؛ وَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ؛ تَحْمِلُ  
فِي الْقُلُوبِ حَقَّتًا، وَفَوْقَ الْأُسْنَةِ عَلَقًا .

إِذَا جَالَتِ الْحَرْبُ فِي مَازِقٍ \* تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَابِأُ النَّفُوسَا

أَتَقِيمُونَ أَمْ تَتَصَرَّفُونَ؟“ قالوا : بل نتصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار،  
بمكروه وأذية، وحرب وبليّة .

ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :

لَمَّا لَكَ أَنْ تَسْتَوِيحِمَ الْوَيْدَ إِنْ عَدْتُ \* كَتَّابُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تُحْمِلُ

فقال أمرؤ القيس : لا والله ! ولكن استعذبه، فرويدا ينفرج لك دُجَاهَا عَنْ  
فُؤْسَانِ كِنْدَةَ وَكَتَّابِ حِمِيرٍ . ولقد كان ذكر غير هذا بي أولى إذ كنت نازلا بربي،  
ولذلك قلت فأوجبت .

فقال قبيصة : ما يُتَوَقَّعُ فوق قدر المعاتبة والإعتاب ، فقال أمرؤ القيس :

هو ذلك .

قال في ”المثل السائر“ : فليُنظر الى هذا الكلام من الرجلين : قبيصة وأمرؤ  
القيس حتَّى يَدَعَ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ فِي اسْتِمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنْ الْإِكْفَافِ؛ فَإِنْ هَذَا  
الكلام قد كان في الزين القديم قبل الإسلام بما شاء الله، وكذلك هو كلام كل فصيح

من العرب مشهور، وما عداه فليس بشيء . قال : وهذا المشار إليه هاهنا هو من  
جَزَل كلامهم ، وهو على ما تراه من السَّلَاسَةِ والمُتَوَبَةِ ؛ وإذا تصفَّحت أشعارهم  
أيضا وجدت الوحش من الألفاظ قليلا بالنسبة إلى المسلسل في القم والسمع ؛  
وعلى هذا المنهج في الجزالة والسهولة يجرى من النظم قولُ امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ \* كَفَّانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَجْنِيدِ مُؤْتَلٍ \* وَقَدْ يُدْرِكُ التَّجْدَ الْمُؤْتَلُ امْتَالِي

فانظر إلى هذين البيتين ليس فيهما لفظة غريبة، ولا كره مع ما فيهما من  
الجزالة ؛ وكذلك أبيات السَّمُول المشهورة وهي :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْتَئِ مِنَ الْقَوْمِ عَرَضُهُ \* فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ بَجِيلٌ  
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَجْمَلْ عَلَى النَّفْسِ صَمِيمًا \* فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ التَّنَاءِ سَبِيلٌ  
تُعَبِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَابِدُنَا \* فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ  
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا \* عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ  
يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا نَا \* وَتُكَرِّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ  
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَبْدٌ فِي فِرَاشِهِ \* وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ  
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ \* بِهَا مِنْ قِرَاعِ النَّارِ عَيْنَ فَلُولُ  
مُعَوْدَةٍ أَلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا \* فَتُفْعَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْلُ

فإذا نظرت ما تضمنته هذه الأبيات من الجزالة، خلَّتْها زُبرًا من الحديد مع ما هي  
عليه من السهولة والمُتَوَبَةِ، وأنها غير قَفْظَةٍ ولا غِلْظَةٍ . وقد ورد للعرب في جانب الرِّقَّة  
من الأشعار ما يكاد تُكُوبُ لِرَقَّتِهِ القلوبُ ؛ كقول عروة بن أذينة :

إِنِ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَازِدَكَ مَلَّهَا \* خَلَقْتَ هَوَاكَ كَمَا خَلَقْتَ هَوَى لَهَا  
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا \* بِلَاقَةِ قَادِقِهَا وَأَجَلَهَا



حَبِّتْ حَبِّتَا فَعَلْتُ لَصَاحِي \* مَا كَانَتْ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا !  
وَإِذَا وَجَدْتُهَا وَسَاوَسَ سَلْوَةً \* شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَهَا  
وَقَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الطَّرِيقَةِ فِي مَحَبَّتِهِ مِنْ بَنِي حَرَمٍ :  
بَنَفْسِي مِنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَاتِهِ \* عَلَى كَعْبِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَا لِيْلَهُ

وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلُ سَاكِنِ الْقَلَاءَةِ، لَا يَرَى إِلَّا شَيْخَةً أَوْ قَيْصُومَةً، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا  
ضَبًّا أَوْ رِبْرَبًا، فَمَا بَالُ قَوْمِ سَكَنُوا الْحَضَرَ، وَوَجَدُوا رِقَّةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطَوْنَ وَحِشِيَّةَ  
الْأَلْفَاظِ وَشِطْفَ الْمَبَارَاتِ ! وَلَا يُحْدِثُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ، أَوْ عَاجِزٌ  
عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ حَصْلِ عَلَى نَبْذَةٍ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ  
بِالْوَحْشِيِّ مِنَ الْكَلَامِ؛ إِمَّا بِأَنْ يُلْتَصِقَهُ مِنْ كَتَبِ اللُّغَةِ، أَوْ يَتَلَقَّه مِنْ أَرْبَابِهَا . وَأَمَّا  
الْفَصِيحُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاةِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَّرَ عَلَيْهِ لِمَا عِلْمُ أَيْنَ يَضَعُ  
يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ وَسَبْكِهِ .

قَالَ : وَإِنْ مَرَى فِي ذَلِكَ مُتَمَارِظِينَ نَظَرَ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ مَنْ كَانَ يُشَارُ إِلَيْهِ  
حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ ذَلِكَ؛ فَإِنْ أَبْنَى دُرَيْدٌ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى  
شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْمُحِيدِينَ مُنْحَطًّا، مَعَ أَنَّ أَوَّلِيكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ  
يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ عَشْرَ مِثْقَالٍ مَا عِلْمُهُ؛ وَأَيْنَ شِعْرُهُ مِنْ شِعْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ !  
وَهُوَ مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْمُحْدِثِينَ، وَشِعْرُهُ كَثَرَتْ نَسِيمٌ عَلَى عَذَابَاتِ أَغْصَانٍ، أَوْ كَلَوُلُؤَاتِ  
طَلٍّ عَلَى طُرُورِ رِيحَانٍ؛ وَلَيْسَ فِيهِ لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كِتَابٍ  
مِنْ كِتَابِ اللُّغَةِ، كَقَوْلِهِ :

وَإِنِّي لِيُرِضَنِي قَلِيلُ نَوَالِكِ \* وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ  
بُحْرَمَةٌ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ \* مِنْ الْوُدِّ إِلَّا عُدْتُمْوْ بِجَمِيلٍ

وقوله في محبته قَوْز :

يَا قَوْزُ يَا مِئَنَةَ عَبَّاسٍ \* قلبي يُعَدِّي قَبْلَكَ الْقَاسِي  
أَسَأْتُ إِذْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ \* وَالْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ  
يُقَلِّقُنِي شَوْقِي قَاتِيَكُمْ \* وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْبَاسِ

وهل أعذب من هذه الأبيات؟ وأعلق بالخاطر، وأسرى في السمع؟ ومثلها تسهر  
واقدمات الأجفان، وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرهان؛ ومن الذي يستطيع أن  
يسلك هذه الطريق التي هي مَهْلَةٌ وَعَرَّةٌ، قريبة بعيدة؟ . وقد كان أبو العتاهية  
أيضا في غُرَّة الدولة العباسية، وشعر العرب إذ ذاك موجود كثيرا، وإذا تأملت  
شعره وجدته كالماء الجاري، رَقَّةً أَلْفَاطُ، وَلَطَافَةً مَسْبُك، وليس بريك ولا واهٍ،  
وأنظر إلى قصيدته التي يمدح بها المهديّ ويشبب بجاريته عتب وهي :

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَالَهَا \* تَذِلُّ فَاثْمَلُ إِذْ لَاحَا  
أَلَا إِنِّ جَارِيَةٌ لِلْإِمَا \* مَقْدَأْمِكِنِ الْحُسْنُ سِرَّهَا  
لَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ قَلْبِي بِهَا \* وَأَتَعَبَ فِي اللَّوْمِ عُنَانَهَا  
كَأَنَّ بَعْنِي فِي حَيْثُ مَا \* سَلَكْتَ مِنَ الْأَرْضِ تَمَثَّلَهَا

فلما وصل إلى المديح قال من جملة :

أَتَشْتِ الْخِلَافَةَ مَقَادَةً \* إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا  
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ \* وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا  
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ \* لُزْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا  
وَلَوْ لَمْ تَطْعَمْ نِيَاتِ الْقُلُوبِ \* لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فهذه الأبيات من أَرْقَى الشعر غَزَلًا ومديحا، وقد أذعن لمديحها الشعراء  
من أهل ذلك العصر، وهي على ما ترى من السَّلاَسَةِ وَاللَّطَافَةِ على أقصى النايات؛

حَتَّى قَالَ بَسَّارٌ عِنْدَ سَمَاعِ الْمَهْدِيِّ لَهَا مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ : " انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواضه ؟ " يريد هل زال عن سريره طرباً بهذا المديح . وعلى هذا الأسلوب كان أبو نُوَاسٍ في السهولة والسلاسة والزفة ، ولذلك قُدِّمَ على شعراء عصره مع ما فيه من غول الشعراء ومفلقهم كسلم بن الوليد وغيره ، وذلك لرقه شعره وسهولته ، كقوله في محبوبته جَنَانُ :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَقْبَيْتُ عُثْرِي \* بِمَطْلَبِهَا وَمَطْلَبُهَا عَيْرِ  
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبِيلاً لَهَا \* يُقَرِّبُنِي وَأَعْيَتُنِي الْأُمُورِ  
تَحَجَّجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّجْتُ جَنَانَ \* فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرِ

فانظر إلى هذه الأبيات ليس فيها لفظة منغقة ، وكذلك سائر شعره ، وكان هو وأبو العتاهية كأنما يُنْفِقَانِ مِنْ كَيْسٍ وَاحِدٍ . ومن لطيف ما يحكى في تَوَاتُقِي طريقتهما واتحاد مأخذهما أن أبا نُوَاسٍ جلس يوماً إلى بعض التجار يسفنداداً هو وجماعة من الشعراء فاستسقى أبو نُوَاسٍ ماءً فلما شرب قال :

\* عَذَّبَ الْمَاءُ وَطَابَا \*

ثم قال : أجزوه ، فأخذ أولئك الشعراء يترددون في إجازته وإذا هم بأبي العتاهية مجتازاً فقال : ما شأنكم مجتمعين ؟ فقالوا كَيْتَ وَكَيْتَ وقد قال أبو نُوَاسٍ :

\* عَذَّبَ الْمَاءُ وَطَابَا \*

فقال أبو العتاهية مجيزاً له :

\* حَبَّبَا الْمَاءُ شَرَابَا \*

فَجَبُّوا لِقَوْلِهِ عَلَى الْغُورِ مِنْ غَيْرِ تَلْبِثٍ ، فهذا هو الكلام السهل المتع تراه يُطْمَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِهِ ، فإذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الطب ، وهكذا ينبغي أن يكون مَنْ خَاضَ فِي تَنَابُهِ أَوْ شَعْرِ ، فَإِنْ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا دَخَلَ الْأُذُنَ بِغَيْرِ إِذْنٍ .

ومن الثر قول سعيد بن حميد : وأنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه ، ولا يغالطك عن  
جرمه ، ولا يستدعي ريك إلا من طريقته ، ولا يستعطفك إلا بالإحراق بالذئب ،  
ولا يستملك إلا بالاعتراف بالجرم ؛ نبت في عنك غيرة الحدانة ، وردتني إليك  
الحكمة ، وبادتني منك الثقة بالأيام ، وقادتني إليك الضرورة ؛ فإن رأيت أن تستقبل  
الصنيعة بقبول الصدر ، وتجند النعمة بأطراح الحقد ، فإن قديم الحرمة وحديث  
التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة ؛ وإن أيام القدرة وإن طالت قصيرة ، والمنفعة  
بها وإن كثرت قليلة ، فقلت إن شاء الله تعالى .

فانظر إلى قوة هذا الكلام في سهولته ، وقرب ماخذه مع بُعد تساوله والإتيان  
بمشاكله . وأجزل منه مع السهولة قول الشعبي للحجاج ، وأراد قتله لخروجه عليه  
مع ابن الأشعث : "أجذب بنا الخناب ، وأخرن بنا المئزل ، فاستطسنا الحذر ،  
واكتحلنا السهر . وأصابتنا فتنة لم تكن فيها بررة أضياء ، ولا بجرة أقوياء" نفا عنه .

قال صاحب "الصناعين" : وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون  
الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا يكذب ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه ككرة غليظة ،  
وجاسية غريبة ؛ ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلبا عذبا ، وسهلا حلوا ؛ ولم يعلموا  
أن السهل أمتع جانبيا ، وأعز مطلبيا ، وهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا ؛ ولهذا  
قيل : "أجود الكلام السهل الممتع" وكان المفضل يختار من الشعر ما يقل تداول  
الرواة له ، ويكثر الغريب فيه . قال المسكوي : وهذا خطأ في الاختيار ، لأن الغريب  
لم يكثر في كلام إلا أفسده ، وفيه دلالة على الاستكراه والتكلف .

ووصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال : هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته  
أن كل أحد يظن أنه يكتب مثل كتبه ، فإذا رامها ؛ تعذرت عليه .

وقال العباس بن ميمون: قلت للسيد: ألا تستعمل الغريب في شعرك؟ فقال: ذلك عيٌّ في زمانى، وتكلفٌ منى لو قلته؛ وقد رُزقت طبعاً وآتساعاً في الكلام، فإنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير، ولا يحتاج إلى تفسير، ثم أنشدنى:

أيا ربِّ إني لم أرِدْ بالذى به \* مدحتُ علياً غيرَ وجهك فأرحم

قال في "الصناعتين": فهذا كلامٌ عاقلٌ يضعُ الكلامَ موضعه، ويستعمله في إبانته.

ومن كلام بعض الأوائل: تلخيص المعاني رقيق، والتشادق في غير أهل تقص، والنظر في وجوه الناس عيٌّ، ومس الخفية هلكٌ، والاستعانة بالغريب عجزٌ، والخروج عما بُني عليه الكلامُ إسهابٌ؛ فأجود الكلام ما كان جزلاً سهلاً، لا يتغلقُ معناه، ولا يستبهمُ مفزاه، ولا يكون مكشوداً مستكراً، ومتوعراً متقعرّاً، ويكون بريئاً من الغثائفة، عارياً من الزمائم؛ فالكلام إذا كان لفظه غثاً، ومعْرِضُه رثاً، كان مردوداً ولو احتوى على أجلِّ معنى وأنبله، وأرقبه وأفضله. قال في المثل السائر: أما البداوة والعُجْية، فتلك أمة قد خَلَتْ، ومع أنها قد خَلَتْ وكانت في زمن العرب العاربة فإنها قد عَيْتْ على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن، وقد غلب على الناس رقة الحَصَر؟

### الصف الثاني

الغريب المتوحش عند كل قوم في كل زمن

وهو ما لم يكن متداول الاستعمال في الزمن الأول ولا ما بعده، بل كان مرفوضاً عند العرب كما هو مرفوض عند غيرهم، ويسمى الوَحْشِيُّ الغليظ، والعِكرُ، والمتوعرُ وهو على ثلاثة أضرب:

## الضرب الأول

ما يعاب استعماله في النظم والنثر جميعا

قال في "المثل السائر": والناس في قبح استعماله سواء، لا يختلف فيه عربيٌ بادي، ولا قرويٌّ متحضرٌ. قال: وليس وراءه في القبح درجة أخرى؛ ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلا، وهو ما مجّه سمك، وتبا عنه لسانك، وتقل عليك النطق به؛ على أنه قد وقع منه ألفاظ لبعض الشعراء المقلّين من العرب والمحدثين. فمن ذلك لفظ الجحيش في قول تابط شرّا من أبيات الحماسة:

يَظْلُ بِمَوَاةٍ وَيُمَيِّ بِنَيِّرِهَا \* بَجِيْشًا وَيَعْرَوِي ظُهورَ الْمَسَاكِ  
فإن لفظة بجيش من الألفاظ المنكرة القبيحة.

قال في "المثل السائر": وبالله العجب! أليس أنها بمعنى فريد؟ وفريد لفظة حسنة راقية لو وضعت في هذا البيت موضع بجيش لما أخل شيء من وزنه، فتأبط شرا ملوم من وجهين: أحدهما استعماله القبيح والثاني أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها؛ وأفصح من ذلك لفظ أطلق في قول أبي تمام:

قد قلتُ لما أطلقتم الأمر وأنبعث \* عشواء تالية فبسا دها ريسا

فإن لفظة أطلق من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين من أنها غريبة، وأنها غليظة في السمع، كريمة على اللوق؛ وكذلك لفظة دها ريس في آخر البيت المذكور.

وعلى حدّ ذلك ورد لفظ جئتر في قوله من أبيات في وصف فارس:

نعم متاع الدنيا حباك به \* أروع لا جئتر ولا جئس

لفظة جيدر وحشية غليظة؛ وأغلظ منها لفظة جَعَحَتْ في قول أبي الطيب المتنبي :

جَعَحَتْ وهم لا يَحْفَخُونَ بها بهم \* شِيمٌ على الحسب الأغر دلائل  
فإن لفظة جَعَحَ مرّة الطعم ، وإذا مرّت على السمع أفسَحَرَّ منها . وكان له  
مندوحة عن استعمالها فإن جَعَحَتْ بمعنى فَخَرَتْ وهما في وزن واحد ، فلو أتى بلفظ  
فَخَرَتْ ويَفْخَرُونَ مكان جَعَحَتْ وَيَحْفَخُونَ لاستقام وزن البيت وحطى في استعماله  
بالأحسن ، فهو في ذلك كتاباً طَ شراً في لفظة بَحْمِش في توجه الملامة عليه من وجهين .  
قال في "المثل السائر" : وما أعلم كيف ينهب هذا وأمثاله على هؤلاء الفحول  
من الشعراء !

هذا ما أورده ابن الأثير من هذا النوع؛ ويشبه أن يكون منه لفظ الحَقْلَد  
في قول زهير :

تَقَى نَفَى لَمْ يُكْثِرْ غَيْمَةً \* يَهْكُ ذِي قُرْبَى وَلَا يَحْقَلَدُ  
(١١)  
والحقْلَدُ : السيء الخلق .

قال في "الصناعتين" : وقد أخذ الرواة على زهير في لفظة الحقْلَد فاستبشعوها ،  
وقالوا : ليس في لفظ زهير أنكرٌ منها ، وكذلك لفظ الجَرِشَى في قول أبي الطيب  
في مدح سيف الدولة بن حمدان وأسمه عليّ :

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَلْبِ \* كَرِيمُ الْجَرِشَى شَرِيفُ النَّسَبِ

لفظ الجَرِشَى مما يكرهه السمع ، وينبو عنه اللسان ، والجَرِشَى بمعنى النَّفْسِ بفعل  
اسمه مباركا ، ولقبه أغر ، ونسبه كريماً ، ونسبه شريفاً ، وذلك أنه كان يسمى علياً  
وهو أسم مبارك لموافقة أسم أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه ، ويلقب سيف الدولة

(١) في القاموس «الحقْد في قول زهير : الأثم» ومثله في لسان العرب .

وهو لقب أعرابي مشهور، وأغرأ أخذنا من غزاة الفرس لأنها أشهر ما فيها، ووصفه بكرم النفس إما باعتبار الحسب والعراقية، وإما باعتبار بذل المال وكثرة المعطاء، وأشار إلى شرف نسبه باعتبار عراقة في بيت الملك وعراقة حسبه .

### الضرب الثاني

ما يعاب استعماله في الترددون النظم

وهذا الضرب مما ذكر صاحب المثل السائر أنه استخرجه بفكره، ولم يجد فيه قولاً لغيره . قال : وهذا ينكره من يسمعه حتى يتبى إلى ما أوردته من الأمثلة ، وربما أنكروه بعد ذلك إما عنادا وإما جهلا لعدم الذوق السليم عنده، ثم ذكر منه أمثلة . منها لفظ شرنبته من قول الفرزدق :

ولولا حيَاءُ زِدْتُ رَأْسَكَ نَجَّةً \* إِذَا سُيرَتْ ظَلَّتْ جَوَانِبُهَا تَغْلِي  
شَرْنَبَةً شَمَطَاءَ مَنْ يَرْمَاهَا \* يُشْبِهُ وَلَوْ بَيْنَ الْخُمَاسِيِّ وَالطُّفْلِ

قال : فلفظة شرنبته من الألفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر، وهي هاهنا غير مستكرهة إلا أنها لو وردت في كلام مشور من كتاب أو خطبة، لميت على استعمالها .

ومنها لفظة مُشْمَخِرٌ الواردة في أبيات يثير في وصفه لقاء الأسد حيث قال :

وَأَطْلَقْتُ الْمُهَنْدَ عَنْ يَمِينِي \* قَقْدَ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا  
فَخَرُّ مُضْرَجًا بِدِيمٍ كَأَنِّي \* هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءَ مُشْمَخِرًا

وكذلك في قول البُحْتَرِيِّ في قصيدته التي يصف فيها إيوان كسرى :

مُشْمَخِرٌ تَمَلَّوْا لَهُ شُرَفَاتٌ \* رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

(١) في مقامات بدیع الزمان الحمذاني بتعليق الشيخ محمد عبده : « وأطلقت المهنت من ... الخ »



فإن لفظة مُشْمِخَرٌّ لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات، ولا بأس بها في الشعر؛ وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة : أَقْمَطَرُ وَبَآلُهَا، وَأَشْمَخَرُ نَكَالُهَا، فما طابت ولا ساءت .

ومنها لفظة الكَنَهَوْر من أوصاف السحاب كقول أبي الطيب :

يَا لَيْتَ بَاكِئَةٍ تَجَانِي دَمْعَهَا \* نَظَرْتُ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ قَتَعِدَارًا

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً \* الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنَهَوْرًا

لفظة الكَنَهَوْر لا تعاب نظماً، وتعاب نثراً .

ومنها لفظة العِرمِس، وهو آسم الناقة الشديدة فإن هذه اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب مُستعملها كقول المتنبي :

وَمَهْمِهِ جُبَّتْهُ عَلَى قَدَمِي \* تَعِجُزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُلُ

فإنه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها، ولو استعملت في الكلام المنشور من

الخطب لما طابت ولا ساءت؛ وقد جاءت موحدة في شعر أبي تمام في قوله :

هِيَ الْعِرمِسُ الْوَجَاءُ وَإِنْ مَلَبَسَتْ \* وَجَاشَ عَلَى مَا يُجِدُّ الدَّهْرُ خَافِضُ

ومنها لفظة الشَّدْنِيَّة في قول أبي تمام أيضا .

\* يَا مُوَضِعَ الشَّدْنِيَّةِ الْوَجَاءِ \*

وهي ضرب من التوق فإن الشَّدْنِيَّة لا تعاب شعراً وتعاب لو وردت في كتابة

أو خطبة . هذا ما أورده في "المثل السائر" لهذا الضرب من الأمثلة .

ثم قال : وهكذا يجري الحكم في أمثال هذه الألفاظ؛ وعلى هذا فاعلم أن كل

ما يسوغ استعماله في الكلام المنشور يسوغ استعماله في الكلام المنظوم، وليس كل

ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنشور . قال: وذلك

شيء استنبطته وأطلعت عليه لكثرة ممارستي هذا الفن، ولأنّ الذوق الذي عندي دَلّني عليه، فمن شاء أن يقدّني فيه، وإلا فليُثِّمِ النظرَ حتّى يطلّع على ما أطلعت عليه. والأذعان في مثل هذا المقام متفاوت، على أن الشيخ سعد الدين الثفنازاني رحمه الله قد تابعه على ذلك في شرح التلخيص، فلا أعلم أقبله في ذلك أم ذوقه أذاه إليه؟ .

### الضرب الثالث

ما يعاب استعماله بصيغة دون صيغة

قال في "المثل السائر": وهذا الضرب من هذه الصناعة بمنزلة عليّة، ومكانة شريفة، وجُلُّ الأسرار اللفظية منوط به. قال: وقد لقيت جماعة من مدّعي فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضوني، وسألتهم وسألوني، فما وجدت أحدا منهم يتقن معرفة هذا الموضع كما ينبغي؛ وقد استخرجت فيه أشياء لم أُسبق إليها فإن اللفظة الواحدة قد تنتقل من هيئة إلى هيئة، أو من صيغة إلى صيغة، فتنتقل من القُبْح إلى الحُسْن وبالعكس فيصير القبيح حسّنا، والحسن قبيحا، والمرجع في ذلك إلى الذوق الصحيح والطبع السليم؛ وقد نبه منه على تسعة أنماط:

اللفظ الأول — ما يترجم فيه الالكس في الاستعمال على الفعل، وذلك في مثل لفظ خَوَدَ، فإنها عبارة عن المرأة الناعمة، فإذا نقلت إلى صيغة الفعل، قيل خَوَدَ على وزن فَعَلَ بتشديد العين ومعناها أسرع. يقال: خَوَدَ البعير إذا أسرع في مشيه، فهي على صيغة الالكس حسنة راجحة، قد وردت في النظم والثر كثيرا، وإذا جامت على صيغة الفعل لم تكن حسنة، كقول أبي تمام:

وإلى بني عبد الكريم تَوَاهَقْتُ \* رَتَكَ النَّعَامِ رَأَى الطَّرِيقَ فَخَوَدَا<sup>(١)</sup>

(١) في المثل السائر: الظلام. وكذا في ديوان أبي تمام.

إلا أن لفظة خَوَدَ قد استعملت على غير هذا الوجه في بعض المواضع فزال عنها بعض القُبح وإن لم تلحق بدرجة الرائق الحسن، كقول بعض شعراء الحماسة :  
أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْمًا : \* رُوَيْدُكَ لِمَا تُشْفِقُ حِينَ تُشْفِقُ  
رُوَيْدُكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَحْيَلِي \* عَمَّا يَهْ هَذَا الْعَارِضُ الْمَتَأَلَّقُ  
وَالرَّأُلُ : النعام، والمراد أن نفسه قوت وفزع، شبه بإسراع النعام في فرازه وفزعه، فلما أورد ذلك على سبيل المجاز زال بعض القبح .

قال : وهذا يدركه الذوق الصحيح فهي في بيت أبي تمام قبيحةٌ سمجةٌ، وهاهنا بينَ بينَ، ويقاس على ذلك أشباهه ونظائرُه .

النقط الثاني — ما يترجح فيه فعل الأمر والمستقبل في الاستعمال على الفعل الماضي وذلك في مثل لفظة ودَعَ، وهي فعل ماضٍ ثلاثي لا يَتَقَلَّ بها على اللسان، ومع ذلك فإنها لا تستعمل على صيغتها الماضية إلا جاءت غير مُتَحَسِّنَةٍ، فإنا استعملت على صيغة الأمر أو الاستقبال جاءت حسنة بهجة راقية؛ أما على صيغة الأمر فكما في قوله تعالى : ﴿ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ ولم ترد في القرآن الكريم إلا على هذه الصيغة؛ وأما على صيغة الاستقبال فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد واصل في شهر رمضان فواصل معه قوم، فقال : "لَوْ مَدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصِلَنَا وَصَالًا يَدْعُ لَهُ الْمُتَمَمِّقُونَ تَعْمَقَهُمْ" . وقد استعملها أبو الطَّيِّبِ على هذا الوجه في قوله :  
تَسْقُكُمُ يَقَاتَهَا كُلُّ سَلْهِيَةٍ \* وَالضَّرْبُ بِأَخْذٍ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ

بجاءت في كلامه بهجة راقية؛ وأما الماضي من هذه اللفظة فلم يستعمل إلا شاذًا ولا حُسْنَ له، كقول أبي العتاهية :

(١) في الحماسة : "مكائك" . (٢) كان عليه أن يملّ بقوله تعالى : "ودع أذاًم" .

أَثَرُوا فَلَمْ يَدْخُلُوا قُبُورَهُمْ \* شَيْئًا مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتِي جَمَعُوا  
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ \* أَكْثَرَ مِمَّا كَانُوا يَدْعُونَ

فلم تقع في كلامه من الحسن موقعا، ولا أصابت من الطلاقة غرضا، وهذه لفظة واحدة لم يتغير شيء من أحوالها سوى أنها نقلت من صيغة الى صيغة؛ وكذلك لفظة وَذَرَّ، فإنها لا تستعمل ماضية، وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى: ﴿ذَرُّهُمْ يَا كُلُّوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا وَمَا أُذْرَاكَ مَا سَقَرًا لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ ولم ترد في القرآن الكريم إلا على هاتين الصيغتين؛ وكذلك في غير القرآن الكريم من فصيح الكلام؛ أما في حالة المضى، فإنها أقبح من لفظة وَذَرَّ، وقد استعملت ماضية مع شذوذ، وهذه لم تستعمل أصلا.

النمط الثالث — ما يترجح فيه الإفراد في الاستعمال على التثنية، وذلك في مثل لفظ الْأَخْدَعُ، فإنها يحسن استعمالها في حالة الإفراد دون التثنية؛ فما وردت فيه مفردة بغامت حسنة رائعة، قول الصَّيِّمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاةِ :  
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي \* وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا  
ومما ورد فيه لفظ التثنية بقاء ثقيلا مستكرها قول أبي تمام :

يَادْهُرُ قَوْمٌ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ \* أَحْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

هكذا ذكره في المثل السائر، ثم قال : وليس لذلك سبب إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما خسفت، وجاءت مثناة في الآخر قبحت .

النمط الرابع — ما يترجح فيه الإفراد في الاستعمال على الجمع، وذلك كلفظة الأرض فإنها لم ترد في القرآن الكريم إلا مفردة، سواء أفردت بالذكور عن السماء كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أو قُرئت بالسماء مفردة كما في قوله تعالى :

﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أو مجموعة كما في قوله تعالى :  
 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستحسناً  
 لكان هذا الموضع وشبهه به أليق لمقابلة الجمع في السموات ، ولما أراد أن يأتي بها  
 مجموعة قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وكذلك لفظة  
 البُقعة ، وكذلك لفظة طَيْف في ذكر طَيْف الخيال ، فإنها تجمع على طُيُوف ، وهي  
 في حالة الإفراد من أَرَقَّ الألفاظ وألطفها ؛ فإذا جمعت زالت عنها تلك الطَّلَاوة ،  
 وفارقتها تلك البَهَبَةُ ، ولذلك وردت في القرآن الكريم بلفظ الإفراد قال تعالى :  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ<sup>(١)</sup> مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .  
 ولم تزل الشعراء في القديم والحديث يستعملونه بلفظ الإفراد فيقع أحسن موقع ،  
 ولم يُلْمَوْا باستعماله مجموعاً .

قال في "المثل السائر" : ويا لله العجب ! من هذه اللفظة ومن أختها عترة  
 ووزنا ، وهي ضيف فإنها تستعمل مفردة ومجموعة ، وكلاهما في الاستعمال حسن رائق ،  
 قال : وهذا مما لا يُعْلَمُ السَّرُّ فِيهِ ، والنزوق السليم هو الحاكم في الفرق بين هاتين  
 اللفظتين وما يجرى مجراهما ؛ وكذلك يجرى الحكم في جميع المصادر ، فإنها في حالة  
 الإفراد أحسن منها في حالة الجمع ؛ وقد جاء منها بعض ألفاظ مجموعة بنحوت غثّة  
 مستكرهة ، كما في قول عترة :

فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْهِ ۖ وَإِنْ يُفْقِدُ فَقَدْ لَهُ الْفُقُودُ

فالفقود جمع مصدر من قولنا : فقد يفقد فقداً ، وليس له من الرقيق والطلاوة  
 ما لمفرده ، وهو لفظ فقْد ، وإن كان جائزاً من جهة العربية .

الخط الخامس — ما يترجح فيه الجمع في الاستعمال على الإفراد كلفظة اللَّب الذي  
 هو العقل ، فإن استعمالها بصيغة الجمع في غاية الحسن والبهجة والطلاوة ، وقد ورد

(١) هذه إحدى القرائين في الآية .

بهذه الصيغة في غير موضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ وَلَيَذَّكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرْ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الواردة فيها ذلك بصيغة الجمع ، أما في حالة الأفراد فإنها قليلة الاستعمال مع أنها لفظة ثلاثية خفيفة على النطق ، بعيدة المخارج ، ليست بمستعجلة ولا مكروهة .

قال في "المثل السائر" : وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدت هذه اللفظة قد روى فيها الجمع دون الأفراد، فإن أضيف أو أضيف إليها حسن استعمالها ، وساغ في طريق الفصاحة إيرادها . أما إضافتها فكقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء : " مَا رَأَيْتُ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُذْهِبَ لِلْبَّ الْحَاظِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ " وأما الإضافة إليها فكقول جرير :  
 إِنَّ الْمَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ \* قَتَلْتَنِي ثُمَّ لَمْ يُخَيِّبَ قَتْلَانَا  
 يَصْرَعَنَّ ذَا الْأَلْبِ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ ءِ وَهُنَّ أضعف خلق الله أركاناً

قال في "المثل السائر" : فإن عيرت هذه اللفظة عن الجمع والإضافة لم تأت حسنة . قال : ولا نجد دليلاً على ذلك إلا مجرد الذوق السليم ؛ وكذلك لفظة كوب فإنها لم ترد في القرآن الكريم إلا بمجموعة، وهي وإن لم تكن مستبحة في حالة الأفراد فإن الجمع فيها أحسن . وأنظر إلى ما عليها من الطلاوة والمائية في قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ يَأْكُوبُ وَأَيَّارِيقُ وَكَأْسٌ مِنْ مَعِينٍ ﴾ وعلى هذا النحو لفظ رَجًا بالقصر، ومعناه الجانب، فإنها قد وردت في القرآن بلفظ الجمع في قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ أى جوانبها، ولم تستعمل مفردة : لأن الجمع يكتسبها من الحسن ما لم يوجد لها حالة الأفراد؛ فإن أضيفت حالة الأفراد كرجا البئر ونحوه حسنت كما في حالة الجمع .

قال في "المثل السائر" : وليس كذلك لفظ الصوف والأصواف ، وإن كان لم يرد في القرآن الكريم إلا مجموعا حيث قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ لأن لفظ الصوف مستحسن في حالة الأفراد كما في حالة الجمع . قال : وإنما قبح ذكره في قول أبي تمام :

كَانُوا بَرُودَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا ۖ فَكَأَنَّمَا لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا

لأنها جاءت مجازية في نسبتها إلى الزمان . قال : وعلى هذا التهج وردت لفظة جبر وأخبار فإنها مجموعة أحسن منها مفردة ، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مجموعة .

النمط السادس — ما يترجح فيه بعض الجموع في الاستعمال على بعض كما في جمع صائب من قولك : سهم صائب ، فإنه يقال في الجمع سِهَامٌ صَوَائِبُ وصَائِبَاتٌ وَصَيْبٌ بالتشديد ، وهذه الجموع كلها حسنة ، راقية ، مُعْجِبة ، دائرة على ألسنة أرباب النثر والنظم ، ويقال في جمعه أيضا صُيْبٌ على وزن كُتِبَ ، وهو جمع قبيح ، مرفوض الاستعمال ، ثقيل على النطق ، جاف عن السمع ، وقد استعمله أبو نؤيس في شعره حيث قال :

مَا أَحَلَّ اللَّهُ مَا صَنَعْتَ \* عَيْنُهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ فِي

قَتَلْتُ إِنْسَانًا كَيْدِي \* بِسِهَامٍ لِلرَّدَى صُيْبٍ

بلغات غثة كريهة نابية عن السمع ، نافرة عن اللسان ، وكذلك الجمع في قيد ، فإنه يجمع على قيود ، وهو جمع سائق القبول ، شائع الاستعمال ؛ ويقال في جمعه أيضا : أقياد ، وهو من الجموع المستكرهة الخارجة عن الاستعمال ، وقد ورد في قول عوفٍ القوافي من أبيات الحماسة :

ذهب الرقاد فما يحسُّ رقاد \* مما شجلك ونامت العواد  
لما أتاني من عينة أنه \* أمسث عليه تظاهر الأقياد

فلم يحسن ولم يرق ، وكذلك القول في جمع قبة ، فإنه يجمع على قباب وهو جمع حسن دائر على السنة الفصحى من أهل النظم والنثر ، ويجمع أيضا على قُبَيْ ، وليس بمستحسن ، وإن كان هو في الكراهة دون أقياد في جمع قيد ، وقد استعمله ابن محكَّان التميمي في قوله :

مَاذَا تَرَيْنَ أَتَذْنِبُهُمْ لِأَرْحَلِنَا \* فِي جَانِبِ الْبَيْتِ أَمْ نَبْيَ لَهُمْ قُبَيْ؟

فلم يحسن كحسن قباب بل جاءت كربة مستشعة ، وأعجب ما في هذا الباب أن الجمع قد يكون متفقا في لفظة واحدة إلا أنها مختلفة المعنى فيختلف الاستعمال في الجمع باختلاف المعاني حتى لو جمع في مكان جمع لم يحسن استعماله وإن كان جائزا من جهة العربية ؛ كلفظ العين ، فإنها تطلق من جملة مدلولاتها على العين الباصرة ، والعين من الناس ، وهو التَّيْبَةُ منهم ، والعينُ الباصرة تجمع على عيون ، والعين من الناس تجمع على أعيان ، وقد شد هذا الموضع على المتنبي في قوله :

وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزْدٌ \* وَالْخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلُ

تجمع العين الباصرة على أعيان في الموضعين .

قال في "المثل السائر" : وكأَنَّ النوق يَأْبِي ذاك ولا يجد له على اللسان حلاوة وإن كان جائزا ، وأعجبُ من ذلك كله أنك ترى وزنا واحدا من الألفاظ ، فتارة تجد مفردة حسنا ، وتارة تجد جمعه حسنا ، وتارة تجدهما جميعا حسنين .

فما مفردة أحسن من جمعه حُرُورٌ ، وهو فَرَحُ الحُبَّارِ ، فإنه يجمع على حُبَّارٍ ومفردة أحسن من جمعه ، وكذلك طُنْبُورٌ وطنابير ، وعُرْقُوبٌ وعراقيبٌ ، وما أشبه ذلك .



ومما جمعه أحسن من مفرده بهلول وبهليل، ولموم ولمام، وهذا ضد الأول.  
ومما مفرده حسن وجمعه حسن بجهور وجماهير، وعرجون وعراجين وما  
أشبه ذلك .

النمط السابع — ما يترجح فيه أحد صور الوزن الواحد باختلافه بالحركة والسكون  
كلفظ الثلث والربع إلى العشر، فإنها في حالة سكون الوسط كلها حسنة سائفة  
الاستعمال فإذا تحزكت أو ساطها قلت : ثلث، وربع، ونحس، وكذلك إلى عشر،  
فإن الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهى الثلث، والنحس، والسدس، أما الربع، والسبع،  
والثمن، والتسع، والعشر فليس كذلك فى حسنه . قلت : إنما يظهر ذلك فى السبع،  
والتسع، والعشر خاصة فإن الثقل ظاهر فيها . أما الربع والثمن فانهما فى الحسن مع  
تحريك الوسط كالثلث، والنحس، والسدس . وقد ورد القرآن بتحريك الوسط  
فيهما فى سورة النساء حيث قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ  
لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَهُنَّ إِنْ  
لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ﴾ وأى حسن وفصاحة بعد  
وروده فى القرآن الكريم ؟

النمط الثامن — ما يترجح فيه أبنية بعض أسماء الفاعلين فى الاستعمال على بعض  
كأسم الفاعل المبني من فَعَلَ بفتح الفاء وكسر العين، فإنه يبنى على فاعل وقيل بكسر  
العين وقيلان، نحو حَمَدَ فهو حامد، وحَمِدَ، وحَمْدَانُ، وقَرِحَ فهو قَرِيحٌ، وفَارِحٌ،  
وفرحانٌ، وعَضِبَ فهو غَضَبَان، وغاضب؛ فالأفعال الثلاثة على وزن واحد، وصيغ  
أسماء الفاعلين المبنية منها مختلفة فى الأحسن الغالب استعماله، فحامد من حَمَدَ أحسن  
من حَمِدَ وحَمْدَانُ، وقَرِيحٌ من قَرِحَ أحسن من فَارِحَ وفرحان، وغَضَبَان من غَضِبَ

أحسن من غاضب ، وإن كان جائزاً ؛ وقد جاء بناء أسم العاقل من فَرِحَ على فارح في قول بعض شعراء الحماسة :

فما أنا من حُزِنٍ وإن جَلَّ جَارِعٌ \* وَلَا يَسْرُورُ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ  
فلم يحسن بحسن فَرِحَ ، أما ما جاء منه على وزن فُعْلَةٍ نحو هُمَزَةٍ وَلُزَةٍ وَجُمَةٍ  
وَوُومَةٍ وَلُكْنَةٍ وَلُحْنَةٍ ، وما أشبه ذلك ؛ فقد قال في "المثل السائر" : الغالب على  
هذه اللفظة أن تكون حسنة .

النمط التاسع — ما يترجح من أوزان الأفعال بعضها على بعض كلفظة فعل  
وَأَقْتَعَلَ ، فإن لفظة فعل لها موضع تستعمل فيه ، ولفظة أَقْتَعَلَ لها موضع تستعمل  
فيه ، تقول : قعدت إلى فلان إذا جلست إليه ، وأَقْتَعَدْتَ غارب الجبل ، إذا ركبت  
عليه ، ولا يحسن أن تقول أَقْتَعَدْتَ إلى فلان وقعدت على غارب الجبل ، وإن كان  
ذلك جائزاً ؛ وكذلك أَفْعَلَ وَأَفْعُوْعَلْ فإنك تقول أَعْشَبَ المكان ، فإذا كثر عُشْبُهُ  
قلت : أَعْشَوْشَبَ فلفظة أَفْعُوْعَلْ للكثير ، وهي على ما فيها من تَكَرُّر الحروف طيبة  
عَذْبَةٌ ، وكذلك سائر ما في وزنها نحو أَخْشَوْشَنَ المكان ، وَأَغْرَوْرَقَتِ العين ، وأَحْلَوْلَى  
الطمع ، وما أشبه ذلك .

قال في "المثل السائر" : وهذا كله مما أخذته بالاستقراء ، وفي اللغة مواضع  
كثيرة من ذلك لا يمكن استقصاؤها .

فا نظر إلى ما يفعله اختلاف الصيغة بالألفاظ ، وعليك بتفقد أمثال هذه الكلمات  
لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها ، فكثيرا ما يقع فحول الخطباء والشعراء في مثلها ،  
ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرَّتْ به الألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح ،  
فما يحده الحس منها مَوْحِداً وحده ، وما يحده الحس منها مجموعاً بجمعه ؛ وكذلك يجري  
الحكم فيما سوى ذلك من الألفاظ .

### الصنف الثالث

#### المتوحش في زمن دون زمن

وهو ما كان متداول الاستعمال في زمن العرب، ثم رُفِضَ وترك بعد ذلك، وبهذا لا يعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً، ولا لديهم غريباً كما سيأتى التنبيه عليه؛ وإنما يعاب استعماله على غيرهم ممن قُصِرَ فهمهم عنه، وقَلَّتْ معرفتهم به؛ وقد كانت كلام العرب مشحونا به في نظمهم وشعرهم، دائرا على ألسنتهم في مخاطبتهم ومعاوراتهم، غير معيب ولا ملوم عليه؛ وأنظر إلى ما تضمنته خطبهم وأشعارهم من الغريب ترى ذلك عياناً؛ فمن ذلك قول أبي التَّمَمِ الهُدَلِيِّ :

آبِ الْمَضِيْمَةِ نَابٍ بِالْمُظِيْمَةِ مُتَخَلِّفُ الْكَرِيْمَةِ جَلْدٌ خَيْرٌ ثَبَانٍ  
حَامِي الْحَقِيْقَةِ نَسَالُ الْوَدِيْقَةِ مَعْتَنَاقُ الْوَسِيْقَةِ لَا نَكْشُ وَلَا وَاِنِ  
رَبَاءُ مَرْقَبَةٍ مَنَاعٌ مَقْلَبَةٍ \* وَهَابُ سَلْهَبَةٍ قَطَاعُ أَقْرَانِ  
هَبَاطُ أَوْدِيَةٍ حَمَالُ أَلْوِيَةٍ \* شَهَادُ أُنْدِيَةٍ سِرْحَانُ فِخَانِ

وقول أعرابي في وصف إبل : كُومٌ بَهَازِرٌ، مُكْدُ خَنَاجِرٍ، عِظَامُ الْخَنَاجِرِ، سِبَاطُ الْمَشَافِرِ، أَجْوَاهُهَا رَغَابٌ، وَأَعْطَانَهَا رِحَابٌ؛ مُنْتَمِعٌ مِنَ الْبَهَمِ، وَتَبْرُكُ الْجُمُومِ . يريد بالكُومِ جمع كَوْمَاءَ، وهى الناقة العظيمة السنام، والبَهَازِرِ جمع بُهْزَرَةٍ، وهى الناقة العظيمة، والمُكْدُ جمع مَكْوَدٍ، وهى الناقة الغزيرة اللبن، والخَنَاجِرِ جمع خُنُجُورٍ، وهى بمعنى المَكْوَدِ أيضاً، والعِظَامُ الخَنَاجِرِ : غِلَظُ الْأَعْنَاقِ، وَسِبَاطُ الْمَشَافِرِ أَرَأَيْتَ مَرَسَلَاتِ الْمَشَافِرِ، وَالْمَشْفَرُ مِنَ النَّاقَةِ كَالْحَقْفَلَةِ مِنَ الْفَرَسِ؛ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرَى هَذَا الْمَجْرَى وَيَخْرُطُ فِي هَذَا السَّلَكِ؛ فَهَذَا وَمِثْلُهُ لَا يَعْابُ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْدهم غَرِيباً وَلَا لِسِيحاً، بَلْ شَائِعاً بَيْنَهُمْ، دَائِراً عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فِي نَظْمِهِمْ وَشِعْرِهِمْ؛ وَأَعْظَمُ

شاهد لاستحسان استعماله عندهم ووضوح منتهجه ليسهم أن القرآن الكريم الذى هو أفصح كلام وأبجع لفظ قد أشتمل على ألفاظ من ذلك، كقوله تعالى : ﴿ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ ۖ وَقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۖ ۚ وما أشبه ذلك ، وهذه الألفاظ كانت مفهومة عند العرب ، معلومة المعانى عند المخاطبين : لأن الله تعالى قد خاطبهم به وأمرهم فيه ونهاهم ، والخطاب بما لا يفهم بعيد ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۚ ۖ . وكذلك ورد فى الأخبار النبوية جملة مستكثرة من ذلك ، وهى المعبر عنها بغريب الحديث . كقوله صلى الله عليه وسلم " مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرْ اللهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ الله تَعَالَى رِثَةٌ " أى قصص ، وقيل تبعه ، وقيل حسرة . وقوله صلى الله عليه وسلم : " لَيْسَتْ رَجْعُ أَحَدِكُمْ حَتَّى فِي شَيْءٍ تَعْلِيهِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ " والشَّيْءُ : أحد سيور النعل ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم : " أَلْفُظُوا بِيَاذَا الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ " أى أزموا هذه الدعوة وأكثروا منها . وقوله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء : " وَأَغْسِلْ حَوْتِي وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ قَلْبِي " وأشباه ذلك .

وحديث أم زَرْعٍ صريح فى شيوخ ذلك فيهم ؛ وعمومه فى مخاطبتهم ومكالماتهم ؛ وهو ما ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : " جَلَسَ أَحَدُ عَشْرَةِ أَمْرَأَةٍ فَعَاهَدَنَ وَتَعَاهَدَنَ أَلَّا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا . قالت الأولى : زوجى لَمْ يَجْلِسْ عَظْمَى عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، لَا سَهْلٍ فَيَرْتَقِ وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقِ ، وفى رواية فينقل .

قالت الثانية : زوجى لَا أَبْتُ خَبْرَهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَلَّا أَذَرَهُ ، إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرْهُ <sup>وَسَدَّ</sup> عَجْرَهُ وَيَجْرَهُ .

قالت الثالثة : زوجى الشَّقِيقُ ، إِنْ أَتَيْتُ أَطْلُقَ ، وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلِقَ .

قالت الرابعة : زوجى كليل يهامة ، لا حر ولا قرو ولا خوف ولا سامة .

قالت الخامسة : زوجى إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد .

قالت السادسة : زوجى إن أكل لف ، وإن شرب أشنف ، وإن أضطجع انتف ، ولا يولج الكف ، يعلم البث .

قالت السابعة : زوجى عيائ طباقاء ، كل داء له داء ، شجك أوفلك أوجع كلالك .

قالت الثامنة : زوجى الريح ربح زرب ، والمس مس أرنب .

قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد .

قالت العاشرة : زوجى مالك ، وما مالك ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل قليات المسارح ، كثيرات المبارك ، وإذا سمعن صوت الميزهر أيقن أنهن هوالك .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ أناس من حل أدنى ، وملأ من شحم عضدى ، ويحني فيجص إلى نفسى ، وجدنى فى أهل غنيمه يسق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومتق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأنصب ، وأشرب فأنقع ، (وفى رواية فأنقع) ، أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكومها رباح ، وبيتها فساح ، ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟ مضجعه كسل شطية ، وكسبه ذراع الحفرة ، بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ طوع أيتها ، وطوع أمتها ، ويل كساتها ، وعيظ جارتها ، جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تث حديثنا تتيثا (وفى رواية لا تث حديثنا تتيثا) ، ولا تثق ميرتنا تتيثا ، ولا تملأ بيتنا تتيثا . قالت : خرج أبو زرع والأوطاب مختص ، فلقي امرأة معها

وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَاتَيْنِ، فطَلَّقْنِي وَنَكَحْهَا، فَتَكَحَّتْ  
بعده رجلاً سَرِيًّا، رَكَبَ سَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيًّا، وَأَرَّاحَ عَلَى تَعْمًا تَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ  
كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، (وفي رواية فأعطاني من كل ذائِجَةٍ زَوْجًا) . وَقَالَ : كَيْلُ أُمِّ زَرْجٍ  
وَمِيرَى أَهْلِكَ ؛ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْفَرَ آيَةِ أَبِي زَرْجٍ ” .

قَالَتْ مَائِشَةُ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ” كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْجٍ  
لِأُمِّ زَرْجٍ ” وفي رواية ” غَيْرَ أَنِّي لَا أَطْلُقُكَ ” .

فَإِذَا كَانَ هَذَا كَلَامَ نَسَائِهِمُ الْمَأْتَرِيَا يَنْهَنُ مِنْ مُحَادَثَتِهِنَّ مَعَ بَعْضٍ فِي خُلُوتِهِنَّ ،  
فَمَا ظَنُّكَ بِفُرْسَانِ الْكَلَامِ فِي نَظْمِهِمْ وَتَرْجُمِهِمْ ! فَأَنَّى يُعَابُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وَيُنْكَرُ عَلَيْهِمْ  
الِإِتْيَانُ بِمَثَلِهِ !

وَقَدْ اخْتَصَمَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ التَّائِبِينَ وَجِلَّتِهِمْ ،  
فَقَالَ لِلرَّجُلِ : أَأَنْ سَأَلْتُكَ نَحْنُ شَكْرُهَا وَشَبْرُكَ ، أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا ؟ . أَمَّا غَيْرُ  
العَرَبِ مِنْ تَكْلُفِ ذَلِكَ وَأَتَى بِهِ فِي كَلَامِهِ الْمُعْتَادِ فِي غَطَابَاتِهِ أَوْ تَرْتِلهِ وَنَظْمِهِ فَإِنَّهُ يُعَابُ  
عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَيُخْطِئُ بِهِ عَنْ دَرَجَةِ الْفَصَاحَةِ ، وَيُخْرِجُ بِهِ عَنْ قَانُونِهَا ؛ إِذَا الْمَقْصُودُ  
مِنْ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِفْهَامُ لَا غَيْرُ ، فَيُخَاطَبُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا يَفْهَمُهُ وَلَا يُكَلِّفُ بِمَا  
لَا يَعْلَمُهُ ، وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا جَادَ وَأَفَادَ .

قَالَ يَشْرَبُ بْنُ الْمُعْتَمَرِ : لِيَاكَ وَالتَّوَعَّرَ ، فَإِنَّهُ يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّقْيِيدِ ، وَهُوَ  
الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ ، وَيَمْتَلِكُ مَرَامِيكَ .

قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ : وَرَبَّمَا غَلَبَ سُوءُ الرَّأْيِ وَقَلَّتْ الْعُقْلُ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ  
العَرَبِيَّةِ فَيُخَاطَبُونَ السُّوْقِيَّ ، وَالْمَمْلُوكَ وَالْأَعْجَمِيَّ ، بِالْقَاطِظِ أَهْلِ نَجْدٍ ، وَمَعَانِي أَهْلِ  
السَّرَاةِ ؛ وَحِكَايَاتِهِمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

قال أبو نعيم الجوهري : سقط عيسى بن عمر عن حمارة فاجتمع عليه الناس فقال : مَا لَكُمْ تَكَاكُمُ عَلَى تَكَاكُوكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ ! افرِّقُوا عَنِّي . أَيْ مَا لَكُمْ أَجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَجْتِمَاعِكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ تَفَرَّقُوا عَنِّي . وَذَكَرَ الْجَاهِظُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ أَبِي عَلَقَمَةَ النَّحْوِيِّ بِزِيَادَةَ فَقَالَ : مَرَّ أَبُو عَلَقَمَةَ بِبَعْضِ طُرُقِ الْبَصْرَةِ فَهَاجَتْ بِهِ مَرَّةً فَوُثِبَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَعْصُونَ إِيَّاهُ وَيُؤْذِنُونَ فِي أُذُنِهِ ، فَأَقْلَتَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَقَالَ : مَا لَكُمْ تَكَاكُمُ عَلَى كَا تَكَاكُوكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ ! افرِّقُوا عَنِّي . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : دَعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِالْهِنْدِيَّةِ .

وقال أبو علقمة يوما لحاجبه : أَشَدُّ قَصَبَ اللَّهَازِمِ ، وَأَرْهَفَ طَلَبَاتِ الْمَشَارِطِ ، وَأَمْرُ الْمَسْحِ ، وَاسْتِجْلِ الرَّشْحِ ، وَخَفِّفِ الْوَطْءَ ، وَعَجِّلِ التَّرْعَ ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَيَّامًا ، وَلَا تَرْدَنَّ أَيَّامًا ؛ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّامُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالْحُرُوفِ .

ونظر إليه رجل ومثته بئس مِصْرِيَّ حَسَنِ الْمَنْظَرِ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ مَخْبَرُ هَذَا الْبَغْلِ كَمَنْظَرِهِ فَقَدْ كَلَّ ؛ فَقَالَ أَبُو عَلَقَمَةَ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَرَجْتُ عَلَيْهِ مِنْ مِصْرَ فَنَكَبْتُ الطَّرِيقَ غَافَةَ السَّرَاقِ وَجَوْرَ السُّلْطَانِ ، فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءَ قَتَمَاءَ ، طَحْيَاءَ مُدْهَمَةٍ ، حِنْدِيسَ دَاجِيَةٍ ، فِي مَحْصَحٍ أَمْلَسَ ، إِذْ أَحَسَّ بِنَاءَةٍ مِنْ صَوْتِ نُفْرٍ ، أَوْ طَبْرَانِ ضَوْجٍ ، أَوْ قُبُضِ سَيْدٍ ، فَخَاصَ عَنِ الطَّرِيقِ مُتَنَجِّجًا لِعِزَّةِ نَفْسِهِ ، وَفَضَلَ قُوَّتَهُ ، فَبَعَثَهُ بِالْجَافِ قَسَلَ ، وَحَرَّكَهُ بِالرَّكَابِ قَسَلَ ؛ وَأَتَعَلَ الطَّرِيقَ بِثَالِثَةِ مَعَرَمَاءَ ، وَالتَّحَفَ اللَّيْلَ لَا يَهَابُهُ مُظْلِمًا ، فَوَاللَّهِ مَا شَبِهَتْهُ إِلَّا بَطْنِيَّةً نَافِرَةً تَحْفِزُهَا قَتَاءُ شَاغِيَةٍ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : فَادْعُ اللَّهَ وَسَلِّهُ أَنْ يَحْشَرَ مَعَكَ هَذَا الْبَغْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِجُنَيْتِكَ الصَّرَاطَ بِطَفْرِه .

وكانت امرأة تأكل الطين<sup>(١)</sup> فحصل لها بسببه إسهال مَرَضَتْ منه ، وكان لها ولد يتكلم بالغريب ، فكتب رَقَاعًا وطرَحَهَا في المسجد الجامع بمدينة السَّلام . فيها صِيَنَ أَمْرُهُ وَزِعَى ، دعا لامرأة اتَّعَلَّه مُقْسَلَةٌ قَدِ مَنِيَتْ بِأَكْلِ الطُّرْمُوقِ فأصابها من أجله الِاسْتِمْتِصَالُ أَنْ يَمُنَّ الله عليها بِالْأَطْرِغَشَائِشِ . فكل من قرأ رُقْعَتَهُ ، دعا عليه ولمنه ولمن أمته .

وحكى محمد بن أبي المغازي الضبي عن أبيه قال : كان لنا جار بالكوفة لا يتكلم إلا بالغريب ، ففرج إلى ضَبْعَةٍ له على حِجْرٍ معها مُهْرٌ فَأَقْلَتَتْ ، فذهبت ومعهما مُهْرُهَا ففرج يسأل عنها ، فزَيْجِيَّاتٍ فقال : يَا ذَا النَّصَاجِ وَذَاتِ السَّمِّ ، الطاعنَ بها في غير وَغَى لغيرِ عَدَى ، هل رأيت الخَلِيفَانَةَ الْقَبَاءَ يَتَّبِعُهَا الْحَاسِنُ الْمُسْرَهُفُ ؟ كَأَنَّ غُرَّتَهُ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ ، يَنِيرُ فِي حُضْرِهِ كَالْخُلْبِ الْأَجْرَدِ ؛ فقال الخياط : أطلبها في تَرْلَجٍ ؛ فقال : وَنَحْكَ مَا تَقُولُ ! قَبَحَ اللهُ ، فإني ما أعرف رَطَانَتَكَ ؛ قال : لمن الله أَبْضَضْنَا لَفْظًا وَأَخْطَأْنَا مَنَظَفًا .

وضرب عمر بنُ هيرة عيسى بنَ عمر النحوي ضربا كثيرا من أجل ودِعة فكان يقول وهو يضرب : ما هي إِلَّا أُثْيَابٌ في أُسَيْفَاطٍ أَخَذَهَا عَشَارُوكَ . وسأله رجل عن مسألة . فقال : لوست مسألتك يَنْتَأَى ، أى ليست مستوية ؛ وأصل اليَنْ : خروج رجل الولد قبل رأسه . وسأله آخر عن كتابته ، فقال : كتبت حتى أَقْطَعَ سَوَائِي أَى ظَهْرِي ، على أن أبا جعفر النعمان قد عدَّ عيسى بن عمر من المطبوعين في ذلك . قال الجاحظ : رأيتهم يديرون في كتبهم هذا الكلامَ ، فإن كانوا إنما رَوَوْهُ وَدَقُّوهُ لَأَنَّهُ يَدُلُّ على فصاحة وبلاغة ، فقد باعده الله من صفة الفصاحة والبلاغة ،

(١) كذا في الصناعتين أيضا ، ولعله مصحف عن الطير بالراء بدليل بقية الكلام ، فان الطرموق اسم

لخفاش وعمر من الطير .



وإن كانوا فعلوا ذلك لأنه غريب فأبيات من شعر الصَّبَاحِ وشعر الطَّرِيفِ وأشعار هَذِيلٍ تأتي لم مع الرصف الحسن على أكثر من ذلك . فلو خاطب أحد الأصمعيّ بمثل هذا الكلام، لظننتُ أنه يستجهل نفسه، وهذا خارج عن عادة البلغاء .

### الصف الرابع

الغريب المتوحش عند قوم دون قوم

وذلك ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة إلى أهل الحَضَر منهم، فإن أهل الحَضَر يلقون السَّهْلَ من الكلام، ويستعملون الألفاظ الرقيقة، ولا يستعملون الغريب إلا في النادر؛ وأهل البادية يلقون اللفظ الجَزْلَ ويميلون إلى استعمال الغريب؛ وإذا نظرت إلى أهل مكة وكلام قريش الذين نزل القرآن بلغتهم ويُسِّتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُرُومَتِهِمْ، وكلام أهل حَضَرَمَوْتَ وما جاورها من اليمن ومخالف الحجاز، علمتَ فرقَ مابين الكلامين، وتباينَ مابين الطَّرَفَيْنِ، حتى كأنَّ البادى يَظُنُّ بالنسبة إلى الحاضر، ويتكلم بلغة غير العربية؛ وكانت لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يتكلم بها على الدوام، ويخاطب بها الخاص والعام، لغة قريش وحاضرة الحجاز، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أوتيَ جوامع الكلم وجمع إلى سُؤْلَةِ الحاضرة جرالة البادية، فكان يخاطب أهل نجد وتِهَامَةَ وقبائل اليمن بلغتهم، ويخاطبهم في الكلام الجَزْلَ على قدر طبقتهم .

فمن ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم لِطَهْفَةَ النَّهْدِيِّ وكتابه إلى بني نَهْدٍ، وذلك أنه لما قَدِمَ وفودُ العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه طَهْفَةُ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ النَّهْدِيُّ . فقال : أيتها يا رسول الله من غَوْرَتِهَامَةِ على أنحوار الميس، ترني بنا الميس، نستغلب الصَّيْرَ، ونستغلب الحَيْرَ، ونستعْضِدُ البَرِيرَ، ونستجِلُّ الرَّهَامَ،

وَتَسْتَخِيلُ الْجَهَنَّمَ؛ مِنْ أَرْضِ غَائِلَةِ النَّطَاءِ، غَلِيظَةِ الْوِطَاءِ؛ قَدْ جَفَّ الْمُدْنُ، وَيَسَرَ  
الْحَسَنُ؛ وَسَقَطَ الْأُمْلُوحُ، وَمَاتَ الْعُسْلُوحُ؛ وَهَلَكَ الْهَدْيُ، وَقَادَ الْوَيْدِيُّ؛ بِرِسَا إِلَيْكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَتَنِ وَالْعَتَنِ، وَمَا يُحْدِثُ الزَّمَنُ؛ لَنَا دَعْوَةَ السَّلَامِ، وَشَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ  
مَا طَلَمَ الْبَحْرُ، وَقَامَ تَعَارُ؛ وَلَنَا نَعْمَ هَمَلٌ أَغْفَالُ، مَا تَيْضُ بِلَالُ؛ وَوَقِيرُ كَثِيرِ الرِّسَالِ،  
قَلِيلِ الرِّسَالِ، أَصَابَتْهَا سُنْبَةُ حَمْرَاءُ مُؤَزِّلَةٍ، لَيْسَ لَهَا عِلَلٌ وَلَا نَهْلُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي مَحْضِهَا وَمَحْضُهَا وَمَذْقِهَا وَفِرْقِهَا؛ وَأَبِثْ  
رَاعِيَهَا فِي الدُّثْرِ بَيَانِغِ الثَّمَرِ، وَأَجْرِ لِمَنْ التَّمَدُّ، وَبَارِكْ لِمَنْ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ؛ مَنْ أَقَامَ  
الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا. وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا. وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
كَانَ مُخْلِصًا.

لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشَّرْكَ، وَوَضَائِعُ الْمُلْكَ؛ لَا تُلْطَطُ فِي الزَّكَاةِ، وَلَا تُعْدُ  
فِي الْحَيَاةِ، وَلَا تَتَقَالَّ عَنْ الصَّلَاةِ".

وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى بَنِي نَهْدٍ فِيهِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! السَّلَامُ عَلَى مَنْ آمَنَ  
بِأَقْبِهِ وَرَسُولِهِ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوُظَيْفَةِ الْفَرِيضَةِ، وَلَكُمْ الْعَارِضُ وَالْفَرِيضُ وَذُو الْعِيَانِ  
الرَّكُوبُ، وَالْقَلْبُ الضَّيِّسُ، لَا يُنْعَى سَرَحُكُمْ، وَلَا يُعْصَدُ طَلْحُكُمْ وَلَا يُنْعَى دَرُكُمْ؛  
مَالِمَ تُثْبِرُوا الْإِمَانُ، وَتَأْكُلُوا الرِّيَاقَ؛ مَنْ أَتْرَفَ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةِ، وَمَنْ أَبَى  
فَعَلِيهِ الرَّبُوءُ."

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَبِيلَةِ هَمْدَانَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفُودُ الْعَرَبِ قَدِمَ وَقَدْ هَمْدَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ تَمِيمٍ أَبُو ثَوْرٍ، وَهُوَ ذُو الْمَشَارِ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِيغٍ، وَضِمَامُ بْنُ مَالِكِ  
السَّامَانِيُّ، وَعَمِيرَةُ بْنُ مَالِكِ الْخَلَارِثِيُّ، فَقَالُوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّجَهُمْ

من تَبُوكَ ، وطهيم مُقَطَّعاتِ الحَبَرَاتِ والعامِ العَدَنِيَّةِ ، برحالِ المَيْسِ على المَهْرِيَّةِ  
والأَرْحِيَّةِ ، ومالكُ بنُ نَمِيطٍ ورجُلٌ آخرٌ يرتجزانِ بالقومِ ، يقولُ أحدهما :

هَمْدَانُ خَيْرُ سَوْقَةٍ وأَقِيلُ \* لَيْسَ لَمَّا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالُ  
عَلَّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ \* لَهَا إِطَابَاتُ بِهَا وَأَكَالُ

ويقول الآخر :

إِلَيْكَ جَاوِزَنَ سَوَادَ الرَّيْفِ \* فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ  
\* مُحَطَّمَاتٍ بِجِمالِ اللَّيْفِ \*

فقام مالك بن نَمِيطٍ بين يديه ، ثم قال : يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ مِنْ هَمْدَانَ مِنْ كُلِّ  
حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ ، مَتَّصِلَةٌ بِجِمالِ الْإِسْلَامِ ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ  
لَا تَمُ ، مِنْ خِلَافِ خَارِيفٍ ، وَيَا مِ ، وَشَاكِرُ أَهْلِ السَّوَادِ وَالْقُرَى ، أَجَابُوا دَعْوَةَ  
الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ ، عَنْهُمْ لَا يَنْقُضُ مَا أَقَامَ لَعَلَّ ، وَمَا جَرَى الْيَعْقُورُ يَصْلَعُ .

فكتبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِيهِ : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ !  
هَذَا كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُخْلَافِ خَارِيفٍ وَأَهْلِ جَنْتَابِ  
الْهَضْبِ وَجِقَافِ الرَّمْلِ ، مَعَ وَافِدِهَا ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمِيطٍ ، وَلَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ  
عَلَى أَنْ لَمْ يَفِرَاعَهَا وَيَهَاطَهَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَيَرْعُونَ  
عَاقِبَهَا ؛ لَمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ رَسُولِهِ ، وَشَهِدَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ " .

فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ نَمِيطٍ :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي لَحْمَةِ الدُّبِيِّ \* وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَاتٍ وَصَلَدٍ  
وَمِنْ بَنَى خَوْصُ طَلَاخٍ تَعْتَلِي \* بُرْجَانِهَا فِي لَاجِبِ مُتَمَدِّدٍ  
عَلَى كُلِّ قِتْلَاءٍ الدَّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ \* تَمْرُنَا مَرَّ الْمِجْفِ الْخَفِيدِ

حَلَقْتُ رَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مَنِي \* صَوَّادَ الرُّمَّانِ مِنْ هَضْبِ قَرَدٍ  
بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَلِّقٌ \* رَسُولُ أَتَى مِنْ عِنْدِي الرَّعِشُ مُهْتَدٍ  
فَمَا حَلَّتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلَيْهَا \* أَبْرَأُ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ  
وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ \* وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِقِ الْمُهْتَدِ

وفي رواية أن في كتابه إليهم : "إن لكم فِرَاعَهَا وَوَهَاطَهَا وَعَزَاظَهَا تَأْكُلُونَ  
عِلَافَهَا وَتَرَعُونَ عَفَاظَهَا؛ لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَافِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِثْقَالِ وَالْأَمَانَةِ؛ وَلَمْ مِنْ  
الْصَّدَقَةِ الثُّلُبُ وَالنَّابُ، وَالْفَيْصِلُ وَالْعَارِضُ، وَالنَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحَوْرِيُّ؛ وَطِيبُهُمْ  
فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِحُ".

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لَا يُكْثِرُ دُومَةَ . قال أبو عبيدة : أنا قرأته  
فلذا فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم ! من محمد رسول الله، لَا يُكْثِرُ حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ،  
وخلَعَ الْأَنْتَادَ وَالْأَصْنَامَ؛ مع خالد بن الوليد، سيف الله في دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْفَاهَا،  
إِنَّ لَنَا الضَّاحِيَةَ مِنَ الضُّحَلِ وَالْبُورَ وَالْمَعَامِي وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ، وَالْحَلَقَةَ وَالسَّلَاحَ وَالْحَافِرَ  
وَالْحِصْنَ؛ وَلَكُمْ الضَّمَامَةُ مِنَ النَّخْلِ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَمُورِ، لَا تَمْدُلُ سَارِحَتُكُمْ، وَلَا  
تَعْدُ قَارِدَتُكُمْ؛ وَلَا يُحْطَرُّ عَلَيْكُمُ النِّبَاتُ، تُحَيِّمُونَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا؛  
عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَالْمِثْقَالُ، وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصَّدَقُ وَالْوَفَاءُ، شَهِدَ اللَّهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ".

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حَضْرَمَوْتَ، وهو  
"بسم الله الرحمن الرحيم ! من محمد رسول الله إلى الأقبالِ الْعَبَاحِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ  
بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِتَاءِ الزَّكَاةِ، عَلَى التَّيَمِّ النَّاشِءِ، وَالتَّيَمِّ لَصَاحِبِهَا وَفِي السُّيُوبِ

(١) الضحل بالكون : القليل من الماء، و يروى : "لكم الضاحية من البعل" وهو النخل .

الخميس ، لا خلّاط ولا وِراط ، ولا شتاق ولا شتار ، ومن أجبى فقد أربى ، وكل مُسكير حرام .

وفى رواية أنه كتب إليهم " إلى الأقبال الباهلة والأزواع المشايب ، وفى الثيمة شاة لا مقورة الألباط ولا ضناك ، وأنظوا التبعة وفى السيوب الخمس ، ومن زنى من أميكر فاصقعه مائة ، واستوفضوه عاماً ، ومن زنى من أمثيب فصرّجوه بالأضاميم ، ولا توصيم فى الدين ، ولا نعمة فى فرائض الله تعالى ، وكل مُسكير حرام ، وواصل بن عُجْر يترقل على الأقبال " .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله " فى المثل السائر " : وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ، ولا تكاد توجد فى كلامه إلا جواباً لمن يخاطبه بمتلها كحديث طهفة وما جرى مجراه ؛ على أنه قد كان فى زمنه أولاً متداولاً بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلا يسيراً لأنه أعلم بالفصح والأفصح .

### الصفة الثانية

اللفظ الفصحى ألا يكون مبتذلاً عامياً ، ولا ساقطاً سوقياً

واللفظ المبتذل على قسمين

### القسم الأول

ما لم تغيره العامة عن موضعه اللغوى إلا أنها أختصت باستعماله دون الخاصة فابتذل لأجل ذلك ويخف لفظه ، وأتخفت رتبته لأختصاص العامة بتداوله ، وصار من استعمله من الخاصة ملوماً على الإتيان به لمشاركة العامة فيه ؛ وقد وقع ذلك لجماعة من غفول الشعراء فقيب عليهم .

فن ذلك قول الفرزدق من قصيدة :

وأصبح مبيض الضريب كأنه \* على سروات التبت قطن مندف

فقوله مندف من الألفاظ العامة المتنبلة ، وإن كان له أصل في اللغة يقال :

ندف القطن إذا ضربه بالمندف ، ولذلك قيل للقطن المنذوف : نديف .

ومن ذلك قول أبي نؤاس :

ومليحة بالعدل تحسب أنى \* بالجهل أترك حجة الشطار

فالشطار جمع شاطر ، وهو في أصل اللغة أسم لمن أعيا أهله خبثا ؛ يقال منه :

شطر وشطر بالفتح والضم شطارة بالفتح فيهما ، ثم استعمل في الشجاع الذي أعيا الناس شجاعة ، وغلب دورانه على لسان العامة فأمسح وأبتدل ؛ فاستعمل أبي نؤاس

له غير لائق ، وكذلك قوله أيضا :

يامن جفاني وملا \* نسيته أهلا وسهلا

وما تمرحبت لما \* رأيت مالى قلا

إني أظنك فيما \* فعلت تحكي القيرى

فلفظ القيرى من أشد ألفاظ العامة ابتذالا ، وهو أسم لطائر صغير من طيور

الماء يخطف صغار السمك من الماء برجليه ويمتقاره ، فإذا سقط على الماء

ولم يحصل على صيد ارتفع بسرعة ، فتضرب به العامة المثل تقول : فلان كأنه قيرى ،

إن وجد خيرا تدل ، وإن وجد شرا تعل .

وقوله أيضا :

وأمر الجلالة صبرته \* في الناس زانغا وشقراقا

مازلت أجرى كللى فوقه \* حتى دعا من تحته قاقا

قوله : فَأَقَا حَكَايَةَ لَصَوْتٍ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ لَصَبَاحِ الْمَغْلُوبِ ، يقال : فعلت بفلان كذا وكذا حتى قال : قاق ؛ وأقبح من ذلك كله في الابتذال بين العامة والسخافة قول المتنبي :

ومن الناس مَنْ يَحُورُ عَلَيْهِمْ \* شُرَاءُ كَانَهَا الْخَازِ بَارِ

قال في "المثل السائر" : وهذا البيت من مضحكات الأشعار وهو من جملة الرِسام الذي ذكره في قوله :

إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هُدَاءُ \* لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ  
فِيهِ مَا يَحْتَلِبُ الْبَرَاءَةَ وَالْفَهْمُ فِيهِ مَا يَحْتَلِبُ الرِّسَامُ  
وعده منه في "المثل السائر" قول البحتري :

وَجُوهٌ حُسَادِكَ مُسَوَّدَةٌ \* أَمْ صُبِغَتْ بَعْدَى بِالزَّاجِ؟

قال : فلفظة الزاج من أشد ألفاظ العامة ابتذالا، وكذلك عدته قول النابغة الذبياني :

أَوْ دُمِيَّةٌ فِي مَرَمِيٍّ مَرْفُوعَةٍ \* بَيْنَتْ بِأَجْرِ يُسَادُ قَرْمِيدٍ

قال : فلفظة أجْر مبتذلة جدا . وإذا شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن الكريم، فأنظر إلى هذا الموضع فإنه لما جرى فيه بذكر الأجر لم يذكر بلفظه، ولا بلفظ القرميد أيضا، ولا بلفظ الطوب الذي هو لغة أهل مصر، فإن هذه الأسماء مبتذلة لكن ذكر في القرآن على وجه آخر، وهو قوله تعالى : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا)) فصرح عن الأجر بالوقود على الطين؛ ثم من الألفاظ المبتذلة السخيفة لفظة الكنُس، وما أشق منه، ولذلك عليها القاضي الفاضل رحمه الله تعالى على ابن سناء الملك في بعض أشعاره حيث قال من أبيات :

يُخْرِفُ مِنْهَا وَجْهَهَا فَهوَ جَنَّةٌ \* وَيُخْضِرُ مِنْهَا نَضْرَةً فَهوَ سُدُسٌ  
صَلْبِيٌّ وَهَذَا الْحَسَنُ بَاقِي قُرْبِيًّا \* يُعْزَلُ بَيْتُ الْحَسَنِ مِنْهُ وَيَكُنْسُ

فلما وقف القاضي الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة كتب إلى ابن سناء الملك من جملة فصل : وما قلت هذه الغاية، إلا وتعلمني أنها البداية؛ ولا قلت هذا البيت آية القصيدة إلا تلا ما بعده : وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ . أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ . ولا عيب في هذه المحاسن إلا قصور الأفهام، وتقصير الأتنام، واللاقدة لمُحَجِّجِ الناس بما تحتها، ودقونوا ما دُونَهَا، وشغلوا التصانيف والخواطر والأفلام بما لا يقاربها، وسارت الأشعار وطالت بما لا يبلغ مُدَّهَا ولا نَعِيفَهُ؛ والقصيدة فائقة في حسنها، بدیعة في فنِّها؛ وقد ذلَّت السین فيها وأتقادت، فلو أنها الرأه لما رادت؛ وبیت يُعْزَلُ ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة، فإن لفظة الكنس غير لائقة في مكانها .

فأجابه ابن سناء الملك قائلا : وعلم المملوك مانبه طيه مولانا من البيت الذي أراد أن يكنسه من القصيدة، وقد كان المملوك مشغوقا بهذا البيت، مستحليا له متعجبا منه، معتقدا أنه قد ملَّح فيه، وأنَّ قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه، وما أوقعه في الكنس إلا آبن المعترف بقوله :

وَقَوَائِمِي مِثْلُ الْقَنَازَةِ مِنَ الْخَطِّ وَخَذِي مِنَ الْحَبِي مِثْلِي مَكْنُوسٌ

والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر، ويطلب مطالبه فتعسر عليه وتعذر؛ ولا آتس ناره إلا لما وجد عليها هُدًى، ولا مال المملوك إلا إلى طريق مَنْ مِيلَهُ إِلَيْهِ طَبْعُهُ، ولا سار قلبه إلا إلى مَنْ دَلَّهُ عَلَيْهِ سَمْعُهُ؛ ورأى المملوك أبا عبادة قد قال :

وَيَا عَذْلِي فِي عِبَرَةٍ قَدْ سَفَحْتُهَا \* لَيْسَ وَأَنْتَ رَى قَبْلَهَا لِلتَّجَنُّبِ



تُحَاوِلُ مَنِيَّ شِمِيَّةَ غَيْرِ شَيْئِي \* وَتَطْلُبُ مَنِيَّ مَلْعَبًا غَيْرَ مَلْعَبِي  
وقال :

وَمَا زَادَنِي إِلَّا وَلِهْتُ صَبَابَةً \* إِلَيْهِ وَالْأَقْلُتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا  
فَعَلِمَ الْمَمْلُوكُ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةٌ لَا تُسْلِكُ، وَعَقِيلَةٌ لَا تُمْلِكُ، وَغَايَةٌ لَا تُدْرِكُ؛ وَوَجَدَ  
أَبَا تَمَّامٍ قَدْ قَالَ :

\* سَلَّمَ عَلَى الرَّبِّعِ مِنْ سَلَامِي بِذِي سَلَمٍ \*

\* خَشَنْتِ عَلَيْهِ أُخْتِ بَنِي خُشَيْنٍ \*

فَأَشَارَ مِنْ هَذَا التَّمْطِطِ طَبْعُهُ، وَاقْشَرَّ مِنْهُ فَهْمُهُ، وَتَبَّأَ عَنْهُ ذَوْقُهُ، وَكَادَ سَمِعَهُ  
يَجْعَزُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَيِّفُهُ؛ وَوَجَدَ هَذَا السَّيِّدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَرِّ قَدْ قَالَ :

وَقَفَّتْ فِي الرُّوْضِ أَبْيَى فَقَدْ مُشِبِّهِ \* حَتَّى بَكَتْ بِمُسْوَعِي أَعْيُنِ الزَّهْرِ  
لَوْلَمْ أُعْرِهَا دُمُوعَ الْعَيْنِ نَسْفَعُهَا \* لَرَحِمِي لَأَمْتَارَتْهَا مِنَ الْمَطَرِ

وقال :

قَلْتُكَ غُصْنٌ لَا شَكَّ فِيهِ كَمَا \* وَجْهُكَ شَمْسٌ نَهَارُهُ جَسَدُكَ

فَوَجَدَ الْمَمْلُوكُ طَبْعَهُ إِلَى هَذَا التَّمْطِطِ مَائِلًا، وَخَاطَرَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَيْهِ سَائِلًا؛  
فَنَسَجَ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ خَاطَرُهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ؛ «وَجَبَّكَ الشَّيْءُ»  
يُعْنَى وَيُصَمُّ «فَقَدْ أَعْمَاهُ حُبُّهُ وَأَصَمَّهُ إِلَى أَنْ نَقَلَ تِلْكَ اللَّفْظَةَ فِي تِلْكَ الْأَبْيَاتِ تَقْلِيدًا  
لِابْنِ الْمُعْتَرِّ حَيْثُ قَالَهُ، وَحَلَّ أَتَمَّالَهَا؛ وَهِيَ تُفَقَّرُ لِنَاكَ فِي جَنْبِ إِحْسَانِهِ، فَمَا  
الْمَمْلُوكُ فَهِيَ عَوْرَةٌ ظَهَرَتْ مِنْ لِسَانِهِ .

فَأَجَابَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : وَلَا حِجَّةَ فِيمَا أَحْتَجُّ بِهِ عَنِ الْكُنْسِ  
فِي بَيْتِ ابْنِ الْمُعْتَرِّ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَعْصُومٍ مِنَ الظَّلْطِ، وَلَا يُقَالُ إِلَّا فِي الصُّوَابِ قَطْعٌ،  
وَقَدْ عَلِمَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي عَمْدَتِهِ مِنْ تَهَاقُتِ طَبْعِهِ، وَتَبَايُنِ وَضْعِهِ؛ فَذَكَرَ مِنْ  
مَحَاسِنِهِ مَا لَا يُعَلَّقُ مَعَهُ كِتَابٌ، وَمِنْ بَارِدِهِ وَغَتِّهِ مَا لَا تُبْلِسُ عَلَيْهِ الثِّيَابُ .

وقد تَعَصَّبَ القاضي السعيد على أبي تمام فقتضه من حظه، وللبُحْثَرِي فَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ، وَمَا أَنْصَفَهُمَا :

ولو كان هذا مَوْضِعَ الْعَتَبِ لَأَشْتَنَى \* فُوَادِي وَلَكِنْ لِلْعِتَابِ مَوَاضِعُ

قال المولى صلاح الدين الصَّفْدِي رحمه الله تعالى في شرح لامية العجم . وقد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة في غير هذا الموضع ولم يتعطف بنهى الفاضل ولا أزعوى ولا أزدجر عما قبحه لأنه غلب عليه الهوى، فقال :

تَوْسَوْسَ شِعْرِي بِهِ مُدَّةً \* وَمَا بَرَحَ الْحَلِيُّ وَالْوَسْوَسَةُ

وَحَلَّصَنِي مِنْ يَدَيَّ عِشْقِهِ \* ظِلَامٌ عَلَى خَدِّهِ حَتَدَسَهُ

كَسَنَتْ فُوَادِيَ مِنْ عِشْقِهِ \* وَلِحْيَتُهُ كَانَتْ الْمِكْنَسَةَ

قال : وأما القاضي الفاضل، فما أظنه خلا في هذا الإيراد، من ضعف انتقاد؛ وأحاشى ذاك الذهن الوقاد، من هذا الاعتقال في ورطة هذا الاعتقاد؛ وما أراه إلا أنه تعمد أن يعكس مراده، ويوهي ماشدته ويوهن ماشده؛ ويرميه ببلاء البلادة؛ إما على سبيل النكال أو النكادة، لأن الفاضل رحمه الله ممن يتوثق هذه الألفاظ ويقصدها، وينشئها وينشدها، ويورى زنادها ويوردها .

فن كلام القاضي الفاضل في بعض رسائله : وما أستطاعت أيديهم أن تقيض جمره، ولا ألباهم أن تسبيح نحره ولا سيوفهم أن تكس قيمه .

قال في "المثل السائر" : ومثل هذه الألفاظ إذا وردت في الكلام، وضعت من قدره ولو كان معناه شريفا . قال : وهذا القسم من الألفاظ المتبذلة لا يكاد يخلو منه شعر شاعر، لكن منهم المقل والمكثر .

## القسم الثاني

ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل اللغة فغيرته  
العامة وجعلته دالاً على معنى آخر . وهو على ضربين

الضرب الأول — ما ليس بمستقيح في الذكر ولا مستكره في السمع . وذلك  
كتسميتهم الإنسان إذا كان ديمت الأخلاق، حسن الصورة أو اللباس أو ما هذا  
سبيله ظريفاً، والظرف في أصل اللغة : مختص بنطق اللسان فقط، كما أن الصباحة  
مختصة بالوجه، والوضاءة مختصة بالبشرة، والجمال مختص بالأنف، والحلاوة  
مختصة بالعينين، والملاحاة : مختصة بالفم، والرشاقة : مختصة بالقدم، واللباقة :  
مختصة باللسان، فالظرف إنما يتعلق بالنطق فغيرته العامة عن بابه ونقلته إلى أعم  
من موضوعه كما تقدم، ومن وقع له التحويل عن ذلك فغلط فيه أبو نؤيس في قوله :

اخْتَصَمَ الْجُودُ وَالْجَمَالُ \* فَيَكُ فَصَارَا إِلَى جِدَالٍ

فقال هذا يمينه لي \* للعرف والبذل والتوال

وقال هناك وجهه لي \* للظرف والحسن والكمال

فاقتربا فيك عن تراض \* كلاهما صادق المقال

فوصف الوجه بالظرف، وهو من صفات النطق كما تقدم؛ وكذلك أبو تمام

في قوله :

لَكَ هَضْبَةُ الْحِلْمِ الَّتِي لَوْ وَاظَنْتَ \* أَجَأَ إِذَا تَهَلَّتْ وَكَانَ خَفِيفَا

وحلاوة الشيم التي لو ما رَجَتْ \* خُلِقَ الزَّيْمَانُ الْقَدَمُ عَادَ ظَرِيفَا

فوصف الشيم بالحلاوة وهي مختصة بالعينين، ووصف الخلق بالظرف وهو

مختص بالنطق كما تقدم بيانه .

الضرب الثاني — ما يُستقبح ذكره كما في لفظ الصُّرْم بالصاد المضمومة والصُّرْم بالسين؛ فإن الصُّرْم بالصاد في أصل اللغة عبارة عن القطع، يقال: صرمه يَصِرْمُهُ صَرْمًا وَصَرْمًا بالفتح والضم إذا قطعه، وبالسين عبارة عن المحل المخصوص، وقد كانت العرب تستعمله بالصاد المضمومة في أشعارها بهذا المعنى فلا يعاب عليها؛ قال أبو محضر المذَلِّي:

قد كان صُرْمٌ في الممات لنا \* فعجلت قبل الموت بالصُرْم

فاستعمله بمعنى القطع ولم يُعبّ عليه لأن الألفاظ في زمن العرب لم تتغير بل كانت باقية على أوضاعها الأصلية، فقلبت العامة السين من المحل المخصوص صادا واستعملت لفظ الصُّرْم الذي هو القطع في المحل المخصوص، فصار لفظه مستقبحا وسماعه مستكرها، وعيب على أبي الطيّب استعماله في قوله:

أذاق القواري حُسْنَهُ ما أذقَنِي \* وَعَفَّ بخازن عَنِّي بالصُّرْم

على أنه إنما يكره استعماله بصيغة الاسم لما تقدم، أما إذا استعمل بصيغة الفعل مثل صَرَمَ وَيَصِرْمُ وما شاكل ذلك، فإنه لا تجز في استعماله، وقد استعمله ابن الرومي بالسين على بابيه فجاء أفصح وأشنع، فقال يهجو الورْد:

كأنه سُرْمٌ بفل حين يُخْرِجه \* عند البراز وباقي الروث في وَسْطِهِ

قال الصلاح الصفدي: وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر في الورد أيضا:

كأنه وَجَنَةُ الحبيبِ وَقَدْ \* نَقَطَهَا عَائِشٌ بِدِينار

قال: فانظر إلى هذا، وَجَنَةُ، وحبيب، ودِينار؛ وإلى ذلك، سُرْمٌ، وبغل،

وروث. وشَتَانٌ ما بينهما.

### الصفة الثالثة

من صفات اللفظ المفرد الفصحى ألا يكون متنافر الحروف، فإن كانت حروفه متنافرة بحيث يتقل على اللسان ويسر النطق به فليس بفصحى وذلك نحو لفظ المَحْضُخ في قول بعض العرب عن ناقة : رَكَبَهَا رَعَى المَحْضُخَ بالخاء المعجمة والعين المهملة ، وهو نبت أسود ، وكذلك لفظ مستَشِيرَات من قول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي من جملة القصائد السبع الطوال :  
غَدَاثُهُ مُسْتَشِيرَاتٌ إِلَى الْعُلَا \* تَفِضُّ الْمَدَارِي فِي مِثْنٍ وَمُرْسَلٍ  
لفظ مستَشِيرَات من المتنافر الذي يتقل على اللسان ، ويسر النطق به .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله في "المثل السائر" : ولقد رآني بعض الناس وأنا أعيب على امرئ القيس هذا اللفظ فأكبر ذلك لوقوفه مع شبهة التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء ، فصجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة ، وقلت له : لا يمنع إحسان امرئ القيس من استقباح ماله من القبيح ، بل مثال ذلك كمثل غَزَالِ الْمِسْكِ فإنه يخرج منه المسك والبعر ، ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبيث ما يخرج من بعره ، ولا تكون لثانة ذلك الطيب حامية لخبيث من الاستكراه ، فأسيكت الرجل عند ذلك .

إذا علمت ذلك ، فإن معظم اللغة العربية دائرة على ذلك ، لأن الواضع قسمها في وضعه إلى ثلاثة أقسام : ثَلَاثِيًّا ، وَرُبَاعِيًّا ، وَخَمَاسِيًّا ، فالثلاثي من الألفاظ هو الأكثر ، ولا يوجد فيه ما يكره استعماله إلا النادر ، والخماسي هو الأقل ، ولا يوجد فيه ما يستعمل إلا الشاذ النادر ، والرباعي وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة طردًا واستعمالًا ، فيكون أكثر اللغة مستعملًا غير مكروه . قال : ولا تقتضي حكمة هذه

اللغة التي هي سيدة اللغات إلا ذلك ؛ ولذلك أسقط الواضع منها حروفا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استقالا واستكراها ، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والعين ، وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ، ولا بين اللام والراء ، ولا بين الزاي والسين ، وذلك دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج دون المتقارب ؛ وكيف كان الواضع يُحِلُّ بِمَثَلِ هذا الأصل الكلّي في تحسين اللغة وقد آعنى بأمور جزئية دون ذلك ! كما تلتصق بين حركات الفعل في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالتَّغْيَانِ ، والضَّرْبَانِ ، والتَّقْزَانِ ، والتَّرْوَانِ ؛ وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، فإن جميع حروفه متحركات ليس فيها حرف ساكن ، وهي مماثلة لحركات الفعل في الوجود .

ومن نظري في حكمة وضع هذه اللغة إلى هذه الدقائق التي هي كالأطراف والحواشي فكيف كان يحلُّ بالأصل المعول عليه في تأليف الحروف بعضها إلى بعض ! . على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يستخرج الحروف عند استعمال الألفاظ ، أمي متباعدة أو متقاربة ؟ لطلال الخطب في ذلك وعسر ، ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ، ولا الكاتب ينشئ كتابا إلا في مدة طويلة ، والأمر بخلاف ذلك ، فإن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام في تحسين لفظ وتقييح آخر ؛ . على أنه قد يميء من المتقارب المخارج ما هو حسن رائق ، ألا ترى أن الحروف الشجرية ، وهي الجيم والشين والياء متقاربة المخارج لأنها تخرج من وسط اللسان بينه وبين الحنك ، وإذا ترتب منها لفظ جاء حسنا رائقا ، فإن لفظة جَيْش قد آجتمع فيها الحروف الشجرية الثلاثة ، وهي مع تقارب مخارجها حسنة رائقة ؛ وكذلك الحروف الشفهية وهي الباء والميم والفاء متقاربة المخارج ، فإن تخرج جميعها من الشفة ، وإذا ترتب منها لفظ جاء سليسا غير متنافر ، كقولك أكلت بضمي ، وهو في غاية الحسن ، والحروف الثلاثة

الشفعية مع تقارب مخارجها مجتمعة فيها ؛ وقد يجيء من المتبادر المخارج ما هو قبيح متنافر، كقولك : مَلَعَ بمعنى عدا ، فإن الميم من الشفة ، والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان ؛ فهذه الحروف كلها متباعدة من بعضها ومع ذلك فإنها كريمة الاستعمال ، ينبو عنها النوق السليم ، ولو كان التباعد سببا للحسن لما كان سببا للقيح ؛ على أنه لو عكست حروف هذه اللفظة صارت عِلِم وعاد القبيح منها حسنا ؛ مع أنه لم يتغير شيء من مخارجها ، على أن اللام لم تزل فيها وسطا والميم والعين يكتنفانها من جانبيها ؛ ولو كانت مخارج الحروف معتبرة في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة بتقديم بعض الحروف وتأخير بعض ، وليس ذلك لأن إدخال الحروف من الشَّفة إلى الحلق في مَلَعَ أعسرُ من إخراجها من الحلق إلى الشَّفة في عِلِم ، فإن لفظة بَلَعَ فيها الباء وهي من حروف الشفة واللام وهي من وسط اللسان والعين وهي من حروف الحلق وهي غير مكروهة .

قال في "المثل السائر" : وربما أعترض بعض الجهال بأن الاستئصال في لفظ مستشزرات إنما هو لطولها وليس كذلك ، فإنالو حذفنا منها الألف والياء وقفنا مستشزركان قليلا أيضا ، لأن الشين قبلها تاء وبعدها زاي ، فَتَقُلُ النطق بها ؛ نعم لو أبدلنا من الزاي راءً ومن الراء فاءً قفلنا مُسْتَشْرِفٌ لزال ذلك ؛ ومن ثمَّ ظهرك أن اعتبار ابن سنان تركيب الكلمة من أقل الأوزان تركيبا غير معتبر ، وقد ورد في القرآن العظيم أفاظ طوالاً لاشك في حسنها وفصاحتها كقوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ فإن لفظ فسيفكفكم مركب من تسعة أحرف ، ولفظ ليستخلفنهم مركب من عشرة أحرف ، ولفظ مستشزرات مركب من ثمانية أحرف . قال : والأصل في هذا الباب أن الأصول لاتحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي ، كقولك عَدْبٌ وَعَسَجْدٌ ، فالأولى ثلاثية ،

والثانية رُبَاعِيَّةٌ؛ أما الخُمَاسِيَّةُ من الأصول فإنه قبيح، كقولك: صَهْصَيْقٌ وَجَحْمَرِيَّةٌ، وما جرى مجراها؛ ولهذا لا يوجد في القرآن الكريم من الخُمَاسِيَّةِ الأصول شيء إلا ما كان من أسم نبيِّ عَرَبٍ أَسْمِهِ، ولم يكن في الأصل عَرَبِيًّا كإبراهيم وإسماعيل ونحوهما .

### الصفة الرابعة

من صفات اللفظ المفرد الفصحح ألا يكون على خلاف القانون المستنَبَط من تتبع مفردات ألفاظ اللغة العربية وما هو في حكمها كوجوب الإعلال في نحو قام والإدغام في نحو مدَّ، وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف ، فإنه لو فَكَّ الإدغام في مدَّ فقال مدَّ لم يكن فصيحاً، وعِلَّ حدَّ ذلك جاء قول بعض العرب .

• الحمد لله العليُّ الأجلُّ •

فإنَّ قياس بابِه الإدغام فيقال الأجل .

قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح التلخيص : وأما نحو أبي يَبي وعُور وأسحُوذٌ وقَطِيطٌ شعره وما أشبه ذلك من الشواذ الثابتة فليست من المخالفة في شيء لأنها كذلك ثبتت عن الواضع، فهي في حكم المستثناة .

فهذه الصفات الأربع هي عمود الفصاحة في اللفظ المفرد، وقطب دائرة حسنة، فتبي أنصف بها وسلم من أضدادها كان بالفصاحة مقيماً ، وبالحسن والرواق مشتملاً ؛ والطبع ملائماً ، وللمسمع موافقاً ؛ ومتى عَرِيَ عن ذلك خرج عن طرائق الفصاحة ، وحاد عن سبيل الحسن ، ومال إلى المُجَنَّة ، فَجَّه السمع ، وَقَلَّاه الطبع ، ورفضته النفوس ، ونفرت منه القلوب ؛ فلزم العيبُ قائله ، وتوجه العتبُ على مستعمله .



قال ابن الأثير رحمه الله : وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم : إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكروا ذلك وقال : بل كل الألفاظ حسن ، والواضع لم يضع إلا حسنا . قال : ومن يبلغ جهله إلى غاية لا يفرق بين لفظة النصف ولفظة السُلُوح ، وبين لفظ المدامة ولفظ الإسْفِيط ، وبين لفظ السِّيف ولفظة الخَنْشَلِيل ، وبين لفظة الأسد ولفظة القُدُوكَس ، فلا يبنى أن يُخاطَبَ بخطاب ، ولا يُجابَ بجواب ، بل يترك شأنه كما قيل : «أتركوا الجاهل بجهله ، ولو ألقى الجحر في رحله» .

وما مثاله في ذلك إلا كمن يسوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد، شوهاء الخلق؛ ذات عين حمرة، وشفة غليظة، وشعر قَطَطَ وبين صورة رُومِيَّة بيضاء، مُشْرِبة بحمرة، ذات خَدَّ أَسِيل، وطَرْفٍ كَئِيل، ومَبْشِمٍ كأنما نَظَمَ من أَقْاح ، وطَوَّةَ كأنها ليل على صَبَاح . فإذا كان بإنسان من سُقْم النظر أن يسوَّى بين هذه الصورة وهذه؛ فلا يعد أن يكون به من سُقْم الفكر أن يسوَّى بين هذه الألفاظ وهذه، ولا فرق بين السمع والنظر في ذلك؛ فإن هذه حاسَّة وهذه حاسَّة، وقياس حاسة على حاسة غير مُمتنع ؛ ولا عبرة بمن يستحسن الألفاظ القبيحة ، ويميل إلى الصورة الشنيعة؛ فإن الحكم على الكثير الغالب، دون الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال؛ فإنا لو رأينا من يُحِبُّ أكل القَحْم والحَصِّ والتراب، ويختار ذلك على مَلَأَدِ الأَطعمة فإنا لاستعجد هذه الشهوة بل نحكم عليه بالمرض وفساد المَعِدَةِ، وأنه يحتاج إلى العلاج والمداواة ؛ ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نَفْمةً لذيذة كنعمة الأوتار، وصوتا مُنْكَرا كصوت الحمار؛ وأن لها في الفم حلاوة كحلاوة السُّل، ومرارة كمرارة الخَنْظَلِ . ولا حجة لاستعمال العرب لهذه الألفاظ ، فإن استحسان الألفاظ واستبقاها لا يؤخذ بالتقليد من العرب، لأنه ليس للتقليد فيه جَمَال . وإنما له خصائص وهيئات وعلامات إذا وُجدت عُلم حسنه من قبحه وإفقه أمله .

### الأصل الثالث

من صناعة إنشاء الكلام، تركيب الكلام، وترتيب الالفاظ  
والنظر فيه من وجوه

#### الوجه الأول

في بيان فضل المعرفة بذلك، ومسييس حاجة الكاتب إلى معرفته، والإشارة  
إلى خفي سره وتوَعَّر مسلكه

قال أبو هلال العسكري: وأجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب،  
والشعر؛ جميعها يحتاج إلى حُسْن التاليف، وجَوْدَةِ التركيب، وحسن التاليف يزيد  
المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التاليف ورداءة الرّصف والتركيب تُعَبِّئُ من  
العمية؛ فإذا كان المعنى سيئا، ورصف الكلام رديئا، لم يوجد له قبول، ولم تظهر  
عليه طَلَاوَةٌ. فإذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيدا، كان أحسن مَوَاقِعًا  
وأطيب مُسْتَمَعًا، فهو بمنزلة العِقْد إذا جُمِعَ كل خِرْزَةِ منه إلى ما يليق بها كان  
رائحا في المرأى، وإن لم يكن مرتفعا نبيلًا؛ وإن اختلفَ نظمُه فَضُمَّتْ الحِجَةُ منه  
إلى ما لا يليق بها اقتضحت العَيْن وإن كان فائحا ثمينًا؛ وحُسْنُ الرّصِفِ أن توضع  
الالفاظ في مواضعها، وتمكّن من أمانتها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف  
والزّيادة إلا حذفًا لا يُفْسِدُ الكلام، ولا يُعَمِّي المعنى؛ وتُضَمُّ كل لفظة منها إلى شكلها  
وتُضَافُ إلى وقعها؛ وسوء الرّصِفِ تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوها،  
وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها.

وقد قال المتأني: الالفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب،  
فإذا قدّمتَ منها مؤنرا وأخرتَ منها مقدما أفسدتَ الصورة وغيرتَ المعنى، كما أنه

لو حُوِّلَ رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رأس أو رِمِلَ لصَحَلَتِ الخَلْقَةُ،  
وَتَغَيَّرَتِ الحِلْيَةُ .

قال في "الصناعتين" : وقد أحسن في هذا التمثيل .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله في "المثل السائر" : وهذا الموضع يَضِلُّ  
في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر، فكيف الجهال الذين  
لم تَنَفَّحْهُمْ منه راحة ! وَمَنْ الذي يؤتبه الله فَطَرَهُ ناصمة يكاد زيتها يضيء ولو لم  
تمسه نار، حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ فيضعها في مواضعها ؟  
وذلك أن تفاوت التفاضل لم يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها،  
إذ التركيب أعسر وأشق، ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث أفرادها قد  
استعملتها العرب وَمَنْ بعدهم، وهي مع ذلك فوق جميع كلامهم وتعلو عليه، وليس  
ذلك إلا لفضيلة التركيب . وأنظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ  
وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴾ وما أشتملت عليه هذه الآية من الحسن والطلاوة والرونق والمائية التي  
لا يقدر البشر على الإتيان بمثلها، ولا يستطيع أنصح الناس وأبلغ العالم مضاهاتها؛ على  
أن ألفاظها المفردة كثيرة الاستعمال دائرة على الأسنة، فقوة التركيب وحسن السبك  
هو الذي ظهر فيه الإعجاز وألحمت فيه البلاغة من حيث لاقت اللفظة الأولى بالثانية  
والثالثة والرابعة، وكذلك سائر الألفاظ إلى آخر الآية . ويشهد لذلك أنك لو أخذت  
لفظة منها من مكانها وأفردتها عن أخواتها لم تكن لابسمة من الحسن والرونق ما لبسته  
في موضعها من الآية، ولكل كلمة مع صاحبها مقام

قال ابن الأثير : ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلّان على معنى واحد،  
ككلاهما في الاستعمال على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه

في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يُفَرَّق بينهما في مواضع السُّبْك؛ وهذا مما لا يدركه إلا من تَقَّ فهمه، وجلَّ نظره. وإذا نظرت إلى قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ رأيت ذلك عياناً، فإن الجوف والبطن بمعنى واحد، وقد أُسْتُعِمِلَ الجوف في الآية الأولى والبطن في الآية الثانية ولم يُسْتَعْمَلْ أحدهما مكان الآخر؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة وإن كانا مختلفين في الوزن، ولم يستعمل أحدهما موضع الآخر.

ومما يجري هذا المجرى قول الأعرج من أبيات الحماسة:

تَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ \* لَا عَارَ بِالْمَوْتِ إِذَا حُمَّ الْأَجَلُ

\* الموت أحلَّ عِندَنَا مِنَ الْعَسَلِ \*

وقول أبي الطيب المُنْتَهَى:

إِذَا شِئْتُ حَقَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِجٍ \* رِجَالُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي قِيَامِهَا شَهْدُ

لفظة الشهد ولفظة العسل كلاهما حَسَنٌ مستعمل، وقد جاءت لفظة الشهد في بيت أبي الطَّيِّبِ أحسن من لفظة العسل في بيت الأعرج، على أن لفظة العسل قد وردت في القرآن دون لفظة الشهد بغضت أحلى من الشهد في موضعها؛ وكثيراً ما تجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المُفْلِقِينَ وُثُلَاءِ الْكُتَّابِ ومصافح الخطباء، وتحتها دقائق ورموز؛ إذا عَلِمْتَ وَقَيْسَ عليها كان صاحب الكلام قد انتهى في النظم والثر إلى الناية القصوى في وضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها.

قال: وأعجب من ذلك أنك ترى اللفظة الواحدة تُرَوِّك في كلام، ثم تراها

في كلام آخر فتكرهها؛ وقد جاءت لفظة في آي القرآن الكريم بوجه راقية، ثم جاءت

تلك اللفظة بينهما في كلام آخر بغات ركيكة نابعة عن النوق، بعيدة من الاستحسان؛  
فإن ذلك لفظة يؤذى فإنها وردت في قوله تعالى: ﴿إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ  
مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ بغات في غاية الحسن ونهاية الطلاوة، ووردت  
في قول أبي العلي :

تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي \* وَمَنْ يَعْشَقْ يَلْذُّ لَهُ الْفَرَامُ

بغات رنة مستهجنة، وإن كان اليت من أبيات المعاني الشريفة، وذلك  
لقوة تركيبها في الآية وضعف تركيبها في اليت الشعر؛ والسبب في ذلك أن لفظة  
تؤذى إنما تحسن في الكلام إذا كانت مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كما في الآية  
الكريمة حيث قال: ﴿إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ وفي بيت المتنبي جاءت متقطعة  
ليس بعدها شيء نتملق به حيث قال :

\* تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي \*

ثم أساقف كلاما آخر فقال :

\* وَمَنْ يَعْشَقْ يَلْذُّ لَهُ الْفَرَامُ \*

وقد جاءت هذه اللفظة بينهما في الحديث النبوي مضافة إلى كاف خطاب،  
فأخذت من المحاسن بزمَامِها، وأحاطت من الطلاوة بأطرافها، وذلك أنه لما  
أشكى النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فرقاه فقال: "بسم الله أَرْفِكَ مِنْ كُلِّ  
دَاءٍ يُؤْذِيكَ" فصارت إلى الحسن بزيادة حرف واحد، وهذا من السر الخفي الذي  
يَدُقُّ فهمه. وعمل نهج لفظة يؤذى يَرُدُّ لفظة لي، فإنها لا تَحْسُنُ إلا أن تكون متعلقة  
بما بعدها، ولذلك لَحِقَها هاء السَّكَنِ في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي هَلَكَ عَنِّي  
سُلْطَانِيَّةٌ﴾ لما لم يكن بعدها ما يتعلق به، بخلاف قوله: ﴿إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ  
وَتِسْعُونَ نَجَاجَةً وَمِثْلَ نَجَاجَةِ وَأَسَدَةٍ﴾ فإنه لم تلحقها هاء السكت أكفأ بما هي متعلقة به.

ومما يجرى مثل هذا المجرى لفظة القَمَلِ ، فإنها قد وردت في قوله تعالى :  
 ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْهُمَّامَ﴾ بغاية الحسن ،  
 ووردت في قول الفرزدق :

مِنْ عِزِّهِ أَجْتَعَرَتْ كُتَيْبٌ عِنْدَهُ \* زَرْبًا كَانَهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ

بغيات منقطعة نازلة ، وذلك لأنها قد جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام  
 لم ينقطع الكلام عندها ، وجاءت في البيت قافيةً أتقطع الكلام عندها .

هذا ملخص ما ذكره ابن الأثير ، وقال : إنه لم يُسبق إليه ، وجعل الحاكم  
 فيه النوق السليم دون غيره : وعلى الجملة فلا نزاع في أن تركيب الألفاظ يُعْطِي الكلامَ  
 من القوة والضعف ما تريد به قيمة الألفاظ الفصيحة ، ويرتفع به قدرها ، أو يحطُّ  
 مقدارها عن درجة الفصاحة والحسن إلى رتبة القبح والاستهجان .

### الوجه الثاني

في بيان ما ينبنى عليه "تركيب الكلام" وترتيبه . وله ركنان  
 الركن الأول — أن يُسَلَك في تركيبه سبيل الفصاحة والخروج عن أَلَكَنَةِ  
 والمُجَنَّة .

والفصاحة في المركب بأن يتصف بعد فصاحة مفرداته بصفات :

#### الصفة الأولى

أن يكون سليما من ضَعْفِ التاليف

بأن يكون تاليف أجزاء الكلام على القانون النحويّ المشتهر فيما بين معظم  
 أصحابه حتى لا يمتنع عند الجمهور ، وذلك كالإصمّار قبل الذكر لفظاً أو معنى ، نحو

ضرب غلامه زيدا، فإنه غير فصيح وإن كان ما اتصل بالفاعل فيه ضمير المفعول به مما أجازته الأخفش، وتبعه ابن جني لثلاثة اقتضاء الفعل المفعول به كالفاعل، وأستشهد بقوله :

لما عصى أصحابه مُضْعَبًا \* أتى إليه الكيل صاعًا يصاع

وقوله :

جزى بنوه أبا الفيلان عن كبير \* وحسن فعل كما يُجزى سِنْمَارُ

وقوله :

ألا ليت شعري، هل يلومن قومه \* زهيرًا على ما جر من كل جانب

### الصفة الثانية

أن يكون سليما من التعقيد

وهو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى الذى يُراد منه ، وهو على ضريبن :

الضرب الأول — وهو الذى يسميه ابن الأثير : المعاطلة المعنوية — ألا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم أو تأخير، أو حذف، أو إضمار، أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد، وإن كان ثابتا فى الكلام، جاريا على القوانين، كقول الفرزدق فى مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله فى الناس إلا مُمْلَكًا \* أبو أمه حتى أبوه يُقاربه

أى وما مثل هذا الممدوح فى الناس حتى يقاربه ويُشبهه فى الفضائل إلا مُمْلَكًا، أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح، فيكون الممدوح خال المملك، والمعنى أنه لا يماثل

أحد هذا المندوح الذي هو إبراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام ، أفسده وعقد معناه ، وأخرجه عن حدّ الفصاحة إلى حدّ اللُّصنة ؛ وكذلك قوله في الوليد بن عبد الملك :

إلى ملكٍ ، ما أمُّه من مُحَارِبٍ \* أبوه ، ولا كانت كُليبُ نَصَاهِرُهُ  
يريد إلى ملكٍ ما أمّ أبيه من مُحَارِبٍ ، وقوله :  
تَعَالَ فَاثْبَاهُ عَاهِدَتِي لَا تُخَوِّتِي \* نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَذْثُبُ بِصَطْحِيحَانِ  
يريد نكن يا ذئب مثل من يصطحبان ، وقوله :

ولست خُرَاسَانُ التي كان خالدٌ \* بها أَسَدٌ ، إذ كان سيفاً أميرها  
يريد أن خالد بن عبد الله كان قد ولي خراسانَ ووليها أَسَدٌ بعده ، فمدح خالدًا بأنه كان سيفاً ، بعد أن كان أَسَدٌ أميرها ، فكأنه يقول وليست خراسان بالبلدة التي كان خالد بها سيفاً إذ كان أَسَدٌ أميرها .

قال ابن الأثير : وعلى هذا التقدير في كان الثانية ضميرُ الشأن والحديث ، والجملة بعدها خبرُ عنها ، وقد قُدِّمَ بعض ما أُذْمِضَ مضافاً إليه وهو أَسَدٌ عليها ، وفي تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من التقيح ما لا خفاء به . قال : وأيضاً فإن أسداً أحد جزأى الجملة المُسَمَّرة للضمير ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدّم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ، وكما سماه الكوفيون الضمير المجهول ، وعلى نحو ذلك ورد قول الآخر :

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ هَجَّتِهَا قَلْبًا \* كَأَنَّ قَرَأَ رُسُومَهَا قَلْبًا

يريد فأصبحت بعد هجتها قَرَأَ قَلْبًا خط رسوماها ، فقلتم خبر كان وهو خط عليها ففاء مغللاً مضطرباً .



قال في "المثل السائر" : وهذا البيت من أقبح هذا النوع لأن معانيه قد تداخلت ، وركب بعضها بعضا ؛ على أن ذلك قد وقع لجمع من لحول شعراء العرب ؛ كقول امرئ القيس :

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مِنْ لَا أَخَا لَهُ \* إِذَا خَافَ يَوْمَا نَبْؤَةٍ فَدَعَا هُمَا

يريد أخوا من لا أخوى له في الحرب ؛ وقول النابغة :

يُزَيِّنُ الثَّرَى حَتَّى يُبَايِسَ بَرْدَهُ \* ، إِذَا الشَّمْسُ جَعَتْ رَيْقَهَا بِالْكَلاَكِلِ

قال أبو هلال العسكري : وهذا البيت مستهجن جدا لأن المعنى تعمى فيه ،

يريد يُزَيِّنُ الثرى حتى يبائس برده بالكلاك كل إذا الشمس جعت ريقها ؛ وقول أبي حية التميمي :

كَمَا خَطَّ الْكَأَبُ يَكْفَ ، يَوْمَا ، \* يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ

يريد كما خط الكأب بكف يهودى يوما يقارب أو يزيل ؛ وقول ذى الرمة :

نَضًا الْبُرْدَ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ ، ذُو ، جُنُونِهِ \* أَجَارِيَّ ، صَهَّالٌ وَصَوْتُ مُبَرَّسَمٍ

يريد وهو من جنونه ذو أجارى ؛ قال في "الصناعتين" : كأنه تخليط كلام مجنون

أو هجر مبرسم ؛ وقول الشماخ :

تَحَامَصَ عَنْ بَرْدِ الْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ \* تَحَامَصَ حَافِي الْخَلِيلِ فِي الْأَمْعَزِ الْوَجِي

يريد تَحَامَصَ حافي الخيل في الوجي ، الأمعر .

قال أبو هلال العسكري : وليس للمحدث أن يجعل هذه الأبيات حجة وينتق

عليها فإنه لا يسخر في شيء منها ، لإجماع الناس اليوم على مجانية أمثلها واستجادة .

ما يضح من الكلام ويستبين ، وأستفاد ما يُسَكِّلُ منه ويستبهم ؛ وقد كان عمر

رضي الله عنه يمدح زهيرا بأنه لم يكن يعاظم بين الكلام .

قال في "المثل السائر" : والفردق أكبر الشعراء تماظلا وتعقيدا في شعره، كأنه كان يقصد ذلك ويتممه، لأن مثله لا يحى، إلا متكلفا مقصودا، وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على طبيعتها والاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد، بدليل أن المقصود من الكلام معلوم في هذا النوع، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به، ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما .

الضرب الثاني من التعقيد — ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد بمثل في انتقال ذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني المقصود، لإيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة، مع خفاء القرائن الدالة على المقصود، كقول النّباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا \* وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمَدَا

يريد إلى أطلب بعد الدار عنكم لتقربوا مني، وتسكب عيناى الدموع لتجمدا وتكف الدمع بمحصول التلاقى، والمعنى أنى طبت قسا بالبعد والفراق، ووطنت نفسى على مقاساة الأزان والأشواق، وأنجرح الفصص، وأحتمل لأجلها حزنا يفيض الدموع من عيني، لآتسبب بذلك الى وصل يدوم، ومصرة لا تزول، فتجمد عيني وبرا دمي، فإن الصبر مفتاح الفرج، فكثرت بسكب الدموع عن الكآبة والحزن، وهو ظاهر المعنى لأنه كثيرا ما يحصل دليلا عليه، يقال : أبكاني الدهر وأضحكنى بمعنى ساءنى وسرتنى، وكثرت بجود العين عما يوجبه دوام التلاقى من الفرج والسرور، فإن المتبادر إلى ذهن من جمود العين بمثلها بالدمع عند إرادة البكاء حال الحزن، بخلاف ما قصده الشاعر من التعبير به عن الفرح والسرور، وإن كانت

حالة جمود الدمع مشتركة بين بخل العين بالدمع عند إرادة البكاء، وبين زمن المرور الذى لم يطلب فيه بكاء، وكذلك يجرى القول فى كل لفظ مشترك ينتقل الذهن فيه من أحد المعنيين الى الآخر إذا لم يكن هناك قرينة تصرفه الى أحدهما، كما صرح به الرماني وغيره، خصوصا إذا كان أحد المعنيين الذى يدل عليه اللفظ المشترك مستتبعا كما نبه عليه ابن الأثير فى الكلام على فصاحة اللفظ المفرد؛ ألا ترى أن لفظة التميز مشتركة بين التعظيم والإكرام، وبين الإهانة بسبب الخيانة التى لا توجب الحد من الضرب وغيره، والمعنيان ضئدان بحيث وردت معها قرينة صرفتها إلى معنى التعظيم جاءت حسنة راتمة، وكانت فى أعلى درجات الفصاحة؛ وعلى نحو ذلك ورد قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوْهُ وَتَقْرُوهُ﴾ وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ الآية، فإنه لما ورد معها قرينة التوقير فى الآية الأولى وقرينة الإيمان والنصر فى الآية الثانية زال اللبس وحسن الموقع، ولو وردت مهملة بغير قرينة بإرادة المعنى الحسن لسبق الفهم إلى المعنى القبيح، كما لو قلت عزز القاضى فلانا وأنت تريد أنه عظمه، فإنه لا يتبادر من ذلك إلى الفهم إلا أنه أهانه، وعلى هذا التهج يجرى الحكم فى الحسن والقبح مع القرينة وصددها.

قال ابن الأثير رحمه الله: فما ورد مع القرينة بقاء حسنا قول تأبط شرا:

أقول للحَيَّانِ، وَقَدْ صَفَرْتَ لَمْ \* وَطَائِبِ وَيَوَى ضَيْقُ الْجَحْرِ مُعَوِّرُ

فإنه أضاف الجحمر إلى اليوم فأزال عنه عُجَّة الاشتباه لأن الجحمر يطلق على كل تقب

بسكر الحية واليربوع ونحوهما، وعلى المحل المخصوص من الحيوان، فإذا ورد مهملا بغير قرينة مُحْتَصِّصُه سبق إلى الفهم المعنى القبيح لاشتهاره دون غيره. ومما ورد

مهملا بغير قرينة بقاء قبيحا قول أبي تمام:

أَعْطَيْتِي دِيَّةَ الْقَتِيلِ وَلَيْسَ لِي \* عَقْلٌ وَلَا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيمٌ  
فإن المتبادر إلى الأفهام من قوله وليس لي عقل أنه من العقل الذي هو ضد  
الجنون ولو قال وليس لي عليك عقل لزال اللبس . قال : فيجب إذاً على صاحب  
هذه الصناعة أن يراعى في كلامه مثل هذا الموضع .

### الصفة الثالثة

أن يكون الكلام سليماً من تنافر الكلمات وإن كانت مفرداته فصيحة  
وقد اختلف في معنى هذا التنافر على ثلاثة مذاهب :  
المذهب الأول — أن المراد بتنافر الكلمات أن يكون في الكلام ثَقُلٌ على اللسان  
وَيَعْسُرُ النُّطْقُ به على المتكلم ، وإليه ذهب السَّكَّاكِيُّ وغيره من علماء البيان .  
وهو على ضربين :

الضرب الأول — أن يكون فيه بعض ثقل ، كقول أبي تمام :  
كَرِيمٌ مَنَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى \* مَعِي ، وَإِذَا مَا لَمُتُهُ ، لُمْتُهُ وَحَدِي  
فقوله أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ فيه بعض الثَّقَلِ على اللسان في النطق به ، وذلك أن الهماء  
والهماء متقاربان في المخرج ، وقد اجتمعاً في قوله أَمْدَحُهُ ، ثم تكررت الكلمة في البيت  
مع تقاربٍ مخرج الحرفين فتثقلت بعض الثقل .  
وأول من نبه على ذلك الأستاذ ابن العميد رحمه الله .

ومما يحكى في ذلك : أن صاحب بن عباد أنشد هذا البيت بحضرة ابن العميد ،  
فقال له ابن العميد : هل تعرف في هذا البيت شيئاً من المُجَنَّة ؟ فقال : نعم ،  
مقابلة المدح باللوم وإنما يقابل المدح بالذم والهجاء ، فقال له ابن العميد : غير

هذا أريد، قال : لا أرى غير ذلك . فقال ابن العميد : هذا التكرير في أمده  
أمده مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال ،  
نافر كل التنافر، فاستحسن الصاحب بن عباد ذلك .

قال الشيخ سعد الدين التفنازاني في شرح تلخيص المفتاح : ولا يجوز أن يراد أن  
الثقل في لفظة أمده دون تكرار، فإن مثل ذلك واقع في التزيل نحو قوله تعالى :  
(فَسَبِّحْهُ) والقول باشمال القرآن على كلام غير فصيح مما لا يحترى عليه المؤمن .

الضرب الثاني — ما كان شديد الثقل بحيث يضطرب لسان المتكلم عند إرادة  
النطق به، كقوله :

وَقَبْرُ حَرْبٍ يَمَكِّنُ قَفْرَ \* وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

قال في عجائب المخلوقات : إن من الجن نوعا يقال له الهاتف ، فصاح واحد  
منهم على حَرْبِ بن أُمَيَّة فات، فقال ذلك الجنّ هذا البيت . قال المسمودي  
في "مروج الذهب" : والدليل على أنه من شعر الجن أمران : أحدهما الرواية،  
والثاني أنه لا يقوله أحد ثلاث مرات متواليات إلا تَعَتَّ فيه .

قال ضياء الدين بن الأثير : والسبب في ثقل البيت تكرير حرفي الباء والراء فيه،  
فهذه الباءات والراءات فيه كأنها سلسلة، ولا خفاء بما في ذلك من الثقل . قال :  
وكذلك يجرى الحكم في كل ما تكرر فيه حرف أو حرفان إلا أنه لم يُطْلَق على ذلك اسم  
التنافر، وجعل التنافر قسما مستقلا برأسه كما سيأتي ، وعدّه هذا من أنواع المعاطلة  
اللفظية؛ ثم ذكر من أمثله قول الحريري في مقاماته :

وَأَزْوَرَّ مَنْ كَلَبَ لَهُ زَائِرًا \* وطفَ عَافِي العُرفِ عِرْفَانَهُ

وقول كشاجم :

والزهرُ والقطرُ في رُبَاهَا \* ما بينَ ظَظْمٍ وبينَ قَرٍ

حدائق، كَفَّ كُلَّ رِيحٍ \* حَلَّ بِهَا خَيْطُ كُلِّ قَطْرِ

وقول الآخر:

مَلَّتْ مِطَالٌ مَوْلودُ مُقَدَّى \* مَلِيحٌ مَانِعٌ مَنَى مُرَادَى

وقول المتنبي:

كَيْفَ تَرَى الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ \* رَامَعًا غَيْرَ جَفْنَهَا غَيْرَ رَاقِي

وعاب بيت الحريري لتكرر العين فيه في قوله:

\* وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ \*

وعاب البيت الثاني من بيتي كشاحم لتكرر الكاف فيه في "كَفَّ وَكُلَّ" الأولى و"كُلَّ" الثانية، وقال هذا البيت يحتاج الناطق به إلى رِكَازٍ يضعه في شِدْقِهِ حتى يديره له؛ وعاب البيت الذي يليه لتكرر الميم فيه في أوائل الكلمات، وقال: هذه الميمات كأنها عَقْدٌ، متصلة بعضها ببعض؛ وعاب بيت المتنبي لتكرر الجسيم والراء في أكثر كلماته، وقال: هذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوبه في بعض الأيام. قال: وكان بعض أهل الأدب من أهل عصرنا يستعمل هذا القسم من المعاطلة كثيرا في كلامه شرا ونظما، وذلك لعدم معرفته لسلوك الطريق، كقوله في وصف رجل سخى: أَنْتَ الْمُرِيحُ كَيْدَ الرِّيحِ، وَالْمُلِيحُ إِنْ تَجَهَّمُ الْمَلِيحُ بِالْتَكْلِيحِ؛ عند سائل يُلَوِّحُ، بل تفوق إذ تَرُوقُ مَرَأَى يُوحٍ؛ يا مغبوق كَأْسِ الْحَمْدِ يَا مَصْبُوحٍ ضَاقَ عَنْ نَدَاكَ اللُّوحُ، وبيا بك المفتوح يستريح ويُرِيحُ ذُو التَّبْرِيحِ، وَيُرْقُ الطَّلِيحُ. فانظر إلى حرفي الراء والحاء كيف لزمهما في كل لفظة من هذه الألفاظ بقاء على ما تراه من الثقل والثبات.

ثم قال: وأعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف في كثير من كلامهم، وذلك أنه إذا تكرر الحرف عندهم أدغموه استحسانا،

فقالوا في جعل لك : جَعَلَك ، وفي تضربوني تضربُونِي ، وكذلك قالوا : أَسْتَعِدْ فلان للأمر إذا تاهب له ، والأصل فيه أَسْتَعِدْ ، وَأَسْتَبَّ الأمر إذا تهاى والأصل فيه أَسْتَبَّ ، وأشباه هذا كثير في كلامهم حتى إنهم لَشَبَّه كراهتهم لتكرار الحروف أبدلوا الحرفين المكررين حرفاً آخر غيره ، فقالوا : أَمَلَيْتُ الكتاب ، والأصل فيه أَمَلْتُ ، فأبدلوا اللام ياء طلباً للحفة وفراراً من التثقل ، وإذا كانوا قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة فما ظنك بالألفاظ الكثيرة التي يتبع بعضها بعضاً .

قلت : ليس تكرار الحروف مما يوجب التنافر مطلقاً كما يقتضيه كلامه بل بحسب التركيب ، فقد تكرر الحروف وتوافت في الكلمات المتتابعة مع القطع بفصاحتها وخفتها على اللسان وسهولة النطق بها ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ وَأُمُّ سَنَمْتُهُمْ ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ كيف اجتمع فيه ست عشرة ميماً في آية واحدة ، قد تلاصق منها أربع ميمات في موضع وميماً في موضع ، مع ما أشتملت عليه من الطلاوة والروقي الذي ليس في قدرة البشر الإتيان بمثله ، والله أعلم .

المذهب الثاني — أن المراد بتنافر الكلمات أن تكون أجزاء الكلام غير متلائمة ، ومعانيه غير متوافقة بأن يكون عجز البيت أو القرينة غير ملائم لصدره ، أو البيت الثاني غير مشاكل للبيت الأول ، وعليه جرى العسكري في "الصناعتين" فلما اختلفت فيه أجزاء البيت الواحد قول السموعل :

فَنَحْنُ كِهَ الْمَزْنِ مَا فِي نَصَابِنَا • كِهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلٍ

فليس بين قوله ما في نصابنا كِهَامٌ وقوله فنحن كِهَ المزن مناسبة لأن المراد بالكِهَام الذي لا غناء به ولا فائدة فيه ، يقال قوم كِهَام أي لا غناء عندهم ، ورجل كِهَامٌ

(١) صوابه أحد الحرفين كما حرص العبارة في المثل السائر .

أَيُّ مُسِنٍّ ؛ كَذَلِكَ سَيْفُ كَهَامٍ أَيْ كَلِيلٌ ، وَلِسَانُ كَهَامٍ أَيْ عِيٌّ ، وَفَرَسُ كَهَامٍ أَيْ  
بَطِيءٌ ، فَهُوَ يَصِفُ قَوْمَهُ بِاللَّجْدَةِ وَالْبَاسِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ لَا يُغْنِي ، وَمَاءُ الْمَزْنِ  
إِنَّمَا يَحْسُنُ فِي وَصْفِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ . قَالَ فِي "الصَّنَاعَتَيْنِ" : وَلَوْ قَالَ : وَنَحْنُ  
لَيُؤْتِ الْحَرْبَ وَأَوَّلُو الصَّرَامَةِ وَالنَّجْدَةِ ، مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ ، لَكَانَ الْكَلَامُ مُسْتَوِيًا ؛  
أَوْ فَتَحْنُ كَمَا الْمَزْنُ صَفَاءَ أَخْلَاقٍ وَبَذَلَ أَكْثَفَ ، لَكَانَ جَيِّدًا ؛  
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةٍ :

وَلَسْتُ بِجَلَّالِ التَّلَاجِ مَخَافَةٍ \* وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرِفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدَ

فَالْمَصْرَاعُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ غَيْرُ مِثَالٍ لِمَصْرُوعِ الْأَوَّلِ وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى  
صَحِيحًا لِأَنَّهُ أَرَادَ : وَلَسْتُ بِجَلَّالِ التَّلَاجِ مَخَافَةَ السُّؤَالِ وَلَكِنِّي أَتَزَلُّ الْأَمَكَةَ الْمَرْفُوعَةَ  
لِيَتَابُونِي وَأَرْفِدَهُمْ ، وَهَذَا وَجْهُ الْكَلَامِ فَلَمْ يَبْعَرْ عَنْهُ تَعْبِيرًا صَحِيحًا وَلَكِنَّهُ خَلَطَهُ  
وَحَذَفَ مِنْهُ حَذْفًا كَثِيرًا فَصَارَ كَالْمُتَنَافِرِ ؛ وَأَدَوَاءُ الْكَلَامِ كَثِيرَةٌ ؛  
وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :

وَإِنْ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ \* سُهُوبٌ وَمَوَامٌ وَبِيدَاءٌ سَمَاقٌ

لَمَعْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِمُصَوْنِهِ \* وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مَوْفُوقٌ

فَقَوْلُهُ : وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مَوْفُوقٌ غَيْرُ مِثَالٍ لِمَا قَبْلَهُ ؛ وَعَلَى نَحْوِ ذَلِكَ  
وَرَدَ قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

حَرَقُ الْجَنَاحِ كَانَ لِنَبِيِّ رَأْسِهِ \* جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعٌ

لِأَنَّ الَّذِينَ نَعَبَتْ لِي بِفِرَاقِهِمْ \* هُمْ أَسَامُوا لَيْلَ النَّهَامِ وَأَوَّجُوا

فَلَيْسَ قَوْلُهُ : بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعٌ مِنْ صِفَةِ جَنَاحِهِ وَلَحْيَتِهِ ؛ وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ  
أَبِي تَمَّامٍ :

مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَاسِدِينَ شُهُودٌ \* وَإِنْ مُصَابَ الْمَزْنِ حَيْثُ تُرِيدُ



فليس النصف الثانى من النصف الأوّل فى شيء، وكذلك قول الطالبيّ :

قومٌ هدى الله العبادَ يمحّتهم \* والمؤثرون الضيف بالأزواد  
فلا مناسبة بين صدر البيت وعجزه بوجه .

وعذ بعض الأدباء من هذا النوع قول امرئ القيس :

كأنّى لم أركب جواداً للذة ، \* ولم أتبطّن كاعياً ذات خلخال  
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل \* ليخيل كرى كزة بعد إجفال

وقال : لو وضع مصراع كل بيت من هذين البيتين فى موضع الآخر لكان أحسن وأدخل فى استواء النسيج، فكان يقال :

كأنّى لم أركب جواداً ولم أقل \* نلخى كرى كزة بعد إجفال  
ولم أسبأ الزق الروى للذة \* ولم أتبطّن كاعياً ذات خلخال  
لأن ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل أجود، وذكر التمر مع ذكر الكواعب أحسن .

قال فى "الصناعتين" : قال أبو أحمد : والذى جاء به امرؤ القيس هو الصحيح لأن العرب تضع الشيء مع خلافه، فيقولون : الشدة والرخاء ، والبؤس والنعم ، ونحو ذلك . وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى .

قال أبو هلال العسكري : أخبرنى أبو أحمد قال : كنت أنا وجماعة من أحداث بغداد ممن يتعاطى الأدب نختلف إلى مُدريك نتعلم منه الشعر، فقال لنا يوماً : إذا وضعتم الكلمة مع لَفِقِهَا كنتم شعراء، ثم قال : أجزوا هذا البيت :

\* أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ عُرُورٍ \*

فأجازه كل واحد منا بشيء فلم يرضه فقلت أنا :

\* وَإِنْ عَظُمَتْ فِى أَهْلِي وَصُدُورِ \*

فقال : هذا هو الجيد المختار .

قال : وأخبرني أبو أحمد الشطرنج قال : حدثنا أبو العباس بن عيسى ، قال :  
حدثنا حماد بن يزيد بن جبلة ، قال : دفن مسلمة رجلا من أهله ثم قال :

\* نَزُوحٌ وَتَقْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ \*

ثم قال لبعضهم : أجز فقال :

\* لَحِقَ مَيَّ هَذَا الرُّوحُ مَعَ الدُّدُو \*

فقال مسلمة : لم تصنع شيئا ، ثم قال لآخر : أجز فقال :

\* فَيَاكَ مَغْدَى مَرَّةً وَمَرَّاحًا \*

فقال : لم تصنع شيئا ، ثم قال لآخر : أجز فقال :

\* وَعَمَّا قَلِيلٍ لَا زُوحُ وَلَا تَقْدُو \*

فقال : الآن تم البيت : وأشباه ذلك ونظائره كثيرة .

ومما اختلف فيه البيت الأول والثاني قول ابن هرمة :

وإني وتركي ندى الأكرمين \* وقدحى يكفى زندا شحاحا

كثارة بيضها بالعراء \* ومليسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق :

فإنك إذ تهجوتما وترثيني \* سرايل قيس أو يحجوف العام

كهرق ماء بالفلاة ، وغره \* سراب أذاعته رياح السما

كان ينبغي أن يكون بيت ابن هرمة الأول مع بيت الفرزدق الثاني ، وبيت

الفرزدق الأول مع بيت ابن هرمة الثاني ، فيقال في الأول :

وإني وتركي ندى الأكرمين \* وقدحى يكفى زندا شحاحا

كهرق ماء بالفلاة وغره \* سراب أذاعته رياح السما

مع تغيير إحدى القافيتين، ويقال في الثاني :

ولمّاك إذ تهجو تيمّا وترقنى \* سراييل قيس أو مجوف العالم  
كأركة بيضها بالعراء \* وملسة بيض أخرى جئنا

مع تغيير إحدى القافيتين حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً .

المنهـب الثالث — أن المراد بتناظر الكلمات أن تذكر لفظة أو ألفاظ يكون  
غيرها مما في معناها أولى بالذكر، فتجىء الكلمة غير لاقمة بمكانها، وهو ما اصطـلح  
عليه ابن الأثير في "المثل السائر" . وهو على ضربين .

الضرب الأول ما يوجد منه في اللفظة الواحدة فيمكن تبديله بغيره مما هو  
في معناه سواء كان ذلك الكلام نظماً أو ثراً، وهو على أنواع شتى .

منها فك الإدغام في غير موضع فكّه، كقول ابن أمّ صاحب :  
مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي \* أنى أجود لأقوام وإن ضنونا  
فكك الإدغام في ضنونا، وكان الأحسن أن يقال : وإن ضنوا أى يتحلوا .

وعلى حدّ ذلك ورد قول المتنبي :

فلا يبرم الأمر الذى هو حائل \* ولا يحلل الأمر الذى هو يرم

فلو أدغم لحامت اللفظة قازة في مكانها غير قلقة ولا نافرة؛ وكذلك كل ما جاء  
على هذا النهج فلا يحسن أن يقال : بلّ الثوب فهو بال؛ ولا سلّ السيف فهو سائل،  
ولا همّ بالأمر فهو هام، ولا خط الكتاب فهو خاطط، ولا حنّ إلى كذا فهو حانن؛  
وهذا لو عرّض على من لا ذوق له أدركه، فكيف من له ذوق صحيح كأبى الطيب؟  
لكن لا بدّ لكل جواد من كبوة .

ومنها زيادة حرف في غير موضعه كقول دعلج :

شفيعك فاشكر في الحوائج إنّه \* يصونك عن مكروها وهو يتحقّق

فالفاء في قوله فاشكر زائدة في غير محلها، نافرة عن مكانها .

قال الوزير ضياء الدين ابن الأثير: أنشدني بعض الأدباء هذا البيت فقلت له: عجز هذا البيت حسن، وأما صدره فقبيح لأن سبكه قَلَوُ نافر، والقاء في قوله فاشكر كأنها رُبْكَةُ البعير، وهي في زيادتها كزيادة الكرش، فقال: لهذه القاء في كتاب الله تعالى أشباه كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فقلت له: بين هذه القاء وتلك فرق ظاهر يدرك بالعلم أولاً وبالذوق ثانياً، أما العلم فإن القاء في قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فهي القاء العاطفة إذ وردت بعد قوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ وهي مثل قولك: أشس فأُسِرِعْ، وقُلْ فَأُبلغْ، وليست القاء التي في قول دَعِيل: شفيحك فاشكر من هذا القليل، بل هي زائدة ولا موضع لها، وإنما نسبتها أن يقال: ربك أو ثيابك فطهر من غير تقدم معطوف عليه<sup>(١)</sup>، وحاشا فصاحة القرآن من ذلك. فأذعن بالتسليم ورجع إلى الحق. قال: ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظماً كان أو ثراً لا يتفطن لها إلا الراجح في علم الفصاحة.

ومنها وصل همزة القطع في الشعر وإن كان ذلك جائزاً فيه بخلاف النثر كقول أبي تمام:

قَرَأَني أَلْهَى وَالْوَدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا \* أَفَادَ النَّفْيَ مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي

فَأَصْبَحَ يَقْنَانِي الزَّمَانُ مِنْ أَجَلِهِ \* بِإِعْظَامِ مَوْلُودٍ وَرَأْفَةِ وَالِدِ

فقوله من أجله بوصل همزة القطع من الكلام النافر؛ وعلى حدّه ورد قول أبي الطيّب:

بُوسَطُهُ الْمَقَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ \* طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ

فقوله لا الانتظار بوصل همزة الانتظار كلام نافر.

(١) لم يذكر الثاني وقد ذكره في "المثل السائر" فقال: وأما القوق فانه ينبوع القاء الواردة في قول دَعِيل ويستعملها... إلى أن قال فلما سمع ما ذكرته أذعن بالغ.

ومنها قطع همزة الوصل في الشعر أيضا وإن كان جائزا فيه كقول جميل :  
أَلَا لَا أَرَى إِثْنَيْنِ أَحْمَلُ شَيْمَةً \* عَلَى حَدَّائِنِ النَّفَرَيْنِ وَمِنْ جُمْلٍ  
وقوله أيضا :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سُرْفَانُهُ \* يَنْشُرُ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قِيمُهُ

فقطع ألف الوصل في لفظ الإثنيين في البيت الأول والثاني .

ومنها أن يفرق بين الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البُحرى :

حَلَفْتُ لَهَا بِأَنَّهُ يَوْمَ التَّفَرُّقِ \* وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهَا الْمُتَعَلِّقِ

تقديره من قلبي المتعلق بها ، فلما فصل بين الموصوف الذى هو قلبي والصفة التى  
هى المتعلق بالضمير الذى هو بها قُبِحَ ذلك ، ولو قال من قلبها متعلق لزال  
ذلك القبح وذهبت تلك المهجنة . ونحو ذلك .

### الأصل الرابع

المعرفة بالسجع الذى هو قوام الكلام المشثور وعلو رتبته

ويتعلق به ستة أغراض

الغرض الأول — فى معرفة معناه فى اللغة والأصطلاح ، وبين حكمة

فى حالتي الدرج والوقف .

أما فى اللغة فقال فى "مواد اليان" : إنه مشتق من الساجع : وهو المستقيم  
لاستقامته فى الكلام ، وأستواء أوزانه . وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت  
على حد واحد ، يقال منه سَجَعَتِ الحمامةُ تَسْجَعُ تَسْجَعًا فهى ساجمة ، سُمِّىَ السجع  
فى الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتى على ألقاظ متوازنة متعادلة ، وكلمات  
متوازنة متعادلة . فاشبه ذلك الترجيع .

وأما في الاصطلاح، فقال في "مواد البيان" : هو حَقِيقَةُ مقاطع الكلام من غير وزن، وذكر نحوه في "المثل السائر" فقال : هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد ؛ ويقال للجزء الواحد منه سَجْمَةٌ، وتجمع على سَجَمَاتٍ ؛ وَفَقْرَةٌ بكسر الفاء أخذنا من فَقْرَةِ الظهر وهي إحدى عظام الصُّلْبِ، وتجمع على فِقَرٍ وَفَقَرَاتٍ بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها، وربما فتحت الفاء والقاف جميعا، ويقال لها أيضا : قَرِينَةٌ لمقارنة أختها وتجمع على قرائنَ، ويقال للحرف الأخير منها : حرف الرُّوى وَالْفَاصِلَةُ .

وأما بيان حكمه في الوقف والتدرج فاعلم أن موضوع حكم السجع أن تكون كلمات الإصباح ساكنة الإعجاز، موقوفا عليها بالسكون في حالي الوقف والتدرج، لأن الغرض منها المناسبة بين القرائن ، أو المزاوجة بين الفقر، وذلك لا يتم إلا بالوقف ألا ترى أن قولهم : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هوأت ، لو ذهبت تصل فيه لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يعطيه حكم الإعراب فصختلف أواخر القرائن ويفوت الساجع غرضه .

### الغرض الثاني

في بيان حُسْن موقعه من الكلام

قال في "الصناعتين" : لا يحسن متور الكلام، ولا يحلو حتى يكون مُزْدَوِجًا، ولا تجد لبليغ كلاما محلولا من الأزدواج، وناهيك أن القرآن الكريم الذي هو عَصْرُ البلاغة وَمَنَاطُ الإعجاز مشحونٌ به، لا تخلو منه سورة من سورِهِ وإن قَصُرَتْ . بل ربما وقع السجع في فواصل جميع السورة، كما في سورة النجم، وأقربت، والرحمن وغيرها من السور . بل ربما وقع في أوساط الآيات، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَمَلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ) وقوله : (لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاكُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) وقوله : (وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُنْمِضُوا فِيهِ) وما أشبه ذلك .  
وكذلك وقع في الكثير من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه السلام عند قدومه المدينة الشريفة : «أَنْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» . بل ربما صرف صلى الله عليه وسلم الكلمة عن موضوعها في تصريح اللغة طلبا للزَّائِجَةِ كقوله في تمويذه لابن ابنه : «أَعِيْذُهُ مِنَ الْهَامَةِ وَالسَّامَةِ ، وَالْعَيْنِ اللَّامَةِ» وأصلها في اللغة الْمَلِئَةُ لأنها من أَلَمَ ، فغيرها باللامه لموافقة الهامة والسامة ؛ وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم للنساء : «انصِرْفْنَ مَازُورَاتٍ غَيْرَ مَاجُورَاتٍ» والأصل في اللغة أن يقال مَوْزُورَاتٍ أخذنا من الوزر ، فغير مَازُورَاتٍ لموافقة مَاجُورَاتٍ ؛ وعلى ذلك كان يجري كلام العرب في مُهِمِّ كلامهم من الدعاء وغيره كقول بعض الأعراب وقد ذهب السيل بابنه : اللهم إِنْ كُنْتُ قَدْ أَلَيْتَ ، فَطَلَمَّا عَاقَيْتَ . وقول الآخر : اللهم هَبْ لَنَا حَبْكَ ؛ وَأَرْضَ عَنَا خَلْقَكَ ، ونحو ذلك . أما ما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل في الجنين بفترة عِيْدٍ أو أُمَةٍ ، فقال الرجل : أَدَّى مِنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ؛ وَلَا تَطَّقَ وَلَا اسْتَهَلَ ، ومثل ذلك يُطَّل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أَسْجِمَا كَسَجْعِ الْكُفَّانِ» فليس فيه دلالة على كراهة السجع في الكلام وإن تمسك به بعض من تَبَا عن السجع طبعه ، ونفرت منه قريحته . إذ يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم إنما كره السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجعه حينئذ سجع الكُفَّانِ ، لما في سجعهم من التكلف والتعسف كما وجهه أبو هلال العسكري ، وإما لجريانه على عادتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما وجهه غيره ؛ أو أنه إنما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بإنكار إيجاب الدية لانفس السجع الماتى

به كما اختاره صاحب "المثل السائر" ولو كره صلى الله عليه وسلم الجمع نفسه ،  
لاقتصر على قوله : أجمعا ولم يقيد بسجع الكهّان .

### الغرض الثالث

في بيان أقسام السجع ، وهي راجعة الى صنفين

#### الصنف الأول

أن تكون القرينتان متفقتين في حرف الروى ، ويسميه الرّماني السجع الحالي  
وعليه عمل أكثر الكُتّاب من زمن القاضي الفاضل ، وهلمّ جرّاً  
إلى زماننا ، وفيه ثلاث مراتب

المرتبة الأولى — أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء  
ويسمى التصريح ، وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها . ومنه في الثر قوله تعالى :  
(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) وقوله : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ  
لَفِي جَحِيمٍ) . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه : "اللَّهُمَّ أَقْبَلْ تَوْبَتِي ،  
وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي" ، وقوله للأنصار : "إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْقَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ"  
وقول بعض الأعراب في وصف سنة جذبة : سنة جردت ، وحال جهلت ، وأيد  
جمدت ، ونحو ذلك . ومثاله في النظم قول الخنساء :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ ، مَهْدَى الطَّرِيقَةِ نَقَّاعٌ وَضَرَّارُ !

جَوَابُ قَاصِيَةِ جَرَّازٍ نَاصِيَةِ \* عَدَادِ أَلْوِيَةِ لُخْبِلِ جَرَّازُ !

المرتبة الثانية — أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من القرينتين فقط دون  
ما عدهما من سائر الألفاظ ، كقوله تعالى : (فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ)  
ثم قال : (وَنَارٌ مُّصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبٌ مُّبَثُوثَةٌ) ، وكقول الحريري في مقاماته : أَلْبَانِي



حُكْمٌ دَهْرٍ قَاسِطٌ، إِلَى أَنْ أَتَّجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ . وقوله : وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ ،  
وَرَقَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ ، وما أشبه ذلك .

المرتبة الثالثة — أن يقع الاتفاق في حرف الرّوى مع قطع النظر عن التّوازن  
في شيء من أجزاء الفقرة في آخر ولا غيره ، ويسمى المطزف . كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ  
لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ وقولهم : جَنَابَهُ مَحَطُّ الرِّجَالِ ، وَنَحْمُ الْآمَالِ .  
وما يجري هذا المجرى .

### الصف الثاني

أن يختلف حرف الرّوى في آخر الفقرتين ، وهو الذي يعبرون عنه  
بالأزدواج . والرّأى يسميه السّجع العاطل ، وعليه كان عمل السلف  
من الصحابة ومن قارب زمانهم ، وهو على ضربين

### الضرب الأوّل

أن يقع ذلك في الثّر ، وفيه مرتبتان

المرتبة الأولى — أن يراعى الوزن في جميع كلمات القريتين أو في أكثرها مع  
مقابلة الكلمة بما يُعاد لها وزنًا ، ويسمى التوازن وهو أحسنها وأعلاها ، كقوله  
تعالى : ﴿ وَأَنبَأْنَاهُمَا الْكُتَابَ الْمُسْتَدِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وكقول الحريري :  
اسود يومى الأبيض ، وأبيض فودى الأسود .

المرتبة الثانية — ألا يُراعى التوازن إلا في الكلمتين الأخيرتين من القريتين  
فقط ، ويسمى التوازن أبيضًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزُرَّاقُ  
مَبْنُوءَةٌ ﴾ وقولهم : إِصْبِرْ عَلَى نَحْرِ الْقِتَالِ ، وَمَضِضِ الْقِتَالِ ، وَشِدَّةِ النَّصَاعِ ، ومداومة  
البراز ، وما أشبه ذلك .

## الضرب الثاني

## السجع الواقع في الشعر

ويسمى التصريح في البيت الأول، وعمل الكلام عليه علم البديع، وقد ذكره في "المثل السائر" في أعقاب الكلام على السجع في الكلام المنشور، وجعله على سبع مراتب: المرتبة الأولى - وهي أعلاها درجة - أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه، غير محتاج إلى ما يليه، ويسمى التصريح الكامل: كقول امرئ القيس: **أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ \* وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ هَجْرِي فَأَجْمِلِ** فإن كل مصراع من البيت مفهوم المعنى بنفسه، غير محتاج إلى ما يليه في الفهم، وليس له به ارتباط يتوقف عليه.

المرتبة الثانية - أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه، غير محتاج إلى الذي يليه إلا أنه مرتبط به، كقول امرئ القيس أيضاً: **فَقَدْ تَبَكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَتَرَلِ \* يَسْقِطُ الْوَيْ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ** فإن المصراع الأول منه غير محتاج إلى الثاني في فهم معناه، ولكنه لما جاء الثاني صار مرتبطاً به.

المرتبة الثالثة - أن يكون الشاعر غيراً في وضع كل مصراع موضع الآخر، ويسمى التصريح الموجه، كقول ابن حجاج: **مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ \* خِفَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوءِ الْمَكَانِ** فإنه لو جعل المصراع الثاني أولاً والآخر ثانياً، لساغ له ذلك.

المرتبة الرابعة - أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه؛ ولا يفهم معناه إلا بالثاني؛ ويسمى التصريح الناقص، وليس بمستحسن، كقول المتنبي:

مَعَانِي الشَّعْبِ طِبْيَافِي الْمَعَانِي • بِمَثَلَةِ الرِّيحِ مِنَ الزَّمَانِ

فإنَّ المِصْرَاعَ الأوَّلَ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي فَهْمٍ مَعْنَاهُ دُونَ المِصْرَاعِ الثَّانِي .

المرتبة الخامسة — أن يكون التصريحُ في البيتِ بلفظة واحدة في الوسط والقافية، ويسمى التصريح المكرر؛ ثم اللفظة التي يَقَعُ بها التصريح قد تكون حقيقةً لا مجازاً فيها كقول عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوُوبُ • وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ

وقد تكون اللفظة التي يَقَعُ بها التصريح مجازيةً كقول أبي تمام الطائي :

فَتَى كَانَ شَرِبًا لِلْعَفَاةِ وَمَرْتَمًا • فَأَصْبَحَ لِلْهَيْدِيَةِ الْبَيْضَ مَرْتَمًا

المرتبة السادسة — أن يكون المِصْرَاعُ الأوَّلُ معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أوَّلِ

المِصْرَاعِ الثَّانِي ؛ ويسمى التصريح المعلق . كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَتَجَلَّى • بِصُحُبٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْتَلٍ

فإنَّ المِصْرَاعَ الأوَّلَ معلق على قوله بِصُحُبٍ، وهو مستقْبَعٌ في الصنعة .

المرتبة السابعة — أن يكون التصريح في البيت مخالفاً لقافيته؛ ويسمى التصريح

المشطور، وهو أنزل درجات التصريح وأقبحها . كقول أبي نُوَّاس :

أَقْلَى قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذُّنُوبِ • وَبِالإِقْرَارِ عُدْتُ مِنَ الْجُحُودِ

فإنه قد صرَّع في وسط البيت بالباء ثم في آخره بالذال .

قلت وإنما أوردت هذا الصنف مع السجع وإن كان من خصوصيات الشعر

لأنه قد يَقَعُ مثله في الترياذِ الفِقْرَةِ من التركاليت من الشعر، فالفقرتان كاليتين،

وأيضاً فإن الشعر من وظيفة الكاتب :

## الغرض الرابع

في معرفة مقادير السجعات في الطول والقصر، وهي على ضربين

## الضرب الأول

## السجعات القصار

وهي ماصيغ من عشرة ألفاظ فما دونها، قال في "حسن التوسل": وهي تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة، لا سيما القصير منها للغاية، وأقل ما يكون من لفظتين كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِّرُ وَيَبَّكَ فَطَهِّرْ﴾. وقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَأَلَمِصْغَاتٍ عَصْفًا﴾ وما أشبه ذلك وأمثاله في القرآن الكريم كثير إلا أن الزائد على ذلك أكثر. كقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾. وقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾. وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ونحو ذلك.

## الضرب الثاني

## السجعات الطوال

قال في "حسن التوسل": وهي ألد في السمع، يشق السامع إلى ما يرد مترايدا على سمعه، وأقل ما يتركب من إحدى عشرة كلمة فما فوقها، وغالب ما تكون من خمس عشرة لفظة فما حولها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَافِرٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مِّمَّةٍ لَيَقُولَنَّ دَهِبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ فالأولى من إحدى عشرة لفظة، والثانية من ثلاث

عشرة لفظة، وقوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فالأولى من أربع عشرة لفظة ، والثانية من خمس عشرة ، وقوله : ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاسِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَاهُمْ كَثِيرًا لَفَسَّدُوا وَلَتَنَازَعُنَّ فِي الْأَمْرِ وَإِنْ أَمَرَ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُهُمْ إِذْ أَنفَضْنَاهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلًا وَيَقْلِقُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ رُجْعُ الْأُمُورِ﴾ فالأولى عشرون لفظة ، والثانية تسع عشرة ، وهذا غاية ما انتهى إليه الطول في القرآن الكريم . وينبغي أن يكون ذلك نهاية الطول في السجع وقوعاً مع ما ورد به القرآن الكريم الذي هو أفصح كلام ، وأقوم نظام ، وإن كان الوزير ضياء الدين بن الأثير ، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وغيرهما ، قد صرحوا بأنه لا ضابط لأكثره .

واعلم أنه قد جرت عادة كتّاب الزمان ومصطلحهم أن تكون السجعة الأولى من افتتاح الولاية من تقليد أو توقيع أو غير ذلك قصيرة بحيث لا يتعدى آخرها السطر الثاني في الكتابة ليقع العلم بها بمجرد وقوع النظر على أول المكتوب . وعلى هذا فيختلف القصر فيها باختلاف ضيق الورق وسعته في العرض .

### الفرض الخامس

(في ترتيب السجعات بعضها على بعض في التقديم والتأخير باعتبار الطول والقصر وله حالتان

#### الحالة الأولى

ألا يزيد السجع على مجتئين ؛ وله ثلاث مراتب  
المرتبة الأولى — أن تكون القرينتان متساويتين لا تريد إحداهما على الأخرى  
كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ، وقوله : ﴿وَالْمَادِيَاتِ

صَبَحًا قَالْمُورِيَّاتِ قَدَمًا قَالْمُتِيرَاتِ صُبْحًا قَاتَرْنَ بِهِ قَعًا قَوْسَطَنَ بِهِ جَمًّا ﴿١﴾ وأمثال ذلك .

المرتبة الثانية — أن تكون القرينة الثانية أطول من الأولى بقدر يسير كقوله تعالى : ﴿إِلَّا كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا مَآ تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ فالأولى ثمان كلمات ، والثانية تسع ونحو ذلك ؛ أما إذا طالت الثانية عن الأولى طولاً يخرج عن الاعتدال ، فإنه يستقيم حينئذ ، وَجْهُهُ في "حسن التوصل" بأنه يُبعد دخول القافية على السامع فيقل الالتذاذ بسماعها . والمرجع في قدر الزيادة والقصر إلى النوق .

المرتبة الثالثة — أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى . قال في "المثل السائر" : وهو عندى عيب فاحش ، لأن السمع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ، ثم يحىء الفصل الثانى قصيرا فيكون كالشيء المبتور ، فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دُونَهَا ؛ وفيما قاله نظر ، فقد تقدّم في قوله تعالى : ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكَ قَلِيلًا﴾ الآيتين أن الأولى عشرون كلمة والثانية تسع عشرة ، بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكري في "الصناعتين" محتجا له بكثرة وروده في كلام النبوة كقوله صلى الله عليه وسلم للانصار : "إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِندَ الْقَزَعِ ، وَتَقُولُونَ عِندَ الطَّمَعِ" وقوله : "الْمُؤْمِنُونَ تَشْكَاؤُهُ أَوْهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ" وقوله : "رَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ خَيْرًا فَتَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ" .

### الحالة الثانية

أن يزيد السجع على مجتئين ، ولما أريج مراتب

المرتبة الأولى — أن يقع على حد واحد في التساوى وهو مستحسن ، وقد ورد في القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الْإِيمَانِ مَا أَصْحَابُ الْإِيمَانِ

في سِدْرِ مَحْضُودٍ وَطَلَحٍ مَضُودٍ وَظِلٍّ تَمْدُودٍ) فهذه المعجمات الثلاث مركبة من لفظتين لفظتين .

المرتبة الثانية - أن تكون الأولى أقصر والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى :  
(بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ يَبِيدٍ سَمِعُوا  
لَهَا تَفِيضًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) فالأولى  
من ثمان كلمات، والثانية والثالثة من تسع تسع .

المرتبة الثالثة - أن تكون الأولى والثانية متساويتين، والثالثة زائدة عليهما؛ وقد  
أشار إلى هذه المرتبة في "حسن التوسل" حيث قال : فإن زادت القرائن على  
اثنين فلا يضر تساوى القريبتين الأوليين وزيادة الثالثة، ولم يمثل لها .

المرتبة الرابعة - أن تكون الثانية زائدة على الأولى ، والثالثة زائدة على الثانية .  
قال في "المثل السائر" : وينبغي أن تكون في هذه الحالة زيادة الثالثة متميزة في الطول  
على الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية على الأولى . ثم قال : فإذا كانت الأولى  
والثانية أربع لفظات أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو إحدى عشرة  
لفظة، ومثل له في "حسن التوسل" بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ  
جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا  
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ فالأولى من ثمان كلمات، والثانية  
من تسع، والثالثة من عشر، ومثل له في "المثل السائر" بقوله في وصف صديق :  
فقلت : الصديق مَنْ لَمْ يَتَّصُ عَنْكَ بِخَالِفٍ، وَلَمْ يُعَامِلْكَ بِمَعَامِلَةِ الْخَالِفِ، وَإِذَا  
بَلَغَتْهُ أَذُنُهُ وَشَايَ أَقَامَ عَلَيْهَا حَدَّ السَّارِقِ أَوْ الْقَاذِفِ؛ فالأولى : وهي لَمْ يَتَّصُ عَنْكَ  
بِخَالِفٍ والثانية بعدها أربع كلمات ، والثالثة عشر كلمات . ثم قال : وينبغي أن  
يكون ما يستعمل من هذا القليل، فإن زادت الأولى والثانية على هذه العدة زادت

الثالثة بالحساب؛ وإن قصبت الأولى والثانية، فكذلك. لكن قد ضبط في "حسن التوسل" الزيادة في الثالثة بآلا تجاوز المثل، والأمر فيما بين الضابطين قريب؛ ولا يخفى حكم الزيادة في الرابعة مع الثالثة. قال في "حسن التوسل": ولا بد من الزيادة في آخر القرائن.

### الفرض السادس

فيما يكون فيه حسن السجع وقبحه

أما حسنه، فيُعتبر فيه بعد ما يقع فيكون به تحسين الكلام من أصناف البديع ونحوها بأمور أخرى.

منها أن يكون السجع بريئا من التكلف، خاليا من التعسف، محمولا على ما يأتي به الطبع وتبديه الغريزة، ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج إليه في المعنى دون الإتيان بزيادة أو قص تدعو إليه ضرورة السجع، حتى لو حصلت زيادة أو قص بسبب السجع دون المعنى، نرجح السجع عن حيث الملاح إلى حيز النعم.

ومنها أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوّة حادة، لا غثّة ولا باردة، موفقة المعنى حسنة التركيب، غير قاصرة على صورة السجع الذي هو تواطؤ الفقير، فيكون كمن نقش أثوابا من الكُرسف، أو نظم عقدا من الخرز الملتون. قال في "المثل السائر": وهذا مقام تزلّ عنه الأقدام، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد. قال: ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا، ولولا ذلك كان كل أديب سجّاعا إذ ما منهم من أحد إلا وقد يتوسر عليه تأليف ألفاظ مسجوعة في الجملة.

ومنها أن تكون كلّ واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، لأن اشتغال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون



في إحداها بمفردها هو عين التطويل المضموم في الكلام، وهو الدلالة على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها على ما هو مقدر في علم البيان . قال في "التل السائر": فلا يكون مثل قول الصابي في وصف مُدَبِّر: "يسافر رأيه وهو دان لم يترج، ويسير تديره وهو ناو لم يترج" ولو قال: يسافر رأيه وهو دان لم يترج، ويُسَخِّنُ الحَرَّاح في مدوه وسيفه في الغمد لم يحرج، لَسَلِمَ من مُجَنَّة التكرار: فإنه تصير كل جملة محتوية على معنى بجاله .

ومنها أن يقع التحسين في نفس الفواصل، كقولهم: إذا قَلَّتِ الأنصار، كَلَّتِ الأبصار، وقولهم: ما وراء الخَلْقِ النِّم، إِلَّا الخَلْقُ النِّم، ونحو ذلك .

ومنها أن يقع في خلال السجعة الطويلة قرائن قصار فتكون سجعا في جميع، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ . وقوله: ﴿ وَلَسْتُ بِأَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغَمِّضُوا فِيهِ وَعَامِلُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌ حَمِيدٌ ﴾ فإن قوله: ﴿ على أموالهم ﴾ . وقوله: ﴿ على قلوبهم ﴾ سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها ﴿ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ . وقوله: ﴿ بأخذه ﴾ وقوله: ﴿ تُغَمِّضُوا فِيهِ ﴾ سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها ﴿ غَفِيٌ حَمِيدٌ ﴾ وعند العسكري منه قولهم: عاد تَمْرِ يُضَكُّ تصريحا، وتَمْرِ يُضَكُّ تصحيحا .

وأما قبحه فيعتبر بأمور:

منها التجميع، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني كما حكى قُدامَةُ: أن كاتبا كتب في جواب كتاب: وصل كتابك فوصل به ما يَسْتَعِيدُ الجزء، وإن كان قديم العبودية، وَيَسْتَعْرِقُ الشكر، وإن كان سالف فضلك لم يُبْقِ شيئا منه؛ فإن العبودية بعيدة عن مشاكلة منه .

ومنها التطويل ، فيما ذكر قُدَّامَةً وغيره : وهو أن يحمى الجزء الأول طويلا فيحتاج الى إطالة الثاني بالضرورة . كما حكى قُدَّامَةُ أن كاتباً كتب في تعزية : اذا كان المحزون في لقاء مثله كبير الراحة في العاجل ، وكان طويل الحزن راتباً اذا رجع الى الحقائق وغير زائل . قال في "الصناعتين" : وذلك أنه لما أطال الجزء الأول ، وعلم أن الجزء الثاني ينبغي أن يكون مثله أو أطول ، احتاج الى تطويل الثاني فأتى باستكراه وتكلف . قال في "واذ البيان" والإطالة بقوله وغير زائل .

### الأصل الخامس

حسن الابتاع ، والقدرة على الاختراع

وأعلم أن لكاتب الإنشاء مسلكين :

#### المسلك الأول

##### طريقة الابتاع

وهي نظر الكاتب في كلام من تقدمه من الكُتَّاب ، وسلوك منهجهم ، واقتفاء سبيلهم ، وتماها آبن الأثير التقليد ، وهي على صنفين :

#### الصنف الأول

##### الابتاع في الألفاظ

وهو اعتماد الكاتب على ما رتبته غيره من الكُتَّاب ، وأنشأه سواء من أهل صناعة النثر ، بأن يعمد الى ما أنشأه أفاضل الكُتَّاب ورتبه علماء الصناعة : من ثر أو نظم فيأخذه برؤته ، ويأتى عليه بصيغته ؛ وغايته أن يكون ناسخاً ناقلاً لكلام غيره ، حاكياً له . ولمثل ذلك توضع الدساتير ، وتكون الدواوين ؛ على أنه ربما غير وبدل ، وحذف وصحف ، وأزال اللفظ عن وضعه ؛ وأحال المعنى عن حكه ؛ وبعضهم

ربما حملته الأتمة والخوف من أن يقال أخذ كلام فلان برمته، فعدل إلى كلام غيره، فالتقط من كل مكان محبتين أو محبات، ورتب بعضها على بعض حتى تقوم بمقصوده، ويتهى إلى مراده .

فإن كان لطيف الذوق، حسن الاختيار، رائق الترتيب، فاختر من خلال السجع لطيفه، وأحسن رصفه وتأليفه، جاء بهجا رائقا، لأنه أتى من كل كلام بأحسنه، إلا أن فيه إنحراج الكلام عن وضعه الذى قصده الناثر، وتفرق ماؤون من كلام الأفاضل وتبدد شمله، ونروج الكلام عن أن يعرف قائله، ويعلم منشئه، فيقع من القلوب بمكان صاحبه ويهتدى بهديه، وينسج على منواله .

وإن لم يكن لطيف الذوق، ولا حسن الاختيار، جاء ما فقه من كلام غيره رثا ركيكا، نابيا عن الذوق، بعيدا عن الصنعة، يُعاد من النسخ إلى المسخ، وأخرج الكلام عن موضوعه، وأفسده في وضعه وتركيبه، فإن صحبه التصحيف والتحريف فتلك الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى . ثم لا يكتفى بذلك حتى يتجبح به ويعتقد أن ذلك عين الإنشاء وحقيقته، محتجا في ذلك بقول الحريرى: "إن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنية على التلقيق". ظاناً أن التلقيق هو ضم محجمات متظمة، وفقرات مؤلفة بعضها إلى بعض، ولم يعلم أن المراد بالتلقيق ضم لفظة إلى أختها، وإضافة كلمة إلى مشاكتها . وشأن ما بين التلقيقين، وبعد لما بين الطريقين :

وللزنبور والبازى جميعاً \* لدى الطيران أجنحة وخفق  
والكن بين ما يصطاد بازٍ \* وما يصطاده الزنبور فرق

وقد عابوا أخذ المعنى إذا كان ظاهرا مكشوفاً فما ظنك بمن يأخذ الكلام برمته، واللفظ بصورته . فيصير ماسخا لكلام غيره، وناقلا له؟ فأى فضيلة في ذلك؟

وقد قيل : من أخذ معنى بلفظه كان سارقا ، ومن أخذ بعض اللفظه كان سائحا ، ومن أخذه فكساه لفظا من عنده كان أولى به ممن تلمذه ، وأين من هو أولى بالشيء من سبقه إليه ممن يُعَدُّ سارقا وسائحا ؟ ويقال إن أبا عُذْرَةَ الكلام مَنْ سَبَكَ لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب . هذا فيمن أخذ بحجة أو بحجتين في خطبة أو رسالة ، أو بيتا أو بيتين في قصيدة وما قارب ذلك ، أما من أخذ القصيدة بكاملها ، أو الخطبة أو الرسالة برمتها ، أو لفظها من خطب أو رسائل فذاك إنما يعدُّ ناسحا إن أحسن النقل ، أو ماسحا إن أفسده .

وأعلم أن الناثر الماهر ، والشاعر المُفْلِق قد يأتى بكلام سبقه إليه غيره ، فيأتى بالبيت من الشعر ، أو القرينة من النثر ، أو أكثر من ذلك بلفظ الأول من غير زيادة ولا نقصان ، أو بتغيير لفظ يسير ، وهذا هو الذى يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الحافى على الحافر . وقد سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال : عقول رجال توافقت على ألفتها .

والواقع من ذلك فى كلامهم على قسمين :

### القسم الأول

ما وقع الاتفاق فيه فى المعنى واللفظ جميعا

كقول الرزديق :

وَعُرْ قَدْ وَسَقَتْ مُشْمَرَاتٍ \* طَوَالِغَ لَا تُطِيقُ لَهَا جَوَابَا  
بِكُلِّ نَيْيَةٍ وَبِكُلِّ قَفِيرٍ \* غَرَائِبُهُنَّ تَنْتَسِبُ آتِسَابَا  
بَلَفَنَ الشَّمْسِ حِينَ تَكُونُ شَرْقَا \* وَمَسْقَطَ رَأْسِهَا مِنْ حَيْثُ غَابَا

وواقعه جرير قال مثل ذلك من غير زيادة ولا نقص .

ويروى أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضي الله عنه :

\* نُسْطُ غَنَا دَارِ جِرَانَا \*

فقال ابن عباس رضي الله عنه :

\* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ \*

فقال عمر : والله ما قلتُ إلا كذلك .

قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" :

وأنشدت الصاحب إسماعيل بن عباد رحمه الله :

\* كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلِهِ \*

فسبقني وقال :

\* فَغَدَتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَاتِهِ \*

وكذلك كنتُ قلتُ : قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله في كتابه "المثل السائر" : ويحك أن امرأة من عُقِيل يقال لها ليل كان يتحدث إليها الشَّبابُ ، فدخل الفرزدقُ إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل إليها فأقبلت عليه وترك الفرزدقُ ، فغاضه ذلك فقال للفتى : أتصاري؟ فقال : ذاك اليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدقُ نصْرعه وجلس على صدره فغصِرط ، فوثب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت ما جرى ، قال : ويحك ! والله ما بي أنك صرعني ولكن كأتى بآبن الأمان ، (يعنى جريرا) وقد بلغه خبري فقال يهجوني :

جَلَسْتَ إِلَى لَيْلٍ لَتَحْفَظِي بِقُرْبِهَا \* نَفْسَانِكَ دَبْرٌ لَا يَزَالُ يَحُونُ

فلو كنتَ ذَا حَزْمٍ شَدَدْتَ وَكَاؤَهُ \* كَمَا شَدَّ جُرْبَانَ الدَّلَاصِ قُبُونُ

فما مضى إلا أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين . قال :  
وهذا من أغرب ما يكون في هذا الموضع وأعجبه ! قال في "الصناعتين" : وإذا كان  
القوم في قبيلة واحدة ، في أرض واحدة ، فإن خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم  
وشمائلهم تكون متضاربة . قال في "المثل السائر" : ويقال إن القرزذق وجريرا كانا  
ينطلقان في بعض الأحوال عن ضمير واحد . قال : وهذا عندي مستبعد ، فإن  
ظاهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى ، وإلا فإذا رأينا شاعرا  
متقدماً الزمان قد قال قولاً ثم سمعناه من شاعر آتى من بعده ، علمنا بشهادة الحال  
أنه أخذه منه ؛ وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة ،  
فكيف تتفق الألسنة أيضاً في صوغ الألفاظ ؟ وكلام العسكرى في "الصناعتين"  
يواقع بالتب على المتأخر ، وإن ادعى أنه لم يسمع كلام الأول في مثل ذلك .

## القسم الثاني

ما وقع الاتفاق فيه في المعنى وبعض اللفظ ، وهو على ضربين

### الضرب الأول

ما اتفق فيه المعنى وأكثر اللفظ

كقول امرئ القيس :

وَقَوْفًا بِهَا صَحِيَّ عَلَى مَطِيئِهِمْ \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّ

وقول طرفة :

وَقَوْفًا بِهَا صَحِيَّ عَلَى مَطِيئِهِمْ \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّ

فالتخالف بينهما في كلمة القافية فقط .

وقول البَيْت :

أَتَرْجُو كُليبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا \* يَخْتَرِ وقد أَعْيَا كُليباً قَدِيمُهَا؟

وقول الفرَزْدَق :

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِفَارُهَا \* يَخْتَرِ وقد أَعْيَا رَبِيعاً بَكَارُهَا؟

فالتخالف بينهما في موضعين من البيت، كلمة القافية وأسم القبيلة .

وقول بعض المتقدمين يمدح معبدًا صاحب الغناء :

أَجَادَ طُوَيْسٌ وَالسَّرَّاجِيُّ بَعْدَهُ \* وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبَدٍ

وقول الفرَزْدَقِ بَعْدَهُ :

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمُعَنِّينَ جَمْلَةٌ \* وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبَدٍ

فاتفقا في النصف الثاني وأختلفا في النصف الأول، الى غير ذلك من الأشعار

التي وقعت خواطر الشعراء عليها، وتوافقت عقولهم عندها .

## الضرب الثاني

ما اتفق فيه المعنى مع يسير اللفظ

فن ذلك قول البُخْتَرِي في وصف غلام :

فوق ضَعِيفِ الصَّغِيرَانِ وَكُلِّ الْأُمَرَاءِ إِلَيْهِ، ودُونَ كَيْدِ الْبَكَارِ

أخذه من قول أبي نُوَّائِس :

لَمْ يَخْفُفْ مِنْ كِبَرٍ عَمَّا يُرَادُّ بِهِ \* من الأمور ولا أُنْزَى بِهِ الصَّغِيرُ

وقول أبي تَمَّام :

ولم أمدحك تفخيماً بِشِعْرِي \* ولكنني مدحتُ بك المديحَا

أخذه من قول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
 مَا إِن مَدَحْتُ مَعَهَا بِمَقَاتِي \* لَكِن مَدَحْتُ مَقَاتِي بِمُحَمَّدٍ  
 وقول أبي الطيب :

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَاذَا الْمُحَمَّامُ \* نَحْنُ نَبَتْ الرِّبَا وَأَنْتَ الْغَمَامُ  
 أخذه من قول بشير :

كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ تَغِيبُ عَنْهُمْ \* نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاهُ الْقِطَارُ

## الصف الثاني

### التقليد في المعاني

وهذا مما لا يستغنى عنه ناظم ولا ناثر. قال أبو هلال العسكري رحمه الله في كتابه  
 "الصباغين" : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم  
 والصَّبَّ على قوالب من سبقهم، ولكن طليم اذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من  
 عندهم، ويرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في خير حليتها الأولى، ويزيدوا  
 عليها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم  
 أولى بها من سبق إليها . قال : ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته  
 أن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد آسماعه من البالغين ؛ وقد قال أمير المؤمنين  
 على كثر الله وجهه : لولا أن الكلام يعاد لتفد . ومن كلام بعضهم : كل شيء  
 إذا شئتَه قَصُرَ إلا الكلام، فإنك اذا شئتَه طال، والمعاني مشتركة بين القلاء، فربما  
 وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي . وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ  
 ورفنها، وتأليفها ونظمها ؛ وقد أطبق المتقنمون والمتأخرون على تداول المعاني  
 بينهم ، فليس على أحد فيه عيب إلا اذا أخذه بكل لفظه ، أو افسده في الأخذ



وقَصَّرَ فيه عن تَقْدِمه . قال في "الصناعتين" : وما يُعرَفُ للتَقْدِمْ معنى شَرِيفٌ إلا نازعه فيه المتأخر وطلب الشركة فيه معه ، إلا بيت عنترة :

وَحَلَا الذَّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِجٍ \* غَيْرَدًا كِفْعَلُ الشَّارِبِ الْمُتَرَمِّمِ  
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ يَنْزَاعِهِ \* قَدَحَ الْمِكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

فإنه مأنوزع فيه على جَوْدَتِهِ . قال : وقد رامه بعض المحدثين فافتضح مع العلم بأن ابتكار المعنى والسبق اليه ليس فيه فضيلة ترجع الى المعنى ، وإنما ترجع الفضيلة فيه الى الذى ابتكره وسبق اليه ؛ فالمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقا اليه ، والوسط وسط والردى والردى . وأنه لم يكن مسبوقا اليهما . على أن بعض علماء الأدب قد ذهب الى أنه ليس لأحد من المتأخرين معنى مُبْتَدَعٌ ، محتجا لذلك بأن قول الشعر قديم مذ يُنطق باللغة العربية ، وأنه لم يبق معنى من المعانى الا وقد طُرِقَ مرارا . قال في "المثل السائر" : والصحيح أن باب الابتداء مفتوح الى يوم القيامة ، ومن الذى يَجْبُرُ على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له ؟ الا أن من المعانى ما يتساوى فيه الشعراء ولا يُطلق عليه أسم الابتداء لأوّل قبل آخر لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الآخر الأوّل ، كقولهم فى الغزل :

عَفَّتِ الدِّيَارُ وما عَفَّتْ \* آثَارُهُنَّ مِنَ الْقُلُوبِ

وقولهم فى المديح : إن عطاء كالبحر أو كالسحاب ؛ وإنه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد ؛ وإنه يمحو بماله من غير مسألة ؛ وأشباه ذلك .

وقولهم فى المراثى : إن هذا الرزء أول حادث ؛ وإنه استوى فيه الأبعد والأقارب ؛ وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، وإن بعد هذا الذاهب لا يُعدّ ثلثة ذنب ، وما أشبه ذلك . وكذلك سائر المعانى الظاهرة التى تنوارد عليها الخواطر من غير كلفة ؛ ويستوى فى إيرادها كلّ بارع . قال : ومثل ذلك لا يُطلق

على الآخر فيه أسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق أسم السرقة في معنى مخصوص  
كقول أبي تمام :

لَا تُتَكْرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ \* مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ \* مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

فإن هذا معنى ابتدأه مخصوص بأبي تمام ، وذلك أنه لما أنشد أحمد بن  
المعتصم قصيدته السنية التي مطلعها :

\* مَا فِي وَفُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ \*

آتمى الى قوله منها :

إِقْدَامَ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ \* فِي حِلْمٍ أَخْفَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

فقال الحكيم الكندي : وأى نفر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟  
فاطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه إياه بعمر وحاتم وإياس .  
فالحال يشهد بابتداعه هذا المعنى ، فمن أتى بعده بهذا المعنى أو يجزئه منه كان سارقا  
له ، وكذلك كل ما جرى هذا المجرى . ولم يزل الشعراء والخطباء يقتبسون من معاني  
من قبلهم ، وينون على بناء من تقدمهم .

فما وقع للشعراء من ذلك قول أبي تمام :

خُلِقْنَا رَجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَسَى \* وَتِلْكَ الْقَوَائِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَاتَمِ

أخذه من قول عبد الله بن الزبير لما قُتل مُصْعَبُ بن الزبير : وإنما التسليم  
والسُّلُوكُ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وإن الجُرْعَ والمَلَحَ لِرَبَائِطِ الْحِبَالِ ؛ وقوله أيضا :  
تَجَبَّبُ أَنْ رَأَتْ جَسْمِي نَحِيقًا \* كَأَنَّ الْمَجْدَ يَنْتَرِكُ بِالضَّرَاعِ

أخذه من قول زياد ابن أبيه لأبي الأسود الدؤلى : لولا أنك ضعيف لاستمطكت ، وقول أبي الأسود له في جواب ذلك : إن كنت تُريدنى للصراع فإنى لا أضلُح له ، وإلا فخير شديد أن أمرُ وأنهى ، وقوله من قصيدة البيت المتقدم :

أطال يَدى على الأيام حتى \* جَزَيْتُ صُروفها صاعا بصاع

أ- ذه من قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه :

فإن تُقتل أو يُمكن الله مِنْكَ \* نِكَلْ لَكُمَا صاعاً بصاع المكايل

وقول أبي الطيب التنى :

وإذا كانت النفوسِ كباراً \* تعبت في مُرادها الأجسامُ

أخذه من قول أرسطوطاليس : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاكُ

الجسم دون بلوغ الشهوة .

وقول الخاسر .

مَنْ راقب الناس مات غمّاً \* وفازَ باللدّةِ الجسورُ

أخذه من قول بشار :

مَنْ راقب الناس لم يظفرْ بمُحاجته . \* وفازَ بالطيباتِ الفاتِكُ اللّهجُ

فلما سمع بشارُ بيت الخاسر قال : ذهب أين الفاعلة بيتي . ومثل هذا وأشباهه

مما لا يخصص كثرةً ، ولا يكاد أن يخلو عنه بيت إلا نادراً .

ومما وقع للكُتاب من ذلك ما كتب به إبراهيم بن العباس من قوله في فصل

من كتاب . إذا كان للحسن من الثواب ما يُقنعه ، وللسيء من العقاب ما يُقنعه ،

أزداد المحسن في الإحسان رغبةً ، وأتهدأ المسيء للحق رغبةً . أخذه من قول عليّ

صكرم الله وجهه : يجب على الوالى أن يتعهد أموره ، ويتفقد أحواله ، حتى

لا يتخفى عليه إحسان مُحْسِنٍ، ولا إساءة مُسِيءٍ؛ ثم لا يترك واحدا منهما بغير جزاء؛  
فإن تركَ ذلك تهاون المحسنُ وأَجترَأَ المسيءُ، وقَسَدَ الأمرُ، وضاع العملُ .

وما كتب به بعض الكُتَّاب في فصل وهو: لو سكَّت لسانى عن شُكرك، لنطقى  
أُتركك على . وفى فصل آخر: ولو جحدتُك إحسانك، لا كذبْتُني آثارُك، ونَمَت على  
شواهدُها؛ أخذه من قول نُصَيْب :

\* ولو سَكَّوْا أَثَبْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ \*

وما كتب به أحمد بن يوسف من فصل وهو: أحقُّ مَنْ أثبت لك العذرَ في حال  
شُغْلِكَ، مَنْ لم يَحُلْ ساعةً من يَرِّكَ في وقت قَرَأَغِكَ . أخذه من قول طى رضى الله  
عنه : لا تكونن كَمَنْ يَعْجِزُ عن شُكْرٍ ما أُولَى، ويلتمس الزيادة فيما بَقِيَ .

والاعتباس من الأحاديث والآثار كثير، وقد تقدَّم الكلام عليه قبل ذلك .  
قال في "الصناعتين" : "وَمِنْ أَخْفَى أَسْبَابِ السَّرِقَةِ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى مَنْ نَظَّمَ فَيُورِدُهُ  
فِي ثَرٍّ، أَوْ مِنْ تَرْفِيهِ وَرَدَّهُ فِي نَظْمٍ، أَوْ يَنْقُلَ الْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلَةَ فِي صِفَةِ نَهْرٍ فَيَجْعَلُهُ  
فِي مَدِيحٍ، أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَنْقُلُهُ إِلَى وَصْفٍ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصِلُ لِهَذَا إِلَّا الْمُبَرِّزُ الْكَامِلُ  
الْمُقَدَّمُ .

وقال في "المثل السائر": أَشْكَلُ سَرَقَاتِ الْمَعَانِي، وَأَدْقُهَا وَأَغْرَبُهَا، وَأَبْعَدُهَا مَذْهَبُهَا  
أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى بِمَجْرَدِهَا مِنَ اللَّفْظِ . قال : وذلك مما يصعب جدًا ولا يكاد  
يأتى إلا قليلا، ولا يتفطن له ويستخرجه من الأشعار إلا بعض الخواطر  
دون بعض .

فمن ذلك قول أبي تمام في المدح :

قَتَّى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَيْتَةً \* تَهْوُمُ مَقَامَ النَّصِيرِ إِذْ قَاتَهُ النَّصِيرُ

أخذه من قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا \* من المال يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ  
لِيُبْلِغَ عُدْرًا أَوْ يَنَالَ رَغِيبَةً \* وَيُبْلِغُ نَفْسَ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِعِ

فسروة جعل اجتهداه في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح ، وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غايةُ اجتهداه المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار .  
قال في "المثل السائر" : وكلا المعنيين واحد ، غير أن اللفظ مختلف . وأظهر من ذلك أخذنا قول القائل :

وقد عَزَى ربيعةَ أن يَوْمًا \* عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

أخذه من قول ابن المقفع في باب المراثي من الحماسة :

وقد جَرَّعْنَا فَقْدُنَا لَكَ أُنْسًا \* أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّيَايَا مِنَ الْجَزَعِ

على أنه ربما وقع للتأخر معنى سبقه إليه مَنْ تَقَدَّمَهُ من غير أن يُلَمَّ به المتأخر ولم يسمعه ، ولا استبعاد في ذلك كما يستبعد اتفاق اللفظ والمعنى جميعا . قال أبو هلال العسكري : وهذا أمر قد عرفه من نفسي فلا أَمْتَرِي فيه ، وذلك أني كنت عملت شيئا في صفة النساء فقلت :

\* سَفَرَنَ بُلُورًا وَاتَّقَبَنَ أَهْلَةً \*

وطننت أني لم أُسَبِّقْ إلى جمع هذين التشبيهين حتى وجدت ذلك بعينه لبعض البغداديين فكثرتعجي ، وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسوق من المتصنم حكما حتما .

إذا تقرر ذلك فسرقه المعنى المجرد عن اللفظ لا تخرج عن اثني عشر ضربا .

## الضرب الأول

أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبه ولا يكون هو إياه . قال في "المثل السائر" : وهذا من أدق السرقات مذهباً وأحسنها صورة ، ولا يأتي إلا قليلاً . فمن ذلك قول المتنبي :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ \* فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

وهذا المعنى استخرجه المتنبي من قول بعض شعراء الحماسة ، وإن لم يكن صريحاً فيه حيث يقول :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَتَى \* بِنَيْضٍ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ

قال في "المثل السائر" : والمعرفة بأن هذا المعنى من ذلك المعنى عَسِرُ غَامُضٍ غير متبين إلا لمن أعرق في ممارسة الشعر ، وغاص على استخراج المعاني . قال : وبيان ذلك أن الأول يقول : إن بنض الذي هو غير طائل لإيأى قد زاد نفسي حبا إلى أى قد جعلها في عيني وحسناها عندي كَوْنُ الذي هو غير طائل منقضى ؛ والمتنبي يقول : إن ذم الناقص إياه بفضله كتجسين بِنُضٍ الذي هو غير طائل نفس ذلك عنده .

وأظهر من ذلك أخذاً من هذا الضرب قول البُحْتَرِيِّ في قصيدة يفخر فيها

بقومه :

شَيْخَانٍ قَدْ ثَقَلَ السَّلَاحُ عَلَيْهِمَا \* وَعَدَاهُمَا رَأَى السَّمِيعُ الْمُبْصِرُ  
رِكَابًا لِقَتَا مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْفَتَا \* فِي عَسْكَرٍ مُتَحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ

أخذه من قول أبي تمام في وصف جميل :

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً \* رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ مَآكِهَ

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الأرض، ثم سار فيها فرعته أى أهرنته، فكانها فعلت به مثل ما فعل بها، والبُحْثَرِيُّ نقله إلى وصف الرجل بملو السن والهَرَم، فقال: إنه كان يحمل الرمح فى القتال، ثم صار يركب الرُحْخُ أى يتوكأ منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير.

وأوضح من ذلك وأكثر بيانا فى الأخذ قول البُحْثَرِيِّ أيضا :  
أَطَائِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مَقَرِّي \* إِلَيْكَ فَأَلَى الشَّيْبَ إِذْهُوَ مُبْعِدِي  
أخذه من قول أبى تمام :  
لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَاةُهَا \* مِنْ قَبْلِ وَشِكِ النَّوَى عِنْدَى نَوَى قَدْفَا

### الضرب الثانى

أن يُؤخذ المعنى فيعكس، قال فى "المثل السائر": وذلك حسن يكاد يخرج به حسنه عن حد السرقة.

فمن ذلك قول أبى نُوَاس :  
قَالُوا عَشِقْتَ صَغِيرَةً فَاجَبَّهْتُمْ \* أَشْبَهَى الْمَطَى إِلَى مَا لَمْ يَرْكَبْ.  
كَمْ يَنْ حَبَّةَ لَوْلُو مَثْقُوبَةٍ \* نَظَمْتُ وَحَبَّةَ لَوْلُو لَمْ تُقَبِّ ؟  
وقول ابن الوليد فى عكسه :

إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يَلْدُ رُكُوبَهَا \* حَتَّى تُدَلِّلَ بِالزَّامِ وَتُرْجَا.  
وَالَّذِي لَيْسَ بِسَافِحٍ أَرْبَابُهُ \* حَتَّى يُزِينَ بِالنِّظَامِ وَيُتَقَبَّا.

ومنه قول ابن جعفر :

وَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنهَا لَا تُرِيدُنِي \* وَأَنَّ هَوَاهَا لَيْسَ عَنِّي بِمُنْجَلِي ؟  
تَمَنَيْتُ أَنْ تَهْوَى سَوَاىَ أَعْلَاهَا \* تَكُونُ صَبَابَاتِ الْهَوَى قَرَقَلِي لِي

• وقول غيره في عكسه :

وَلَقَدْ سَرَّني صُدُودُكَ عَنِّي \* فِي طَلَابِيكَ، وَأَمْتَانُكَ مِنِّي  
حَذَرًا أَن أَكُونَ مِفْتَاحَ قَهْرِي \* وَإِذَا مَا خَلَوْتُ، كُنْتُ التَّمَنَّى

أما ابن جعفر فإنه ألقى عن منكبيه رداء الغيرة؛ وأما الآخر فإنه جاء بالضد من ذلك وبالغ غاية المبالغة .

ومنه قول أبي الشيص :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَنِيْدَةٍ \* شَفَقًا بِذِكْرِكَ، فَلَيْلُمْنِي الْيَوْمُ

وقول أبي الطيب في عكسه :

أَحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً \* إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

ومنه قول أبي تمام :

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَنِهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى \* بُغَاةُ الْعَلَا مِنْ أَيْنُ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وقول الوزير ضياء الدين بن الأثير في عكسه :

لَوْلَا الْكَرَامُ وَمَا سَنُوهُ مِنْ كَرَمٍ \* لَمْ يَدْرُ قَائِلُ شَعْرٍ كَيْفَ يَمْتَدِّحُ

### الضرب الثالث

أن يؤخذ بعض المعنى دون بعض

فمن ذلك قول أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ يمدح عبد الله بن جُدعان :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَأَمْرِي إِنْ حَبَوْتَهُ \* بَيِّنٌ، وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ

وقول أبي تمام بعده :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفَرَاوَهِي إِنْ شُهِرَتْ \* كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتِنًا

مَا زِلْتُ مَتَقِلًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا \* حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَهَا يُجَنِّى شَرَفًا



فامية بن أبي الصلت أتى بمعنيين أحدهما أن عطائك زين ، والآخر أن عطاء  
غيرك ليس بزين ؛ وأبو تمام أتى بالمعنى الأول فقط .

ومنه قول علي بن جبلة :

وأثل ما لم يحويه مُتَقَدِّمٌ \* وإن نال منه آخر فهو تابع

وقول أبي الطيب بعده :

رَفَعَ عَنِ عُنُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرَهُ \* فما يفعل الفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيًا

فابن جبلة أتى بمعنيين ، أحدهما أنه فعل ما لم يفعله أحد ممن تقدمه ، وإن نال  
الآخر شيئاً فهو مقتد به وتابع له ؛ وأبو الطيب أتى بالمعنى الأول فقط ، وهو أنه فعل  
ما لم يفعله غيره مشيراً إلى ذلك بقوله :

\* فما يفعل الفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيًا \*

أى يستبكرها ويُرِزِلُ عُدَّتَهَا .

ومنه قول الآخر :

أَتَتِجَ الْقَضْلُ أَوْ تَخَلَّ عَنْ الدَّنْ \* يَا فَهَاتَانِ غَايَةَ الْهِمَمِ

وقول البُحْتُرى بعده :

إِدْفَعْ بِأَمْشَالِ أَبِي غَالِبٍ \* عَادِيَةَ الْعُدْمِ أَوْ اسْتَعْفِ

فالبُحْتُرى أَقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِ الْمَعْنَى وَلَمْ يَسْتَوْفِهِ .

### الضرب الرابع

أن يؤخذ المعنى فيزداد عليه معنى آخر . قال في "المثل السائر" : وهذا النوع من  
السَّرَقَاتِ قَلِيلُ الْوُقُوعِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ .

فمن ذلك قول الأخنس بن شهاب :

إِذَا قَصُرْتُ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا \* خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِي فَنَضَارِبُ

وقول مسلم بن الوليد بعده :

إِنْ قَصُرَ الرَّحْمُ لَمْ تَمْشِ الْخَطَا عَدَا \* أَوْ عَزَدَ السَّيْفُ لَمْ نَهْمُ بِتَعْرِيدِ

أخذ مسلم المعنى الذى أورده الأخنس وهو وصل السلاح إذا قصر بالخطا إلى العدو وزاد عليه عدم تعريضهم أى فرارهم إذا عزد السيف . ومنه قول جرير فى وصف أبيات من شعره :

غَرَابُ آبِ إِذَا حَانَ وَرُدُّهَا \* أَخَذَنَ طَرِيقًا لِلْقَصَائِدِ مُعَلِّمًا

وقول أبى تمام بعده :

غَرَابُ لَاقَتْ فِي فِتَاكَ أَنْسَهَا \* مِنَ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَابٍ

فزاد أبو تمام على جرير قرآن ذلك بالممدوح ومدحه مع الأبيات . ومنه قول المَعْدِلِ بْنِ غِيلَانَ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى \* إِذَا كَانَتْ الْعَلِيَّةُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وقول أبى تمام بعده :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدُدُ \* وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زَى عَدْرَاءَ نَاهِيْدِ

فزاد عليه قوله :

\* وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زَى عَدْرَاءَ نَاهِيْدِ \*

ومما أشفق لى نظمه فى هذا الباب أنه لما عُثِرَتْ مدرسة الظاهر برفوق بين القصرين بالقاهرة المحروسة ، وكان القائم بممارتها الأمير جركس الخليلي أمير اخور الظاهري ، وكان قد اعتمد بناءها بالصخور المظيعة التى لا تُقْلَهَا الْجَمَالُ حَمَلًا ، ولا

مُجَلَّلٌ إِلَّا عَلَى الْعَجَلِ الْخَشَبِ ، فَأُولَعَ الشُّعْرَاءُ بِالنِّظَمِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ؛ فَنَظَمَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ  
أَبْيَاتًا عَرَضَ فِيهَا بِذِكْرِ الْخَلِيلِ وَقِيَامِهِ فِي عِمَارَتِهَا ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهَا :

وَبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوَّعًا تَخَلَّمَتْهُ \* يَدْعُو الْمُصْحُورَ فَتَأْتِيهِ عَلَى عَجَلٍ

وَأَلْزَمَنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ بِنِظْمِ شَيْءٍ فِي الْمَعْنَى ، فَوَقَعَ لِي أَيْبَاتٌ مِنْ جَهْلَتِي :

وَبِالْخَلِيلِ قَدْ رَاجَتْ عِمَارَتُهَا \* فِي سُرْعَةٍ يُنَبِّئُ مِنْ غَيْرِ مَا مَهْلٍ  
كَمْ أَظْهَرَتْ عَجَبًا أَسْوَاطُ حِكْمِهِ \* وَقَدْ غَدَّتْ مَثَلًا مَاهِيكَ مِنْ مَثَلٍ  
وَكَمْ مُحْضَرٌ تَحَالَ الْجَنُّ تَتَّقُلُهَا \* فَإِنَّهَا بِالْوَحَا تَأْتِي وَبِالْعَجَلِ

فَزِدْتُ عَلَيْهِ ذِكْرَ الْوَحَا الَّذِي مَعْنَاهُ السَّرْعَةُ أَيْضًا وَصَارَ مُطَابِقًا لِمَا يَأْتِي بِهِ الْمُعْزَمُونَ  
فِي عِزِّائِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ : الْوَحَا الْوَحَا الْعَجَلُ الْعَجَلُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ التَّوَلُّطَةِ بِقَوْلِي :

تَحَالَ الْجَنُّ تَتَّقُلُهَا ، عَلَى أَنِّي لَسْتُ مِنْ فُؤَسَانِ هَذَا الْمَيْدَانِ ، وَلَا مِنْ رِجَالِ هَذَا الْوَعْيِ

### الضرب الخامس

أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى فَيُكْمَى عِبَارَةً أَحْسَنَ مِنَ الْعِبَارَةِ الْأُولَى قَالَ فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ" :

وَهَذَا هُوَ الْمُحْمَدُ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ حُسْنُهُ عَنْ بَابِ السَّرِقَةِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

إِنَّ الْيَكْرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ \* قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا

أَخَذَهُ الْبَحْثِيُّ فَقَالَ :

قُلُّ الْيَكْرَامِ فَصَارَ يَكْثُرُ قَدُّهُمْ \* وَلَقَدْ يَقُلُّ الشَّيْءُ حَتَّى يَكْثُرَا

وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

يَلُّ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْقَتَى \* تَقَلُّبُ عَيْنَيْهِ إِلَى شَخْصٍ مِنْ بَنِي

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ بَعْدَهُ :

وَإِذَا حَافَرَ الْمَوَى قَلْبَ صَبٍّ \* فَلَيْسَ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ

ومنه قول أبي العلاء بن سليمان في مَرثِيَّة :

وما كَفَّهَ الْبَدْرُ الْمُبِيرَ قَدِيمَةً \* وَلِكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّظْمِ

وقول القيسراني بعده :

وأهوى الَّذِي يَهْوِي لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا \* أَلَسْتَ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرُ الْقُرْبِ

ومنه قول ابن الرومي :

إِذَا شَنَّتْ عَيْنُ امْرِئٍ شَيْبَ نَفْسِهِ \* فَمَنْ سِوَاهُ بِالشَّامَةِ أَجْدَرُ

وقول من بعده :

إِذَا كَانَ شَيْبِي بَيِضًا إِلَى \* فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيبًا

### الضرب السادس

أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موحّداً، قال في "المثل السائر" وهو من أحسن السرقات : لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول وسعة باعه في البلاغة ، فن ذلك قول أبي تمام :

بَرَزْتَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَاحِدًا \* فِيهَا تَسِيرُ مُغَوَّرًا أَوْ مُنْجِدًا

عَجَبًا بِأَنَّكَ سَأَلْتَ مِنْ وَحْشَةٍ \* فِي غَايَةِ مَا زِلْتَ فِيهَا مُفْرَدًا

وقول ابن الرومي بعده :

غَرَبَتْهُ الْخَلَائِقُ الزُّهْرُ فِي النَّأ \* مِنْ وَمَا أَوْحَشَتْهُ بِالتَّغْرِيبِ

فأخذ معنى اليتيم في بيت واحد، ومنه قول أبي العتاهية :

وَأَنَّى لِمُعْدُورٍ عَلَى قَرِيطٍ حُبًّا \* لِأَنَّ لَهَا وَجْهًا يَدُلُّ عَلَى عُذْرِي

أخذه أبو تمام فقال :

لَهُ وَجْهٌ إِذَا أَبْصَرَ \* تَهُ نَاجَاكَ عَنْ عُذْرِي

فأوجزنى هذا المعنى غاية الإيجاز؛ ومنه قول أبى تمام يمدح أحمد بن سعيد :

كَانَتْ مُسَامَلَةُ الرَّجُلَانِ تُخْبِرُنِي \* عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ أَطِيبَ الْخَبَرِ  
حَتَّى التَّقِينَا فَلَا وَاقِهِ مَا يَمُوتُ \* أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصِيرِي  
أَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَأَوْجَزَنِي أَخَذَهُ فَقَالَ :

وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ \* فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ  
ومن قول بعض الشعراء :

أَمِنْ خَوْفِ فَقِيرٍ تَجَلَّتْهُ \* وَأَخَّرَتْ إِنْفَاقَ مَا تَجْمَعُ؟  
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى \* وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الذِّى تَصْنَعُ  
أَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :

وَمَنْ يُتَّقِي السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ \* عَاقِبَةُ فَقِيرٍ فَالَّذِى قَعَلَ الْفَقْرُ

### الضرب السابع

زيادة البيان مع المساواة فى المعنى، بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه،

فمن ذلك قول أبى تمام :

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يُعْجَلُ فَتَقَعُ وَإِنْ يُرْتِ \* فَلَرَّيْتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَنْفَعُ  
أَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :

وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْءُ سَيْلِكَ عَنِّي \* أَسْرَعُ السَّحَابِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ

فزاده وضوحا بضرب المثال له بالجهام وهو السحاب الذى لا مطر فيه .

ومنه قول أبى تمام أيضا :

قَدْ قَلَصَتْ شَفَاتُهُ مِنْ حَفِظَتِهِ \* نَحِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْيِيسِ مُبْتِمَا

أخذه أبو الطيب فقال :

وجاهل مدّه في جهله ضحكى \* حتى أثنى يد قواسه وقم  
إذا رأيت نوب الليث بارزة \* فلا تظن أن الليث مبسم  
فضرب له مثالا بظهور أنياب الليث فزاده وضوحا .

ومنه قول أبي تمام أيضا :

وكذلك لم تُعْرِط كآبة عايطل \* حتى يُجاورها الزمانُ بحال  
أخذه البحرى فقال :

وقد زادها إفراطُ حُسنِ جوارها \* لأخلاق أصفارٍ من الخيد خيب  
وحُسنُ درارى الكواكب أن ترى \* طواليع في داجٍ من الليل غيب  
فضرب له مثالا بالكواكب في ظلام الليل فأوضحه وزاده حسنا .

### الضرب الثامن

اتحاد الطريق واختلاف المقصود، مثل أن يسلك الشاعران طريقا واحدة  
فتخرج بهما الى مَوردين، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر .

فمن ذلك قول النابغة :

إذا ما غزّا بالبحش حلق فوقه \* عصائب طير تهدي بعصائب  
جوانح قد أيقن أن قبيله \* إذا ما التقى الجمعان أول غالب

وهذا المعنى قد توارده الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من العبارات،

فقال أبو نؤاس :

يتوحن الطير غزوة \* قبة بالقم من جزيه

وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَتَقَنَّ بِهَا \* فُهِنَّ يَتَّبِعُنَّ فِي كُلِّ مَرْتَحِلٍ

وقال أبو تمام :

وَقَدْ ظَلَمْتُ عَقْبَانُ أَعْلَامَهُ صُحِّي \* يَتَّبِعَانِ طَيْرَ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا \* مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُقَاتِلُ

وكل هؤلاء قد أتوا بمعنى واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السبك

أو من جهة الإيجاز . قل ولم أر أحدا أغرب في هذا المعنى فسلك هذا الطريق

مع اختلاف مقصده إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَشْرَيْتَ أَرْوَاحَ الْعِدَا وَقُلُوبَهَا \* خَوْفًا فَأَنْفُسُهَا إِلَيْكَ تَطِيرُ

لَوْ حَاكَمْتُكَ فَعَالَيْتُكَ بِدَحْلِهَا \* شَهِدْتُ عَلَيْكَ نَعَالِبٌ وَنُسُورُ

فهذا قد فضل به مسلم غيره في هذا المعنى، ولما انتهى الأمر الى أبي الطيب

سلك هذه الطريق التي سلكتها من تقدمه إلا أنه خرج فيها الى غير المقصد الذي

قصدوه فأغرب وأبدع، وحاز الإحسان بجلته، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون

غيره فقال :

تَحَابُّ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا \* تَحَابُّ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُ

لَحْوَى طَرَفِ الْإِغْرَابِ وَالْإِحْجَابِ .

## الضرب التاسع

بياض بالأصل<sup>(١)</sup> .

(١) اقتصر في الضوء على أحد عشر نوعا وجعل الباشر تاسعا الخ وكذلك عدّها صاحب المثل السائر .

### الضرب العاشر

أن يكون المعنى عاماً فيجعل خاصاً أو خاصاً فيجعل عاماً ، وهو من السرقات التي يُسأخ صاحبها ؛ فأما جعل العام خاصاً فن ذلك قول الأخطل <sup>(١)</sup> :  
 لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ \* عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا قُلْتَ عَظِيمٌ  
 أخذه أبو تمام فقال :

أَلَا أَلُومُ مَنْ يَنْتَهَ يَدَاهُ وَاعْتَدَى \* لِلْبُخْلِ تَرِباً سَاءَ ذَاكَ صَنِيعاً  
 فالأخطل نهى عن الإتيان بما ينهى عنه مطلقاً بخاء بالخلق منكراً لجعله شامها في بابها ، وأبو تمام خصص ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الأخلاق .

وأما جعل الخاص عاماً ، فن ذلك قول أبي تمام :  
 وَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذْرَتْ لِقَاحَهَا \* وَلَكِنْ مَنَّ النَّزَّ وَالضَّرْعُ حَائِلُ  
 أخذه أبو الطيب فجعله عاماً فقال :

وَمَا يُؤْلِمُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ \* كَمَا يُؤْلِمُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ

### الضرب الحادي عشر

قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة . قال في "المثل السائر" : وهذا لا يسمى سرقة بل يسمى إصلاحاً وتهذيباً ، فن ذلك قول أبي نؤاس في أَرْجُوزة يصف فيها اللعيب بالكثرة والصَوْلَانُ فقال من جملتها :  
 جَنَّ عَلَى جَنٍّ وَإِنْ كَانُوا بَشَرٌ \* كَأَنَّمَا خِطُّوا عَلَيْهَا بِالْإِبْرِ  
 أخذه المتنبي فقال :

فكَأَنَّمَا نُبِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ \* وَكَأَنَّمَا خُلِقُوا عَلَى صَوَاتِهَا

(١) كذا في "المثل السائر" أيضا — وفي ديوان الأخطل صحيفة ٣٣٨ أن هذا البيت لتوكل البش .



فهذا في غاية العلو والأرتقاء بالنسبة الى قول أبي نواس ، ومنه قول أبي الطيب  
 لو كَانَ مُنْعَطِطُهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ \* تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا التَّائِيلاً  
 وقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يُبَيِّنْ جُودَكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلَهُ \* تَرَكَنِي أَحْصَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ  
 فكلّام ابن نباتة أحسن في الصورة من كلام المتنبي هنا وإن كان مأخوذاً منه .

### الضرب الثاني عشر

قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة ؛ وهو الذي يبرّ عنه أهل هذه الصناعة  
 بالمسخ ، وهو من أرذل السرقات وأقبحها ، فمن ذلك قول أبي تمام :  
 قَتَى لَا يَرَى أَتَا الْفَرِيصَةَ مَقْتَلٌ \* وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ مَقَاتِلٌ  
 أخذه أبو الطيب فسخه فقال :

يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ \* بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبٍ  
 ومنه قول عبد السلام بن رغبان :  
 نَحْنُ نُعَزِّيكَ وَمِنْكَ الْهُدَى \* مُسْتَخْرَجٌ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبَلٌ  
 أخذه أبو الطيب فسخه فقال من أبيات :

وَيَأْتِيَاظُكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَاكَ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتُ قَبْلًا

### المسلك الثاني

#### طريقة الاختراع

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" ، فهي ألا يتصفح كتابة  
 المتقدمين ولا يطلع على شيء منها ، بل يصرف همهته الى حفظ القرآن الكريم وكثير

من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء من غلب على شعره الإجابة في المعاني والألفاظ ، ثم يأخذ في الاقتباس من القرآن والأخبار النبوية والأشعار فيقوم ويقع ، ويخطئ ويصيب ، ويضل ويهتدي ، حتى يستقيم الى طريق يفتحها لنفسه ؛ وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لاشركة لأحد من المتقدمين فيها ! . قال : وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماما في الكتابة كما يعد الشافعي وأبو حنيفة ومالك وغيرهم من المجتهدين في علم الفقه ، إلا أنها مستوعرة جدا ، لا يستطيعها إلا من رزقه الله تعالى لسانا عجائبا ، وخاطرا راقما . قال : ولا أريد بهذا الطريق أن يكون الكاتب مُرتبطا في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار ، بحيث إنه لا ينشئ كتابا إلا من ذلك ، بل أريد أنه اذا حفظ القرآن الكريم ، وأكثر من حفظ الأخبار النبوية والأشعار ، ثم نقب عن ذلك تنقيب مطّلع على معانيه ، مفتش على دقاته ، وقلبه ظهرا لبطن ، عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئ من ذات نفسه ، وأستعان بالمحفوظ على الفريضة الطبيعية . على أنه لا بد للكاتب المرتقي الى درجة الاجتهاد في الكتابة مع حفظ القرآن الكريم ، والامتثال من حفظ الأخبار النبوية ، والأشعار المختارة ، من العلم بأدوات الكتابة وآلات البيان : من علم اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبدیع ، ليتمكن من التصرف في اقتباس المعاني وأستخرجها فيرقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة ؛ كما أن المجتهد من الفقهاء اذا عرف أدوات الاجتهاد : من آيات الأحكام ، وأحاديثها ، ونعنها ؛ وعرف النحو والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، والحساب والفرائض وإجماع الصعابة ، وغير ذلك من آلات الاجتهاد وأدواته ، أستخرج بفكره حينئذ ما يؤديه اليه آجهاده . فالمجتهد في الكتابة يستخرج المعاني من مظانها من القرآن الكريم ، والأخبار النبوية ، والأشعار ،

والأمثال، وغير ذلك بواسطة آلة الاجتهاد، كما أن المجتهد في التفهيمات يستخرج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة بواسطة آلة الاجتهاد . فإذا أراد الكاتب المتصف بصفة الاجتهاد في الكتابة إنشاء خطبة أو رسالة أو غيرها مما يتعلق بفنّ الإنشاء

بياض بالأصل

## الأصل السادس

وجود الطبع السليم، وخلق الفكر عن المشوِّش

أما وجود الطبع فقال في "مواد الياف" : أول معاين هذه الصناعة الجليلة القريحة العاضلة، والفريزة الكاملة . التي هي مبدأ الكمال، ومُنشأ التمام، والأساس الذي ينشأ عليه، والركن الذي يُستند إليه، فإن المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب، ويتوفّر على آقتناء العلوم واكتسابها ، وهو مع ذلك غير مطبوع على تأليف الكلام فلا يفيد ما آكتسبه، بخلاف المطبوع على ذلك، فإنه وإن قصر في آقتباس العلوم واكتساب المواد فقد يُلحق بأوساط أهل الصناعة ؛ وذلك أن الطبع ينص الله تعالى به المطبوع دون المتطعّ، والمناسب بفريزته للصناعة دون المتصنّع، ولا ميل إلى آكتساب سهولة الطبع ولا كراذله ، بل هو موهبة تُخصّ ولا تُعمّ ، وتوجد في الواحد وتفقّد في الآخر .

قال ابن أبي الأصح في "تحرير التحير" : ومن الناس من يكون في البديهة أبدع منه في الروية . ومن هو مجيد في الروية وليست له بديهة، وقَلما يتساويان .

ومنها مَنْ إذا خاطب أبدع ، وإذا كاتب قَصَّر ؛ ومن هو بفسد ذلك ، ومن قَوَّى ثَرَهُ ضَعَّفَ نظمهُ ، ومن قَوَّى نظمهُ ضَعَّفَ ثَرَهُ ، وقَلِمَا يتساويان . وقد يُرْزِ الشاعرُ في معنى من مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ، ولهذا قيل : أشعرُ الناس أمرؤ القيس إذا ركب ، وزُهر إذا رَغِب ، والناعبة إذا رَهِب ، وعنترة إذا كَلِب<sup>(١)</sup> ، والأعشى إذا طَرِب . قال في "المثل السائر" : بل ربما تَفَدَّ في بعض أنواع الشعر دون بعض فيرى مُجِيداً في المدح دون الحُجْو أو بالعكس ، أو ماهراً في المقامات ونحوها دونَ الرسائل ، أو في بعض الرسائل دون بعض . قال ابن أبي الأصبع : ولربما واتاه العملُ في وقت دون وقت ؛ ولذلك قال الفرزدق : إني ليمرُّ علىَّ الوقت ولقلعُ ضُرْس من أضراسي أيسرُ علىَّ من قول الشعر ؛ ولذلك عز تأليف الكلام ونظمه على كثير من العلماء باللغة ، والمهرة في معرفة حقائق الألفاظ من حيث نَبُو طباعهم عن تركيب بسائط الكلام الذي قامت صور معانيه في نفوسهم ، وصُعب الأمر عليهم في تأليفه ونظمه ؛ فقد حكى أن الخليل بن أحمد مع تقدمه في اللغة ، ومهارته في العربية ، واختراعه علم العروض ، الذي هو ميزان شعر العرب ، لم يكن يتبها له تأليف الألفاظ السهلة لديه الحاصلة المعاني في نفسه على صورة النظم إلا بصعوبة ومشقة ، وكان إذا سئل عن سبب إعراضه عن نظم الشعر يقول يأباني جيده وآبى رديشه ، مشيراً بذلك إلى أن طبعه غير مساعد له على التأليف المرضي الذي تحسن نسبته إلى مثله . وقيل للفصل الضبي ألا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به فقال علي به بمعنى من قوله وأنشد :

أبي الشعرُ إلا أن يُنْجى رَدِيْشُهُ « على » وبأبي منه ما كان مُحْكَمًا  
فبالتقي إن لم أجِدْ حَوْلَكَ وَشِيَهُ « ولم ألك من فُرْسَانِهِ كنت مُفْجِعًا

وأنشد أبو عبيدة خلفاً للأحرار له فقال: أجباً هذا كما نخبأ السَّوْرة حاجتها،  
مع ما كان عليه أبو عبيدة من العلم باللغة وشعر العرب وأمثالها وأيام حروبها ، وما  
يجرى مجرى ذلك من مواد تأليف الكلام ونظمه . ويحكى عن أبي العباس المبرد  
أنه قال : لا أحتاج الى وصف نفسى : لأن الناس يعلمون أنه ليس أحد بين  
الخالقين يخرج في نفسه مسألةً مُشكلةً إلا ليقين بها وأعدنى لها ، فانا عالم ومُعلم ،  
وحافظ ودارس ، لا يخفى على من يشبه من الشعر ، والنحو ، والكلام المشهور ،  
والخطب ، والرسائل ؛ ولربما احتجت الى اعتذار من قلّة ، أو التماس حاجة ، فأجعل  
المعنى الذى أقصد نُصّب عني ثم لا أجد سبيلاً الى التعبير عنه بيد ولا لسان ؛ ولقد  
بلغنى أن عبيد الله بن سليمان ذكرنى بحيل فحاولت أن أكتب اليه رُقعة أشكره فيها  
وأعرض ببعض أمورى ، فأتعبت نفسى يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها ،  
وكنت أحاول الإفصاح عما في ضميرى فيتحرف لسانى الى غيره ، ولذلك قيل : زيادة  
المنطق على الأدب خُدعة ، وزيادة الأدب على المنطق مُجَنّة .

فقد تبين لك أن العبرة بالطبع وأنه الأصل المرجوع اليه في ذلك ؛ على أن الطبع  
بمفرده لا ينهض بالمقصود من ذلك نُهوّه مع اشتماله على الموادّ المساعدة له على ذلك  
من الأنواع السابقة فيما تقدّم فى أوّل هذه المقالة ، من العلم باللغة والنحو والتصريف  
والمعاني والبيان والبدیع ، وحفظ كتاب الله تعالى ، والإتقان من حفظ الأحاديث  
النبوية ، والأمثال والشعر والخطب ، ورسائل المتقنين وأيام العرب وما يجرى  
مجرى ذلك مما يكون مساعداً للطبع ، ومُسَهِّلاً طريق التأليف والنظم ، بل يتفاوت  
فى العلوّ والهُبوط بحسب التفاوت فى ضعف المساعد من ذلك وقوّته ؛ إذ معرفته  
هذه الامور قائمةٌ من الإنشاء مقامَ المادة ، والطبع قائمٌ منه مقام الآلة ، فلا يتمّ الفعل  
وإن قامت الصورة فى نفس الصانع مالم تُوجد المادة والآلةُ جُمِعا ، ولو كان حصول

المادة كافيا في التوصل الى حسن التأليف الذي هو نظم الألفاظ المتناسبة وتطبيقها على المعاني المساوية لكانت صناعة الكلام المؤلف من الرسائل والخطب والأشعار سهلة، والمُشاهد بخلاف ذلك، لقصور الأفاضل عن بلوغ هذه الدرجة .

وأما خلق الفكر عن المشوش فإنه يرجع الى أمرين .

## الأمر الأول

### صفاء الزمان

فقد قال أبو تمام الطائي في وصيته لأبي عبادة البحرى مرشدا له للوقت المناسب لذلك : تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْمُمُومِ ، صِفْرٌ مِنَ الْمُمُومِ ؛ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ فِي الْأَوْقَاتِ إِذَا قَصَّدَ الْإِنْسَانُ تَأْلِيفَ شَيْءٍ أَوْ حَفَظَهُ أَنْ يَخْتَارَ وَقْتَ السَّحَرِ ، فَإِنَّ النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَهَا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَخَفَّ عَنْهَا ثِقَلُ الْغِذَاءِ ، وَصَفَا الدَّمَاعُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَبْجَرَةِ وَالْأَذْيَةِ ، وَسَكَنَتِ الْقَمَائِمُ ، وَرَقَّتِ النَّسَائِمُ ، وَتَفَنَّتِ الْحَمَائِمُ .

وخالف ابن أبي الأصبح في اختيار وقت السحر، وبنح إلى اختيار وسط الليل أخذا من قول أبي تمام في قصيدته البائية :

خُذْهَا أَبْنَةَ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى • وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ

مفسرا للدجى بوسط الليل، محتجا لذلك بأنه حينئذ تكون النفس قد أخذت حظها من الراحة، ونالت قسطها من النوم، وخفَّ عنها ثِقَلُ الْغِذَاءِ، فيكون الذهن حينئذ صهيحا، والصدر منشرحاً، والبدن نشيطاً، والقلب ساكناً . بخلاف وقت السحر فإنه وإن كان فيه يرقُّ النسيم وينهض الغداء، إلا أنه يكون قد أنقبه فيه أكثر الحيوانات، الناطق وغيره، ويرفع معظم الأصوات، ويمرئ الكثير من الحركات، ويتشيع بعض الظلماء بطلائع أوائل الضوء، وربما أنهض عن بعض

الناس الغذاء فتحرّكت الشهوة لإخلاف ما أنهض منه ونخرج من فضلاته ، فكان ذلك داعيا الى شغل الخاطر ، وباعثا على انصراف الهم الى تدبير الحالت الحاضر ، فيتعمق الفكر ، ويتذبذب القلب ، ويتفرق جميع الهم ، بخلاف وسط الليل فإنه خال من جميع ذلك .

## الأمر الثاني

### صفاء المكان

وذلك بأن يكون المكان الذى هو فيه خاليا من الأصوات ، عاريا عن الخوفات والمهولات والطوارق ، وأن يكون مع ذلك مكانا رائعا معجبا ، رقيق الحوائش ، فسيح الأرجاء ، بسيط الرحاب ، غير غم ولا كدر ، فإن انضم الى ذلك ما فيه بسط للخاطر : من ماء وخضرة وأشجار وأزهار وطيب رائحة ، كان أبسط للفكر وأنجح للخاطر . وقد ذهب بعضهم الى أنه ينبغى خلو المكان من النقوش الغريبة ، والمرآئى المعجبة ، فإنها وإن كانت مما ينشط الخاطر فإن فيها شغلا للناظر فينبهه القلب فينشئ .

## المقصد الثانى

من الطرف الثالث فى بيان طرق البلاغة ووجوه تحسين الكلام ، وكيفية إنشائه وتأليفه ، وتهذيبه وتأديته ، وبيان ما يستحسن من الكلام المصنوع ، وما يُعاب به

أما إنشاؤه وتأليفه فقد قال ابن أبى الأصعب فى "تحرير التحير" : يجب على كل من كان له ميل الى عمل الشعر وإنشاء الثران يتعهد أولا نفسه ويمتنعها بالنظر فى المعانى ، ويتدقق الفكر فى استنباط المخترعات ؛ فإذا وجد لها فطرة سليمة ، وحيلة

موزونة، وذكاء وقادا، وخاطرا ستمحا، وفكرا ثاقبا، وفهما مريعا، وبصيرة مبصرة،  
والعلمية مهذبة، وقوة حافظلة، وقدرة حاكية، وهمة عالية، ولهجة فصيحة، وفطنة  
صحيحة، أخذ جيئذ في العمل؛ وإن كان بعض ذلك غير لازم لرب الإنشاء،  
ولا يضطر إليه أكثر الشعراء، ولكن اذا كملت هذه الصفات في الكاتب والشاعر،  
كان موصوفا في هذه الصناعة بكال الأوصاف النفيسة .

قال أبو هلال العسكري في "الصناعتين" : اذا أردت أن تصنع كلاما فاخطر  
معانيه ببالك، وثق له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرّب عليك تناولها ،  
ولا يتمكّ تطلبها، واعمله مادمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور، وتحوّلك  
المال، فامسك فإن الكثير مع المال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر  
كاليتاييع يسبق منها شيء بعد شيء فتجد حاجتك من الرّى ، وتسال أربك من  
المنفعة ، فإذا أكثرت عليها نقّص ماؤها، فقلّ عنك غناؤها . وينبى أن تخرج مع  
الكلام مُمَارِضه، فإذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته، أو معنى بديع تعلقت  
بذيله . وتحمّز أن يسبقك فإنه إن سبقك تمعت في تطلبه، ولعلك لا تلحقه على  
طول الطلب، ومواصلة الدّأب، وهذا الشاعر يقول :

إذا ضيّعتَ أوّلَ كلِّ شيءٍ \* أبْتَ أعجازه إلّا التَّواء

وقد قالوا : ينبغي لصانع الكلام ألا يتقدّم الكلام تعلّما ، ولا يتبع ذنابا  
نُبْجا، ولا يجعل على لسانه حملا، فإنه إن تقدّم الكلام لم يتبعه خفيقه وهزيله وأعجفه  
والشارد منه وإن تبعه فأنته سوابقه ولواحقه، وتباعدت عنه جواده وغرّره وإن  
حمله على لسانه ثقلت عليه أوساقه وأعبأه ، ودخلت مساويه في محاسنه ، ولكنه  
يجرى معه فلا يتدّ عنه ناذة تُجبه سنا إلّا كبحها، ولا تتخلف عنه مُثقلة هزيلة  
إلا أرهقها، وطورا يفزقه ليختار أحسنه ، وطورا يجمعه ليقرب عليه خطوة الفكر،



ويقتاوله من تحت لسانه ، ولا يسلط الملل على قلبه ، ولا الإكثار على فكره ، فيأخذ عَفْوَهُ ، ويستغفر ذَنْبَهُ ، ولا يكره آتِيَا . وإِيَّاكَ والتعقيد والتوعر ، فإنَّ التوعر هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما ، فليتمس له لفظا كريما ، فإن حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حققهما أن يصونهما عما يَدْئِسهما ، ويفسدهما ويُهْجِنهما ، فتصير بهما الى حد تكون فيه أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس البلاغة ، وترتبه نفسك فى مُلَابَسَتِهَا ؛ وليكن لفظك شريفا عذبا ، نَحْمًا سهلا ، ومعناه ظاهرا مكشوفًا ، وقريبا معروفا ؛ فإن وجدت اللفظة لم تقع موقعها ، ولم تصل الى مركزها ، ولم تنصل بَسْكَهَا ، وكانت قَلَقَةً فى موضعها ، نافرة عن مكانها ، فلا تُكْرِهْهَا على اغتصاب أماكنها ، والتزل فى غير أوطانها ؛ وإن بليت بتكلف القول ، وتعاطى الصناعة ، ولم تسمع لك الطبيعة فى أول وهلة ، وعصت عليك بعد إجابة الفكر ، فلا تمجّل ودعه بمحابة يومك ، ولا تضجر ، وأمهله سَوَادَ ليلتك ، وعاوله عند نَسْاطِك ، فانك لا تعدم الاجابة والمؤاتاة إن كانت هناك طبيعة ، أوجرت من الصناعة على عُرْف ؛ وبني أن تعرف أقدار المعانى فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين ، وأقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما ، ولكل حال مقاما ، حتى تهتم أقدار المستمعين على أقدار الحالات ، فان المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال .

قال فى "مواد البيان" : ويكون استعمال كل من جزل الألفاظ وسهولها ، وفصيحتها وسلسلها وبهجها فى موضعه ، وأن يسلك فى تأليف الكلام الطريق الذى يخرج به عن حُكْم الكلام المشور العاقل الذى تستعمله العامة فى المخاطبات والمكاتبات ، الى حكم المؤلف الحالى بحل البلاغة والبديع ، كالاستعارات ، والتشبيهات ، والإنشجاع ، والمقابلات ، وغيرها من أنواع البديع .

قال في "الصناعتين" : وإن علمت رسالة أو خطبة فتخط ألفاظ المتكلمين كالجسم ، والجوهر ، والعرض ، واللون ، والتأليف ، واللاهوت ، والناسوت ، فإن ذلك هبة .

قال في "مواد البيان" : وذلك بأن يقصد الكاتب إلى ألفاظ الصناعة فيخرج منها إلى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجانسة لها . قال وإنما يؤتى الكاتب في هذا الباب من جهة أن يكون له شركة في صناعة غير الكتابة ، كصناعة الفقه والكلام وغيرهما ، مثل صناعة أصحاب الإعراب ونحوها ؛ فكل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها ، يستعملونها فيما بينهم عند المحاورة والحوض في الصناعة ؛ ومن عادة الإنسان إذا تعاطى بابا من هذه الأبواب أن يسبق خاطره إلى الألفاظ المتعلقة به ، فيوقفها في الكتب التي ينشئها لغلبة عادة استعماله إياها فيهجئها بإدخاله فيها ما ليس من أنواعها .

قال في "الصناعتين" : وتغير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التمام الكلام ، وهو من أحسن نوعه وأزین صفاته ، فإن أمكن مع ذلك انتظامه من حروف سهلة المخارج كان أحسن له ، وأدعى للقلوب إليه ، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب أو الإيجاز أليق بموقعه ، وأحق بالمقام والحال ، كان جامعا للحسن ، بارعا في الفضل ؛ فإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبئك عن مصادره ، وأوله يكشف قناع آخره ، كان قد جمع نهاية الحسن ، وبلغ أعلى مراتب التمام .

قال في "مواد البيان" : وإذا سلكت طريقا فز فيها ، ولا تنازل عنها إن كانت رفيعة ، ولا ترتفع عنها إن كانت وضیعة . وخالف ابن أبي الأصبع ، فقال : ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا . ولا وضیعا نازلا ، بل فصله تفصيل العقود ، فإن العقد ، إذا كان كله نفيسا لا يظهر حسن فرائده ، ولا يبين جمال واسطته ، فإن الكلام إذا كان

متنوعاً في البلاغة، أُخِنتِ الأسماعُ فيه، ولا يلحق النفوسَ مللٌ من ألفاظه ومعانيه، ولا يخرج عن غرض إلى غيره حتى يكمل كل ما ينظم فيه، كما إذا كان ينشئ كتاباً في العدل والتوبيخ، فيشوبُ ألفاظه بألفاظ أخرى تخرجُ عن الخشونة إلى اللين، فإن اختلاف رُقعة الكلام من أشدَّ عيوبه .

قال في "الصناعتين": ولا تجعل لفظك حُوشياً بدوياً، ولا مبتدلاً سوقياً، ورتب الألفاظ ترتيباً صحيحاً، فتقدّم منها ما يحسن تقديمه، وتؤخر منها ما يحسن تأخيره، ولا تقدّم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا تؤخر ما كان التقديم به أليق، ولا تكرر الكلمة الواحدة في كلام قصير، كما كتب سعيد بن حميد: "ومثل خادمك بين يديه ما يملك فلم يجد شيئاً يقى بحقك"، ورأى أن تعريضك بما يبلغه اللسان وإن كان مقصراً عن حقه أبلغ في أداء ما يجب لك . فكرر ذكر الحق مرتين في مقدار يسير . على أبا جعفر النحاس قد ذكر في "صناعة الكتاب" أن ذلك ليس بمبغض عند كثير من أهل العربية، وهو الحق فقد وقع مثل ذلك من التكرير في القرآن الذي هو أفصح كلام، وأتقن نظام، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَافِعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ فكرر ذكر الميزان ثلاث مرات في مقدار يسير من الكلام، وأمثاله في القرآن الكريم كثير .

قال في "الصناعتين": فإن احتاج إلى إعادة المعاني أعادها بنير اللفظ الذي ابتدأ به كما قال معاوية: "مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ جَوَاداً فَهُوَ دَخِيلٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي الزُّبَيْرِ مُجَاعاً فَهُوَ لَزِيْقٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ تَيَّاهاً فَهُوَ سَيِّدٌ" . فقال: دَخِيلٌ، ثم قال: لَزِيْقٌ، ثم قال: سَيِّدٌ والمعنى واحد، والكلام على ما ترى حسن؛ ولو قال لَزِيْقٌ ثم أحاد لسُمج . على أن الوزير ضياء الدين بن الأثير

في "المثل السائر" قد ذكر ما يتناقض ذلك، وتعبَّ أبا إسحاق الصابئ في قوله في تحميدة كتاب : الحمد لله الذي لا تُدركهُ الأعينُ بالحِفاظِها، ولا تُحسُّهُ الأُكْسُنُ بالفاظِها، ولا تُحِلِّقُهُ العُصُورُ بمرورها، ولا تُهْرِمُهُ الدُّهُورُ بِكُرورها، وقوله بعد ذلك في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : لم يَلْكَؤُفْ أَثَرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَعَمَاهُ، ولا رَسَمًا إِلَّا أزاله وَعَمَاهُ؛ فقال لا فرقَ بين مُرُورِ العُصُورِ، وَكُرُورِ الدُّهُورِ؛ وكذلك لا فرق بين مَحْوِ الأَثَرِ وإِعفاءِ الرِّسْمِ؛ ويَحتمِلُ أنْ يُقالَ إنَّما كرهَ صاحبُ "المثل السائر" ذلك لِتوافقِ القريتين في جميعِ المعنى بخلافِ كلامِ معاوية فإنه متوافق في اللفظة الأخيرة فقط .

قال في "الصناعتين" : وتجنَّبَ كُلُّ ما يُكْسِبُ الكلامَ تَعَميةً كما كتبَ سعيدُ ابنُ حميدٍ يذكَرُ مَظْلِمةَ إنسانٍ في كتابه : لفلانٍ - وله بى حُرْمَةٌ - مَظْلِمةٌ، يريدُ لفلانٍ مَظْلِمةٌ وله بى حُرْمَةٍ، بمعنى أنه راعى حُرْمَتَهُ . قال : وأعلمُ أنَّهُ الذى يُلْزِمُكَ في تأليفِ الرسائلِ والخُطَبِ هو أنْ تجعلها مُزْدَوِجةً فقط ولا يُلْزِمُكَ فيها السَّجْعُ، فإنَّ جعلها مسجوعةً كان أحسنَ ما لم يَكُنْ في تَجَمُّعِ اسْتِكرَاهِ وتَناوُفٍ وتَعقِيدٍ؛ وكثيراً ما يقع ذلك في السَّجْعِ، وَقَلَمًا يَسْلُمُ إذا طال من اسْتِكرَاهِ وتَناوُفٍ .

قال ابنُ أبي الأصْبَحِ : ولا تجعَلْ كلامَكَ كُلَّهُ مَبْنِيًّا على السَّجْعِ فَتُظْهِرَ عَلَيْهِ الكُلْفَةُ، وَيَتَبَيَّنَ فِيهِ أَثَرُ المَشَقَّةِ، وَتُسَكِّفَ لِأَجْلِ السَّجْعِ ارْتِكَابَ المعنى الساقطِ، واللفظِ النازلِ؛ وربما اسْتَدْعَيْتَ كلمةً لِلْقَطْعِ رَغْبَةً في السَّجْعِ بِخِطَابِ نَافِرَةٍ من أَخواتِها، قَلِقَةٍ في مَكانِها . بل أَصْرَفَ كُلَّ النَظَرِ إلى تَجْوِيدِ الألفاظِ وَصَحَّةِ المعاني، وَأَجْهَدَ في تَقْوِيمِ المَبْنِيِّ، فإنَّ جاءَ الكلامُ مسجوعاً عَفْواً من غيرِ قَصْدٍ، وَتَشَابَهَتْ مَقاطِعُهُ من غيرِ كَسْبِ كانَ، وإنْ عَزَّ ذلكَ فَاتَّزَكَّهْ وإنْ اختلفتْ أَسْجَاعُهُ، وَتَبَايَنَتْ في التَّفْقِيَةِ مَقاطِعُهُ، فَسَدَ كانَ المُتَقَدِّمُونَ لا يَحْتَفِلُونَ بِالسَّجْعِ حِلمَةً، ولا يَقْصِدُونَهُ

إلا ما أنت به الفصاحة في أثناء الكلام، وأتقى من غير قصد ولا اكتساب؛ وإما كانت كلماتهم متوازية، وألفاظهم متساوية، ومعانيهم ناصعة، وعباراتهم رائعة، وفصولهم متقابلة، وجلُّ كلامهم متماثلة؛ وتلك طريقة الإمام علي رضي الله عنه ومن أتى أثره من قُرَّان الكلام، كابن المقفَّع، ويزيد بن هارون، وإبراهيم بن العباس، والحسن بن سهل، وعمرو بن مسعدة، وأبي عثمان الجاحظ، وغيرهم من الفصحاء اللغاة .

قال في "مواد البيان" : وأقل ما يكون من الأزواج قرنتان .

قال في "الصناعتين" : وينبغي أن يحتجب إعادة حروف الصلّات والراحات في موضع واحد إذا كتب ، في مثل قول القائل له منه عليه ، أو عليه منه ، أو به له منه ، وحقه له عليه . قال : وسيله أن يداويه حتى يزله ، بأن يفصل ما بين الحرفين مثل أن يقول : أقمْتُ به شهاداً عليه كقول المتنبي :

وَتَسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ \* سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيَّاهُ

قال ابن أبي الأصبع : وليراع الإيجاز في موضعه ، والإطناب في موضعه ،  
بحسب ما يقتضيه المقام ، ويتجنب الإسهاب والتطويل غير المفيد .

قال العسكري: وينبغي أن يأتي في تأليفه الكلام بآيات من الكتاب العزيز في الأمور الجلية للترصيع والتعليق، والاستشهاد للعاني على ما يقع في موقعه، ويليق بالمكان الذي يُوقع فيه، ولكنه لا يستكثر منه حتى يكون هو الغالب على كلامه، تزيها لكلام الله تعالى عن الابتذال، فإنه إنما يستعمله على جهة التبرُّك والزينة، لا ليُجملَ حشواً في الكلام؛ وإذا أُستُثير منه شيء أُتِيَ به على صورته؛ ولا ينقله عن صيقته، ليسلم من تحريفه، ومخالفة اختيار الله تعالى فيه. قال: وكما لا يجوز الإكثار منه لا يجوز

أن يُحلى كلامه من شيء منه تحلية له ، فإن خلق الكلام من القرآن يَلمس محاسنه ، وينقص بهجته ؛ ولذلك كانوا يسمون الخطبة الخالية من القرآن بقرأه .

وينبني ألا يستعمل في كتابته ما جاء به القرآن العظيم من الحذف ومخاطبة الخاص بالعام، والعام بالخاص، والجماعة بلفظ الواحد، والواحد بلفظ الجماعة، وما يجري هذا مجرى، لأن القرآن قد نزل بلغة العرب، وخطب به قصصاؤهم بخلاف الرسائل .

قال في "الصناعتين": لا يجوز أن يستعمل فيها ما يختص بالشعر من صرف مالا ينصرف، وحذف ما لا يُحذف، وقصر الممدود، ومد المقصور، والإخفاء في موضع الإظهار، وتصغير الأسم في موضع تكبيره، إلا أن يريد تصغير التعظيم كقول القائل: «أنا جُذيلُها المُحكَّك، وعَذيقُها المُرجَّب» . ومما يُستحسن من وصية أبي تمام لأبي عُبادة البُحرى في الشعر مما لا يستغنى الناثر عن المعرفة به، والنسج على منواله : لأنه يجب أن يتناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، ويكون كخيَّاط يقتدر الثياب على قدر الأجسام ، وأن يحصل شهرته لتأليف الكلام هي الذريعة إلى حُسن نظمه، فإن الشهوة نعم المعين ! ويعتبر كلامه بما سلف من كلام الماضين، فما استحسنه العلماء فليَقصده، وما استقبحوه فليجتنبه ، وينبني أن يعمل السجعات مفزقة بحسب ما يحود به الخاطر، ثم يرتبها في الآخر ويمتدحز عند جمعها من سوء الترتيب، ويتوتى حُسن النسج عنه التهذيب ، ليكون كلامه بعضه أخذا بأعتاق بعض، فإنه أكل لحسنه، وأمثل لوصفه؛ وأن يبيد المبدأ والمخلص والمقطع، ويميز في فكره محط الرسالة قبل العمل، فإنه أسهل للقصد ؛ ويمتدح في تجويد هذه المواضع وتحسينها ؛ ويوضح معانيه ما أستطاع .

قلت وقد سبق في أوّل هذه المقالة في بيان ما يحتاج اليه الكاتب من الأدوات  
وذكر أنواعها بيان كيفية الاقتباس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية  
والاستشهاد بها، وكيفية حل الشعر الى النثر، وتضمينه في خلال الكلام المشور وما  
يجرى هذا المجرى فأغنى عن إعادته هنا .

وأما بيان ما يُستحسن من الكلام المصنوع فقد قال في "الصناعتين" : إن  
الكلام يحسن بسلامته وسهولته ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة  
مطالعه، ولين معاطفه، واستواء تقاسيمه وتماثل أطرافه وتشبه أعجازه بهواديّه،  
وموافقة أواخره لمبأديه، مع قلة ضروراته بل عدما أصلا، حتى لا يكون لها  
في الالتقاط أثر، فتجد المنظوم مثل المشور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه،  
وحسن رصفه وتأليفه، ويكال صوغه وتركيبه؛ فإذا كان الكلام قد جمع السُوبة  
والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة، واشتغل على الزونق والطلاوة،  
وسلم من ضعف التأليف، وبعد من سماجة التركيب، صار بالقبول حقيقا،  
وبالتحفظ خليفا؛ فإذا ورد على السمع المصيب استوعبه ولم يمجّه، والنفس تقبل  
اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلق عن الجائسي البشع؛ وجميع جوارح البدن وحواسه  
تسكن الى ما يوافقها وتفر عما يضادّه ويخالفه؛ والعين تألف الحسن، وتقذى  
بالقيح؛ والأنف يرائح للطيب ويعاف المُنْتِن؛ والفم يلتذّ بالحلو، ويُجّ المز؛  
والسمع يشوق للصوت الرائع، ويُرْوَى عن الجّهير الهائل؛ واليد تتمّ باللين،  
وتنأذى بالخشين؛ والفهم يأنس من الكلام بالمعروف، ويسكن الى المألوف، ويصنّى  
الى الصواب، ويهرب من الخال، ويتقبض عن الوخم، ويتأثر عن الحافى الغليظ،  
ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة .

قال وليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والأعجمي، والقروى  
والبدوي، إنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، وزاخرته وقائه، وكثرة  
طلاوته ومائه؛ وصحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف؛ وليس  
يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ولا يُقتح من اللفظ بذلك حتى يكون على  
ما وُصف من نعوته التي تقدمت. ألا ترى أن الخطب الرائعة، والأشعار الرائعة،  
لم تُعمل لإفهام المعاني فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها  
في الإفهام؛ وإنما يدل حسن الكلام، وإحكام صناعته، ورويق ألفاظه، وجودة  
مقاطعه، وبدع مباديه، وغريب مآبئه، على فضل قائله ومنشئه. وأيضا فإن  
الكلام إذا كان لفظا حلوا عذبا وسطا دخل في جملة الجيد، وجرى مع الرائع النادر.  
وأحسن الكلام ما تلامس نسيجه ولم يستخف، وحسن نظمته ولم يهجن، ولم يستعمل  
فيه اللفظ من الكلام فيكون خلقا بنضاضا، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا  
دونا، ولا خيري المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا أُجبرت قسرا؛ ولا خير  
فيما أُجيد لفظه إلا مع وضوح المعنى وظهور المقصد. قال وقد غلب على قوم  
الجهل فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بك، ويستصيحونه  
إذا وجدوا ألفاظه كثة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسا  
عذبا، وسهلا حلوا؛ ولم يعلموا أن السهل أمتع جانبيا، وأعز مطلبيا؛ وهو أحسن  
موقعا، وأعذب مستمعا؛ ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع. وقد وصف الفضل  
ابن سهل عمرو بن مسعدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد يظن  
أنه يكتب مثل كتبه؛ فإذا رامها تعدت عليه؛ وأنشد إبراهيم بن العباس لخاله  
العباس بن الأحنف:

إن قال لم يفعل وإن سئل لم \* يسئل وإن حوت لم يعتب



صَبَّ بِمِصْبِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي \* لَا تَشْرِبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ

ثم قال : هذا واقع الشعر الحسن المعنى، السهل اللفظ، العذب المستمع، القليل النظر، العزيز الشبيه، المَطْمَع المحتج، البعيد مع قربه، الصَّعْبُ مع سهولته، قال فجعلنا نقول : هذا الكلام واقع أحسن من شعره . وقيل لبعضهم : أَلَا تَسْمَعُ الْغَرِيبَ فِي شِعْرِكَ؟ فقال : ذلك عني في زمانِي، وتكلف مني لوقفتُهُ، وقد رُزِقْتُ طَبْعًا وَاتْسَاعًا فِي الْكَلَامِ، فَأَنَا أَقُولُ مَا يَعْرِفُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَلَا يَتَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ .

وقال أبو داود : رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تحيير الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه، وما كان من الكلام لفظه سهلا ومعناه مكشوفًا بيننا فهو من جملة الرديء المردود، لا سيما إذا أرتكبت فيه الضرورات، فأما الجزل المختار من الكلام، فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته، ولا تستعمله في محاوراتها، وأجود الكلام ما كان سهلًا جزلًا، لا يتغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكشوفًا مستكرها، ومتوعرًا متقعرًا، ويكون بريثًا من الفثانة، عاريا من الزئانة . فن الجزل الجيد من الثر قول سعيد بن حميد : وانا من لا يحاجك عن نفسه، ولا يغالطك عن جرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهته، ولا يستدعي برك إلا من طريقته، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجرم؛ نبث بي عنك غرة الحداثة وردنثي إليك الحنكة، وباعدنثي منك الثقة بالأيام، وقادنثي إليك الضرورة، فان رأيت أن تستقبل الصليعة بقبول العذر، وتجمد النعمة بأطراح الحقد، فان قدیم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة؛ وإن أيام القدرة وإن طالت قصيرة، والمتعة بها وإن كثرت قليلة، فملت إن شاء الله تعالى .

وأجزل منه قول الشعبي للهباج وقد أراد قتله لخروجه عليه مع ابن الأشعث :  
أجذب بنا الجنب ، وأخزب بنا المتزل فاستحلستنا ، الحذر ، واكتملنا السهر ،  
وأصابنا فتنة لم نكن فيها بررة أقياء ، ولا بخرة أقوياء . فعفا عنه .

ومن النظم قول المتزار :

لا تسألني القوم عن مالي وكثيرتي \* قد يفسر المرء يوما وهو محمود  
أمضى على سنة من والدي سلفت \* وفي أرومته ما ينهت العود  
فهذا وإن لم يكن من كلام العامة فإنهم يعرفون الغرض منه ويقفون على أكثر  
معانيه لحسن ترتيبه وجودة نسجه ؛

قال في "الصناعتين" : أما إذا كان لفظ الكلام غثا ، ومعرضه رثا ، فإنه يكون  
مردودا ، ولو احتوى على أجل معنى وأنيله ، وأرفعه وأفضله ، كقول القائل :  
أرى رجلا بأذى الدين قد قنعوا \* ولا أراهم رصوا في العيش بالثون  
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما أس \* تنفى الملوك بدنياهم عن الدين  
قال : فهو لا يدخل في جملة المختار ، ومعناه كما ترى جميل ، فاضل جليل ، وأما  
الجزل الرديء الفج الذي ينبغي ترك استعماله فقد مر في الكلام على الغريب الحوشي .

### المقصد الثالث

في بيان مقادير الكلام ومقتضيات إطلائه وقصره  
إعلم أن الكلام المصنوع من الخطب والمكاتبات ، والولايات وغيرها على  
ثلاثة ضروب :

#### الضرب الأول

##### الإيجاز

وهو جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، وعليه وزد أكثر أي القرآن الكريم ،  
فن ذلك قوله تعالى في مفتتح سورة الفاتحة : ( الحمد لله رب العالمين ) . أنتظم ،

فيه خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات لم يشدّ عنه شيء في أوجز لفظ وأقربه وأسهله ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿الْأَلَهُ الْخَالِقُ وَالْمُؤْمَرُ﴾ استوعب جميع الأشياء على الاستقصاء في كلمتين لم يخرج عنهما شيء ؛ وقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ فدخل تحت الأمن جميع المحبوبات لأنه نفي به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك ؛ وقوله : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ جمع منافع الدنيا والآخرة ؛ وقوله في صفة نحر أهل الجنة : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتْرَفُونَ﴾ استظم بقوله : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتْرَفُونَ﴾ عدم ذهاب العقل وذهاب المال وقفاد الشراب ، فلم يكن فيها شيء من ذلك ؛ وقوله : ﴿خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ بجمع فيها مكارم الأخلاق بأسرها ، لأنّ في العفو صلة القاطعين ، وإعطاء المساكين ، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله تعالى ، وصلة الرحم ، وصون اللسان عن الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات ، والتبرئ من كل قبيح ؛ إذ لا يأمر بالمعروف من هو ملابس شيئا من المنكر ؛ الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة .

ومن كلام النبوة قوله صلى الله عليه وسلم : ” نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ “ وقوله عليه السلام : ” حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ “ الى غير ذلك من جوامع الكلم .

## الضرب الثاني

### الإطناب

وهو الإشباع في القول ، وتزديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد . وقد وقع منه الكثير في الكتاب العزيز ، مثل قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله جل وعز : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كرر اللفظ في الموضعين تأكيداً للأمر وإعلاماً أنه كذلك لا محالة . وقوله : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿فَكَرَّ﴾  
 ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ من حيث إن الكفر وإن تعددت أقسامه لا يخرج عن تعطيل أو شرك، ففى قوله ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ ففى التعطيل بإثبات الإله وفى قوله :  
 ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ففى الشرك . وقد كرر سبحانه فى سورة الرحمن قوله :  
 ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حيث عدَّد فيها نعمه ، وأذكر عباده آلاءه ، ونههم على قدرها ، وقدرته عليها ، ولطفه فيها ؛ وجعلها فاصلة بين كلِّ نعمة ونعمة ، تنبيها على موضع ما أسداه اليهم فيها ؛ وكذلك كرَّر فى سورة المرسلات : ﴿وَيَوْمَئِذٍ لِلكَافِرِينَ﴾  
 تأكيداً لأمر القيامة المذكورة فيها . وقد وقع التكرار للتأكيد فى كلام العرب كثيراً كما فى قول الشاعر :

\* أَنَاكَ أَتَاكَ الْآلِحُوقُونَ أَنَا كَأَنَّ<sup>(١)</sup> \*

وقول الآخر :

\* كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ \*

الى غير ذلك مما وقع فى كلامهم مما لا تأخذه الإحاطة .

### الضرب الثالث

#### المساواة

بأن تكون الألفاظ بإزاء المعاني فى القسمة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض .  
 وقد مثل له العسكري فى "الصناعتين" بقوله تعالى : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾  
 وقوله : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْعَىٰ فَيُجْهِتُونَ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تزال أمتي  
 بخير ما لم تر الأمانة مفقومة ، والزكاة مفقومة" وقوله "إياك والمشاورة" فإنها مُمِيتُ التَّوَرَةِ<sup>(٢)</sup>

(١) فى الضوء بدله (أحبس أحبس) وهو المشهور فى البيت .

(٢) أى العمل الصالح الحسن تشبيها له بكرة الفرس . والمرة العمل السيئ تشبيها له بالذرة . انظر اللسان .

ونُحْيِي الْمُرَّةَ . وقول بعض الكُتَّاب : سَأَلْتَ عَنْ خَبَرِي وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا قَدَدُكَ ، وَنِعْمَةٌ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بَكَ . وقول آخر : وَقَدْ عَلَّمْتَنِي نَبُوءَتَكَ سَلَوْتُكَ ، وَأَسْلَمَنِي يَأْمِي مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ عَنْكَ . وقول آخر : قَتَلَنِي اللَّهُ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَفِيكَ ، وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ بَكَ ، وَأَجْزَلَ مِنَ الْخَيْرِ حَظُّكَ وَالْحَظُّ مِنْكَ ، وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ بِكَ . وقول الشاعر :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُنْدَرَةٌ \* عَلَى وَلَيْكَنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا  
وَمَا هَجَرَتِكَ النَّفْسُ أَنْكَ عِنْدَهَا \* قَلِيلٌ وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكَ نَيْصِيهَا

إذا علمت ذلك فقد اختلف البلغاء في أئى الثلاثة أبلغ وأولى بالكلام ، فذهب قوم إلى ترجيح الإيجاز ، محصين له بأنه صورة البلاغة وأن ما تجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلية في حيز اللغو والمُتَدَرِّج ، وهما من أعظم أنواء الكلام ، وفيهما دلالة على بآلة صاحب الصنعة وغباوته ؛ وقد قال الأمين محمد بن الرشيد : عليكم بالإيجاز فإن له إفهاما ، ولإطلاقة آسئها ما . وقال جعفر بن يحيى لكتابه : إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى أَنْ تَجْعَلُوا كُتُبَكُمْ تَوْقِيْعَاتٍ فَافْعَلُوا . وقال بعضهم : البلاغة بالإيجاز أتمج من البيان بالإطناب ، وقيل لبعضهم : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : الْإِيجَاز . وقيل لأبْنِ حَازِمٍ لَمْ لَا تُطِيلِ الْقَصَائِدَ فَانْشُد :

أَبِي لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قَصِيدِي \* إِلَى الْمَعْنَى وَطِيلِي بِالصُّوَابِ  
وَلِإِحْزَازِي بِمُخْتَصَرٍ قَرِيبٍ \* حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ

وذهبت طائفة إلى أن الإطناب أرجح ، وأحتجوا لذلك بأن المتطيق إنما هو بيان والبيان لا يحصل إلا بإيضاح العبارة ، وإيضاح العبارة لا يتها إلا بمراذفة الألفاظ على المعنى حتى تُحِيطَ بِهِ إِحَاطَةً يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنَ اللَّبْسِ وَالْإِهْمَامِ ، وَإِنَّ الْكَلَامَ الْوِجْزَ لَا يُؤْمَنُ وَفَوْعُ الْإِشْكَالِ فِيهِ . ومن ثم لم يحصل على معانيه إلا خواص أهل

اللغة المارفين بدلالات الألفاظ، بخلاف الكلام المُشجَّع الشافي فإنه سالم من الالتباس لتساوى الخاص والعام في جهته؛ ويؤيد ذلك ما حكى أنه قيل لقيس بن خازمة: ما عندك في جمالات ذات حسن؟ قال: عندى قرى كل نازل، ورضا كل ساخط، وخُطبة من لَدُنْ تَطْلُعُ الشمسُ الى أن تغرب، أمرُها بالتواصل، وأنهى عن التقاطع. فقل لأبي يعقوب الجرمي: هلا آكتفى بقوله أمرُها بالتواصل عن قوله وأنهى عن التقاطع؟ فقال: أو ما علمت أن الكتابة والتعريض لا تعمل عمل الإطناب والتكشُّف؟ ألا ترى أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأحزاب أخرج الكلام مُخرَجَ الإشارة والوحي وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مهسوطا، وقبلما نجد قصة بنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة، ومكررة في مواضع مُعادة لبعده فهمهم، وتأخر معرفتهم؛ بخلاف الكلام المُشجَّع الشافي فإنه سالم من الالتباس لتساوى الخاص والعام في فهمه.

ودعت فرقة الى ترجيح مساواة اللفظ المعنى، واحتجوا لذلك بأن مترع الفضيلة من الوسط دون الأطراف، وأن الحُسن إنما يوجد في الشيء المعتدل.

قال في "مواد البيان": والذي يوجه النظر الصحيح أن الإيجاز والإطناب والمساواة صفات موجودة في الكلام ولكل منها موضع لا يخلقه فيه رديفه، اذا وضع فيه انتظم في سلك البلاغة ودل على فضل الواضع، واذا وضع غيره دل على نقص الواضع وجهله برُسوم الصنعة.

فاما الكلام الموجز فإنه يصلح لخاطبة الملوك، وذوى الأخطار العالية، والمهم المستقيمة، والشؤون السنية، ومن لا يجوز أن يُشغل زمانه بما همته مصروفة الى مطالعة غيره.

وأما الإطناب فإنه يصلح للمكتابات العائدة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في المحافل، والعهود السلطانية، وغاطية من لا يصلح المعنى إلى فهمه بأدنى إشارة. وعلى ذلك يحمل ما كتبه المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزارقة من الخوارج والظهور عليهم على ارتفاع خطر هذا الفتح وطول زمانه وبعده صيته، فإنه كتب فيه: "الحمد لله الذي كفى بالإسلام قصدا ما سواه، وجعل الحمد متصلا بثناءه، وقضى ألا ينقطع المزيد وحبله، حتى ينقطع الشكر من خلقه. ثم إنا كنا ومدونا على حالتين مختلفتين نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسرهم، ويرون منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم، فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم، ينصرون الله ويتخذهم، ويخصنا ويحفظهم، حتى بلغ الكتاب بنا ديمهم أجله (فقطيع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)".

فإن الذي حمله على الاختصار في هذا الكتاب إنما هو كونه إلى السلطان الذي من شأنه اختصار المكتابات التي تكتب إليه، بخلاف ما لو كتب به عن السلطان إلى غيره، فإنه يتعين فيه بسط القول وإطالته على ما سيأتي ذكره في أول المكتابات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى.

وأما مساواة اللفظ للمعنى فإنه يصلح لمخاطبة الأكفاء والنظر والطلبة الوسطى من الرؤساء. فبما أن هذه المرتبة متوسطة بين طرفي الإيجاز والإطناب، كذلك يجب أن تختص بها الطبقة الوسطى من الناس. قال أما لو استعمل كاتب تريد الألفاظ ومرتدقا على المعنى في المكتابة إلى ملك مصروف المهمة إلى أمور كثيرة متى انصرف منها إلى غيرها دخلها الخلط، لرتب كلامه في غير رتبته، ودل على جهله بالصناعة. وكذا لو بنى على الإيجاز كتابا يكتبه في فتح جليل الخطر، حسن الإعراف، يقرأ في المحافل والمساجد الجليلة على رؤوس الأئمة من العامة ومن يراد منه تفخيم شأن السلطان في نفسه، لأوقع كلامه في غير موقعه، وزله في غير منزله، لأنه لا أتبع ولا أتبع.

من أن يُستفَرَّ الناسُ لسماعِ كُتابٍ قد ورد من السلطان في بعض عظامِ أمورِ المملكة أو الدين، فإذا حضر الناسُ كان الذي يمز على أسماعهم من الألفاظ وارداً مؤيداً للإيجاز والاختصار لم يحسن موقعه ونخرج من وُضِعَ البلاغة لوضعه في غير موضعه .

قلت وما ذكرته من الأصول والقواعد التي تبنى عليها صنعة الكلام هو القدر اللازم الذي لا يسعُ الكاتبُ الجهلُ بشيء منه ، ولا يُسمَحُ بإخلاء كُتابٍ مصنفٍ في هذا الفنّ منه .

٢ أما المتنبّهات التي يكمل بها الكاتب، من المعرفة بعلوم البلاغة ووجوه تحسين الكلام من المعاني والبيان والبدیع فإن فيها كتباً مفردة تكاد تخرج عن الحصر والإحصاء ، فاقضى الحال من المتقدمين للتصنيف في هذا الفن أن قد قصروا تصانيفهم على علوم البلاغة وتوابعها كالوزير ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" وأبي هلال العسكري في "الصناعتين" والشيخ شهاب الدين عمود الحلبي في "حسن التوسل" كما تقدمت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب ، فليطلب ذلك من مظانّه من هذه الكتب وغيرها . إذ هذا الكتاب إنما يذكر فيه ما يشق طلبه من كتب متفرقة ، وتصانيف متعدّدة، أو يكون في المصنّف الواحد منه النبتة غير الكافية، ولا يجتمع منه المطلوب إلا من كشف الكثير من المصنّفات المتفرقة في الفنون المختلفة .



### الفصل الثالث

#### من الباب الأول من المقالة الأولى

في معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين على اختلاف

الأمم فيها، وتفاصيل أجزائها، والطرق الموصلة إليها، ومعرفة

أعياد الأمم، وفيه أربعة أطراف

#### الطرف الأول

في الأيام وفيه ست جمل

#### الجملة الأولى

في مدلول اليوم ومعناه، وبيان ابتداء الليل والنهار

وقد اختلف الناس في مدلول اليوم على مذهبين :

المذهب الأول (وهو مذهب أهل الهيئة) — أن اليوم عبارة عن زمانٍ جامع لليل والنهار، مدته ما بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة ثابتة الموضع بالحركة الأولى إلى عودها إلى ذلك النصف بعينه، وأظهر هذه الدوائر الأفق وفلك نصف النهار . والحدائق من المنجمين يؤثرون فلك نصف النهار على الأفق بسهولة تحصل بذلك في بعض أعمالهم، لأن اختلاف قوآثره في سائر الأوقات اختلاف واحد؛ وبعضهم يؤثر استعمال الأفق لأن الطلوع منه والغروب فيه أظهر للعيان، وهو الموافق لما نحن فيه .

ثم منهم من يقسم الليل فيفتح اليوم بغروب الشمس وينتهي بفرورها من اليوم القابل، وعلى ذلك عمل المسلمين وأهل الكتاب، وهو مذهب العرب، لأن شهورهم مبنية على مسير القمر، وأوائلها مقدرة برؤية الهلال .

ومنها من يقدّم النهار على الليل فيفتح اليوم بطلوع الشمس ويحتم بطلوعها من اليوم القابل ، وهو مذهب الروم والقُرّس .

ويحكى أن الاسكندر سأل بعض الحكماء عن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه فقال : هما في دائرة واحدة ، والدائرة لا يُعلم لها أول ولا آخر ، ولا أعلى ولا أسفل .

المذهب الثاني (وهو مذهب الفقهاء) - أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل حتى لو قال لزوجه : أنت طالق يومَ يقدّم فلان قديم ليلا لم يقع الطلاق على الصحيح . ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين : طبعي ، وشرعي .

أما الطبعي فالليل من لدن غروب الشمس واستمرارها بجذبة الأرض الى طلوعها وظهورها من الأفق ، والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيوبة نصفها في الأفق في المغرب ، وسائر الأمم يستعملونه كذلك .

وأما الشرعي - فالليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني ، وهو المراد بالحيط الأبيض من قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ والنهار من الفجر الثاني الى غروب الشمس ، وبذلك تتعلق الأحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرها .

واعلم أن الشمس في الليل تكون غائبة تحت الأرض ، فإذا قربت منا في حال غيبتها أحسنّا بضيائها المحيط بظل الأرض الذي هو الليل ، وهذا الضياء طليعة أمّها يطلع في السحر بياض مستطيل مستدقّ الأعلى ، وهو الفجر الكاذب إذ لا حكم له في الشريعة ، ويُشبهه بذنب الشرحان لانتصابه واستطالته ودقته ، ويبقى مدة ثم يزداد هذا الضوء الى أن يأخذ طولاً وعرضاً وينبسط في عرض الأفق ، وهو الفجر الثاني ويسمى الصادق ، وعليه ترتب جميع الأحكام الشرعية المتعلقة

بالفجر، وبعده يحترق الأفق لاقتراب الشمس وسطوع ضيائها على المدورات الغربية من الأرض ، ويتبعه الطلوع ؛ وعند غروبها ينعكس الحكم في الترتيب المتقدم فيبقى الأفق محترقا من جهة المغرب بعد الغروب، ثم تزول الحجرة ويبقى البياض الذي هو نظير الفجر الصادق، وبالحجرة حكم صلاة العشاء عند الشافعية، وبالبياض حكمها عند الحنفية ؛ ثم يزداد البياض ضعفا شيئا فشيئا الى أن يغيب ، ثم يتبعه البياض المستطيل المنتصب نظير الفجر الكاذب مدة من الليل ثم يذهب ؛ وهذا لا حكم له في الشرعيات . والهند لا يعدون الفجر ولا الشفق من الليل ولا من النهار ، ويعملونهما قسما مستقلا وهذا في غاية البعد لأن الله تعالى قسم الزمان الى ليل ونهار ولم يذكر معهما سواهما .

### الجملة الثانية

في اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والاستواء باختلاف الأماكن  
واعلم أن البلاد والنواحي على قسمين :

### القسم الأول

ما يستوى فيه الليل والنهار أبداً ، لا يختلفان بزيادة ولا نقصان  
وذلك في البلاد التي لا عرض لها وهي ما مر عليه خط الاستواء؛ والعلّة في التساوي هي أن أصحاب الهيئة لما توهموا أن بين قطبي تلك البروج دائرة عظيمة تقسم سطح السماء نصفين على السواء وتسمى دائرة معتدل النهار، وتوهموا أيضا في موازاتها دائرة أخرى تقسم سطح الأرض نصفين وتسمى دائرة الاستواء وخط الاستواء؛ وكل بلد يمر عليه هذا الخط لا عرض له، وذلك لأقسام الكرة فيه وطلوع الشمس أبدا على رؤوس ساكنيه، وميلها في ناحيتي الشمال والجنوب بقدر واحد،

ودوائر الأوقات تقطع جميع الدوائر الموازية لدائرة معدل النهار بنصفين نصفين ،  
فيكون قوس النهار وهو الزمان الذي من طلوع الشمس الى غروبها مساويا لقوس  
الليل وهو الزمان الذي من غروب الشمس الى طلوعها فيكون الليل والنهار متساويين  
أبدا في هذه المواضع في جميع السنة .

### القسم الثاني

ما يختلف فيه الليل والنهار في السنة بالاستواء والزيادة والنقصان ،  
وهي البلاد ثوات العروض

والعلة في الزيادة والنقصان أن المواضع التي تميل عن خط الاستواء الى الشمال  
تميل في كل موضع منها دائرة معدل النهار الى الجنوب وتخطئ الشمس ويرتفع  
القطب الشمالي من الأفق وبصير للبلد عرض بحسب ذلك الارتفاع ، وبقيس  
بعده عن الخط . واذا مالت الدائرة قطعت الأفاق كل دائرة من الدوائر الموازية  
لما بقطعتين مختلفتين ، فيكون ما فوق الأرض من قسميها أعظم من الذي تحتها ،  
لأن القطب لما ارتفع ارتفعت الدوائر الشمالية فظهر من كل واحدة أكثر من  
نصفها وانحط مدار الشمس عن سمت الرأس الى جهة الجنوب فبعد مشرق  
الصيف عن مشرق الشتاء فطال النهار وقصر الليل ، وكلما زاد ارتفاع القطب  
في الأقاليم زاد الاختلاف الذي هو بين هذه القطع الى أن تكون نهاية الأطوال  
حيث يكون ارتفاع القطب اثنتي عشرة درجة ونصفا وربما وهو أول المعمور ،  
اثنتي عشرة ساعة ونصفا وربما ؛ وحيث يكون ارتفاعه تسعا وعشرين درجة وهو  
آخر الإقليم الثاني ، ثلاث عشرة ساعة ونصفا وربما ، وحيث يكون ارتفاعه ثلاثا  
وثلاثين درجة ونصفا وهو آخر الإقليم الثالث أربع عشرة ساعة وربما ، وحيث

يكون ارتفاعه تسعا وثلاثين درجة وهو آخر الإقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا ، وحيث يكون ارتفاعه ثلاثا وأربعين درجة ونصفا وهو آخر الإقليم الخامس خمس عشرة ساعة وربعا ، وحيث يكون ارتفاعه سبعا وأربعين درجة وهو آخر الإقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصفا وربعا ، وحيث يكون ارتفاعه خمسين درجة وهو آخر الإقليم السابع ست عشرة ساعة وربعا .

ولا يزال اختلاف مطالع البروج يزداد بالإيمان في الشمال ويتسع شرقا المظليين ويتقاربان مع مغربيهما الى أن يلتقيا في المرزى المساوى لتمام الميل الأعظم ، وهو حيث يكون ارتفاع القطب ستا وستين درجة ، وفي هذا الموضع يكون قطب فلك البروج في دوره يمر على سمت الرؤوس ، ويكون أول السرطان فقط ظاهرا فوق الأرض أبدا ، ومدار أول الجدى فقط غائبا أبدا . فيكون مقدار النهار الأطول أربعا وعشرين ساعة لا ليل فيه . ويعرض في هذه المواضع عند موازاة قطب فلك البروج سمت الرؤوس أن دائرة فلك البروج تنطبق حينئذ على دائرة الأفق ، فيكون أول الحمل في المشرق ، وأول الميزان في المغرب ، وأول السرطان في الأفق الشمالى ، وأول الجدى في الأفق الجنوبى . فاذا صار قطب فلك البروج والافق نصفين وارفع النصف الشرقى من فلك البروج وانخفض النصف الغربى فيطلع حينئذ ستة بروج دفعة واحدة ، وهى من أول الجدى الى آخر الجوزاء ؛ وكذلك تقرب الستة الباقية دفعة واحدة . وحيث يكون ارتفاع القطب سبعا وستين درجة وربعا فهناك يكون مدار ما بين النصف من الجوزاء الى النصف من السرطان ظاهرا فوق الأرض أبدا ، وما بين النصف من القوس الى النصف من الجدى غائبا أبدا ، فيكون مقدار شهر من شهور الصيف نهارا كله لا ليل فيه ، وشهر من الشتاء ليلا كله لا نهار فيه والعشرة الأشهر الباقية من السنة كل يوم وليلة أربعا وعشرين ساعة . وحيث يكون

ارتفاع القطب تسعا وستين درجة ونصفا وربما فهناك يكون مدار بُرجي الجوزاء والسرطان ظاهرا فوق الأرض ، ومدار برجَي القوس والجدي غائبا تحت الأرض أبدا . ولذلك يكون مقدار شهرين من الصيف نهارا كله ، وشهرين من الشتاء ليلا كله . وحيث يكون ارتفاع القطب ثلاثا وسبعين درجة يكون ما بين النصف من النور الى النصف من الأسد ظاهرا أبدا والأجزاء النظرية لها غائبة أبدا ، فيكون مقدار ثلاثة أشهر من الصيف نهارا كله ، وثلاثة أشهر من الشتاء ليلا كله . وحيث يكون ارتفاع القطب مائتا وسبعين درجة ونصفا فهناك يكون مدار النور والجوزاء والسرطان ظاهرا أبدا والبروج النظرية لها غائبة أبدا ، فيكون أربعة أشهر من الصيف نهارا كله وأربعة أشهر من الشتاء ليلا كله . وحيث يكون ارتفاع القطب أربعا وثمانين درجة فهناك يكون مدار ما بين النصف من الحمل إلى النصف من السنبلة ظاهرا أبدا والبروج النظرية لها غائبة أبدا فيكون خمسة أشهر من الصيف نهارا كله وخمسة أشهر من الشتاء ليلا كله .

ومما يعرض في هذه المواضع التي تقدم ذكرها أنه إذا كان قطب فلك البروج في دائرة نصف النهار مما يلي الجنوب كان أول الحمل في المشرق وأول الميزان في المغرب ، وتكون البروج الشمالية ظاهرة أبدا فوق الأرض والجنوبية غائبة تحتها ، وهناك يطلع ماله طلوع من آخر الفلك فيما بين الجدي والسرطان منكوسا ، فيطلع النور قبل الحمل ، والحمل قبل الحوت ، والحوت قبل الدلو . وكذلك تغرب نظائرها منكوسة ، وحيث يكون ارتفاع القطب تسعين درجة فيصير على سمت الرأس فهناك تكون دائرة معتدل النهار متطبقة على الأفق أبدا ، ويكون دور الفلك رحويا موازيا للأفق ويكون نصف السماء الشمالي عن معتدل النهار ظاهرا أبدا فوق

(١) المراد بها البروج كما يدل عليه بقية العبارة .

الأرض والنصف الجنوبي غائبا تحتها، فلذلك اذا كانت الشمس في البروج الشمالية كانت طالعة تدور حول الأفق ويكون أكثر ارتفاعها عنه بمقدار ميلها عن معتدل النهار، واذا كانت في البروج الجنوبية كانت غائبة أبدا فتكون السنة هناك يوما واحدا ستة أشهر ليلا وستة أشهر نهارا، ولا يكون لها طلوع ولا غروب . فظهر من هذا أن حركة الفلك بالنسبة للأفاق إما دُولَابِيَّةٌ، وهى في خط الاستواء؛ وإما حَمَالِيَّةٌ، وهى في الآفاق المائلة عنه، وإما رَحَوِيَّةٌ ! وهى في المواضع التى ينطبق فيها قطب العالم على سمت الرأس فسيحان من آهن ما صنع !

### الجملة الثالثة

في معرفة زيادة الليل والنهار وقصانها بتقل الشمس في البروج اعلم أن للشمس حركتين : سريعة وبطيئة .  
أما السريعة فحركة فلك الكل بها في اليوم والليلة من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق، وتسمى الحركة اليومية .

وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج في سنة شمسية من الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب، وتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا تتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب ، وإن اختلفت مطالعتهما . قل تعالى ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أى جهة المشرق وجهة الغروب في الجملة، إلا أن الشمس لها غاية ترتفع اليها في الشمال وتلك الناية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغربها، ومطلعها حينئذ بالمغرب من مطلع السماك الراح، ولها غاية تحط اليها في الجنوب، وتلك الناية أيضا مشرق ومغرب : وهو مشرق الشتاء ومغربها، ومطلعها حينئذ بالمغرب من مطلع بطن العقرب، وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى :

(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) وبين هاتين الفاتيتين مائة وثمانون مَشْرِقًا ويقابلها مائة وثمانون مَغْرِبًا ، ففى كل يوم تَطْلُعُ فى مَطْلَعٍ من المشرق غير الذى تَطْلُعُ فيه بالأمس ، وتَغْرُبُ فى مغرب غير الذى تغرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى :  
(رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) ونقطة الوسط بين هاتين الفاتيتين وهى التى يعتدل فيها الليل والنهار يُسَمَّى مَطْلَعُ الشَّمْسِ فيها مَشْرِقُ الاستواء ، ومَغْرِبُ الاستواء ، ومطلعا حيثُذ بالقرب من مَطْلَعِ السماك الأعزل :

وقد قَسَمَ علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا ، قالوا : والمعنى فى ذلك أن الشمس فى المبدأ الأول لما سارت مَسِيرَها الذى جعله الله خاصًا بها قطعتْ دَوْرَ الفلك التاسع فى ثلثمائة وستين يومًا ، وسميت بجملة هذه الأيام سنة شمسية وسميت بحركتها هذه فى هذا الفلك دائرة عَظْمَى على ما توهمه أصحاب الهيئة ، وقسمت هذه الدائرة الى ثلثمائة وستين جزءًا وسموا كلَّ جزء درجةً ، ثم قسمت هذه الدَرَجَ الى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا على عدد شهور السنة ، وسموا كل قسم منها برجًا ، وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي : لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة ، ووجدوا فى كل من قسم هذه الأقسام نجومًا تُشَكِّلُ منها صورةٌ من الصُّوَرِ فسموا كلَّ قسم باسم الصورة التى وجدوها عليه ، وكان القسم الأول الذى ابتدئوا به نجومًا اذا جُمِعَ متفرقها تشكلت صورة حَمَلٍ ، فسموها بالحمل ، وكذلك البواقي .

قال صاحب "مناجج الفكر" : وذلك فى أول ما رَصَدُوا ، وقد انتقلت الصُّوَرُ عن أمكنتها على ما زعموا فصار مكانَ الحَمَلِ الثَّوْرُ ، وهى تنقل على رأى بطليموس فى ثلاثة آلاف سنة ، وعلى رأى المتأخرين فى أَلْفَيْ سنة .

إذا علمت ذلك فاعلم أن الدَّوْرَةَ الفلكية فى العُرُوضِ الشَّالِيَةِ تنقسم الى ثلثمائة وستين درجة ، كما تقدّمت الإشارة اليه ؛ والسنة ثلثمائة وستون يومًا منقسمة على



الاثنى عشر برجا المتقدم ذكرها ، لكل برج منها ثلاثون يوما ، وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم ، والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج ، فاقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها اذا حلت في رأس الحمل وهي أخذة في الارتفاع الى جهة الشمال ، وذلك في السابغ عشر من برمات من شهور القبط ، ويوافقه الحادى والعشرون من آذار من شهور السريان ، وهو مارس من شهور الروم ، والرابع والعشرون من حردادماه من شهور الفرس ، اعتدل الليل والنهار ، فكان كل واحد منهما مائة وثمانين درجة ، وهو أحد الاعتدالين في السنة ، ويسمى الاعتدال الربيعي لوقوعه أول زمن الربيع فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة ، وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيه لمئة ثلاثين يوما نحس عشرة درجة ، ونقص الليل كذلك ، ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة ، والليل على مائة وخمس وستين درجة .

ثم تنقل الى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة ، وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيه لمئة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك ، ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات ، والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل الى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم سدس درجة وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيها لمئة ثلاثين يوما خمس درجات ، ونقص الليل كذلك ، ويصير النهار آخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخمسين درجة وذلك غاية ارتفاعها في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شمالا صاعدا لصعودها في جهة الشمال . ثم تنقل الشمس الى السرطان وتكثر راجعة الى جهة الجنوب ، ويسمى ذلك المقلب الصيفي ، وذلك في العشرين من بؤنة من شهور القبط ، ويبقى من حزيران

من شهور السرمان ويونيه من شهور الروم خمسة أيام، وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان، فينقص النهار فيه في كل يوم سُدْسَ درجة، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيه لمئة ثلاثين يوما خمسَ درجات، وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات، والليل على مائة وخمس وخمسين درجة .

ثم تنقل الى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلثَ درجة، فيكون نقص النهار فيه لمئة ثلاثين يوما عشرَ درجات، وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة .

ثم تنقل الى السُّبُلة فينقص النهار فيها كلَّ يوم نصفَ درجة ، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيها لمئة ثلاثين يوما خمسَ عشرةَ درجة، وزيادة الليل كذلك ، ويصير النهار بآخرها على مائة وثمانين درجة والليل كذلك ، فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفى : لوقوعه في أوَّل الخريف . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شمالا هابطا مُبُوطها في الجهة الشمالية .

ثم تنقل الى الميزان في الثامن عشر من شهور القبط، وهي آخذة في المُبُوط، والنهار في النقص والليل في الزيادة، فينقص النهار فيه كلَّ يوم نصفَ درجة، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيه لمئة ثلاثين يوما خمسَ عشرةَ درجة، وزيادة الليل كذلك ، ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة .

ثم تنقل الى المقرب، فينقص النهار في كل يوم ثلثَ درجة، ويزيد الليل كذلك ، فيكون نقصُ النهار فيه لمئة ثلاثين يوما عشرَ درجات، وزيادة الليل

كذلك ؛ وبصير النهار بآخره على مائة ونمسين درجة ، والليل على مائتين ونمسين درجات .

ثم تنقل الى القوس ، فينقص النهار فيه كل يوم سُدُس درجة ، ويزيد الليل كذلك ؛ فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ؛ وزيادة الليل كذلك ، وبصير النهار بآخره على مائة ونمسين درجة ، والليل على مائتين وعشر درجات ، وهو أقصر يوم في السنة وأطول ليلة في السنة ؛ وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج جنوبياً هابطاً ، مُبْطِئاً في الجهة الجنوبية .

ثم تنقل الى الجدى في السابِعَ عشرَ من كيهك وتكرُّ راجعة ، فتأخذ في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في التقصُّص ، فيزيد النهار فيه كل يوم سُدُس درجة ؛ وينقص الليل كذلك ؛ فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك ، وبصير النهار بآخره على مائة ونمسين درجة ، والليل على مائتين ونمسين درجات .

ثم تنقل الى الدلو ، فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة ؛ وينقص الليل كذلك ؛ فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك ، وبصير النهار بآخره على مائة ونمسين درجة والليل على مائة ونمسين درجة .

ثم تنقل الى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . وبصير النهار بآخره على مائة وثمانين درجة والليل كذلك ، فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوبياً

صاعدا لصعودها في الجهة الجنوبية؛ وهذا شأنها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها؛ فاذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والتقصان بخلاف ذلك والله أعلم .

تنبيه — اذا أردت أن تعرف الشمس في أى برج من البروج وكم قطعت منه في أى وقت شئت فأقرب الطرق في ذلك أن تعرف الشهر الذى أنت فيه من شهور القبط وتعرف أمسه <sup>(١)</sup> .

### الجملة الرابعة

في بيان ما يعرف به ابتداء الليل والنهار

وقد تقدم أن النهار الطبيعي أوله طلوع الشمس وآخره غروبها، والنهار الشرعي أوله طلوع الفجر الثاني وآخره غروب الشمس؛ فيخالفه في الابتداء ويوافقه في الانتهاء، وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعامة أما الفجر فإن أمره خفي لا يعرفه كل أحد؛ وقد تقدم أنقسامه الى كاذب : وهو الأول، وصادق وهو الثاني، وعليه التعويل في الشرعيات، فيحتاج الى توضيح موضعه ويظهره للبيان، وقد جعل المتبحرون وعلماء الميقات له نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط، وهي منازل القمر، وعدتها ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطان، والبطين، والثرى، والدبران، والمقعدة، والمنعقة، والنراع، والثرة، والطرف، والجهة، والخرتان، والصرفة، والعواء، والسمك، والغفر، والزبان، والإكليل، والقلب، والشولة، والنائم، والبلدة، وسعد الناجح، وسعد بلع، وسعد السعد، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت ،

والمعنى في ذلك أن الشمس إذا قُرِبت من كوكب من الكواكب الثابتة أو المتحركة سترته وأخفته عن العيون، فصار يظهر<sup>(١)</sup> نهارا ويختفي ليلا ويكون خفاؤه غيبة له، ولا يزال كذلك خافيا إلى أن تبعد عنه الشمس بعدا يمكن أن يظهر معه للابصار وهو عند أول طلوع، الفجر فإن ضوء الشمس يكون ضعيفا حيثئذ فلا يلبث نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق الشرق ظاهرا، وحصة كل مترلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتي على المنازل الثمانية والعشرين خص كل مترلة ما ذكر من العدد والكسور، ولما كان الأمر كذلك جعل لكل مترلة ثلاثة عشر يوما، وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجمع ما فضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد آتقضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين، فكان يوما وربعها فجعل يوما في المترلة التي توافق آخر السنة وهي الجبهة فكان حصتها أربعة عشر يوما، وبقي ربع يوم وثلث أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجبهة أيضا، فكانت كواكب المنازل المذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما. فاما الشرطان وهما المترلة الأولى، فأول طلوعهما بالفجر في الثالث والعشرين من برمودة من شهور القبط، وهو الثامن عشر من نيسان من شهور الشريان.

وأما البطين وهو المترلة الثانية فأول طلوعه بالفجر في السادس من بشنس من شهور القبط، وهو أول يوم من أيار من شهور الشريان.

وأما الثريا وهي المترلة الثالثة فأول طلوعها بالفجر في التاسع عشر من بشنس من شهور القبط، وهو الرابع عشر من أيار من شهور الشريان.

(١) له يختفي نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(٢) كذا في الأصل ولله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

وأما الدبران وهو المتزلة الرابعة فطلوعها بالفجر في الثاني من بؤنه من شهور القبط، وهو السادس والعشرون من أيار من شهور السريان .

وأما المقعة وهي المتزلة الخامسة ، فأقل طلوعها بالفجر في الخامس عشر من بؤنه من شهور القبط، وهو التاسع من حزيران من شهور السريان .

وأما الحنعة وهي المتزلة السادسة ، فأقل طلوعها بالفجر في الثامن والعشرين من بؤنه من شهور القبط ، وهو الثاني والعشرون من حزيران من شهور السريان .

وأما الذراع وهو المتزلة السابعة ، فأقل طلوعه بالفجر في الحادى عشر من أيب من شهور القبط، وهو الخامس من تموز من شهور السريان .

وأما النثرة وهي المتزلة الثامنة، فأقل طلوعها بالفجر في الرابع والعشرين من أيب من شهور القبط، وهو الثامن عشر من تموز من شهور السريان .

وأما الطرف وهو المتزلة التاسعة، فأقل طلوعه بالفجر في السابع من مسرى من شهور القبط : وهو اليوم الآخر من تموز من شهور السريان .

وأما الجبهة وهي المتزلة العاشرة، فأقل طلوعها بالفجر في العشرين من مسرى من شهور القبط، وهو الثالث عشر من آب من شهور السريان .

وأما الخرتان وهو المتزلة الحادية عشرة، فأقل طلوعه بالفجر في الرابع من أيام النسيء القبطى، وفي السنة الكبيسة في الخامس منه، وهو السابع والعشرون من آب من شهور السريان .

وأما الصرفة وهي المتزلة الثانية عشرة، فأقل طلوعها بالفجر في الثاني عشر من توت من شهور القبط، وهو التاسع من أيلول من شهور السريان .

وأما العوّاء وهى المتزلة الثالثة عشرة، فأول طلوعها بالفجر فى الخامس والعشرين من توت من شهور القبط، وفى الثانى والعشرين من أيلول من شهور السريان .

وأما السماك وهى المتزلة الرابعة عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الثامن من بابه من شهور القبط، وهو الخامس من تشرين الأول من شهور السريان .

وأما الغفر وهى المتزلة الخامسة عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الحادى والعشرين من بابه من شهور القبط، وهو الثامن عشر من تشرين الأول من شهور السريان .

وأما الزبائن وهى المتزلة السادسة عشرة فأول طلوعهما بالفجر فى الرابع من هاتور من شهور القبط، وهو آخر يوم من تشرين الأول من شهور السريان .

وأما الإكليل وهو المتزلة السابعة عشرة، فأول طلوعه بالفجر فى السابع عشر من هاتور من شهور القبط، وهو الثالث عشر من تشرين الثانى من شهور السريان .

وأما القلب وهو المتزلة الثامنة عشرة فأول طلوعه بالفجر فى آخر يوم من هاتور من شهور القبط وهو السادس والعشرون من تشرين الثانى من شهور السريان .

وأما الشولة وهى المتزلة التاسعة عشرة؛ فأول طلوعها بالفجر فى الثالث عشر من كيهك من شهور القبط، وهو التاسع من كانون الأول من شهور السريان .

وأما النعائم وهى المتزلة العشرون، فأول طلوعها بالفجر فى السادس والعشرين من كيهك من شهور القبط، وهو الثانى والعشرون من كانون الأول من شهور السريان .

وأما البلة وهى المتزلة الحادية والعشرون، فأول طلوعها بالفجر فى التاسع من طوبه من شهور القبط، وهو الرابع من كانون الثانى من شهور السريان .

وأما سعدُ القابجُ وهو المتزلة الثانية والعشرون ، فأول طلوعها بالفجر في الثاني والعشرين من طوبه من شهور القبط ، وهو السابع عشر من كانون الثاني من شهور السريان .

وأما سعدُ بلعُ وهو المتزلة الثالثة والعشرون ، فأول طلوعها بالفجر في الخامس من أمشير من شهور القبط ، وهو الثلاثون من كانون الآخر من شهور السريان .

وأما سعدُ السعود وهو المتزلة الرابعة والعشرون ، فأول طلوعها بالفجر في الثامن عشر من أمشير من شهور القبط ، وهو الثاني عشر من شباط من شهور السريان .

وأما سعدُ الأخيية وهو المتزلة الخامسة والعشرون ، فأول طلوعها بالفجر أول يوم من برمهات من شهور القبط ، وهو الخامس والعشرون من شباط من شهور السريان .

وأما القرغُ المُقدّم وهو المتزلة السادسة والعشرون فأول طلوعها بالفجر في الرابع عشر من برمهات من شهور القبط ، وهو السابع من آذار من شهور السريان .  
وأما القرغُ المؤخر وهو المتزلة السابعة والعشرون ، فأول طلوعها بالفجر في السابع والعشرين من برمهات من شهور القبط ، وهو الثاني والعشرون من آذار من شهور السريان .

وأما بطنُ الحوت وهو المتزلة الثامنة والعشرون ، فأول طلوعها بالفجر في العاشر من برمودة من شهور القبط ، وهو الخامس من نيسان من شهور السريان .

وقد نظم الشيخ كمال الدين حفيدُ الشيخ أبي عبد الله محمد القرطبي أبياتا ، يعلم منها مَطالِع هذه المنازل بالصبر بحروف رمزها للشهور والأعداد والكواكب ، وربما غَلِط بعض الناس فنسبها الى الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله ، وهي هذه :

تبيض تهك بحس بكأغ هدز \* هيزاه هلق كيجش ككون برز



ططب طكبذ أهب أيمس باخ \* يسلم بكرم يت بكجش رمز<sup>(١)</sup>  
 وئس فيها من الحشوات قط سوى \* أوأخر النظم فافهم شرحها لتز  
 وبيان ذلك أن الحرف الأول من كل كلمة أسم للشهر الذى تطلع فيه تلك المتزلة  
 والحرف الآخر منها أسم المتزلة، وما بين الآخر والأول عدد ما مضى من الشهر بحساب  
 الجمل، مثال ذلك التاء من تيص كناية عن توت، والصاد منها كناية عن الصرفة،  
 والياء والباء اللذان بينهما عددهما بالجمل اثنا عشر، إذ الياء بعشرة والباء باثني فكلأه  
 قال في الثانى عشر من توت تطلع منزلة الصرفة بالفجر، وكذلك البواق، إلا أنه  
 لا عبرة بأواخر البيتين وهى برز في البيت الأول ورمز في البيت الثانى .

ونظم الإمام محب الدين جار الله الطبرى أبياتاً كذلك على شهور السرمان  
 وهى هذه :

تهس تحبغ تلز نجمى \* توكق كلش كبكز نزول  
 كذب كويذ كلب شيس \* شهكح أزم أيمك أول  
 نهب نحيش آب \* أوكد حطت حبه ضبول

والحال فى هذه الكلمات من أوائل الأبيات وأواخرها وأواسطها كالحال فى الأبيات  
 المتقدمة، فالتاء من تهس إشارة لتشرين الأول، والسين إشارة للساك، والهاء بينهما  
 بخسة فى الخامس من تشرين الأول يطلع الساك؛ وعلى هذا الترتيب فى البواق .  
 وأعلم أن هذه المنازل لا تزال أربع عشرة منزلة منها ظاهرة فوق الأرض ونصف  
 الفلك، وأربع عشر منزلة منها خافية تحت الأرض فى نصف الفلك، وهى مراقبة  
 بعضها لبعض لأستواء مقادير أبعادها، فإذا طلعت واحدة فى الأفق الشرقى غربت  
 واحدة فى الأفق الغربى، وكانت أخرى متوسطة فى وسط الفلك فهى كذلك أبداً .

(١) بده يت ناقص غير موجود بالأصل وبه تكمل الشهر والمنازل .

والقاعدة في معرفة ذلك أنك تجدى بأية منزلة شئت، وتعد منها ثمانية من الطالع  
فالثامنة هي المتوسطة والخامسة عشرة هي الفاربة؛ فإذا كان الطالع الشرطين فالمتوسط  
الثقة والغارب الففر؛ وكذلك في جميع المنازل؛ وفي مراقبة الطالع منها للغارب يقول  
بعض الشعراء مقيدا لها على الترتيب بادئا بطلوع النطح وهو الشرطان وغروب  
الففر حيثئذ :

كَمَ أَمَالُوا مِنْ نَاطِحٍ بِاغْتِفَارٍ \* وَأَحَالُوا عَلَى الْبُطَيْنِ الزَّيَّانِ  
وَالثُّرَيَّا تَكَلَّتْ فَرَأَيْنَا أَل \* قَلْبَ مِنْهَا يُسَعِّرُ الدَّرَّانَا  
هَقَعُوا شَوْلَةَ وَهَنَعُوا نَعَامًا \* بَدَا مَا ذَرَعُوا الْبِلَادَ زَمَانَا  
نَقَرُوا ذَبْحَهُمْ بِطَرْفِ بُلَيْعٍ \* جَبْهَةَ السَّعْدِ فِي خَرَاتِ خَبَانَا  
فَانصَرَفْنَا فِي الْمَقْدَمِ عَوَا \* آتَرَا وَالْمَمَّاكَ مَدَّ رِشَانَا  
وقال آخر :

النَّطْحُ يَفْغِرُ الْبُطَيْنَ مُزَايِنَ \* ثُمَّ الثُّرَيَّا تَبْنِي إِكْلِيلَا  
وَالْقَلْبَ لِلدَّرَّانِ خِلْ عَاذِرَ \* مِنْ أَجْلِ هَقْعَةِ شَوْلَةَ مَا قِيلَا  
تَهْوَى الْحُنَيْعَةَ لِلنَّعَامِ مِثْلَ مَا \* يَنْوِي الدَّرَاعَ لِبَلَدَةِ تَرْجِيلَا  
وَالثَّرِيدِجَ عِنْدَ طَرْفِ بُلُوْعِهِ \* وَجَبْهَةَ سَعْدٍ غَدَا مَقُولَا  
وَلِزْرَةِ وَسْطِ الْخَبَاءِ إِقَامَةً \* فَاصْرِفْ مَقْدَمَ ذِكْرَهَا تَعْجِيلَا  
يَهْوِي الْمُؤَنَّرَ إِنْ سَمَّاكَ مَرَّةً \* مَدَّ الرِّشَاءَ لِجَيْدِهِ تَنْكِيلَا

وقد نظم صاحبنا الشيخ إبراهيم الدهشوري الشهير بالسهر وردي أرجوزة، ذكر  
فيها الطالع، ثم الفارب في بيت وبعده المتوسط، ثم الود وهو الذي يقابله تحت  
الأرض في بيت ثان - قال :

إن طلع الشرطان

بطينها نور الزمان خلع \* فتأيس الطرف رى سعد بلع  
ثريا مع الإكليل بالوقود \* تتور الجبهة في السعود  
والدبران القلب منه يخفق \* فالتبرأت الحياء بطرق  
وهقعة شولها منزيه \* وصرفة بفرغها مقدمه  
وهنعة منها النعائم تفرث \* بسوة بالفرغ قد تأخرت  
رى الذراع بلدة أصابها \* سماك بطي الحوت ما أصابها  
فهذه جملة مكملة \* للشمس في ثلاث عشر منزله

### الجملة الخامسة

في ساعات الليل والنهار

قال أصحاب الهيئة : لما كان الفلك متحركا حركات متعددة يتلو بعضها بعضا  
جعل مقدار كل حركة منها يوما ، ولما كانت الشمس في حركة من هذه الحركات تارة  
تكون ظاهرة لأهل الرّيح المعمور ، وتارة مستترة عنهم بحدبة الأرض ، اتقسم لذلك  
مقدار تلك الحركة الى الليل والنهار ، فالتأخر عبارة عن الوقت الذي تظهر فيه الشمس  
على ساكن ذلك الموضع من المعمور ، والليل عبارة عن الوقت الذي يخفى عنهم فيه ،  
فإنه يوجد وقت الصبح في موضع وقت طلوع الشمس في موضع آخر ، وفي موضع  
آخر وقت الظهر ، وفي موضع آخر وقت المغرب ، وفي موضع آخر وقت نصف الليل .  
ولما كانت منطقة البروج مقسومة الى اثني عشر برجا ، وكل برج الى ثلاثين  
درجة ، وكانت الشمس تقطع هذه المنطقة بحركة فلك الكل لها في زمان اليوم

الجامع لليل والنهار، قُسم كل واحد منهما الى اثني عشر جزءاً، وجعل قسماً كل جزء منها خمس عشرة درجةً وسُمي ساعة . ثم لما كان الليل والنهار يزيد أحدهما على الآخر ويتساويان في الاعتدالين على ما مرّ ، اضطُرَّ الى أن تكون الساعات نوعين مستوية وتسمى المعتدلة، وزمانيّة وتسمى المعوجة . فالمستوية تختلف أعدادها في الليل والنهار، وتتفق مقاديرها بحسب طول النهار وقصره . فإنه إن طال كانت ساعاته أكثر، وإن قصُر كانت ساعاته أقل، مقدار كل ساعة منه خمس عشرة درجة لا تزيد ولا تنقص ، والمعوجة تتفق أعدادها وتختلف مقاديرها ، فإن زمان النهار طال أو قصر ينقسم أبداً الى اثني عشرة ساعة مقدار كل واحدة منها نصفُ سدُس الليل والنهار، وهي في النهار الطويل أطول منها في القصير . والذي كانت العرب تعرفه من ذلك الزمانيّة دون المستوية ، فكانوا يقيسون كلا من الليل والنهار الى اثني عشرة ساعةً، ووضعوا لكل ساعة من ساعات الليل والنهار أسماءً تخصّها .

فأما ساعاتُ الليل فسمّوا الأولى منها الشاهد، والثانية الفسق، والثالثة العتمة، والرابعة القحمة، والخامسة الموهن، والسادسة القطع، والسابعة الجوشن، والثامنة المتهكة، والتاسعة التبشير،<sup>(١)</sup> والحادية عشرة الفجر الأول، والثانية عشرة الفجر المعترض .

وأما النهار فسمّوا الساعة الأولى منه الذرور، والثانية البروغ، والثالثة الضحى، والرابعة الغزالة، والخامسة المهاجرة، والسادسة الزوال، والسابعة الدلوك، والثامنة العصر، والتاسعة الأصيل، والعاشره الصبوب، والحادية عشرة الحدود،<sup>(٢)</sup> والثانية عشرة الغروب .

(١) العاشره غير موجودة في الأصل . وعدّ في نهاية الأرب بد التبشير الفجر الأول ثم الفجر الثاني ثم

المعترض وبه تعل ما هنا (٢) ليل صواب الحدود .

وتروى عنهم على وجه آخر، فيقال فيها : البُكور، ثم الشروق، ثم الإِشراق ،  
ثم الرُّاد، ثم الضُّحى، ثم المُتَوَع، ثم الهاجرة، ثم الأصيل، ثم العصر، ثم الطَّفَل  
(بمعرك الفاء)، ثم العِشي، ثم الغروب، ذكرهما ابن النحاس في "صناعة الكتاب".  
قال في "مناهل الفكر": ويقال إن أول من قعم النهار الى اثنتى عشرة ساعة آدم عليه  
السلام، وضمن ذلك وصية لابنه شيث عليه السلام، وعرفه ما وُظف عليه كل ساعة  
من عمل وعبادة والله أعلم .

### الجملة السادسة

في أيام الأسبوع، وفيها أربعة مدارك

### المُدْرَكُ الْأَوَّلُ

في ابتداء خلقها وأصل وجودها

وقد نطق القرآن الكريم بذكر ستة أيام منها على الإجمال والتفصيل .

أما الإجمال فقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ .

وأما التفصيل فعوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ  
وَيَتَجَمَّلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ  
فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنَهُمْ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا  
وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نَفْسًا مَسْبُوحَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾

والمراد بالأربعة الأولى بما فيها من اليومين المتقدمين ، ومثله في كلام العرب كثير،  
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "إذا نام أحدكم جاء الشيطان فمقدت تحت رأسه ثلاث  
عقد، فإذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدتان، فإذا  
صلى انحلت الثالثة" فالمراد بقوله عقدتان عقدة والعقدة الأولى . وقد ظهر بذلك أن

المراد من الآية ستة أيام فقط، وهو ما ورد به صريحُ الآيات في غير هذه الآية أن خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وقد ورد ذلك ميّناً فيما رواه ابن جرير من رواية ابن عباس رضى الله عنهما: أَنَّ الْيَهُودَ آمَنَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَسْأَلُهُ عَنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِعٍ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الْمَدَائِنَ وَالشَّجَرَ وَالْعُثْرَانَ وَالْقُرَابَ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْجُودَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْمَلَائِكَةَ إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِيََتْ مِنْهُ، وَفِي الثَّانِيَةِ أُلْقِيَ الْآفَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّلَاثَةِ خُلِقَ آدَمُ وَأُسْكِنَهُ الْجَنَّةَ وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ» قَالَتِ الْيَهُودُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» قَالُوا: أَصَبْتَ لَوْ أَتَمَمْتَ، قَالُوا: ثُمَّ اسْتَرَاحَ فَفَضَّبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضَبًا شَدِيدًا فَقَتَلَ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ قَالَ الشَّيْخُ عَمَادُ الدِّينِ بْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: وَفِيهِ غُرَابَةٌ، وَلَا ذِكْرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِيَوْمِ السَّبْتِ فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ وَلَا فِي آخِرِهِ، نَعَمْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْقُرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فَيَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ» قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهُوَ مِنْ غُرَائِبِ الصَّحِيحِ، وَعَلَّاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ فَقَالَ: رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ كَتِيبِ الْأَحْبَارِ وَهُوَ أَصَحُّ، فَقَدْ وَرَدَ التَّصْرِيحُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِذِكْرِ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ وَوُقُوعِ الْخَلْقِ فِيهَا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: زَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ هَذَا

الحديث أولى من الحديث الذى قبله ، واستدل بأن الفراغ كان يوم الجمعة ، وخالفه غيره من العلماء الخدّاق الثّقّار . وقالوا : دليله دليل على خطئه ، لأن الخلق في ستة أيام يوم الجمعة منها كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الجماعة ، فلو لم يدخل في الأيام لكان الخلق في سبعة وهو خلاف ما جاء به التنزيل ؛ على أن أكثر أهل العلم على حديث ابن عباس ، فتبين أن الابتداء يوم الأحد إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام كما في التنزيل . قال أبو جعفر : على أن الحديثين ليسا بتناقضين ، لأننا إن عملنا على الابتداء بالأحد فالخلق في ستة أيام وليس في التنزيل أنه لا يخلق بعدها شيئا ، وإن عملنا على الابتداء بالسبت فليس في التنزيل أنه لم يخلق قبلها شيئا .

إذا علمت ذلك فقد حكى أبو جعفر النحاس أن مقدار كل يوم من أيام خلق السموات والأرض ألف سنة من أيام الدنيا ؛ وأنه كان بين آبدائه عز وجل في خلق ذلك وخلق القلم الذى أمره بكتابة كل ما هو كائن الى قيام الساعة يوم وهو ألف عام ، فصار من آبداء الخلق الى آتائه سبعة آلاف عام ، وطيه يدل قول ابن عباس : إن مدة إقامة الخلق الى قيام الساعة سبعة أيام كما كان الخلق في سبعة أيام .

قال أبو جعفر : وهذا باب مداره على الثقل دون الآراء .

### المذكّر الثاني

في أسمائها ، وقد اختلف في ذلك على ثلاث روايات

الرواية الأولى — ما نطقت به العرب المستعربة من ولد إسماعيل عليه السلام وجرى عليه الاستعمال إلى الآن : وهو الأحد والاثنان والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت .

والأصل في ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: "إن الله عز وجل خلق يوماً واحداً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس" ولا ذكر في هذه الرواية للجمعة والسبت. وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وقال جل وعز: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَءً﴾. وسيأتيان في غير هذه الرواية عند ذكر الاختلاف فيما ابتدئ فيه الخلق منها.

فالأحد بمعنى واحد ويقال بمعنى أول ورجحه النحاس، وهو المطابق لتسمية الثاني الاثنين. والثالث بالثلاثاء. وقيل أصله وحد بفتح الواو والحاء كما أن أناة أصلها وناة، ويجمع في القلة على آحاد وأحدات، وفي الكثرة على أحواد وأوحدات ويحكي في جمعه أحد أيضاً قال النحاس: كأنه جمع الجمع.

والاثنان بمعنى الثاني. قال النحاس: وسيله ألا يتنى، وأن يقال فيه: مضت أيام الاثنين إلا أن تقول ذوات، قال: وقد حكى البصريون الأثن والجمع التني. وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب: إن شئت أن مجمعه فكانه مبنى للواحد قلت أثنين. وحكى النحاس مثله عن كتاب الفراء في الأيام وقال: إنما يجوز على حيلة بعيدة، وهي أن يقال: اليوم الاثنان فضم النون فتصير مائل عمران فتثنيه ومجمعه على هذا. وحكى عن الفراء أيضاً في جمع الكثرة أثنان فتقول مضت أثنان مثل أسماء وآسام، قال: وقرأت على أبي إسحاق في كتاب سيبويه فيها حكاة اليوم التني فتقول على هذا في الجمع الأثناء.



والتَّلَاءُ بمعنى الثالث، ويجمع على تَلَاوَات، وحكى الفراء أَنَاثَ . قال النحاس :  
ويحوز أَنَاثِثٌ، وكذا ثَلَاثٌ مثل جمع ثلاثة لأنَّ أَلْثَى التَّائِثُ كَالْهَاءِ . وتقول فيه :  
مَضَتْ التَّلَاوَاتُ عَلَى تَائِثِ الْفِظِ وَمَعْنَى عَلَى تَذْكِيرِ الْيَوْمِ ، وكذا فى الجمع تهوّل  
مَضَتْ ثَلَاثُ تَلَاوَاتٍ ، وثلاثة تَلَاوَاتٍ .

والْأَرْبَعَاءُ بمعنى الرابع ، ويجمع على أَرْبَعَاوَاتٍ وكذا أَرْبِيعٌ وَالْيَاءُ فِيهِ عَوْضٌ  
مُحْدَفٌ ، فَإِنْ لَمْ تَعْوِضْ قُلْتَ أَرْبَاعٌ . وَأَجَازَ الْفَرَاءُ أَرْبَعَاءَاتٍ مِثْلَ ثَلَاثَاءَاتٍ وَمَنْعَهُ  
الْبَصْرِيُّونَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ أَلْفِ التَّائِثِ وَغَيْرِهَا .

وَالْخَمِيسُ بِمَعْنَى الْخَامِسَ ، وَيَجْمَعُ فِي الْقِلَّةِ عَلَى أَلْخَمِيسَةِ . وَفِي الْكَثْرَةِ عَلَى خُمُسٍ  
وُخْمَانٍ كَرُغْفٍ وَرُغْفَانٍ ، وَيُقَالُ أَلْخَمَاءُ كَأَنْصَبَاءٍ ، وَحَكَى عَنِ الْفَرَاءِ فِي الْكَثْرَةِ أَلْخَمِيسُ .

وَالْجُمُعَةُ (بضم الميم وإسكانها) ومعناها الجمع . واختلف فى سبب تسميته بذلك  
فقال النحاس : لاجتماع الخلق فيه، وهنا ظاهر فى أن الاسم كان بها قديماً، وقيل  
لاجتماع الناس للصلاة فيه . ثم اختلف فقيل سميت بذلك فى الجاهلية وأُحْتِجَّ لَهُ  
بِمَا حَكَاهُ أَبُو هَلَالٍ الْمَسْكُورِيُّ فى كِتَابِهِ الْأَوَائِلَ : أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَمَّى الْجُمُعَةَ جُمُعَةً كَعَبُ  
أَبْنِ لُؤَى جَدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَمَعَ قُرَيْشًا وَخَطَبَهُمْ فَسَمِيَتْ جُمُعَةً  
وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا الْعَرُوبَةَ . وَقِيلَ إِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ فى الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ  
أَنَّ الْأَنْصَارَ قَالُوا : إِنْ لِلْيَهُودِ يَوْمًا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ بَعْدَ كُلِّ سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَلِلنَّصَارَى  
كَذَلِكَ فَهَلُمُّوا نَجْمَلْ لَنَا يَوْمًا نَجْتَمِعُ فِيهِ نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنُصَلِّيَ ، فَقَالُوا يَوْمَ السَّبْتِ  
لِلْيَهُودِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ لِلنَّصَارَى فَاجْعَلُوا يَوْمَ الْعَرُوبَةِ لَنَا ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ  
الْأَنْصَارِيِّ فَصَلَّى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ رَكْعَتَيْنِ وَذَكَرَهُمْ فَسَمَوْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْجُمُعَةِ . عَلَى أَنَّ السَّبْحَ قَدْ قَالَ فى الرُّوضِ الْأَنْفَ : إِنْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ  
كَانَ يُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ قَبْلَ أَنْ يُصَلَّى الْأَنْصَارُ الْجُمُعَةَ .

أما أوّل جمعة جُمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا حكاها صاحبُ الأوائل فإنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل على بنى عمرو بن عوف وأقام عندهم أياما ثم خرج يوم الجمعة عائدا الى المدينة فأدركته الصلاة في بنى سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم فخطب وصلى بهم الجمعة . وتجمع على جَمَعَ وجمعات بالفتح والتسكين .<sup>(١)</sup>

والسبت ومعناه القطع بمعنى أنه قُطِع فيه الخلق على رأى من يرى أن السبت آخر أيام الجمعة، وأنه لا خلق فيه على ما سيأتى ذكره . وقولُ النحاس إنه مشتق من الراحة أيضا لا عبرة به لمُضاهاة قول اليهود فيه على ما سيأتى إن شاء الله تعالى .  
ويجمع في التَّيْلَةِ على أسبُت وسبَّات بالتحريك ، وفي الكثرة على سُبُوت بضم السين مثل قَرَحَ وقُرُوح .

الرواية الثانية — ما يروى عن العرب العاربة من بنى حَطَّان وجرهم الأولى : وهو أنهم كانوا يُسمُّون الأحد أوّل لأنه أوّل أعداد الأيام ويسمُّون الاثنين أهون أخذًا من أهون وأهويئى ، وأوهد أيضا أخذًا من الوهدة وهى المكان المنخفض من الأرض لانخفاضه عن اليوم الأوّل فى العدد . ويسمُّون الثلاثاء جبارا (بضم الجيم) لأنه جبر به العدد . ويسمُّون الأربعاء دُبَّارا (بضم الدال المهملة) لأنه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دُبَّره . ويسمون الخميس مُؤنسا لأنه يُؤنَس به لبركته . قال النحاس : ولم يزل ذلك أيضا فى الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك به ولا يُسافر إلا فيه وقال : ” اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأَتَمِّى فى بُكُورِها يَوْمَ حَمِيسِها ” . ويسمُّون الجمعة العروبة (بفتح العين مع الألف واللام) وفى لغة شاذّة عروبة بغير ألف ولام مع عدم الصرف ، ومعناه اليوم البين أخذًا من قولهم : أعرب اذا أبان ، والمراد أنه بين العظمة والشرف ، إذ لم يزل معظمًا عند أهل كل ملة وجاء الإسلام فزاده

(١) وجمعات أيضا بضمين . قال فى المصباح كثرقات فى وجوها .

تعظيماً؛ وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةُ، وَفِيهِ أُتْرِجَ مِنْهَا". وَيُسَمُّونَهُ أَيْضاً حَرْبَةً بِمَعْنَى أَنَّهُ مَرْتَفِعٌ عَالٍ كَالْحَرْبَةِ الَّتِي هِيَ كَالرُّغْغِ، بِمَا يُقَالُ مِحْرَابٌ لِكِرْتَفَاعِهِ وَعُلُوِّ مَكَاتِهِ؛ وَيُسَمُّونَ السَّبْتَ شَيْبَارًا (يَفْتَحُ الشَّيْنُ الْمَعْجَمَةَ وَكُسْرَاهَا مَعَ الْيَاءِ الْمُنْتَاةِ تَحْتَ) أَخْذًا مِنْ شُرْتِ الشَّيْءِ إِذَا اسْتَخْرِجْتَهُ وَأَظْهَرْتَهُ مِنْ مَكَانِهِ إِنَّمَا بِمَعْنَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ مِنَ الْيَوْمِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْخَلْقُ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ يَرَى أَنَّهُ آخِرُ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ وَأَنَّ ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ الْأَوَّلُ وَاتِّهَامَهُ الْجُمُعَةَ، وَإِنَّمَا بِمَعْنَى أَنَّهُ ظَهَرَ أَوَّلُ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ عَلَى مَذْهَبٍ مِمَّنْ يَرَى أَنَّهُ أَوَّلُ الْجُمُعَةِ وَكَانَ ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ فِيهِ، وَإِلَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ يُشِيرُ النَّافِعَةُ بِقَوْلِهِ :

أَوَّلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يَوْمِي \* لِأَوَّلِ أَوْ لِأَوَّلِ أَوْ جُبَارٍ  
أَوِ الْتَالِي دُبَارِ غَابِ أَقْتِهِ \* فَنُؤِنِيسَ أَوْ عَرُوبَةَ أَوْ شِيَارٍ

الرواية الثالثة — ماحكاه النحاس عن الضَّحَّاك : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، لَيْسَ مِنْهَا يَوْمٌ إِلَّا لَهُ اسْمٌ أَيْجِدُ هَوَزٌ حُطَّى كَلِمَن سَعَفَصُ قَرَشْتُ . وَقَدْ حَكَى السَّهْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُتَدَاوِلَةَ بَيْنَ النَّاسِ الْآنَ مَرْوِيَّةٌ عَنْ أَهْلِ الْكَلَابِ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ الْمُسْتَعْرَبَةَ لَمَّا جَاوَرَتْهُمْ أَخَذَتْهَا عَنْهُمْ ، وَأَنَّ النَّاسَ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْأَسْمَاءَ الَّتِي وَضَعَتْهَا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ وَهِيَ أَيْجِدُ هَوَزٌ حُطَّى كَلِمَن سَعَفَصُ قَرَشْتُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا سَائِرَ الْخُلُوقَاتِ : عَلَوِيَّهَا وَسُفْلِيَّهَا . وَهَذَا يَخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ فِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ عَنِ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ . وَعَلَى أَنَّهَا أَسْمَاءٌ لِلْأَيَّامِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْخَلْقُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَيْجِدُ أَسْمَاءً لِلْأَحَدِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ يَرَى أَنَّ ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَكُونُ السَّبْتُ لَا ذِكْرَ لَهُ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ<sup>(١)</sup>.

(١) أسقط الناح الاحتمال الثاني وقد ذكره في الضوء بقوله: (ويحتمل أن أيجد اسم السبت على رأى من يرى أنه ابتدئ فيه الخلق وتكون الجمعة لا ذكراً له) .

### المُذْرَك الثالث

في بيان أول أيام الأسبوع، وما كان فيه ابتداء الخلق منها .  
وقد اختلف الناس في ذلك على ثلاثة مذاهب

المذهب الأول — أن أول أيام الأسبوع وابتداء الخلق الأحد . واحتج لذلك بما تقدم من حديث ابن عباس أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : ”خلق الله عز وجل الأرض يوم الأحد“ الحديث ومجديه الآخر : ”خلق الله يوماً واحداً فسماه الأحد“ وإذا كان ابتداء الخلق الأحد لزم أن يكون أول الأسبوع الأحد .

المذهب الثاني — أن أول أيام الأسبوع وابتداء الخلق السبت . واحتج له بحديث أبي هريرة المتقدم ”أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت“ الحديث ، وإذا كان ابتداء الخلق السبت لزم أن يكون أول الأسبوع السبت .

المذهب الثالث — أن أول أيام الأسبوع الأحد، لحديث ”خلق الله يوماً واحداً فسماه الأحد ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين“ الحديث . وابتداء الخلق يوم السبت لحديث أبي هريرة المتقدم . قال النحاس : وهذا أحسنها .

### المُذْرَك الرابع

في التفاؤل بإيام الأسبوع والتطير بها وما يُعزى لكل منها  
من خير أو شر، على ما هو متداول بين الناس

وأعلم أنه لا أصل لذلك من الشريعة، ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة . وقد وردت القرعة من جعفر الصادق رضي الله عنه في توزيع الأعمال على الأيام : أنه

قال : السبت يوم مكيّ وخديعة ؛ ويوم الأحد يوم غريس وعِمارة ؛ ويوم الاثنين يوم سفر وتجارة ؛ ويوم الثلاثاء يوم إراقة ديم وحرب ومكافأة ؛ ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء ؛ ويقال : يوم خميس مستمّر ؛ ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحاجات ؛ ويوم الجمعة يوم خلوة ونكاح . ووجهوا هذه الدعوى بأن قرىنا مكّرت في دار الندوة يوم السبت ، وأن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد ، وأن شعيا سافر للتجارة يوم الاثنين ، وأن حواء حاضت يوم الثلاثاء ، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ، وأن فرعون غرق هو وقومه يوم الأربعاء ، وفيه أهلك الله عاداً وثموداً ، وأن إبراهيم دخل على التمرود يوم الخميس ، وأن الأنبياء عليهم السلام كانت تنحج وتخطب يوم الجمعة . وقد نظم بعض الشعراء هذه الاختيارات في أبيات وإن كان قد خالف الواضع في مواضع فقال :

لَيْتَمَ الْيَوْمُ يَوْمُ السَّبْتِ حَقًّا • لَصِيدٍ إِنِ ارْتَدَّتْ وَلَا امْتَرَاءِ  
وَفِي الْأَحَدِ الْبِنَاءُ فَإِنَّ فِيهِ • تَبَدَّى اللَّهُ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ  
وَفِي الْإِثْنَيْنِ إِن سَافَرْتَ فِيهِ • سَتَرْجِعُ بِالنَّجَاحِ وَالْفَنَاءِ  
وَأَن تُرِيدَ الْجَمَامَةَ فِي الثَّلَاثَا • فَغَى سَاعَاتِهِ هَرَقَ النَّسَاءِ  
وَأَن تَشْرِبَ أَمْرُؤُكُمْ مِنْكُمْ دَوَاءً • فَيَعَمَّ الْيَوْمُ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ  
وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ قَضَاءُ حَاجٍ • فَإِنَّ اللَّهَ يَأْذُنُ بِالْقَضَاءِ  
وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ التَّرْوِيجُ حَقًّا • وَلَذَاتُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ

وسياتى الكلام على ما يتعلق من ذلك بأيام الشهر في الكلام على الشهور في الفصل السابغ من الكتاب إن شاء الله تعالى .

## الطرف الثاني

في الشهور، وهي على قسمين : طيبي واصطلاحي

## القسم الأول

الطيبي والمراد به القمري

وهو مدة مسير القمر من حين يفارق الشمس الى حين يفارقها مرة أخرى ،  
وهي على ضربين :

## الضرب الأول

شهور العرب

والشهر العربي عبارة عما بين رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا ، وعدد أيامه تسعة  
وعشرون يوما ونصف يوم على التقريب ، ولما كان هذا الكسر في العدد غيرا  
عدوا بجملة الشهرين تسعة وخمسين يوما ، أحدهما ثلاثون وهو التام ، والآخر تسعة  
وعشرون وهو الناقص . وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها :  
” أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف لا يدخل على بعض نسائه شهرا فلما مضت تسعة  
وعشرون غدا عليهم أو راح فقيل : يا رسول الله ، حلفت لا تدخل عليهن شهرا فقال :  
الشهر يكون تسعة وعشرين “ . وذلك بحسب مسير النيران : الشمس والقمر بالمسير  
الأوسط ، أما بالمسير المقوم فإنه يتفق اذا استكمل الشهر برؤية الهلال عيانا أن  
يتوالى شهران وثلاثة ثامة ، وتوالي كذلك ناقصة ، وعلى ذلك عمل العرب واليهود .  
ولهم في استعماله طريقتان :

## الطريقة الأولى

### طريقة العرب

ومدة الشهر عندهم من رؤية الهلال الى رؤية الهلال ، وهى أسهل الطرق وأقربها ، وعليها جاء الشرع ، وبها نطق التزييل قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) . وفيها جلتان :

### الجملة الأولى

في أحوال الأهلة التي عليها مدارُ الشهور في ابتدائها واتبائها

واعلم أن مسير القمر مقدرٌ بمعرفة الشهور والسنين قال تعالى : (فَخَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ) والشمسُ تُعْطِيهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا يَسْتَضِيءُ بِهِ نَصْفُ سُبُحِ قُرْصِهِ حَتَّى يَكُونَ ثُمَّ تَسْلُبُهُ مِنَ اللَّيْلِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ نَصْفُ سُبُحِ قُرْصِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِ نُورٌ فَيَسْتَرُ . وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سُئِلَ عَنِ الْقَمَرِ فَقَالَ : يُحَقِّقُ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيُولَدُ جَدِيدًا ، وَيَعْدُ مِثْلَ هَذَا عَنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ .

إذا علمت ذلك فلقمر حركتان : سرية وبطيئة كما تقدم في الشمس .

أما الحركة السريعة فحركة فَكِّ الكَلْبِ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَمِنْ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ .

واعلم أن الهلال إذا طَلَعَ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كَانَ مَغْنِيهِ عَلَى مَضَى سِتَّةِ أَشْهُابٍ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَزَالُ مَغْنِيهِ يَتَأَخَّرُ عَنْ مَغْنِيهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَاضِيَةٌ هَذَا الْمَقْدَارَ حَتَّى يَكُونَ مَغْنِيهِ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ نَصْفَ اللَّيْلِ ، وَفِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ طُلُوعُ الشَّمْسِ ،

ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على مضي ستة أسابيع ساعة منها، ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه في كل ليلة ماضية بعد الإبدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل، وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع القعدة .

وإذا أردت أن تعلم على مضي كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل، فإن أردت المغيب وكان قد مضي من الشهر خمس ليال تقديرا فاضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضي أربع ساعات وثلاثة أسابيع ساعة، وكذلك العمل في أي ليلة شئت؛ وإن أردت الطلوع وكان قد مضي من الإبدار ست ليال مثلا فاضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد، فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع، وكذلك العمل في أي ليلة شئت .

وقد قسمت العرب ليالي الشهر بعد استهلاكه كل ثلاثة أيام قسما وسميتها باسم فالثلاث الأول منها هلال، والثلاث الثانية قر، والثلاث الثالثة بهر، والثلاث الرابعة زهر (والزهر البياض)، والثلاث الخامسة بيض، لأن الليالي تبيض بطلوع القمر فيها من أولها إلى آخرها، والثلاث السادسة دُرْع، لأن أوائلها تكون سودا وسائرها يبيض، والثلاث السابعة ظلم، والثلاث الثامنة حَتَادِس، والثلاث التاسعة دَادِي (الواحدة منها دَادَاة على وزن قَلَّة) ، والثلاث العاشرة ليلتان منها عِحاق ويلة سرار لإعحاق الشمس القمر فيها .

ومنهم من يقول: ثلاث غَرَر (وَعَرَّة كل شيء أوله)، وثلاث شُهْب، وثلاث زهر، وثلاث تُسْع<sup>(١)</sup>، لأن آخر يوم منها اليوم التاسع، وثلاث بهر، بهر فيها ظلام الليل، وثلاث بيض، وثلاث دُرْع، وثلاث دُغم وغم وحَتَادِس، وثلاث دَادِي.

(١) لعل الصواب وسبان كما هو واضح . (٢) لعل هذه الثلاثة قبل التي قبلها بدليل الصلح .



ويروى عنهم أنهم يسمون ليلة ثمان وعشرين الدغاء، وليلة تسع وعشرين الدغماء، وليلة ثلاثين الليلاء، وهم يقولون في أجمعهم : القمر ابن ليلة، رصاعٌ سَحِيلَةٌ، حلَّ أهلها برميصة؛ وابن ليتين حديثٌ أمتين، كَذِبٌ ومَيِّنٌ؛ وابن ثلاث، قليل اللباث؛ وابن أربع، عَمَّةٌ أمُّ رُبعٍ، لا جامع ولا مُرضع؛ وابن خمس، حديثٌ وأُنسٌ، وعشاء خِلَافَاتُ قُوسٍ؛ وابن ست، سِرْوِيَّةٌ؛ وابن سبع، دُبْلَةٌ ضَبْعٌ، وحديثٌ وجمع؛ وابن ثمان، قُرُوحِيَّانٌ؛ وابن تسع، مَحْدُو النَّسْعِ، ويقال الشَّعْبُ؛ وابن عشر، مُحَقَّقُ الْفَجْرِ، وثُلُثُ الشَّهْرِ .

هذا هو المحفوظ عن العرب في كثير من الكتب .

قال صاحب مناجح الفكر : وعثرت في بعض المجاميع على زيادة الى آخر الشهر، وكأنها والله أعلم مصنوعة ، وهى على ألسنة العرب موضوعة ، وهى : وابن إحدى عشرة، يرى عِشاءً ويرى بُكْرَةً ، وابن اثنتى عشرة، مُرْهَقُ الْبَشَرِ، بِالْبَدْوِ وَالْحَضَرِ، وابن ثلاث عشرة، قَرَبَاهِرٌ، يَبْئِثُ النَّاطِرُ، وابن أربع عشرة مُقْبِلُ الشَّبَابِ؛ مضى دُجَنَاتُ السَّحَابِ؛ وابن خمس عشرة تَمَّ التَّحَامُ، وَقَدَّتِ الْأَيَّامُ، وابن ست عشرة قَصَّ الْخَلْقِ، فى القرب والشرق، وابن سبع عشرة، أَمَكَنَتِ الْمُقْتَفِرَ الْفَقْرَةَ، وابن ثمان عشرة قَلِيلُ الْبَقَاءِ، سريع الفناء؛ وابن تسع عشرة يَطْلُوعُ الطُّلُوعِ، سريع الخُسُوعِ؛ وابن عشرين يَطْلُعُ مُحَرَّةٌ، وَيَنْبُ بُكْرَةً؛ وابن إحدى وعشرين كَالْقَهَسِ، يَطْلُعُ فى القَلَسِ؛ وابن اثنتين وعشرين يُطِيلُ السُّرَى، رَيْحًا يَرَى؛ وابن ثلاث وعشرين يَرَى فى ظُلْمَةِ اللَّيَالِ، لا قَرُّ ولا هَلَالٌ؛ وابن خمس وعشرين دَنَا الْأَجَلَ، وَاقْطَعَ الْأَمَلَ؛ وابن ست وعشرين دَنَا مَا دَنَا، فَا يَرَى إِلَّا سَنَا، وابن

(١) فى بعض الروايات . الشمس . . . والحضرة .

سبع وعشرين يَشُقُّ الشمسَ ، ولا يُرى له حَسٌّ ، وابن ثمانٍ وعشرين ضَلِيلٌ صَغِيرٌ لا يراه إلا البَصِيرُ .

وأما حركته البطيئة ، فحركته من جهة الشمال الى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب الى جهة الشمال ، وتنقله في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوما بلياليها كالشمس في البروج قال تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ فما تقطعه الشمس من الشمال الى الجنوب وبالعكس في جميع السنة يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوما . والمنازل للقمر كالبروج للشمس ؛ وذلك أنه لما اتصل الى العرب ماحقته القدماء برصدتهم من الكواكب الثابتة ، وكان لا غنى لهم عن معرفة كواكب تَرِثُهُم الى السلم بفصول السنة وأزميتها ، رصدوا كواكب وامتحنوها ، ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها ، لأنهم قَسَمُوا فلك الكواكب على مقدار الأيام التي يقطعه القمر فيها ، وهي ثمانية وعشرون يوما ، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون أبعاد ما بينها وبين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر في يوم وليلة ، وسموها منزلة الى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طلوعها بالفجر ، لأن القمر اذا سار سيره الوسط انتهى في اليوم التاسع والعشرين الى المَحَاق الذي بدأ منه ، فحذفت التكرار في ثمانية وعشرون ويزاد بالشرطين ، لأن كواكبه من جملة كواكب الحمل الذي هو أول البروج .

ثم هذه المنازل على قسمين : شمالي وجنوبي كما في البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طُلُوعه من ناحية الشام ، وتسمى الشامية وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال ، التي هي رأس الحمل والميزان صاعدا الى جهة الشمال ؛ وهي الشَّرْطَان ، والبُطَيْن ، والثَّرْيَا ، والدَّبْرَانُ ، والْحَقَّة ، والْهَنَعَة ، والدَّرَاع ، والنَّشْة ، والطَّرْف ، والْجَبْهَة ، والنَّخْرَتَان ، والصَّرْفَة ، والعَوَاء ، والسَّهَّك . وبطلوعها

يطول الليل ويقصر النهار . والجنوبى منها ما كان طُلُوعه من ناحية اليمن وتسمى  
اليمانية وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطا الى جهة الجنوب .  
وهى القفر، والزبان، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعام، والبلدة، وسعد  
الذابج، وسعد بلع، وسعد السعد، وسعد الأخية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر،  
وبطن الحوت، وطلوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المتزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها رُبع سبع الدور، وهو جزء من  
ثمانية وعشرين جزءا من الفلك عبارة عن ... (١) ... لا عن الكواكب وإنما  
الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى فعدل بالتسمية اليها وغلبت عليها .

وتزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المتزلة نفسها وإما فيما  
بينها وبين التي تليها، وإما عاذيا لما خارجا عن السميت شمالا أو جنوبا . وقد تقدم  
الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل وتزوله في غيرها .

ولتعلّم أن المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر موزعة عليها ، فالشيطان  
والبطين وثلاث الثريا للحمل، وثلاث الثريا والدبران وثلاث الحقعة للثور، وثلاث الحقعة  
والهتعة والذراع للجوزاء، والذرة والطرف وثلاث الجبهة للشيطان، وثلاث الجبهة  
والخترتان وثلاث الصرفة للأسد، وثلاث الصرفة والعواء والسماء للسنبلة، والقفر  
والزبان وثلاث الإكليل لليزان، وثلاث الإكليل والقلب وثلاث الشولة للعقرب، وثلاث  
الشولة والنعام والبلدة للقوس، وسعد الذابج وسعد بلع وثلاث سعد السعد للجدي،  
وثلاث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت للحوت .

(١) يباح بالأمل .

(٢) يظهر أن فيه سقطا هو [وثلاث سعد السعد والأخية وثلاث الفرغ المقدم للدلو] .

إذا علمت ذلك فإذا أردت أن تعرف القمر في أي منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام، فخذ ما مضى من سنة القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وأسطعها أياما، وأضف إلى ما حصل من ذلك يومين، ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر، وهو عدد بُثَّ القمر في كل منزلة من الأيام، واحصل أول كل منزلة من العدد الخرتان، فابق من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ما مضى من المنزلة التي انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضي من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين ستة وعشرين لخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة، وهي ما مضى من المنزلة الثالثة وهي العواء .

وإن أردت أن تعرف في أي برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربي يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجملة خمسة وأعط لكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذي فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأينما تقد حسابك فالقمر في ذلك البرج والاعتماد في ذلك على كم مضى من الشهر العربي بالحساب دون الرؤية والله أعلم .

### الجملة الثانية

في أسمائها ، وفيها روايات

الرواية الأولى — ما نطقت به العرب المستعربة وجرى عليه الاستعمال إلى الآن وقد نطق القرآن الكريم بصديقها قال تعالى : ﴿ إِنَّ مِثْلَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ والمراد شهور العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، ومدارها الأهلة سواء جاء الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين . الشهر الأول

منها المحرم؛ سُمي بذلك لأنهم كانوا يحرمون فيه القتال، ويجمع على مُحَرَّمات ومَحَارِم ومَحَارِم . الشهر الثاني صَفَر، سُمي بذلك لأنهم كانوا يُفِتِّرون فيه على بلاد يقال لها الصَفَرِيَّة، ويجمع على صَفَرَات وأَصْفَار وصُفُور وصَفَار . الشهر الثالث ربيع الأول سُمي بذلك لأنهم كانوا يُحْصِلُونَ فيه ما أصابوه في صَفَر . والربيع في اللغة الخصب، وقيل لأرتباعهم فيه . قال النحاس : والأول أولى بالصواب، ويقال في الثانية ربيعان الأولان وفي الجمع ربيعان الأولات . ومن شرط فيه إضافة شهر قال في الثانية شهر ربيع الأولان وفي الجمع شهرات ربيع الأولات والأوائل، وإن شئت قلت في القليل أشهر وفي الكثير شهور، وحكى عن قطرب الأربعة الأوائل، وعن غيره رُبْع الأوائل . الشهر الرابع ربيع الآخر، والكلام في تسميته وثنيته وجمعه كالكلام في ربيع الأول . الشهر الخامس جمادى الأولى، سُمي بذلك لجمود الماء فيه، لأن الوقت الذي سُمي فيه بذلك كان الماء فيه جامداً لشدَّة البرد، ويقال في الثانية جُمَادِيَانِ الأوَّلِيَانِ وفي الجمع جُمَادِيَاتِ الأوَّلِيَّاتِ . الشهر السادس جمادى الآخرة، والكلام فيه تسميةً وثنيةً وجمعاً كالكلام في جُمَادَى الأولى . الشهر السابع رجب، سُمي بذلك لتعظيمهم له أخذاً من الترجيب وهو التعظيم، ويجمع على رَجَبَاتٍ وأَرْجَابٍ، وفي الكثرة على رِجَابٍ ورَجُوبٍ . الشهر الثامن شَعْبَان، سُمي بذلك لتشعبهم فيه لكثرة الغارات عِقبَ رَجَبٍ ؛ وقيل لتشعب العود في الوقت الذي سُمي فيه . وقيل لأنه شَعَبٌ بين شهرَي رَجَبٍ ورمضان ويجمع على شَعْبَانِيَّ وشُعَابَةٍ على حذف الزوائد ، وحكى الكوفيون شَعَابِيْنَ، قال النحاس : وذلك خطأ على قول سيويه كما لا يجوز عنده في جمع عَثَمَانَ عَثَامِيْنَ . الشهر التاسع رمضان، سُمي بذلك أخذاً من الرمضاء لأنه وافق وقت تسميته زمن الحَرِّ، ويجمع على رَمَضَانَاتٍ، وحكى الكوفيون رَمَاضِيْنَ،

والقول فيه كالقول في شَعَائِينَ؛ وَمَنْ شرط فيه لفظ شهر قال في التثنية : شَهْرًا رَمَضَانَ  
وفي الجمع شَهْرَاتِ رَمَضَانَ وَأَشْهُرُ رَمَضَانَ وشهور رمضان . الشهر العاشر شَوَّالٌ ، سُمِّيَ  
بذلك أخذًا من شَالَتْ الإبل بأذنابها إذا حلت لكونه أولَ شهور الحج ، وقيل من  
شال يَشُولُ إذا ارتفع ، ولذلك كانت الجاهلية تَمَكُّهُ الترويح فيه لما فيه من معنى  
الإشالة والرفع الى أن جاء الإسلامُ بهَدْمُ ذلك . قالت عائشة رضي الله عنها فيما ثبت  
في صحيح مسلم : ” تَرَوْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ وَبَنِي بَنِي فِي شَوَّالٍ  
فَأَيُّ نِسَائِهِ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي “ ويجمع على شَوَّالَاتٍ وشَوَّائِيلَ وشَوَّائِلَ . الشهر  
الحادى عشر ذو القعدة ، ويقال بالفتح والكسر ، سُمِّيَ بذلك لأنهم كانوا يَقْعُدُونَ فيه  
عن القتال لكونه من الأشهر الحرم ، ويجمع على ذَوَاتِ القعدة ، وحكى الكوفيون أولَاتُ  
القعدة ، وربما قالوا في الجمع : ذَاتِ القعدة أيضا . الشهر الثانى عشر ذو الحجة ، سُمِّيَ بذلك  
لأنَّ الحَجَّ فيه ، والكلام في جمعه كالكلام في ذى القعدة . ثم من الأشهر المذكورة  
أربعة أشهر حُرِّمَ كما قال تعالى : ” مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرِّمٌ “ وقد أجمعت العلماء على أن  
الأربعة المذكورة هى رَجَبٌ وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وقد اختلف في الابتداء  
بعدها فذهب أهل المدينة الى أنه يُبْتَدَأُ بِذَى القعدة فيقال : ذو القعدة وذو الحجة  
والمحرم ورجب ؛ ويمتحنون على ذلك بأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّهَا فِي خُطْبَةٍ  
حُجَّةِ الْوَدَاعِ كَذَلِكَ فَقَالَ : ” السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرِّمٌ ، ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ  
ووَاحِدٌ قَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمُ وَرَجَبٌ “ واختاره أبو جعفر النحاس . وذهب  
أهل الكوفة الى أنه يُبْتَدَأُ بِالْمَحْرَمِ فيقال : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة لِيَأْتُوا  
بها من سنة واحدة واليه مِيلُ الْكُتَابِ . قال النحاس : ولا حجة لهم فيه لأنه إذا علم  
أن المقصود ذكرها في كل سنة فكيف يتوهم أنها من ستين . وكانت العربُ في الجاهلية  
مع ما هم عليه من الضلال والكُفْرِ يَعْظُمُونَ هذه الأشهر ويمزمون القتال فيها حتى

لوقى الرجل فيها قاتل أبيه لم يجه، الى أن حثت فيهم النسيء فكانوا يُنسئون المحرم فيؤخرونه الى صفر فيحرمونه مكانه ويُنسئون رجبا فيؤخرونه الى شعبان فيحرمونه مكانه ليستريحوا القتال في الأشهر الحرم .

واعلم أنه يجوز أن يُضاف لفظ شهر الى جميع الأشهر فيقال: شهر المحرم، وشهر صفر، وشهر ربيع الأول وكذا في البواقي ، على أن منها ثلاثة أشهر لم تك العرب تسطق بها إلا مضافة إليها، وهى شهر ربيع وشهر رمضان؛ ويؤيد ذلك في رمضان ما ورد به القرآن من إضافته، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وقد روى عثمان بن الأسود عن مجاهد أنه قال: «لأنَّ رَمَضَانَ ولكن قل كما قال الله عز وجل: شهر رمضان، فإنك لا تدري ما رمضان» وعن عطاء نحوه وأنه قال لعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى، لكن قد ثبت في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان أغلقت النيران وصُفدت الشياطين» الحديث . وهذا صريح في جواز تعريبه عن الإضافة .

وقد اختلف الناس في ذلك على ثلاثة مذاهب أحدها أنه يجوز تعريبه عن لفظ شهر مطلقا، سواء قامت قرينة أم لا، فيقال جاء رمضان وصُمت رمضان، وما أشبه ذلك وهو ما رجحه النووي في شرح مسلم . والثاني المنع مطلقا، والثالث إن حثت قرينة تدل على الشهر كما في قوله: صُمت رمضان فقد جازت التعرية، وإن لم تحث قرينة لم تجز؛ وزاد بعضهم فيما يضاف إليه لفظ شهر رجب أيضا . وقال كل شهر في أوله حرف راء فلا يقال إلا بالإضافة . ويقال في المحرم أيضا شهر الله المحرم ويقال في الربيعين: ربيع الأول وربيع الآخر؛ وفي الجماداتين: جمادى الأولى وجمادى الآخرة . قال ابن مكى: ولا يقال جمادى الأول بالتذكير ويجوز في كلامه على «تتيف اللسان» .

قال النحاس : وإنما قالوا ربيع الآخر وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثاني وجمادى الثانية كما قالوا : السنة الأولى والسنة الثانية لأنه إنما يقال الثاني والثانية لما له ثالث وثالثة، ولما لم يكن لهما ثلث ولا ثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل : الدنيا والآخرة؛ على أن أكثر استعمال أهل الغرب على ربيع الثاني وجمادى الثانية . ويقال في رجب الفرد : لانفراده عن بقية الأشهر الحرم، ويقال فيه أيضا : رجب مُصَرٍّ الذي بين جمادى وشعبان، ويقال في شعبان المكرَّم لتكرمه وعلو قدره، وفي رمضان : المُعَظَّم والمُعَظَّم قدره لعظمته وشرفه، وفي شوال المبارك للفرق بينه وبين شعبان خشية الالتباس في الكتابة، ويقال في كلٍّ من ذى القعدة وذى الحجة الحرم . قال النحاس : وقد جاء في ذى الحجة أيضا الأصم، وروى فيه حديثا بسنده من رواية مرة الهمداني عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً على ناقه حمراء مخضمة <sup>(١)</sup>، فقال : أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟ قلنا : يَوْمُ النَحْرِ قال : صَدَقْتُمْ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ شَهْرُكُمْ هَذَا؟ قلنا : ذُو الْحِجَّةِ قال : صَدَقْتُمْ شَهْرَ اللَّهِ الْأَصَمِّ .

الرواية الثانية— ما روي عن العرب العاربة، وهوانهم كانوا يقولون في المحرم : الْمُؤْتَمِرُ أَخْذًا مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ إِذَا كَثُرُوا بمعنى أنهم يحرمون فيه القتال فيكثرُونَ. وقيل أَخْذًا مِنْ الْإِثْمَارِ بمعنى أنه يؤتمر فيه بترك الحرب، ويجمع على مؤتمرات ومأمير ومأمير . ويقولون في صفر : نَاحِرُ إِمَامٍ مِنَ النَّجَرِ وَالنَّجَارِ (يفتح النون وكسرهما) الأصل، بمعنى أنه أصل للحرب لأنه يتبدأ فيه بعد المحرم؛ وإما من النجر وهو السوق الشديد. لشدة سوقهم الخيل إلى الحرب فيه، وإما من النجر، وهو شدة الحز لشدة حرارة الحرب فيه، ويجمع على نواجر. ويقولون في شهر ربيع الأول : خَوَانٌ (بالهاء المعجمة)

١ (١) أَي طلع طرف أذنها . قاموس .



لأن الحرب تستند فيه فتخونهم فتقصمهم، ويجمع على خَوَّانات وخَوَّارين وخَوَّان .  
ويقولون في ربيع الآخر : وبَصَان ، أخذنا من الوَبَص وهو البريق : لبريق  
الحديد فيه : ويجمع على وَبْصانات ، وحكى قطرب فيه بَصَان فيجمع على أَبْصِنَة  
وفي الكثرة بَصَنَان . ويقولون لجمادى الأولى : حَيْن لأنهم يحنُّون فيه الى أوطانهم  
لكونه كان يقع في زمن الربيع ، ويجمع على أَحِنَّة وحُنَّ كَرِغِف ورُغْف . ويقولون  
لجمادى الآخرة : رُبَى ورُبَّة لأنه يجمع به لجماعة من الشهور التي ليست بمَحْرُم  
وهي ما بعد صفر . قال أبو عبيد : رُبَّان كل شيء جماعته ، ويجمع على رُبَّيات ورَبَّاءَ مثل  
حَبَّال . ومن قال رُبَّةً جمعه على مَارِيب . ويقولون في رجب : الأصمُّ لما تقدَّم  
من أنه لا يُسمع صوتُ السلاح ولا الاستغاثات فيه ، ويجمع على أَصَام . قال النحاس :  
ولا تقل صمَّ لأنه ليس بنعت كما أنك لو سميت رجلاً أجمر جمعته على أَحَاصِر ولم  
تجمعه على حُمَر . ويقولون في شعبان : طَائِلٌ ، بمعنى أنهم يعدلون فيه عن الإقامة لتشعبهم  
في القبائل ويجمع على عَوَائِل . ويقولون في رمضان : نَاتِقٌ لكثرة المسال عندهم فيه  
لإغارتهم على الأموال في الذي قبله ، ويجمع على نَوَاتِق . ويقولون في شَوَّالٍ : وَعَلٌ  
أخذنا من قولهم : وَعَلٌ الى كذا اذا بلغا اليه لأنهم يهربون فيه من الغارات لأن بعده  
الأشهر الحرم فيلجئون فيه الى أمكنة يتحصنون فيها ، ويجمع على أوعال ككتيف  
وأكتاف ، وفي الكثرة وُعُول . ويقولون في ذى القعدة : وَرَنَة والواو فيه متقلبة عن  
همزة أخذنا من أَرِن اذا تحرك لأنه الوقت الذي يتحركون فيه الى الحج ، أو من الأَرُون  
وهو الدقُّ لقرَّبه من الحج ويجمع على وَرَنَاتٍ وَرَانٍ يَكْفَان . ويقولون في ذى الحجة :  
بُرْكٌ ، غير مصروف لأنه معدول عن بارك ، أو على الكثير كما يقال : رجل حُكْمٌ وهو

إِلَّا (١) هذا في الضم أيضاً وله مصحفٌ عن رباب أو ديب تأمل .

ماخوذ من البركة لأن الج فيه، أو من برك الجبل لأنه الوقت الذي تبرك فيه الإبل للوسم، ويجمع على بركان مثل تُقَرِّ وتُقران .  
وفي هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة والمشهور ما تقدم ذكره .

وقد نظم بعضهم ذلك في أبيات على الترتيب فقال :

بِؤْتَمِيرٍ وَنَاجِرٍ ابْتَدَأْنَا \* وَبِالْحَوَانِ يَتَّبِعُهُ الْبُصَانُ  
وَرُبِّيْ ثُمَّ أَيْدَةُ تَلِيهِ \* تَعُودُ أَصَمُّ صُمٌّ بِهِ السَّنَانُ  
[وَعَادِلَةٌ وَنَاطِلَةٌ جَمِيعًا \* وَوَاعِلَةٌ فَهُمْ غُرَرٌ حَسَانٌ]<sup>(١)</sup>  
وَوَرْنُهُ بَعْدَهَا بَرْكٌ فَتَمَّتْ \* شُهُورُ الْحَوْلِ يُعْرِبُهَا الْيَبَانُ

ثم للناس في إخراج أول الشهر العربي طُرق، أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم، ثم تعدّكم مضي من السنة من الشهور بالشهر الذي تريد أن تعرف أوله وتقسّمها نصفين، فإن كان النصف صحيحاً أضفت على الجملة مثل نصفه، وإن كان مكسوراً كجمته وأضفته على الجملة؛ ثم تبدئ من أول يوم من السنة وتعدّ منه أياماً على توالي أسماء الأيام بعدد ما حصل معك من الأصل والمضاف، فحيث انتهى عندك فذلك اليوم هو أول الشهر .

مثال ذلك في الصحيح النصف : إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلاً فتعدّ من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة تضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر، ثم تبدئ من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعدّ الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء

(١) سقط هذا البيت من نسخة الأصل وقد وجدناه في "نهاية الأرب" لتويري ما ثبتناه كما ترى وبه تمت عدة الشهور .

والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس .

ومثاله في المكسور النصف اذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فعد ما مضى من شهور السنة وبعدها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها الى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ثم تبدئ عدد الأيام من أول المحرم، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت .

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربي فما كان جعلته أصلا لتلك السنة، فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذي أنت فيه فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا فخذ لكل شهرين يوما، فإن انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا، وزد على ذلك يومين أصلا أبدا، ثم انظر كم يوما مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه فاضفه على ما اجتمع معك، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فابقي فهو عدد ما مضى من الشهر العربي، ومنه يعرف أوله .

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضي من الشهر العربي ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة، ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أمشير مثلا فعدت من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) الى أمشير يكون ستة أشهر فأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسيء وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع

ثمانية، ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة، وهو الماضي من الشهر العربي الذي أنت فيه ومنه يُعرف أوله .

## الضرب الثاني

### شهور اليهود

والشهر عندهم من الاجتماع الى الاجتماع، وهو اقتران الشمس والقمر في آخر الشهر ولذلك تُوافق شهورهم في التقدير شهور العرب، ولا تخالف أوائلها إلا بيوم واحد في بعض الأحيان لأسباب في ملتهم ولكنها لا تطابق شهرا لشهر، فإن شهور العرب غير مكبوسة، وشهور اليهود مكبوسة؛ وهذه الطريقة لا تعرف إلا بتقويم الكواكب ومعرفة سير الشمس والقمر؛ ولذلك لا يعرف شهور اليهود منهم إلا الآحاد، وشهورهم وهي اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون، وبعضها تسعة وعشرون على ما يقتضيه مسير الشمس والقمر؛ وفي السنة الكبسة تكون شهورهم ثلاثة عشر شهرا كما سيأتي؛ وشهورهم توافق شهور السريان في بعض أسمائها دون بعض، الأول تشرى، الشهر الثاني مرحشوان، الشهر الثالث كسلا، الشهر الرابع طابات، الشهر الخامس شباط، الشهر السادس آذار، الشهر السابع نيسان، الشهر الثامن أيار، الشهر التاسع سيوان، الشهر العاشر تموز، الشهر الحادي عشر آب، الشهر الثاني عشر أيلول؛ وفي السنة التي يكبسون فيها بعد كل سنة أو بعد كل سنتين على ما سيأتي بيانه يكبسون شهرا كاملا بعد آذار وهو الشهر السادس من شهورهم ويسمونه آذار الثاني، وسيأتي ذلك مفصلا في الكلام على السنين إن شاء الله تعالى. وقد تقدم أنها توافق شهور العرب إلا في القليل إلا أنها يدخلها الكبس لأمر في ملتهم، وسيأتي الكلام على كبسهم عند ذكر السنين إن شاء الله تعالى .

## القسم الثانى

من الشهور الاصطلاحى والمراد به الشمسى

وهى مدة قطع الشمس مدار برج من بروج الفلك الاثنى عشر، وذلك ثلاثون يوما وثلاثة عشر يوما تقريباً، وعليه عمل القبط، والفرس، والسريان، والروم .  
وهى على صفتين :

## الصف الأول

ما يكون كل شهر من شهور السنة ثلاثين يوماً، وما فضل عن ذلك

جعل نسباً بين الشهور وهو الشهور القبط، والفرس

فأما شهور القبط (وتنسب لـ قبطيانوس الملك) فكل شهر منها ثلاثون يوماً وأيام  
النسب فى آخر الثانى عشر منها وهى خمسة أيام .

الشهر الأول منها توت، ودُخُوله فى العشرين من آب من شهور السريان، وآخره  
السادس والعشرون من أيلول منها ؛ فيه يدرك الرطب، ويكثر السفرجل والعنب  
الشتوى، وتبدئ الحمضات . وأقل يوم منه يوم التبروز وهو رأس سنة القبط ؛  
وفى سابعه يتدئ لقط الزيتون ؛ وفى سابع عشره عيد الصليب ، فيه تفتح أكثر  
الترع بمصر، وفى ثامن عشره أول فصل الخريف ؛ وفى تاسع عشره يتدئ هيجان  
السوداء فى البدن ؛ وفى العشرين منه يُفصد البَلَمَان ؛ وفى الحادى والعشرين منه  
يتدئ بيض النعام ؛ وفى الرابع والعشرين منه أول دى ماه من شهور الفرس ؛  
وفى الثامن والعشرين منه يذهب الحر ؛ وفى التاسع والعشرين منه أول رعى  
الكَرَاكى ؛ وفى الثلاثين منه وهو آخره يُزرع المليون .

الشهر الثاني بابه، ودخوله في السابع والعشرين من أيلول من شهور السريان، وآخره السادس والعشرون من تشرين الأول منها، فيه يُتَدْرَكُ كُلُّ مَالَا تُنْشَقُّ لَهُ الْأَرْضُ كالبرسيم وغيره؛ وفي آخره تُنْشَقُّ الْأَرْضُ بالصعيد؛ وفيه يُحْصَدُ الْأَرْزُ، وَيَطْبَبُ الرُّمَّانُ، وَتَضَعُ الضَّأْنُ وَالْمَعَزُ وَالْبَقَرُ الْحَيْسِيَّةَ؛ وَيُسْتَخْرَجُ دُهْنُ الْأَسِّ وَاللَّيْنُفَرُ، وَيُذْرِكُ التَّمْرُ وَالزَّرْبُوبُ وَبَعْضُ الْمُحْمَضَاتِ؛ وَفِي ثَالِثَةِ رَأْسِ سَنَةِ السَّرْيَانِ؛ وَفِي رَابِعِهِ أَوَّلُ تَشْرِينَ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْوَرِهِمْ؛ وَفِي خَامِسِهِ عُرْسُ النَّيْلِ؛ وَفِي سَادِسِهِ يَطْبَبُ شُرْبُ الدَّوَاءِ؛ وَفِي سَابِعِهِ نِهَآيَةُ زِيَادَةِ النَّيْلِ؛ وَفِي ثَامِنِهِ يَكُونُ خُرُوجُ الدَّمِ؛ وَفِي حَادِي عَشْرِهِ يَتَبَدَّى النَّيْلُ فِي الْقَصْرِ؛ وَفِي ثَالِثِ عَشْرِهِ بِدَايَةُ الْوَحْمِ؛ وَفِي رَابِعِ عَشْرِهِ يَكْثُرُ النَّامُوسُ؛ وَفِي خَامِسِ عَشْرِهِ يَتَبَدَّى زَرْعُ الْقُرْطِ؛ وَفِي سَادِسِ عَشْرِهِ يَتَبَدَّى كَثْرَةُ السُّعَالِ؛ وَفِي تَامِعِ عَشْرِهِ يَتَبَدَّى زَرْعُ السَّلْجَمِ، وَفِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ يَتَبَدَّى صِلَاحُ الْمَوَاشِي، وَفِي الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ يَتَبَدَّى كَثْرَةُ الْغَيْومِ، وَفِي الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ يَتَبَدَّى أَهْلُ مِصْرَ الزَّرْعِ، وَفِي السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ يَتَبَدَّى يَمَنُ الْحَيْتَانِ، وَفِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ أَوَّلُ الْمَدَى، وَفِي التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ أَوَّلُ اللَّيَالِي الْبَلْقَى .

الشهر الثالث هتور؛ ودخوله في السابع والعشرين من تشرين الأول؛ وآخره الخامس والعشرون من تشرين الثاني . فيه يُزْرَعُ الْقَمْعُ وَيَطْلَعُ الْبُقْشَجُ وَالْمُتَشَوْرُ، وَأَكْثَرُ الْبُقُولِ، وَيَجْمَعُ مَا بَقِيَ مِنَ الْبَاقِئِجَانِ وَمَا يَجْرَى بِجَرَاهِ، وَيُجْمَلُ الْعَنْبُ مِنْ قُوصَ، وَفِي ثَانِيهِ يَتَبَدَّى حَصَادُ الْأَرْزِ، وَفِي خَامِسِهِ أَوَّلُ تَشْرِينَ الثَّانِي مِنْ شَهْوَرِ السَّرْيَانِ، وَفِيهِ يَتَبَدَّى بَرْدُ الْمِيَاهِ، وَفِي سَادِسِهِ أَوَّلُ الْمَطَرِ الْوَسْمِيِّ، وَفِي سَابِعِهِ يَتَبَدَّى أَهْلُ الشَّامِ الزَّرْعُ، وَفِي ثَامِنِهِ يَتَبَدَّى هُبُوبُ الرِّيَّاحِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَفِي تَامِسِهِ يَتَبَدَّى زَرْعُ الْخَشَاشِ، وَفِي حَادِي عَشْرِهِ يَتَبَدَّى اخْتِفَاءُ الْهَوَآءِ، وَفِي ثَالِثِ عَشْرِهِ يَتَبَدَّى

غليان البحر، وفي رابع عشره تسمى الحيات، وفي سادس عشره يجمع الزعفران، وفي ثامن عشره تكثر الوحوش، وفي الثامن والعشرين منه يفتق البحر الملح وتفتح السفن من السفر فيه لشدة الرياح، وفي الثالث والعشرين منه يتبدى بخونه بطن الأرض، وفي الرابع والعشرين منه أول اسفيلارماه من شهور الفرس .

الشهر الرابع كيهك، ودخوله في السادس والعشرين من تشرين الثاني من شهور السريان، وآخره الخامس والعشرون من كانون الأول منها، فيه تترك الباقلاء، وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب، ويدرك التريجس والبنفسج، وتتلحق الحمضات، وفي أوله ابتداء أرمينية مصر، وفي ثلثه يتبدى موت الذباب، وفي خامسه أول كانون الأول من شهور السريان، وفي سابعه آخر الليل البلق وأول الليالى السود، وفي حادى عشره يتبدى الشجر فى رعى أوراقه، وفي ثانى عشره تظهر البراغيث، وفي سابع عشره أول فصل الشتاء وهو أول أرمينية الشام، وفي ثامن عشره يتقش النهار، وفي الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر، وفي الثالث والعشرين منه أول مردوماه من شهور الفرس<sup>(١)</sup>، وهو نوروزهم وأول ستمهم، وفي الخامس والعشرين منه يهيج البلم، وفي السادس والعشرين منه تلقح الإبل، وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء في الليل، وفي الثلاثين منه يتبدى تخليم الكروم .

الشهر الخامس طوبه، ودخوله في السادس والعشرين من كانون الأول من شهور السريان، وآخره الرابع والعشرون من كانون الثاني منها؛ في زرع القمح فيه تقرير، وفيه تفتق الأرض للقصب والقلقاس؛ ويتكامل التريجس؛ وفي أوله تبت الرياح الشديدة، وفي ثانيه يدرك القرط، وفي سادسه أول كانون الثاني من شهور السريان،

(١) سياتى قريباً أن نروى الفرس وأول ستمهم أفرودين ماه وظنه الصواب لأنه القى ورد في مروج

الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر في أسماء الشهور الآتية .

وفي عاشره آخر أربَعِيْنِيَّاتٍ مصر، وفي حادى عشره أول نصب الكروم، وفي ثانى عشره يشتد البرد، وفي ثالث عشره يتبدى زرع المَقَات، وفي سابع عشره يتبدى غرس الأشجار، وفي ثامن عشره يتبدى كثرة الندى، وهو آخر الليالى السود، وفي تاسع عشره يتبدى وقوع الثلج بالشام وضيئه، وفي الرابع والعشرين منه يتبدى صَفْوُ ماء النيل، وفي التاسع والعشرين منه يتبدى اختلاف الرياح.

الشهر السادس أُمَشِير؛ ودخوله فى الخامس والعشرين من كانون الثانى من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من شباط منها. فيه تُقَرَسُ الأشجار، وتَقَلَمُ الكروم، ويُذَرَكُ النبق واللوز الأخضر، ويكثر البنفسج والمنتور، وفي رابعه يتبدى إفراخ النخل، وفي سادسه أول شباط من شهور السريان، وفي حادى عشره يتبدى إنتاج الطيور وزرع بَقُول الصَّيف، وفي ثانى عشره يتبدى تمزك دواب البحر، وفي الثانى والعشرين منه ثانى جمرة فاترة، ويتبدى مرض الأطفال، ويتبدى خروج ورق الشجر، وفي الثالث والعشرين منه يتبدى خروج الدواب للَرعى، وفي الرابع والعشرين منه أول حردادماه من شهور القُرس، وفي الخامس والعشرين منه يتبدى هيجان الرياح، وفي السابع والعشرين منه تبدى ثالث جمرة حامية، وفي الثامن والعشرين منه أول المفرطات، وفي التاسع والعشرين منه آخرهنى أبقراط.

الشهر السابع برمهاث؛ ودخوله فى الرابع والعشرين من شباط من شهور السريان، وآخره الخامس والعشرون من آذار. فيه تُزْهِرُ الأشجار، ويعقد أكثر الثمار، ويُزْرَعُ أوائل السَّمِسم، ويُقَلَعُ السَّكَّان، ويُذَرَكُ القُول والعدس، وفي ثانيه يحدد خروج الدم، وهو أول الأعجاز، وفي ثالث عشره تُفْتَحُ الحيات أعينها، وفي خامس عشره يُعْطِبُ الألبان، وفي سادس عشره يتبدى خروج دود القَرْز، وفي ثامن عشره يَبْجِجُ الدم، وفي تاسع عشره ظُهور الهوام، وفي العشرين منه يُزْرَعُ السَّمِسم، وفي



الرابع والعشرين منه أول تيرماه من شهور القُرْس، وفي السادس والعشرين منه يتبدى شُرْب المُسْهَل؛ وفي السابع والعشرين منه خروج الذُّبَاب الأزرق .

الشهر الثامن برمودة، ودخوله في السادس والعشرين من آذار من شهور السريان، وآخره الرابع والعشرون من نيسان منها، فيه تُقَطَف أوائل عَسَل النحل، وفيه تكثر الباقلاء، وَيُنْقَضُ جَوَز الكَنْ، ويكثر الورد الأحمر، والبطنُ الأوَّل من الجُمَيْز، ويقطع بعض الشعير، ويُدْرِك الخيار شتبر . وفي أوَّله يُؤْكَل الفَرِيك، وفي رابعه يُعَصَّر دُهْن البَلْسَان، وفي خامسه يتبدى كثرة الزهور، وفي سادسه أول نيسان من شهور السريان، وفي ثاني عشرة يُخَاف على بعض الزرع، وفي ثامن عشره آخر قطع الكَنْ، وفي العشرين منه يُنْهَى عن أكل البُقُول، وفي الثاني والعشرين منه ظهور الكُمَّة، وفي الثالث والعشرين منه الحَتَام الكبير للزرع، وفي الرابع والعشرين منه أول تردماه من شهور القُرْس، وفي الخامس والعشرين منه نهاية مَدَّ القُرَات، وفي الثامن والعشرين منه يَبِيض النَّعَام .

الشهر التاسع بشنس، ودخوله في الخامس والعشرين من نيسان من شهور السريان، وآخره التاسع والعشرون من أيَّار منها . فيه يكثر انْتِفَاح القاسمى، ويتبدى انْتِفَاح المِسْكِي، والبطيخ العبدلي والحوثي، والمشمش، والنبوخذ نصر، والورد الأبيض . وفي نصفه يُنْتَر الأرز، ويَحْصَدُ الصمغ، وفي سادسه أول أيَّار من شهور السريان، وفي رابع عشره يَجْع انْشَاطَش، وفي ثامن عشره يَجْع العَصْفَر، وفي الحادى والعشرين منه يتبدى بُرودة الأرض، وفي الرابع والعشرين منه أول شهر برماه من شهور القُرْس .

الشهر العاشر يؤته؛ ودخوله في الخامس والعشرين من أيَّار من شهور السريان؛ وآخره الثالث والعشرون من حزيران منها، فيه يكثر الحَصْرَم ويَطِيب بعض العنب

والتين البوني وهو الديفور، والخورى الزهرى والمشمع، والكثرى البوهى، والقراصيا،  
 والثوت، ويطلع البلح، ويُقَطَّفُ جمهور العسل؛ وفي ثلثه يتدنى توحم النيل،  
 وفي سادسه يكمل الدرياق؛ وفي سابعه أول حزيران من شهر السريان، وفي تاسعه  
 يتدنى مهبّ الريح الشمالية، وفي عاشره يتدنى تنفس النيل، وفي خامس عشره  
 تمرك شهوة الجماع، وفي ثانى عشره عيد ميكائيل، فى إيلته يؤزن من الطين زنة ستة  
 عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع فى مكان يؤزن عند طلوع الشمس فما  
 زاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراعاً، وفي ثالث عشره يتدنى نقص  
 الثمرات، وفي رابع عشره تهبّ الرياح المسائم، وفي تاسع عشره تذهب البراغيث؛  
 وفي العشرين منه تهيج الصفراء، وفي الثانى والعشرين منه يعقد الجوز؛ ويقوى  
 اندفاع النيل، وفي الرابع والعشرين منه يثور وجع العين وهو أول ممره من شهر  
 الفرس، وفي السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل، وفي الثامن والعشرين منه  
 ينادى عليه؛ وفي التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ .

الشهر الحادى عشر أيب؛ ودخوله فى الرابع والعشرين من حزيران من شهر  
 السريان، وآخره الثالث والعشرون من تموز منها، فيه يكثر العنب والتين ويقل  
 البطيخ العبدل ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وتقوى زيادة النيل، وفي رابعه  
 أول نهى أبراط، وفيه يموت الجراد، وفي سابعه أول تموز من شهر السريان،  
 وفي عاشره يتدنى وقع الطاعون، وفي ثانى عشره تجدد قوة المسائم، وفي ثالث  
 عشره تدرك الفاكهة، وفي سابع عشره تغور العيون، وفي ثامن عشره يجمع السماق،  
 وفي الثانى والعشرين منه يدرك الفستق، وفي الرابع والعشرين منه أول أبان ماه من  
 شهر الفرس، وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعرى ايمانية، وفي التاسع  
 والعشرين منه يدرك نخل الحجاز .

الشهر الثاني عشر مسرى، ودخله في الرابع والعشرين من تموز من شهور السريان، وآخره السابع والعشرون من آب منها . فيه يُعمَلُ النخل، ويُدرِكُ البُسْر والموز، وتُغَيَّرُ طُعمُ الفاكهة لغلبة الماء على الأرض، ويُدرِكُ الليمونُ التفاحُ، ويتبدى إدراك الرمان، وفي رابعه تُقصَرُ النجيلة، وفي خامسه أول العصور، وفي ثامنه أول آب من شهور السريان، وفي ثاني عشره فصل المواشي، وفي رابع عشره قتل الألبان، وفي خامس عشره تَسخُنُ المياه، وفي سابع عشره تختلف الرياح، وفي ثامن عشره يُحْدَرُ لَسْعُ الهوام، وفي الثاني والعشرين منه آخر العصور، وفي الرابع والعشرين منه يهيج النعام، وفي الخامس والعشرين منه تكثر الفيوم، وفي الثامن والعشرين منه آخر السائم، وفي التاسع والعشرين منه أول آذرماء من شهور الفرس .

أيام النسيء - ودخلها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها .

وقد وضع الناس طرُقًا لإخراج أول الشهر القبطي بالحساب أقربها أن تعرف يوم النيروز ثم تعد ماضي من الشهور القبطية بالشهر الذي تريد أن تعرف أوله فما كان فاضحه فما تحصيل فأسقط منه واحدًا أبدًا، ثم أسقط الباقي سبعة سبعة فما فضل فعد من يوم النيروز الى آخر الباقي بعد الإسقاط على توالي الأيام فأيما انتهى المدد فذلك اليوم هو أول الشهر المطلوب .

مثال ذلك، كان يوم النيروز الأحد، وأردنا أن نعرف أول أمشير، عدنا كم مضى من أول الشهر القبطية وعدنا منها أمشير، وجدنا ذلك ستة، أضفناها صارت آخى عشر، أسقطنا منها واحدًا بقي أحد عشر، أسقطنا منها سبعة بقي أربعة، عدنا من يوم النيروز وهو الأحد أربعة فكان آخرها يوم الأربعاء فعدنا أن أول أمشير الأربعاء .

وأما شهور الفرس، فهي اثنا عشر شهراً كل شهر منها ثلاثون يوماً، وأيام النسيء خمسة أيام في آخر الشهر الثامن منها وهو أبان ماه . الشهر الأقل منها أفرودين ماه، ودخوله في الرابع والعشرين من كيهك من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من طوبه منها، وأقل يوم منه تيروز الفرس ورأس سلتهم . الشهر الثاني اريدشماه ودخوله في الرابع والعشرين من طوبه من شهور القبط ، وآخره الثالث والعشرون من أمشير منها . الشهر الثالث حرداماه، ودخوله في الرابع والعشرين من أمشير من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من برمهات منها . الشهر الرابع تيرماه ، ودخوله في الرابع والعشرين من برمهات من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من برمودة منها . الشهر الخامس تردماه، ودخوله في الرابع والعشرين من برمودة من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من بشنس منها . الشهر السادس شهر برماه ، ودخوله في الرابع والعشرين من بشنس من شهور القبط ، وآخره الثالث والعشرون من بؤنه منها . الشهر السابع مهرماه، ودخوله في الرابع والعشرين من بؤنه من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من أييب منها . الثامن أبان ماه، ودخوله في الرابع والعشرين من أييب من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من مسرى، منها أيام النسيء، وتسمى بالفارسية الاندركاه، ودخولها في الرابع والعشرين من مسرى وآخرها الثامن والعشرون منها . الشهر التاسع ادرماه، ودخوله في التاسع والعشرين من مسرى من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من توت . الشهر العاشر دى ماه . ودخوله في الرابع والعشرين من توت من شهور القبط ، وآخره الثالث والعشرون من بابه منها . الشهر الحادى عشر يهن ماه، ودخوله في الرابع والعشرين من بابه من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من هاتور منها . الشهر

(١) وقع في الأصل شيء من السقط والتعريف وقد صححناها من نهاية الأرب ومن الضو. وجموعة ترتيب الشهور القبطية فتهب .

الثاني عشر] اسفندارماه، ودخوله في الرابع والعشرين من هاتور من شهور القبط،  
وآخره الثالث والعشرون من كيهك منها ] .

ولكل يوم من أيام الشهر عندهم اسم خاص يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة  
موكل به .

وقد علم مما تقدم من شهور القبط ما يقع في هذه الشهور من ... والفواكه  
وغیرها .

### الصف الثاني

من الشهور الاصطلاحية ما يختلف عدده بالزيادة والتقصان ،  
فيكون بعض الشهور فيه ثلاثين ، وبعضها أقل ، وبعضها أكثر ،

وهو شهور السريان والروم

فأما شهور السريان وتنسب للإسكندر فأثنا عشر شهرا ، منها أربعة كل شهر  
منها ثلاثون يوما ، وشهر واحد ناقص عن الثلاثين ، وسبعة زائدة عليها . الشهر الأول  
منها تشرين الأول ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في الرابع من بابه من شهور  
القبط ، وآخره الرابع من هاتور منها ؛ ويوافقه أكتوبر من شهور الروم ، وهو الشهر  
العاشر منها . الشهر الثاني تشرين الثاني ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في الخامس من  
هاتور من شهور القبط ، وآخره الرابع من كيهك منها ، ويوافقه نوفمبر من شهور الروم ،  
وهو الشهر الحادي عشر منها . الشهر الثالث كانون الأول وهو أحد وثلاثون يوما ،  
ودخوله في الخامس من كيهك من شهور القبط ، وآخره الخامس من طوبه منها ،  
ويوافقه ديسمبر من شهور الروم ، وهو الشهر الثاني عشر منها . الشهر الرابع كانون  
الثاني ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في السادس من طوبه من شهور القبط ،

وآخره السادس من أمشير منها ، ويوافقه ينير من شهر الروم ، وهو الشهر الأول منها . الشهر الخامس أشباط ، ويقال شباط ، وهو ثمانية وعشرون يوما ، ودخوله في السابع من أمشير ، وآخره الرابع من برمهاث ؛ ويوافقه فبراير من شهر الروم ، وهو الثاني من شهرهم . الشهر السادس آذار ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في الخامس من برمهاث من شهر القبط ، وآخره الخامس من برمودة منها ، ويوافقه مارس من شهر الروم ، وهو الثالث من شهرهم . الشهر السابع نيسان ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في السادس من برمودة من شهر القبط ، وآخره الخامس من بشنس منها ، ويوافقه ابريل من شهر الروم ، وهو الرابع من شهرهم . الشهر الثامن أيار ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في السادس من بشنس من شهر القبط ، وآخره السادس من بؤنه منها ، ويوافقه مايو من شهر الروم ، وهو الخامس من شهرهم . الشهر التاسع حزيران ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في السابع من بؤنه من شهر القبط ، وآخره السادس من أبيب منها ، ويوافقه يونيه من شهر الروم ، وهو السادس من شهرهم . الشهر العاشر تموز ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في السابع من أبيب من شهر القبط ، وآخره السابع من مسرى منها ، ويوافقه يوليه من شهر الروم ، وهو السابع من شهرهم . الشهر الحادي عشر آب ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في الثامن من مسرى من شهر القبط ، وآخره الثالث من توت منها ، ويوافقه اغشت من شهر الروم ، وهو الثامن من شهرهم . الشهر الثاني عشر أيلول ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في الرابع من توت من شهر القبط ، وآخره الثالث من بابه منها ، ويوافقه سنبر من شهر الروم ، وهو التاسع من شهرهم ؛ وبهذا به ينهب الحرجلة ، وفي ذلك يقول أبو نواس :

مَضَى أَيْلُولُ وَارْتَفَعَ الْحَرُورُ \* وَأَخْبَتْ نَارَهَا الشَّعْرَى الْمُبُورُ

وقد نظمها صاحبنا الشيخ إبراهيم العشورى في أبيات ابتدأ فيها بأيلول فقال :

وَأَبْدَأُ بِأَيُّوْلٍ مِنْ الشَّرِيَّاتِي \* تَشِيرُنُ الْأَوَّلُ يَتَّبِعُنَهُ الثَّانِي  
كَانُونُ كَانَوُنْ شَبَاطُ يَطْلُعُ \* آذَارُ نَيْسَانَ أَيْارُ يَتَّبِعُ  
ثُمَّ حَزْرِيَّاتُ وَتَمُوزُ وَأَبُ \* تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مَنْ أَحَبَّ

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله الكيزاني رحمه الله أبياتا ذكر فيها الأشهر التي منها ثلاثون يوما والناقصة عن الثلاثين ولم يتعرض للزائدة على الثلاثين وليست بالطائل ،  
وهي هذه :

شُهُورُ الرُّومِ أَلْوَانُ \* زِيَادَاتٌ وَقُصَارُ  
فَقَشِيرُنُهُمُ الثَّانِي \* وَأَيُّوْلُ وَنَيْسَانُ  
ثَلَاثُونَ ثَلَاثُونَ \* سَوَاءٌ وَحَزْرِيَّاتُ  
شَبَاطُ خُصُّ بِالنَّقْصِ \* وَقَدَرُ النِّقْصِ يَوْمَانُ

ونظم صاحب "مناجى الفكر" تداخلها مع شهور القبط في أرجوزة فجاءت في غاية الحسن والوضوح إلا أن فيها طولا ، وهي هذه :

مَتَى تَسَاءُ مَعْرِفَةُ التَّدَاخُلِ \* مِنْ أَوَّلِ الشُّهُورِ فِي الْمَنَازِلِ  
فَعُدَّ مِنْ ثَوْتٍ بِلا تَطْوِيلِ \* أَرْبَعَةٌ فَهِيَ ابْتِدَاءُ أَيُّوْلِ  
وَبَابَةٌ كَذَاكَ مَعَ تَشِيرِينَ \* الْأَوَّلِ السَّابِقِ فِي السِّنِّ  
وَالْخَامِسُ الْمَعْدُودُ مِنْ هَتُورِ \* أَوَّلُ تَشِيرِنِهِمُ الْآخِرِ  
أَوَّلُ كَانَوْنٍ بِمَشْرِ دَلْسِهِ \* إِذَا قُصِّصَتْ مِنْ كَيْتِكَ نَحْسِهِ  
وَكُوبَةُ إِنْ مَرَّ مِنْهُ مِئْتَةٌ \* أَتَاكَ كَانَوْنُ الْآخِرِ بَقْتِهِ  
وَمِنْ شَبَاطٍ أَوَّلُ يَوَاقِ \* سَابِعُ أَمَشِيرِ حَسَابُ صَادِقِ  
أَوَّلُ آذَارِ إِذَا جَلَّتْهُ \* لِإِبْرِمَهَاتِ خَامِسَا وَجَدْتَهُ

أول نيسان لدى التجريد \* السادس المعدود من برمود  
ومثله آيار مع بثنيس \* واحدة مقرونة بخمس  
أما حزيران فيحسبونه \* أوله السابع من يؤنه  
كذلك السابع من أيب \* أول تموز بلا تكذيب  
أول آب عند من يحصل \* ثامن مسرى ذلك مالا يجهل

وبالغ بعض المتأخرين فنظم معنى هذه الأرجوزة في بيت واحد، الحرف الأول  
من الكلمة منه للشهر السرياني- والحرف الأخير للشهر القبطي- وما بينهما لعدد الأيام  
التي اذا مضت من ذلك الشهر القبطي- دخل ذلك الشهر السرياني وهو :

أدت تدب تبه كهك كوط أزا \* أهب نوب أوب حزب ترا أحم  
فالألف من أدت إشارة لأيلول من شهور السريان، وهو آخر شهورهم، والتاء  
إشارة لتوت من شهور القبط، وهو أول شهورهم، والداال من أدت بأربعة، ففى  
الرابع من توت يدخل أيلول، والتاء من تدب إشارة لتشرين الأول، والباء إشارة  
لبابه، والداال بينهما بأربعة، ففى الرابع من بابه يدخل تشرين الأول، والتاء من تبه  
إشارة لتشرين الثانى، والهاء الأخيرة إشارة لهاتور، والهاء المتوسطة بينهما بخمسة ففى  
الخامس من هاتور يدخل تشرين الثانى، والكاف الأولى من كهك إشارة لكانون  
الأول والكاف الأخيرة إشارة لكيهك والهاء بينهما بخمسة، ففى الخامس من كيهك  
يدخل كانون الأول، والكاف من كوط إشارة لكانون الثانى، والطاء إشارة لطوبه،  
والواو بينهما بستة، ففى السادس من طوبه يدخل كانون الثانى، والألف الأولى  
من أزا إشارة لأشباط، والألف الأخيرة إشارة لأمشير، والزاي بينهما بسبعة،  
ففى السابع من أمشير يدخل أشباط، والألف من أهب إشارة لآذار، والباء إشارة  
لبرمهات، والهاء بينهما بخمسة، ففى الخامس من برمهات يدخل آذار، والنون من



نوب إشارة نيسان ، والباء إشارة لبرموده ، والواو بينهما بستة ، ففى السادس من برموده يدخل نيسان ؛ والألف من أوب إشارة لأيار ، والباء إشارة لبشنس ، والواو بينهما بستة ، ففى السادس من بشنس يدخل أيار ؛ والحاء من حزب إشارة لحزيران ، والباء إشارة لبؤنه ، والزاي بينهما بسعة ، ففى السابع من بؤنه يدخل حزيران ، والثاء من ترأ إشارة لتموز ، والألف إشارة لأبيب ، والزاي بينهما بسبعة ، ففى السابع من أبيب يدخل تموز ، والألف من احم إشارة لآب ، والميم إشارة لمسرى ، والحاء بينهما بمائة ، ففى الثامن من مسرى يدخل آب .

وأما شعور الزوم : (وتنسب لأغسطس ملك الروم) وهو قصر الأول ، فثلاثا عشر شهرا ، بعضها ثلاثون يوما ، وبعضها زائد على الثلاثين ، وبعضها ناقص عنها كما فى شعور السريان ؛ وهى مطابقة لشهور السريان فى العدد ؛ مخالفة لها فى الأسماء والترتيب . الشهر الأول ينير ، ويوافق كانون الثانى من شعور السريان ، وهو الرابع من شعورهم ، وفى أول يوم منه يكون القلداس ، ويوقد أهل الشام فى بيته نيرانا عظيمة ، لاسيما مدينة أنطاكية ، وكذلك سائر بلاد الشام وأرض الروم ، وسائر بلاد النصارى . الشهر الثانى فبرير ، ويوافق شباط من شعور السريان ؛ وهو الخامس من شعورهم . الشهر الثالث مارس ، ويوافق آذار من شعور السريان ، وهو السادس من شعورهم . الشهر الرابع إبريل ؛ ويوافق نيسان من شعور السريان ، وهو السابع من شعورهم . الشهر الخامس مايو ، ويوافق أيار من شعور السريان ، وهو الثامن من شعورهم . الشهر السادس يونيه ؛ ويوافق حزيران من شعور السريان ، وهو التاسع من شعورهم . الشهر السابع يوليه ، ويوافق تموز من شعور السريان ، وهو العاشر من شعورهم . الشهر الثامن أغشت ، ويوافق آب من شعور السريان ، وهو الحادى عشر من شعورهم . الشهر التاسع شتبر ، ويوافق أيلول من شعور

السريان، وهو الثاني عشر من شهورهم . الشهر العاشر أكتوبر، ويوافق تشرين الأول من شهور السريان، وهو الأول من شهورهم . الشهر الحادى عشر نوفمبر، ويوافق تشرين الثانى من شهور السريان، وهو الثانى من شهورهم . الشهر الثانى عشر دجنبر، ويوافق كانون الأول من شهور السريان، وهو الثالث من شهورهم ، وقد نظمها الشيخ ابراهيم النعشورى فقال :

ينيرُ قَبرِيزَ مارسَ للروم \* أبريل مائة خامس المعلوم  
يُبْنِى وَيُلبِى ثُمَّ أَغْشَتْ شَتْبَر \* أكتوبر نوفمبر دجنبر

### الطرف الثالث

فى السنين، وفيه ثلاث جمل

### الجملة الأولى

فى مدلول السنة والعام

يقال : السنة، والعام، والحول؛ وقد نطق القرآن بالأسماء الثلاثة قال تعالى :  
﴿ قُلْتُ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا تَحْسِينَ عَامًا ﴾ فأتى بذكر السنة والعام فى آية واحدة ،  
وقال جل وعز : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وقد تختص السنة  
بالجذب والعام بالخِصْب، وبذلك ورد القرآن الكريم فى بعض الآيات قال تعالى :  
﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ فعبر بالعام عن الخِصْب  
وقال جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ فعبر  
بالسنين عن الجذب . على أنه قد وقع التعبير بالسنين عن الخِصْب أيضا فى قوله  
تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سَبِيلِهِ ﴾ . أما الحول  
فإنه يقع على الخِصْب والجذب جميعا .

## الجملة الثانية

في حقيقة السنة، وهي على قسمين : طبيعية وأصطلاحية كما تقدم في الشهور

### القسم الأول

السنة الطبيعية وهي القمرية

وأولها استهلال القمر في غرة المحرم ، وآخرها سَلَخ ذى الحجة من تلك السنة ، وهي اثنا عشر شهرا هلاليا قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِلَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . وعدد أيامها ثلثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما ونمُسُ وسدسُ يوم تقريبا ، ويجتمع من هذا الخمس والسدس يوم في كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ، ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء ، فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد ، وكذلك الى أن يبقى الكسر أصلا بأحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة ، وتسمى تلك السنين بكأْس العرب .

قال السهيلي : كانوا يُؤخرون في كل عام أحد عشر يوما حتى يَدُورَ الدُّورُ الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ، فلما كانت سنة حجة الوداع وهي سنة تسع من الهجرة عاد الحج الى وقته اتفاقا في ذى الحجة كما وضع أولا ، فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الحج ، ثم قال في خطبته التي خطبها يومئذ : «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» بمعنى أن الحج قد عاد في ذى الحجة . وفي بعض التعاليق أن منى العرب كانت موافقة لسنى الفرس في الدخول والأنسلاخ فحدثت في أحوالهم انتقالات فسد عليهم بها الكؤس في أول السنة السادسة من ملك أعيطش ، وذلك بعد ملك ذى القرنين بمائتين وعشرين سنة وأربعين يوما فسئوا كهس

الرج من ذلك اليوم في كل سنة فصارت سنينهم بعد ذلك الوقت محفوظة المواقيت .  
وقيل لم تزل العرب في جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لا تتسأ  
سنيها الى أن جاورتهم اليهود في يثرب ، فأرادت العرب أن يكون حجهم في أخصب  
وقت من السنة ، وأسهل زمان للتردد بالتجارة فعملوا الكبس من اليهود والله أعلم  
أي ذلك كان .

## القسم الثاني

### الاصطلاحية وهي الشمسية

وشهورها اثنا عشر شهراً كما في السنة الطبيعية إلا أن كل طائفة راعت ملة  
دوران سنيها جعلت في أشهرها زيادة في الأيام إما جملة واحدة وإما متفرقة وسمتها  
نسباً بحسب ما اصطلاحوا عليه كما ستقف عليه في مصطلح كل قوم إن شاء الله تعالى .  
ومدد أيامها عند جميع الطوائف من القبط ، والفرس ، والسرمان ، والروم ، وغيرهم  
ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً ورج يوم ، فتكون زيادتها على العربية عشرة أيام  
وثمانية أعشار يوم وخمسة أمداس يوم . وقد قال بعض حذائق المفسرين في قوله  
تعالى : ﴿ وَلَيْسُوا فِي كُفْرِهِمْ ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ﴾ : إنه إن مل على السنين  
القمرية فهو على ظاهره من العدد ، وإن حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة  
هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية ، لأن في كل ثلاثمائة سنة تسع سنين لا تحيل  
بالحساب أصلاً .

قال صاحب "منهاج الفكر" ولذلك كانوا في صدر الإسلام يَنْقُطُونَ عند رأس  
كل ثلاث وثلاثين سنة عربية سنةً ويسمونها سنة الأزدلاف ، لأن كل ثلاث  
وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنة شمسية تقريباً . قال وإنما حملهم على ذلك  
القرار من اسم النسيء الذي أخبر الله تعالى أنه زيادة في الكفر .

ثم المعتبرون السنة الشمسية اختلقت مصطلحاتهم فيها بحسب اختلاف مقاصدهم .  
المصطلح الأول — مصطلح القبط ، وقد اصطلمحو على أن جعلوا شهرهم ثلاثين  
يوما كما تقدم ، فإذا انقضت الاثنا عشر شهرا أضافوا اليها خمسة أيام يسمونها أيام  
النسيء ، يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية ، فإذا كانت السنة الرابعة أضافوا الى خمسة  
النسيء المذكورة ما اجتمع من الريح يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية  
فتصير ستة أيام ، ويعملونها كيسة في تلك السنة ، وبعض ظرفاتهم يسمي الخمسة  
المزيدة السنة الصغيرة .

قال أصحاب الزيجات : وأول ابتدائهم ذلك في زمن أغشطش . وكانوا من قبل  
يتكون الريح الى أن تجتمع أيام سنة كاملة وذلك في ألف سنة وأربعمائة وإحدى  
وستين سنة ويسقطونها من سنهم ؛ وعلى هذا المصطلح استقر عملهم بالديار المصرية  
في الإقطاعات ، والزرع ، والخراج ، وما شاكل ذلك .

المصطلح الثاني — مصطلح الفرس ؛ وشهورهم كشهور القبط في عدد الأيام  
على ما تقدم ، فإذا كان آخر شهر أبان ماه ، وهو الشهر السابع<sup>(١)</sup> من شهورهم أضافوا اليه  
الخمس الأيام الباقية وجعلوه خمسة وثلاثين يوما ، وتسمى الفرس هذه الأيام  
الخمس : الاندركاه ؛ ولكل يوم منها عندهم اسم خاص كما في أيام الشهر ؛ ولما لم يميز  
في معتقدهم كبس السنة بيوم واحد بعد ثلاث سنين كما فعل القبط كانوا يؤخرونه  
الى أن يتم منه في مائة وعشرين سنة شهر كامل فيلقونه ، وتسمى السنة التي يلحق فيها  
بهره<sup>(٢)</sup> ، قال المسعودي في "مروج الذهب" : وإنما أخرّوا ذلك الى مائة وعشرين  
سنة لأن أيامهم كانت سعوذا ونحوها فكبروها أن يكبسوا في كل أربع سنين يوما  
فتنتقل بذلك أيام السعوذ الى أيام النحوس ، ولا يكون التبروز أول يوم من الشهر .  
(١) الصواب الثامن كما يعمد . (٢) في مروج الذهب — الهاركة ، وفي الفزو — برك .

وعلى هذا المصطلح كان يُجيّ الخرجاء للبقاء، وتمتشي الأحوال الديوانية في بداية الأمر، وعليه العمل في العراق وبلاد فارس الى الآن .

المصطلح الثالث - مصطلح السريان ، وشهورهم على ما تقدّم من كونها تارة ثلاثين يوما وتارة زائدة عليها، وتارة ناقصة عنها، وإنما فعلوا ذلك حتى لا يلحقهم النسيء في شهورهم إذ الأيام الخمسة المذكورة الزائدة على شهور القبط والقُرس موزعة على رموس الزوائد من شهورهم ، وذلك أن من شهورهم سبعة أشهر يزيد كل شهر منها يوما على الثلاثين وهي تشرين الأول، وكانون الأول، وكانون الثاني، وآذار، وأيار، وتموز، وآب، فتكون الزيادة سبعة أيام يكمل منها شباط وهو ثمانية وعشرون يوما بيومين يبقى خمسة أيام ، وهي نظير النسيء في سنة القبط والقُرس ، ويبقى بعد ذلك الريح يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية ، فإذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأرباع الثلاثة المبلغاة الى الريح الرابع فيجتمع منها يوم فيجعلونه نظير اليوم الذي كبسه القبط ويضيفونه الى شباط، فيصير تسعة وعشرين يوما .

المصطلح الرابع - مصطلح اليهود ، وشهورهم وإن كانت قمرية كالعربية كما تقدّم فقد اضطرّوا الى أن تكون سنّهم شمسية لأنهم أمروا في التوراة أن يكون عيد الفطر في زمان الفريك فلم يأت لهم ذلك حتى جعلوا سنينهم قسمين : الأول بسيطاً ومعناه بسيطة وهي القمرية ، والثاني معبارت ، ومعناه كبسة وهم يكبسون شهرا كاملا ، ومعبارت اسم موضوع عندهم على الكامل؛ فانه لما كان في بطنها زيادة عليها كانت هذه السنة مثلها بإضافة الشهر المكبوس اليها ، وكل واحدة من السنين ثلاثة أنواع أحدها حسارين ومعناه ناقصة ، وهي التي يكون الشهر الثاني والثالث منها (وهما مرحشوان وكسلا) ناقصين، وكل واحد منهما تسعة وعشرون

يوماً؛ والنوع الثانى شلايم ومعناه تامة، وهى التى يكون فيها كل شهر من الشهرين المذكورين تاماً؛ والنوع الثالث كسدران ومعناه معسلة، وهى التى تكون أشهرها ناقص يتلوه تاءً؛ وهذا يلزم من جهة أنهم لا يميزون أن يكون رأس سنتهم يوم أحد ولا يوم أربعاء ولا يوم خميس .

وأما معبارت فانها تكون فى كل تسع عشرة سنة سبع مرات، ويسمّون الجملة مخزوا ومعناه الدور؛ وهذه السبعة لا تكون على التوالى، وإنما تكون تارة ستان بشيطان يتلوها معبارت، وتارة سنة بشيطا يتلوها معبارت، كل ذلك حتى لا تخرم عليهم قاعدة الثلاثة أيام التى لا يختارونها أن تكون أول سنتهم، فاذا انقضى آذار من هذه السنة كبسوا شهرا وسموه آذار الثانى، فإذا انقضت التسع عشرة سنة أعادوا دورا ثانيا وعمِلوا فيه كذلك وعلى هذا أبدا .

أما مصطلح المتجمّعين فالسنة عندهم من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الحمل الى حلولها فى آخر نقطة من الحوت، ومنهم من يجعلها من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الميزان الى حلولها فى آخر نقطة من السنبلة، والأول هو المعروف . وتساهل بعضهم فقال : هى من كون الشمس فى نقطة ما من فلك البروج الى عودها الى تلك النقطة، ويقال إن سنة الجند والمرّة بالديار المصرية كانت أولا على هذا المصطلح، وبه يعملون فى الإقطاعات ونحوها .

## الجملة الثالثة

فى فصول السنة الأربعة وفيه ثلاثة مَهَاجِعَ

## المَهَاجِعُ الأول

فى الحكمة فى تغيير الفصول الأربعة فى السنة

وأعلم أن الفصول تختلف بحسب اختلاف طبائع السنة لثبائِنِ مصالح أوقاتها  
حكمة من الله تعالى . قال بطليموس : تحتاج الأبدان الى تغيير الفصول ، فالشتاء  
للتجميد ، والصيف للتخليل ، والخريف للتدريج ، والربيع للتعديل . وعلى ذلك  
يقال : إن أصل وَضْعِ الحَماَمِ أربعة بيوت بعضها دون بعض على التدريج ترتيبها  
على الفصول الأربعة .

## المَهَاجِعُ الثانى

فى كيفية اقسام السنة الشمسية الى الفصول

واعلم أن دائرة منطقة البروج لما قاطعت دائرة معتدل النهار على نقطتين متقابلتين<sup>(١)</sup>  
مال عنهما فى جهتي الشمال والجنوب بقدر واحد ، فالتقطة التى تجوز عليها الشمس  
من ناحية الجنوب الى الشمال عن معتدل النهار تسمى نقطة الاعتدال الربيعي ،  
وهي أول الحمل ، والتقطة التى تجوز عليها من الشمال الى الجنوب تسمى نقطة الاعتدال  
الخريفي وهى أول الميزان . ويتوهم فى الفلك دائرة ثالثة معترضة من الشمال الى  
الجنوب تمر على أقطاب تقابل الدائرة المخطوطة على الفلكين تقطع كل واحد من  
فلك معتدل النهار وفلك البروج بنصفين ، فوجب أن يكون قطعها لفلك البروج على

(١) لعله مال نصفها فى جهة الشمال والأخرى فى جهة الجنوب كما يستفاد من المقرئى .



النقطتين اللتين هما في زاوية الميل والبعد عن معتل النهار في جهتي الشمال والجنوب  
تسمى النقطة الشمالية نقطة المقلب الصيفي وهي أول السرطان؛ وتسمى النقطة  
الجنوبية نقطة المقلب الشتوي، وهي أول الجدي . واختلاف طبائع الفصول  
عن حركة الشمس وتقلبها في هذه النقط ، فانها اذا تحركت من الحمل ، وهو أول  
البروج الشمالية أخذ الهواء في السخونة لقربها من سمت الرئوس وتواتر الإحضان الى  
أن تصل الى أول السرطان ، وحينئذ يشتد الحر في السرطان والأمد الى أن تصل  
الى الميزان ، حينئذ يطيب الهواء ويستدل ؛ ثم يأخذ الهواء في البرودة ويتواتر الى  
أول الجدي ، وحينئذ يشتد البرد في الجدي والدلو لبعد الشمس من سمت الرئوس  
الى أن تصل الى الحمل فتعود الشمس الى أول حركتها .

### المهيع الثالث

في ذكر الفصول، وأزمنتها، وطبائعها ، وما حصة كل فصل منها

من البروج والمنازل ؛ وهي أربعة فصول

الأول - فصل الربيع - وابتدأؤه عند حلول الشمس برأس الحمل . وقد تقدم  
ومدته أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم . وأوله حلول الشمس رأس  
الحمل ، وآخره عند قطعها بروج الجوزاء ؛ وله من الكواكب القمر، والأهرة، ومن  
المنازل السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والمقعة، والمهنة، والنراع بما  
في ذلك من التداخل كما مر ؛ ومن الساعات الأولى والثانية والثالثة ؛ ومن الرياح  
الجنوب ؛ وطبعه حار رطب ؛ وله من السن الطفوية والحدأة ؛ ومن الأخلاط  
الدم ؛ ومن القوى الهاضمة . وفيه تتحرك الطبائع ، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء،  
فيطلع النبات، وتزهر الأشجار وتورق، ويهيج الحيوان للسفاد، وتدوب الثلج،

وَتَتَّبِعُ الْعَيْنُ ، وَتَسِيلُ الْأَوْدِيَةُ ، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زُنُفَهَا وَأَزَيَّتْ فَصَصِيرُكَانَهَا  
عَرُوسٌ تَبَدَّتْ لُحْطَابُهَا ، فِي مُصَبِّغَاتِ ثِيَابِهَا ، وَيُقَالُ : إِذَا نَزَلَتِ الشَّمْسُ رَأْسَ  
الْحَمَلِ تَصَرَّمُ الشِّتَاءُ ، وَتَتَّقِسُ الرِّبْعُ ، وَاخْتَالَتِ الْأَرْضُ فِي وَشْيِهَا الْبَدِيعُ ، وَتَبَرَّجَتْ  
لِلنَّظَارَةِ فِي مَعْرِضِ الْحُسْنِ وَالنَّصَارَةِ .

ومن كلام الوزير المغربي : لو كان زمنُ الربيع شخصًا لكان مُقْبِلًا ، ولو أن  
الأيام حيوان لكان لها حليا ومُجَلَّلًا ، لأن الشمس تخلص فيه من ظلمات حُوت  
السَّاءِ ، خَلَّاصَ يُونُسَ مِنْ ظُلُمَاتِ حُوتِ الْمَاءِ ، فَإِذَا وَرَدَتْ الْحَمَلُ وَافَتْ أَحَبَّ  
الْأَوْطَانِ إِلَيْهَا وَأَعَزَّ أَمَاكِنِهَا عَلَيْهَا .

وكان عبّوس الخراساني يقول : من لم يتهجج بالربيع ، ولم يستمتع بأنواره  
ولا استروح بنسيم أزهاره ، فهو فاسد المزاج ، محتاجٌ إلى العلاج .

ويروى عن بقرات الحكيم مثله ، وفيه بدل قوله : ”فهو فاسد المزاج“ فهو عديم  
حسن ، أو سقيم نفس . ولجلالة محلّ هذا الفصل في القلوب ، ولتروله من النفوس  
مترلة الكاعب الخلوّب ، كانت الملوك إذا عيّنته استعملت ما يضيّاهي زهره من  
البُسط المصوّرة المنقّشة ، والنّمازق المَقْفُوفَةُ المرقّشة . وقد كان لأنوار شروان بساط  
يسميه بساط الشّتاء ، مرصّع بأزرق الياقوت والجواهر ، وأصفره وأبيضه وأحمره ،  
وقد جعل أخضره مكان أغصان الأشجار ، وألوانه بموضع الزّهر والنّوار . ولما أخذ  
هذا البساط في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في واقعة القادسية ، حمل إليه  
فيما أفاء الله على المسلمين ؛ فلما رآه قال : ”إِنَّ أُمَّةً أَتَتْ هَذَا إِلَى أَمِيرِهَا لِأَمِينَةٍ“  
ثم مرّقه فوقع منه لعلّ عليه السلام قطعة في قسمه مقدارها شبر في شبر فباعها بخمسة  
عشر ألف دينار .

وقد أطنب الناس في وصف هذا الفصل ومدحه ، وأتوا بما يقصر عن شرحه ،  
وتعالى الشعراء فيه غاية التغالى ، وفضلوا أيامه وليلاته على الأيام والليالي ، وما أحل  
قول البحري :

أناك الربيعُ الطلقُ محتالٌ ضاحكًا \* من الحسنِ حتى كاد أن يتكلمًا  
وقد نبه النوروزُ في غسي الدُّجى \* أوائلَ وردٍ كن بالأمس نوما  
يفتحها بردُ الندى فكأما \* يثُ حديثًا بينهن مكنما  
ومن تَجَرَّ ردَّ الربيعِ رداءه \* كما نثرت ثوبا عليه مئنا  
أحل فأبدى للعيون بشاشة \* وكان قدى للعين إذ كان محرمًا  
ورق نسيم الجو حتى كأما \* يبيءُ بأنفاسِ الأجيّةِ نعا

وأحل منه قول أحمد بن محمد العلوي :

أوما ترى الأيام كيف تبرجت \* ورسمها وإل عليها قيم  
يبت به الأرض الجمال فتنها \* متأزر ببردٍ ممتع  
أنظر الى وني الرياض كأنه \* وني تشره الأكف يئتم  
والنور يهوى كالعمود تبددت \* والورد يحجل والأقلى تبسم  
والطل ينظم فوقه لآلها \* قد زان منن الفرادى التوهم  
ويكاد يدرى الدمع نرجسها اذا \* أضنى وقطر من شقائقها الدم

ومنها :

أرض تبايها السماء اذا دجا \* ليل ولاحت في دجها الأنيهم  
فليخضرة الجو أخضرار رياضها \* وزهره زهر ونور يجم  
وكا يسقى سنا المجرة برة \* وإد يسقى الأرض طام مقيم  
لم يبق إلا الدهر إذ باهت به \* وحيا يهود به ثلث مريم

وقول الآخر :

طَرَّقَ الْحَيَاءُ بَيْتَ الْمَشْكُورِ \* أَهْلًا بِهِ مِنْ زَائِرٍ وَمُزَوِّرِ  
وَحَبَا الرِّيَاضَ غِلَاطَةً مِنْ وَشِيهِ \* بَغَائِبِ التَّقْوِيفِ وَالتَّحْيِيرِ  
وَأَعَارَهَا حَلِيًّا تَأْتِي الْغَيْثُ فِي \* تَرْصِيعِهِ بِجَوَاهِرِ الْمَشُورِ  
بُورْدٍ كُورْدٍ الْيَاقُوتِ قَا \* رَبِّ أَيْضًا كَصَاعِدِ الْكَافُورِ  
وَمُعْصِفِ شَرِيقٍ وَأَصْفَرِ فَاغِيحِ \* فِي أَخْضِرِ كَالسُّنْدُسِ الْمَنْشُورِ  
فَكَانَ أَرْزَقَهُ بَقَايَا إِمْنِيدِ \* فِي أَعْيُنِ مَكْحُولَةٍ بِشُّورِ  
كُلَّتْ صِفَاتُ الزَّهْرِ فِيهِ فَنَابَعَهُ \* لَغَابَ مِنْ أَنْوَاعِهِ بِمُحْضُورِ

وقول الآخر :

أَشْرَبَ هَنِيئًا قَدْ أَتَاكَ زَمَانُ \* مَتَعَطَّرٌ مَتَهَلَّلٌ تَسَوَاتُ  
فَالْأَرْضُ وَشَى وَالنَّسِيمُ مُعْتَبَرُ \* وَالْمَاءُ رَاحٌ وَالطُّيُورُ قِيَانُ

الثاني - فصل الصيف : وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف من يوم  
وابتدأؤه اذا حلت الشمس رأس السرطان ، واتهأؤه اذا أتت على آخر درجة من  
السنبلية ؛ فيكون له من البروج السرطان ، والأمد ، والسنبلية . وهذه البروج تدل  
على السكون ، وله من الكواكب المريخ والشمس ، ومن المنازل الثرة ، والطرف ،  
والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعواء ، والساك يتداخل فيه ؛ وله من الساعات  
الرابعة والخامسة والسادسة ، ومن الرياح الصبا ، وطبعه حار يابس ؛ وله من السن  
الشباب ؛ ومن الأخلاط المرة الصفراء ؛ ومن القوى القوة النفسية والحيوانية .  
وللعرب في هذا الفصل وغرات : وهى الحرور ؛ منها وغرة الشعرى ، وغرة  
الجوزاء ، وغرة سهيل ، أولها أقواها حرا ؛ يقال إن الرجل في هذه الوغرة يقطعش  
بين الحوض والبر ؛ واذا طلع سهيل ذهبت الوغرات ؛ وتسمى الرياح التى في هذه

الْوَعْرَاتِ الْبَوَارِحَ، سَمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنهَا تَأْتِي مِنْ يَسَارِ الْكَمْبَةِ كَمَا بَرَحَ الظُّمِّي إِذَا أَتَاكَ مِنْ يَسَارِكَ؛ وَقَدْ أُولِعَ النَّاسُ بَيْنَ لَفَعَاتِ الْحَزِّ وَسُجُومِهِ، وَأَتَوْا فِيهِ بِبِدَائِعِ تَهْلُجٍ مِنْ قَلْبِ الصَّبِّ غَمَامَ غَمُومِهِ. وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: أَوْقَلْتُ الظَّهِيرَةَ نَارَهَا، وَأَذْكَتُ أَوَارَهَا، فَأَذَابَتْ دِمَاعَ الصَّبِّ، وَأَلْهَبَتْ قَلْبَ الصَّبِّ؛ هَاجِرَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ، إِذَا اشْتَعَلَتْ فِيهَا بَارُ الْفِرَاقِ؛ حَرَّتْهُرْبُ لَهُ الْحِرْبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ، وَتَسْتَجِيرُ بِتَرَاكُمِ الرَّسِّ؛ لَا يَطِيبُ مَعَهُ عَيْشٌ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ تَلَجٌ وَلَا خَيْشٌ؛ فَهُوَ كَالْقَلْبِ الْمَهْجُورِ، أَوْ كَالْتَّنُورِ الْمَسْجُورِ. وَوَصَفَ بَعْضُهُمْ، وَهُوَ ذُو الرِّقَّةِ، حُرَّاجَةً فَقَالَ:

وَهَاجِرَةٌ حَرُّهَا وَإِقْدٌ \* تَصَبَّتْ لِحَاجِبِهَا حَاجِبِي

تَلَوُّذٌ مِنَ الشَّمْسِ أَطْلَاؤُهَا \* يَبَازُ الْغَرِيمِ مِنَ الطَّالِبِ

وَتَسْجُدُ لِلشَّمْسِ حِرَابُهَا \* كَمَا يَسْجُدُ الْقَسُّ لِلرَّاهِبِ

وَقَالَ سُوَّارُ بْنُ الْمُضَرِّسِ:

وَهَاجِرَةٌ تُسْتَوَى بِالسُّمُومِ \* جَنَادِيهَا فِي رُغُوسِ الْأَكَمِ

إِذَا الْمَوْتُ أَخْطَأَ حِرَابَهَا \* رَمَى نَفْسَهُ بِالْعَمَى وَالصَّمَمِ

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي:

وَهِجِيرَةٌ كَالْمَجَرِّ مَوْجُ سَرَابِهَا \* كَالْبَحْرِ لَيْسَ لِمَائِهَا مِنْ طُحُطٍ

وَإِنِّي بِهِ الْحِرْبَاءُ عُودِي مَنِيرٍ \* لِلظُّهْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْطُبِ

وَقَالَ آخَرُ:

وَرُبَّ يَوْمٍ حَرُّهُ مُنْضِجٌ \* كَأَنَّهُ أَحْنَاءُ ظَمَانِ

كَأَنَّمَا الْأَرْضُ عَلَى رَضْفَةٍ \* وَالْحَوْثُ تَحْتُو بَنِيرَانِ

وَبَالِغُ الْأَمِيرِ نَاصِرُ الدِّينِ بْنِ الْفَقَيْسِيِّ فَقَالَ مِنْ أَيْبَاتِ:

فِي زَمَانٍ يَتَسَوَّى الْوُجُوهُ بِحَرٍّ \* وَيُذِيبُ الْجُسُومَ لَوْ كُنَّ مَحْضَرَا

لَا تَطِيرُ النُّسُورُ فِيهِ إِذَا مَا • وَقَعَتْ شَمْسُهُ وَقَارَبَ ظُهْرُهَا  
يَسْتَكِي الضَّبُّ مَا اسْتَكَى الصَّبُّ فِيهِ • وَلِحَرْبَانِهِ إِلَى الظِّلِّ حَرًّا  
وَيُودُّ الفُصْنَ الرُّطِيبُ بِهِ لَوْ • أَنَّهُ مِنْ لِحَائِهِ يَتَعَرَّى  
وقال أيضا يَصِفُ لَيْلَةَ شَدِيدَةِ الْحَرِّ :

يَا لَيْلَةً يَتَّسِرُ بِهَا سَاهِرًا • مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَقَرِطَ الْأَوَارِ  
كَأَنِّي فِي جُنْحِهَا مُحْرِمٌ • لَوْ أَنَّ لِلْعَوْرَةِ مِنِّي اسْتِئْزَارُ  
وَكَيْفَ لَا أُحْرِمُ فِي لَيْلَةٍ • سَمَاؤُهَا بِالشَّهَبِ تَرِي الْجَمَارُ

على أن أبا علي بن رَشِيقٍ قد فَضَّلَهُ على فصل الشتاء فقال :

فَصَلُّ الشِّتَاءَ مُبِينٌ لَا خَفَاءَ بِهِ • وَالصَّيْفُ أَفْضَلُ مِنِّي حِينَ يَفْشَا كَا  
فِيهِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ • فِي جَنَّةِ الْكُلْدِ إِنْ جَاءُوهُ نُسَاكَ  
أَنْهَارُ تَحْمِرُ وَأَطْيَارٌ وَفَاكِهَةٌ • مَا شِئْتُ مِنْ ذَا وَمِنْ هَذَا وَمِنْ ذَا كَا  
قُلْتُ لَنْ قَالَ لَوْلَا ذَاكَ لَمْ يَكْ ذَا • إِذَا تَخَفَّضَ عَلَى أَنْوَاعِ دُنْيَا كَا  
سَمَّ الشِّتَاءَ بَعَائِسُ تُصَبُّ غَرَضًا • مِنَ الصَّوَابِ وَسَمَّ الصَّيْفَ صَحَاكَا

الثالث - فصل الخريف، وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن

يوم . وأوله عند حُلُولِ الشمسِ رَأْسِ المِيزَانِ ؛ وذلك في الثامن عشر من توت وإذا  
بَقِيَ من أيلول ثمانية أيام ؛ وآخره إذا أَتَتْ الشمسُ على آخر درجة من القوس ؛  
فيكون له من البروج المِيزَانُ والعقربُ والقوسُ ؛ وهذه البروج تدلُّ على الحركة ،  
وله من الكواكب زُحَلٌ ، ومن الساعات السابعة والثامنة . والطالع فيه مع الفجر  
من المنازل الغفر والزَّيْطَانُ والإكليل والقلب والشَّوْلَةُ والتَّعَامُ والبَلَّةُ يتداخل فيه .  
وهو بارد يابس ، له من السَّنِّ الكُهُولَةُ ؛ تهيج فيه المِرَّةُ السوداء ، وتقوى فيه القوة  
الماسكة ، وتهبُّ فيه الرياحُ الشَّيْطَانِيَّةُ ، وفيه يبردُ الهواءُ ، ويتغيرُ الزَّمَانُ ، وتصرم

الثَّارُ، ويتغير وجه الأرض، وتَهْزُلُ البهائم، وتموت الهوام، وتَجْحَرُ الحشرات، ويطلب الطير المواضع الدفقة، وتصير الأرض كأنها كهلةٌ مَذْرَةٌ. ويقال: فصل الخريف ربيع النفس كما أن الربيع ربيع العين، فإنه ميقَاتُ الأقوات، وموسم الثَّارِ، وأوانُ شَبَابِ الأشجار؛ وللنفوس في آثاره مَرَبِعٌ، وللنُصُوم بمواقع خيراته مستمتع. وقد وصفه الصابي فقال الخريف أضح فصول السنة زمانا، وأسهلها أوانا، وهو أحد الاعتدالين المتوسطين بين الانقلابين، حين أبدت الأرض عن ثمرتها، وصرحت عن زُبدتها؛ وأطلقت السماء حَوَافِلَ أنواتها، وأذنت بانسكاب مائها؛ وصارتِ الموارد، كَتُونِ المآرد؛ صفاءً من كدرها، وتهذبا من عكرها؛ وأطرادا مع نفحات الهواء، وحركات الرياح الشَّجَواء؛ وأكنت الماشية وبرها التَّشْيَب، والطارئ ريشه العجيب“.

ومن كلام ابن شبل: كل ما يظهر في الربيع نُوَّارُهُ ففي الخريف تُجْتَنِي ثِمَارُهُ.  
وقال أبو بكر الصنوبري:

ما قَضَى فِي الرَّبِيعِ حَقَّ الْمَسْرَا \* تِ مُضِيعٌ لِحَقِّهَا فِي الْخَرِيفِ  
نَحْنُ مِنْهُ عَلَى تَلَقُّ شَتَاءٍ \* يُوجِبُ الْقَصْفَ أَوْ دَاعَ مَصِيفِ  
فِي قَيْصٍ مِنَ الزَّمَانِ وَفِي قِي \* وَرِدَاءٍ مِنَ الْمَوَاءِ خَفِيفِ  
يَرْعُدُ الْمَاءُ فِيهِ خَوْفًا إِذَا مَا \* لَمَسْتَهُ يَدُ النَّسِيمِ الضَّعِيفِ  
وقال ابن الرومي يصفه:

لَوْلَا فَوَاكِهُ أَيْلُولُ إِذَا اجْتَمَعَتْ \* مِنْ كُلِّ قَرْنٍ وَرَقُّ الْجَوِّ وَالْمَاءِ  
إِذَا لَمَّا حَفَلَتْ نَفْسِي إِذَا اشْتَمَلَتْ \* عَلَى هَائِلَةِ الْحَالَيْنِ غَبَاءِ  
يَاجِبًا لَيْلُ أَيْلُولٍ إِذَا بَرَدَتْ \* فِيهِ مَضَاجِنَا وَالرَّيْحُ شَجَواءِ  
وَنَمَشُ الْقُرْفِ فِيهِ الْجِلْدَ وَالْتَأَمَتْ \* مِنَ الضَّيْجِيِّينِ أَجْسَامُ وَأَحْشَاءُ

وَأَسْفَرَ التَّمَرُ السَّارَى بَصْفَحَتِهِ \* يُرَى لَهَا فِي صَفَاءِ الْمَاءِ لَأْلَاءُ  
 بِلْ جَبْدًا تَفْعُهُ مِنْ رِيحِهِ سَحْرًا \* يَأْتِيكَ فِيهَا مِنَ الرِّيحَانِ أَنْبَاءُ  
 قُلْ فِيهِ مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ تَمَهُدُهُ \* فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُّ لَكَ بَيْضَاءُ  
 وقال عبد الله بن المعتز يصفه ويفضله على الصيف من أبيات :

طَابَ شَرْبُ الصَّبُوحِ فِي أَيْلُولِ \* بَرَدَ الظِّلُّ فِي الضُّحَى وَالْأَصِيلِ  
 وَخَبَتْ لَفْعَةُ الْمَوَاجِرِ عَنَّا \* وَأَسْتَرَحْنَا مِنَ النَّهَارِ الطَّوِيلِ  
 وَنَجَرْنَا مِنَ السُّمُومِ إِلَى بَرٍّ \* دِ نَسِيمٍ وَطِيبٍ ظِلٌّ ظَلِيلِ  
 فَكُنَّا نَزْدَادُ قَرَبًا مِنَ الْجَنَّةِ \* فِي كُلِّ شَارِقٍ وَأَصِيلِ  
 وَوُجُوهُ الْبَقَاعِ تَتَنَظَّرُ الْغَيْهَ \* مَتَّ أَنْتَظَارُ الْمَحَبِّ رَدَّ الرَّسُولِ

وقريب منه قول الآخر :

أَشْرَبَ عَلَى طِيبِ الزَّمَانِ فَقَدْ حَدَا \* بِالصَّيْفِ لِلنَّدْمَانِ أَطْيَبُ حَادِ  
 وَأَثْمُنَا بِاللَّيْلِ بَرَدَ نَسِيمِهِ \* فَارْتَاخَتِ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ  
 وَأَفَاكَ بِالْأَنْدَاءِ قُدَّامَ الْحَيَا \* فَالْأَرْضُ لِلْأَمْطَارِ فِي اسْتِمْدَادِ  
 تَكَّمُ فِي صَمَائِرِ تَرْبِهَا مِنْ رَوْضَةٍ \* بِمَسِيلِ مَاءٍ أَوْ قَرَارَةٍ وَإِدِ  
 تَبْدُو إِذَا جَاءَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ \* فَكُنَّا كُنَّا عَلَى مِعَادِ  
 ومما يقرب منه قول بحظلة البرمكي :

لَا تَصْغِ اللَّوْمُ إِنْ اللَّوْمُ تَضَلُّلُ \* وَأَشْرَبَ فِي الشَّرْبِ لِلْأَزْهَانِ تَحْلِيلُ  
 فَقَدْ مَضَى الْقَيْظُ وَأَجْتَنَّتْ رَوَاحِلُهُ \* وَطَابَتِ الرَّيْحُ لِمَا آلَ أَيْلُولُ  
 وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ يَتُّ يَشْتَكِي مَرَّهَا \* إِلَّا وَنَاطِرُهُ بِالطَّلِّ مَكْهُوْلُ

وبالغ بعضهم فسوى بينه وبين فصل الربيع فقال في ضمن تهته لبعض إخوانه :

هَيْتَ لِأَقْبَالِ الْخَرِيرِ \* خَفَ وَفُزَّتْ بِالْوَجْهِ الْوَضِيِّ



تَمَّ اعْتِدَالًا فِي السَّكَا \* لَ بَقَاءٌ فِي خَلْقِ مَسْوَى  
فَحَسَى الرَّبِيعَ بِحُسْنِهِ \* وَتَسِيمَ رِيَاءَهُ الدَّيْكَى  
وَيُسُوبُ وَرْدَ الزَّعْفَرَا \* نِ لَهُ مَنِ الْوَرْدِ الْجَنَفَى

وأبلغ منه قول الآخر يفضله على فصل الربيع الذى هو سيد الفصول ورئيسها :

تَحَاسِنُ الْخَرِيفِ لَمْ تَفْخَرْ \* عَلَى زَمَنِ الرَّبِيعِ وَأَيُّ نَفَرٍ  
بِهِ صَارَ الزَّمَانُ أَمَامَ بَرْدٍ \* يُرَاقِبُ تَزَحَّهَ وَعَقِيبَ حَرٍّ

ومع ذلك فالأطباء تذمه لاستيلاء المِزَّةِ السَّوْدَاءِ فِيهِ، ويقولون : أَنْ هَوَاهُ  
رَدَىءٌ مَتَى تَشَبَّهْتُ بِالْجَسْمِ لَا يُمْكِنُ تَلَافِيهِ ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

خُذْ فِي التَّدَثُّرِ فِي الْخَرِيفِ فَإِنَّهُ \* مُسْتَوْبِلٌ وَتَسِيمُهُ خَطَافٌ  
يَجْرَى مَعَ الْأَيَّامِ جَرَى نَفَاقِهَا \* لَصِيدِيقِهَا وَمَنِ الصَّدِيقِ يُخَافُ

الرَّابِعُ — فصل الشتاء وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم،  
ودخوله عند حُلُولِ الشَّمْسِ رَأْسَ الْجَدَى ؛ وَفِي ذَلِكَ فِي الثَّامِنِ عَشْرٍ مِنْ كَيْفِكَ وَإِذَا  
بَقِيَ مِنْ كَانُونِ الْأَوَّلِ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ وَأَخْرَجَهُ إِذَا أَتَتِ الشَّمْسُ عَلَى آخِرِ دَرَجَةٍ مِنَ الْحَوْتِ  
فَيَكُونُ لَهُ مِنَ الْبُرُوجِ الْجَدَى وَالذَّلْوُ وَالْحَوْتُ ؛ وَهَذِهِ الْبُرُوجُ تَدُلُّ عَلَى السَّكُونِ ؛  
وَالطَّالِعُ فِيهِ مَعَ الْفَجْرِ سَعْدُ الدَّائِجِ، وَسَعْدُ بَلْعَ، وَسَعْدُ السَّعُودِ، وَسَعْدُ الْأَخْيَةِ،  
وَالْقَرَعُ الْمُقْلَمُ وَالْقَرَعُ الْمُؤَثَّرُ، وَالرَّشَاءُ . فِيهِ تَهْبُّ رِيَا حُ الدُّبُورِ، وَهُوَ بَارِدٌ رَطْبٌ . فِيهِ  
يَبِيجُ الْبَلْغَمُ، وَتَضَعُفُ قُوَى الْأَبْدَانِ . لَهُ مِنَ السَّنِّ الشَّيْخُوخَةُ، وَمَنِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةُ  
الْقُوَّةُ الدَّافِعَةُ ؛ وَفِيهِ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ . وَيَحْشُنُ الْهَوَاءُ، وَيَسْقُطُ رَوْقُ الشَّجَرِ، وَتَجَحَّرُ  
الْحَيَاتُ، وَتَكْثُرُ الْأَنْوَاءُ، وَيُظْلَمُ الْجَوُّ، وَتَصِيرُ الْأَرْضُ كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ قَدْ دَنَا مِنْهَا  
الْمَوْتُ . وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمُشْتَرَى وَطَارِدُ، وَمَنِ السَّاعَاتِ الْعَاشِرَةُ وَالْحَادِيَّةُ  
عَشْرَةٌ . وَيَقَالُ إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ الْجَدَى : مَدَّ الشَّتَاءُ رَوَاقَهُ، وَحَلَّ نِطَاقَهُ ؛ وَدَبَّتْ

عقاربُ البردِ لاسِبةٌ ، وقعَ مُدَّتْرُ الكسِبِ كاسِبَه . والبلقاء في وصف حال من أظله ، مُلَحٌ تدفع عن المقرور متى استعذ بها طَلَه ووبله .

فمن ذلك قول بعضهم يَصِفُ شِدَّةَ البردِ : بردٌ يَغَيِّرُ الأَكْوَانِ ، وَيَنْشِفُ الأَبْدَانِ ؛ وَيُحَمَّدُ الرِّيقَ فِي الأَشْدَاقِ ، وَالدَّمْعُ فِي الأَمَاقِ ؛ بَرْدٌ حَالٌ بَيْنَ الكَلْبِ وَهَرِيرِهِ ، وَالأَسَدِ وَزَفِيرِهِ ، وَالطَّيْرِ وَصَفِيرِهِ ، وَالمَاءِ وَخَرِيرِهِ .

ومن كلام الفاضل : فِي لَيْلَةٍ جَمَدَ نَحْمُهَا ، وَتَحَمَّدَ جَحْمُهَا ؛ إِلَى يَوْمٍ تَوَدُّ البَصَلَةَ لَوْ أَزْدَادَتْ قُرْصًا إِلَى قُرْصِهَا ، وَالشَّمْسُ لَوْ جَرَّتْ النَّارَ إِلَى قُرْصِهَا ؛ أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَنَا أَرِيَا حُهُ قَرَّةٌ \* تَحْيِشُ الأَبْدَانَ مِنْ قُرْصِهَا  
يَوْمٌ تَوَدُّ الشَّمْسُ مِنْ بَرْدِهِ \* لَوْ جَرَّتْ النَّارَ إِلَى قُرْصِهَا

ولابن حكيمنا البغدادي :

إِلْهَسَ إِذَا قَدِمَ الشِّتَاءُ بَرُودًا \* وَأَفْرَشَ عَلَى رَغَمِ الحَصِيرِ لُبُودًا  
الرِّيقُ فِي اللِّهَوَاتِ أَصْبَحَ جَامِدًا \* وَالدَّمْعُ فِي الأَمَاقِ صَارَ بَرُودًا  
وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأَيْكَ فِي الهَوَا \* عَادَتْ إِلَيْكَ مِنَ العَقِيقِ عُفُودًا  
وَتَرَى عَلَى بَرْدِ المِيَاهِ طُيُورَهَا \* تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّفُودَا  
يَا صَاحِبَ العُودَيْنِ لَا تُهْمِلْهُمَا \* حَرَّقْ لَنَا عُودًا وَحَرِّكْ عُودَا  
ولبعضهم :

شِتَاءٌ تَقْلِصُ الأَشْدَاقُ مِنْهُ \* وَبَرْدٌ يَحْمِلُ الشُّبَانَ شَيْئًا  
وَأَرْضٌ تَزَلُّقُ الأَهْدَامُ فِيهَا \* فَاتَمَشْ بِهَا إِلَّا دَيْبَا

ومن كلام الزمخشري :

أَقْبَلْتُ يَارِدَ بَرْدٍ أَجْرَدِ \* تَفْعَلُ بِالْأَوَجِهِ فِعْلَ المِتْرِدِ

(١) لله «من» دليل الـ

أَظَلَّ فِي الْيَتِّ كَيْفَ الْمَقْعِدِ \* مُتَقِيضًا تَحْتَ الْكِسَاءِ الْأَسْوَدِ  
لَوْ قِيلَ لِي أَنْتَ أَمِيرُ الْبَلَدِ \* فَهَاتِ لِلْيَتَةِ كَكَّا يُعْقِدِ  
ومن كلام أبي عبد الله بن أبي الخصال يصف ليلة باردة من رسالة: والكلب  
قد صافح خيشومه ذنبه، وأنكر اليت وطئبه؛ والتوى التواء الجباب، واستندار  
استدارة الجباب، وجلده الجليد، وضربه الضرب، وصعد أرقاه الصعيد، فحماء  
مباح، ولا همر ولا نباح.

ومن شعر الحماسة في وصف ليلة شديدة البرد:

في ليلة من جمادى ذات أنديّة \* لا يُبَصِّرُ الْكَلْبُ مِنْ أُنْدَانِهَا الطُّنْبَا  
لا يَبْسُجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ \* حَتَّى يُلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ اللَّتْبَا  
ولأبي القاسم التنوخي:

وَلَيْلَةٌ تَرَكَ الْبَرْدُ الْبِلَادَ بِهَا \* كَالْقَلْبِ أُسْعِرَ نَارًا فَهُوَ مَثْلُوجُ  
فَإِنْ بَسَطْتَ يَدًا لَمْ تَنْسِطْ خَصْرًا \* وَإِنْ ثَقُلَ فَيَقُولُ فِيهِ تَبْيِجُ  
فَنَحْنُ مِنْهُ وَلَمْ نُحْرَسْ ذُو وَخَرَسِ \* وَنَحْنُ فِيهِ وَلَمْ نَفْلَحْ مَفَالَيْجُ  
وقال بعضهم يصف يوما باردا كثير الضباب:

يَوْمٌ مِنَ الزَّمْهِيرِ مَقْرُورُ \* عَلَيْهِ جَبُّ السَّحَابِ مَزْرُورُ  
وَشَمْسُهُ حُرَّةٌ مُخْدَرَةٌ \* لَيْسَ لَهَا مِنْ ضَبَائِهِ نُورُ  
كَأَنَّمَا الْجَوْ حَشَوهُ لِبَرٍّ \* وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ قَوَارِيرُ

وحكى أن أعربيا اشتد به البرد فاضاعت نأرقدا منها ليصطلي، وهو يقول:

اللهم لا تحرمينها في الدنيا ولا في الآخرة؛ أخذه بعضهم فقال وهو في غاية المبالغة:

يَا رَبِّ إِنْ الْبَرْدَ أَصْبَحَ كَالْحَيَا \* وَأَنْتَ يَحْيَا عَالِمُ لَا تُمَلِّمْ  
فَإِنْ كُنْتَ يَوْمًا مُدْخِلٌ فِي جَهَنَّمَ \* فَيَمِثِلُ هَذَا الْيَوْمَ طَابَتْ جَهَنَّمُ

وقد آعنى الناس بمدحه فقال بعضهم : لو لم يكن من فضله إلا أنه تقيب فيه  
الهوام ، وتنجح الحشرات ، ويموت الذباب ، ويهلك البعوض ، ويبرد الماء ، ويسخن  
الجوف ، ويطيب العناق ، ويظهر الفرش ، ويكثر الدخن ، وتلد جرة البيت لكفى .  
وتابعه بعض الشعراء فقال :

تَرَكَتْ مُقَدِّمَةَ الْخَرِيفِ حَمِيدَةً \* وَبَدَأَ الشِّتَاءُ جَدِيدُهُ لَا يُنْكِرُ  
مَطَرِي رَوْقِ الصَّحُوفِ مِنْهُ وَيَمُدُّهُ \* مَحْجُوكَاذُ مِنَ النَّصَارَةِ يَمْطُرُ  
غَيْثَانِ وَالْأَنْوَاءُ غَيْثُ ظَاهِرٍ \* لَكَ وَجْهُهُ وَالصَّحُوفُ غَيْثُ مُضْمَرٍ

وقال أبو الفتح كُشَاجِم :

أَذِنَ الشِّتَاءُ بِلَهْوِهِ الْمُسْتَقْبِلِ \* فَدَنَّتْ أَوَائِلُهُ بَغِيثُ مُسْبِلِ  
مُتَكَائِفِ الْأَنْوَاءِ مُنْقَدِقِ الْحَيَا \* هَطِلَ النَّدى هَزِجَ الرُّعُودِ يُجْلِجِلِ  
جَامَتْ بَعَزِلُ الْجَدْبِ فِيهِ فَبَشَّرَتْ \* بِالْخِصْبِ أَنْوَاءُ السَّمَاءِ الْأَعْرَزِلِ  
وقد ولىع الناس بذكر الاعتداد لما قديما وحديثا .

قيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ فقال : طُولُ الرَّعْدَةِ ، وَتَقَرُّصُ الْقِعْمَةِ ، وَذُوبُ<sup>(١)</sup>  
الْمِعْدَةِ . أَخَذَهُ ابْنُ سُكْرَةَ ، فَقَالَ :

قِيلَ مَا أَعْدَدْتَ لِلْبَرِّ \* دِ وَقَدْ جَاءَ شِيتُهُ  
قُلْتُ دِرَاعَةً عُرِي \* تَحْتَهَا جِبَّةٌ رِعْدَةٌ

وأعلم أن ما تقدم من أزمان الفصول الأربعة هو المصطلح المعروف ، والطريق  
المشهور . وقد ذكر الأبي في تحاب الدر : أن العرب قَسَمَتِ السَّنةَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ فَعَمَلُوا  
الجزء الأول الصَّفَرِيَّةَ ، وَتَمَمُوا مَطَرَهُ الْوَسْمِيَّ ، وَأَوَّلُهُ عِنْدَهُمْ سُقُوطُ عَرَفُوقَةِ الْقُلُو  
السُّفْلَى ، وَآخِرُهُ سُقُوطُ الْحَقِيقَةِ ، وَجَعَلُوا الْجِزْءَ الثَّانِي الشِّتَاءَ ، وَأَوَّلُهُ سُقُوطُ الْهَتْمَةِ ،

(١) ليل الصواب «ردرب» بالراء بدل الواو .

وآخره سقوطُ العُصْفَرَةِ . وجعلوا الجزء الثالث الصيف، وأوله سقوطُ العَوَاءِ، وآخره سقوطُ الشَّوْلَةِ . وجعلوا الجزء الرابع القَيْظَ ، وسماهوا مطَرَه الخَرِيفِ، وأوله سقوطُ النِّعَامِ، وآخره سقوطُ عَرَقَةِ الدُّلُوعِ العُلْيَا .

وذكر ابن قتيبة في "أدب الكاتب" طريقاً آخر فقال :

الربيع ينهب الناس الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورْدُ والكَلَّةُ، والنَّورُ؛ ولا يعرفون الربيع غيره . والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تُدْرِكُ فيه الثَّمَارُ، وهو الخريف، وبعده فصلُ الشتاء، ثم فصل الصيف وهو الوقت الذي تسميه العامةُ الربيعَ؛ ثم فصلُ القَيْظِ وهو الذي تسميه العامة الصيفَ، ومنهم من يسمي الفصل الذي تُدْرِكُ فيه الثَّمَارُ وهو الخريف الربيعَ الأولَ، ويسمى الفصل الذي يلي الشتاء وتأتي فيه الكَلَّةُ والنَّورُ الربيعَ الثاني؛ وكلهم يجمعون على أن الخريف هو الربيع .

وفي بعض التعاليف أن من العرب من جعل السنة ستة أزمان . الأول الوَسْمِيُّ وحَصَّتْهُ من السنة شهران، ومن المنازل أربع منازل وتُلقَى منزلةً وهي العَوَاءُ، والسَّمَكَ والفَقْرُ، والزَّيْمَانُ، وتُلقَى الإكليل . الثاني الشتاء، وحَصَّتْهُ من السنة شهران، ومن المنازل أربعُ منازل وتُلقَى منزلةً وهي ثُلُثُ الإكليل، والقلبُ، والشَّوْلَةُ، والنِّعَامُ، والبَلْدَةُ، وتُلقَى النَّابِجُ . الثالث الربيع، وحَصَّتْهُ من السنة شهران، ومن المنازل أربعُ منازل وتُلقَى منزلةً، وهي ثُلُثُ النَّابِجِ، وْبُلْعُ، والسُّعُودُ، والأَخْيِيسَةُ، والقرْغُ المقمق . الرابع الصيف، وحَصَّتْهُ من السنة شهران، ومن المنازل أربعُ منازل وتُلقَى منزلةً، وهي القرْغُ المؤنَّرُ، وِبَطْنُ الحوتِ، والشَّرْطَانُ، والبَطِينُ، وثُلُثُ الثَّرِيَاءِ . الخامس الحِمِيمُ، وحَصَّتْهُ من السنة شهران، ومن المنازل أربعُ منازل وتُلقَى منزلةً وهي ثُلُثُ الثَّرِيَاءِ، والدَّبْرَانُ، والمَقْمَعَةُ، والمُهْنَمَةُ، والقِرَاعُ وتُلقَى الثَّرَّةُ . السادس

الخريف، وحصته من السنة شهران، ومن المنازل أربع منازل وتلك منزلة وهي ثلثا النثرة، والطرف، والجبهة، والخرتان، والصرفة .

والأوائل من علماء الطب يسمون السنة الى الفصول الأربعة إلا أنهم يجعلون الشتاء والصيف أطول زمنا وأزيد مدة من الربيع والخريف ، فيجعلون الشتاء أربعة أشهر، والصيف أربعة أشهر، والربيع شهرين، والخريف شهرين، إذ كانا متوسطين بين الحار والبرد وليس في مقياسهما طول ولا في زمانهما اتساع .

واعلم أن ما تقدم من تفضيل بعض الفصول على بعض إنما هو أقاويل الشعراء وأفانين الأدباء، تفتنا في البلاغة؛ وإلا فالواضع حكيم جعل هذه الفصول مشتملة على الحزارة وعلى البرد أخرى لمصالح العباد، ورتبها ترتيبا خاصا على التدرج، بفهم ذلك أهل العقول وأرباب الحكمة ، جلّت صنعته أن تكون عيرية عن الحكمة ، أو موضوعة في غير موضعها ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ :

### الطرف الرابع

في أعياد الأمم ومواسمها ، وفيه خمس جمل

#### الجملة الأولى

في أعياد المسلمين

واعلم أن الذي وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان : عيد الفطر، وعيد الأضحي . والسبب في اتخاذهما ما رواه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال : ما هذان اليومان؟ قالوا : كنا لعبُ فيهما في الجاهلية؛ فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد بدلكم خيراً منها يوم الأضحى، ويوم الفطر  
 فأول ما يدعى به من العيدين عيد الفطر، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة . وروى  
 ابن بطيش في كتاب الأوائل أن أول عيد فحى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة  
 اثنتين من الهجرة ونرج الى المصلى للصلاة، وحينئذ فيكون الميدان قد شُربا في سنة  
 واحدة؛ نعم قد ابتدعت الشيعة عيداً ثالثاً سموه عيد الغدير . وسبب اتخاذهم له  
 مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه يوم غدير خم وهو غدير على ثلاثة  
 أميال من الجحفة يسرة الطريق تصب فيه عينٌ وحوله شجر كثير، وهى القبضة التى  
 تسمى نهما؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل  
 بالغدير وآتى بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وبين أحد منهم فرأى النبي صلى الله عليه  
 وسلم منه أنكساراً فضمه إليه وقال "أما رضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى  
 إلا أنه لانيبي" بعدى والتفت الى أصحابه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم  
 وال من والاه، وعاد من عاداه" وكان ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة  
 عشر من الهجرة . والشيعة يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ويصلون فى صبيحتها ركعتين  
 قبل الزوال وشعارهم فيه لبس الحديد، وعقُ العيىء، ودُبح الأغنام، وإلحاق الأجناب  
 بالأهل فى الإكرام . والشعراء والمتروكون يستنون الكبراء منهم بهذا العيد .

## الجملة الثانية

### فى أعياد الفرس

وكان دينهم الميوسية، وأعيادهم كثيرة جداً حتى إن على بن حمزة الأصهبانى  
 عَمِل فيها كتاباً ذكر فيه أسباب اتخاذهم لها، وسبب سلوكهم فيها، وقد اقتصرنا منها  
 على المشهور الذى ولىع الشعراء بذكره، وأعنى الأمراء بأمره؛ وهى سبعة أعياد .

العيد الأول النُّوروز — وهو تعريب نُوروز، ويقال إن أول من اتخذ جم شاد أحد ملوك الطبقة الثانية من الفُرس، ومعنى شاد الشَّعاع والضياء؛ وإن سبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً أن الذين كان قد فسد قبله، فلما ملك جنده وأظهره فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز أى اليوم الجديد. وفي بعض التعاليق أن جم شاد ملك الأقاليم السبعة والحق والإنس، فالتخذ له عَجَلَة ركبها، وكان أول يوم ركبها فيه أول يوم من شهر افرودين ماه، وكان مدة ملكه لا يُريهم وجهه، فلما ركبها أبرز لهم وجهه، وكان له حظ من الجمال وافر، فجلسوا يوم رؤيتهم له عيداً، وسموه نوروزاً. ومن الفرس من يزعم أنه اليوم الذي خلق الله فيه النور، وأنه كان معظماً قبل جم شاد. وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بالدوران. ومدة عندهم ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر افرودين ماه الذي هو أول شهر ستهم. ويسمون اليوم السادس النُّوروز الكبير، لأن الأكَاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس على طبقاتهم، ثم ينتقلون إلى مجالس أنسهم مع طُرُفاه خواصهم.

وحكى ابن المقفع أنه كان من عاداتهم فيه أن يأتي الملك رجل من الليل قد أُرصد لما يفعله، مليح الوجه، فيقف على الباب حتى يُصبح، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان، ويقف حيث يراه، فيقول له: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما أمرك؟ ولأى شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، وأسمى المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، وبالهاء والسلامة وردت، ومعى السنة الجديدة، ثم يجلس؛ ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وعليه حنطة، وشعير، وجلبان، وحمص، وبنفسج، وأرز من كل واحد سبع سنبلات، وسبع حبات، وقطعة سكر، ودينار ودرهم جديان؛ فيضع الطبق بين



يدى المَلِكِ، ثم تُدْخَلُ عليه الهدايا، ويكون أول من يدخل عليه بها وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المعونة، ثم الناس على طبقاتهم؛ ثم يقدم للامير رغيف كبير من تلك الحبوب مصنوع موضوع في سلة، فيأكل منه ويطلع من حضره؛ ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، يحتاج أن يمتد فيه ما أخلق من الزمان؛ وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء. ثم يخلع على وجوه دولته، ويصلهم، ويفرق عليهم ما وصل إليه من الهدايا.

وأما عوام الفرس فكانت عادتهم فيه رفع النار في ليلته، ورش الماء في صبيحته؛ ويزعمون أن إيقاد النيران فيه لتحليل العفونات التي أبقاها الشتاء في الهواء. ويقال إنما فعلوا ذلك تنويعا بذكره، وإشهارا لأمره. وقالوا في رش الماء: إنما هو بمنزلة الشجرة لتطهير الأبدان مما انضاف إليها من دخان النار الموقدة في ليلته.

وقال آخرون: إن سبب رش الماء فيه أن فيروز بن يزيد لما استتم سورجى، وهى أصهبان القديمة لم تمطر سبع سنين في ملكه؛ ثم مطرت في هذا اليوم ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به، فصار ذلك سنة عندهم في ذلك اليوم من كل عام، وما أحلى قول بعضهم يخاطب من هواء، ويذكر ما يعتمد في النيروز من شب النيران وصب الأمواه:

كَيْفَ ابْتِهَاجُكَ بِالنَّيْرُوزِ يَا سَكْنَى \* وَكُلُّ مَا فِيهِ يَحْيِي وَأَحْيِيهِ

فَنَارَةُ كُلِّهِيبِ النَّارِ فِي كَيْدِي \* وَنَارَةُ كَسَوَالِي عَبْرَتِي فِيهِ

أَسْلَمْتَنِي فِيهِ يَا سُؤْلِي إِلَى وَصِي \* فَكَيْفَ تُهْدِي إِلَى مَنْ أَنْتَ تُهْدِيهِ

وأول من رسم هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام الحاجب بن يوسف التقي، ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، واستمر المنع فيه إلى أن فتح باب

الهدية فيه أحمد بن يوسف الكاتب فانه أهدى فيه للأمن سَفَطَ ذهب فيه قطعة  
عود هندي في طوله وعرضه ، وكتب معه : هذا يوم جرت فيه العادة ، بإتحاف  
العيد السادة ، وقد قلت :

عَلَى الْعَبْدِ حَقٌّ وَهُوَ لَاشْكَ فَاعِلُهُ \* وَإِنْ عَظُمَ الْمُؤَلَّى وَجَلَّتْ فَوَاضِلُهُ  
أَلَمْ تَرَ تَاهِدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ \* وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غَنَى فَهُوَ قَابِلُهُ  
فَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بَقْدَرُهُ \* لَقَصَّرَ عَنْهُ الْبَحْرُ يَوْمًا وَسَاحِلُهُ  
وَلَكِنَّا تُهْدِي إِلَى مَنْ يُجِلُّهُ \* وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِنَا مَا يُسَاكِلُهُ

وكتب سعيد بن حميد الى صديقي له يوم يَروُز : هذا يوم سَهَلَتْ فيه السَّنةُ  
للعيد الإهداء للولوك ، فَعَلَقْتُ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ الْبَرِّ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ وَالْهِمَّةِ ، وَلَمْ أَجِدْ  
فِيَا أَمْلِكُ مَا يَبْقَى بِحَقِّكَ ، وَوَجَدْتُ تَحْرِيطَكَ أَبْلَغُ فِي آدَاءِ مَا يَحِبُّ لَكَ ، وَمَنْ لَمْ  
يُؤْتِ فِي هَدِيَّةٍ ، إِلَّا مِنْ جِهَةٍ قُدْرَتُهُ فَلَا طَعْنَ عَلَيْهِ .

هذا ما يتعلق بيَروُز الفُرس من ذكر الهدايا فيه ، وإيقاد النار ، ورش الماء ،  
وأول من سنّه . وأما تعلقه بالخراج فسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى عند  
الكلام على جباية الخراج في فنّ الديونة .

العيد الثاني من أعياد الفُرس المَهْرَجَانُ — وهو في السادس والعشرين من  
تشرين الأول من شهور السَّريان ، وفي السادس عشر من مَهْرَماء من شهور الفُرس ،  
وفي التاسع من أَيْب من شهور القبط ؛ وبينه وبين التيروز مائة وسبعة وستون يوما ،  
وهذا الأوان في وسط زمان الخريف ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أَحِبُّ الْمَهْرَجَانَ لِأَنَّهُ فِيهِ \* سروراَ لِلْمُلُوكِ ذَوِي السَّيِّئِ  
وَبَابًا لِلصَّيْرِ إِلَى أَوَانٍ \* تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

ومدته ستة أيام، ويُسمى اليوم السادس منه المهرجان الأكبر، كما يُسمى اليوم السادس من أيام التيروز عندهم التيروز الأكبر .

قال المسعودى : وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم أنهم كانوا يُسمون شُهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يُسمى مَهرِيسير فيهم بالثنف والثنف والثنف فأتت في النصف من هذا الشهر، وهو مَهرماه، فسمى ذلك اليوم مهرجان، وتفسيره نفس مهر ذعبت؛ والفُرس تقدّم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهى الفارسية الأولى وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حَفَاط وجان الروح، وفى ذلك يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إذا ما تحقّق بالمَهرِجا \* ن من لَيس يعرف مَعناه غاظا

ومَعناه أن غلبَ الفُرسُ فيه \* فسَمَوْهُ للرُوجِ فيه حَفَاطا

ويقال : إنما ظهر فى عهد افريدون الملك، ومعنى هذا الاسم لإدراك التارى؛ وذلك أن افريدون أخذ بنار جته جم شاد من الضحّاك، فانه كان أفسد دين المجوسية وخرج على جم شاد فأخذ منه المُلْك وقتله؛ فلما غلبه افريدون قتله بجبل دُنبَاوَد، وأعاد المجوسية الى ما كانت، فالتخّذ الفُرسُ يوم قتله عيداً، وسَمَوْهُ مَهرِجان، والمهر الوفاء، وجان سلطان، وكان معناه سلطان الوفاء .

وزعم بعضُ الفُرس أن الضحّاك هو الثمُرد وافریدون هو إبراهيم عليه السلام، بلقتهم .

ويقال إن المَهرِجان هو اليوم الذى عُقد فيه التاج على رأس اردشير بن بابك، أول ملوك الفُرس الساسانية . وكان مذهب الفرس فى المهرجان أن يَدِين ملكُهم بَدْنُ البان تبرُّكا، وكذلك العوام، وأن يلبس القصبَ والوشى، ويُتوج بتاج عليه صورة الشمس وجعلتها الدائرة عليها، ويكون أول من يدخل اليه المُوبَدان يطبق فيه

أُثْرِيَّةٌ، وقطعة سُكَّر، وَنَبَقٌ، وسَفَرَجَل، وَعُتَّابٌ، وَتَفَّاحٌ، وعَقودُ عَنَبٍ أبيض، وسبع طاقات آيس، قد زَمَزَمَ عليها؛ ثم تدخُلُ الناس على طبقاتهم بمثل ذلك، ووربما كانوا يذهبون الى تفضيله على النَّيروز؛ وفيه يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أَحَا الْفُرْسَ إِنْ الْفُرْسَ تَعْلَمُ إِنَّهُ \* لَا طَيْبُ مِنْ نَيْرُوزِهَا مَهْرَجَانِهَا

لِإِدْبَارِ أَيَّامٍ يَغْمُ هَوَاؤُهَا \* وَإِقْبَالِ أَيَّامٍ يَسُرُّ زَمَانُهَا

قال المسمودي : وأهل المُرُوعات بالعراق وغيرها من مُدُن العجم يجعلون هذا اليوم أَوَّلَ يوم من الشتاء فَيُغَيِّرُونَ فِيهِ الْفُرْسَ والالآت، وكثيرا من المَلابس .

العيد الثالث السَّدَقُ - ويسمى أبان روز، ويعمل في ليلة الحادي عَشر من شهر بهمن ماه من شهور الفُرس، وسُنَّتُهُمْ فِيهِ إِيقَاد النَّيران بِسائر الأدهان والولُوع بها حتَّى إنَّهُمْ يُلْقُونَ فِيهَا سائر الحُبوب؛ ويقال إن سبب اتخاذهُم لهذا العيد أن الأب الأول، وهو عندهم كيومرث لما كمل له من ولده مائة ولد زوج الذكور بالإناث، وصنع لهم عُرْسًا أَكثَرُ فِيهِ وَقُودُ النَّيران، ووافق ذلك الليلة المذكورة فاستنست ذلك الفُرس بعده . وقد وَلِيتُ الشعراء بوصف هذه الليلة فقال أبو القاسم المطرُزُ يصف سَدَقًا عملهُ السلطان ملكشاه بدجلة، أشعل فيه النَّيران والشموع في السَّمَاوِيَّاتِ من أبيات:

وَكُلُّ نَارٍ عَلَى الْعُشَّاقِ مُضَرَّةٌ \* مِنْ نَارِ قَلْبِي أَوْ مِنْ لَيْلَةِ السَّدَقِ

نَارٌ تَجَلَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ وَاشْتَبَهَتْ \* بِسُدْفَةِ اللَّيْلِ فِيهَا غُرَّةُ الْفَلَقِ

وَزَارَتْ الشَّمْسُ فِيهَا الْبَدْرَ وَاصْطَلَحَا \* عَلَى الْكَوَاكِبِ بَعْدَ الْغَيْظِ وَالْحَقِيقِ

مَتَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِسُطَّانٍ جَوَاهِرُهَا \* مَا يَبْتَغِي مُجْتَمِعٌ وَإِرْ مُمْتَرِقِ

مِثْلَ الْمَصَابِيحِ إِلَّا أَنَّهَا نَزَلَتْ \* مِنَ السَّمَاءِ بِلا رَجِيمٍ وَلَا حَرَقِ

(١) كذا في نهاية الأرب أيضا والأظهر السيريات وهو اسم لنوع من السفن .

أعجب بنار ورضوان يسعها \* وما لك قائم منها على فرق  
في مجلس صحت روض الحنان له \* لما جلا ثغره عن واضح يق  
وقال ابن حجاج من أبيات، يمدح بها عضد الدولة :

لَبِئْسَ حُسْنُهَا عَجِيبٌ \* بالقصف والتيه قد تحقّق  
لِنَارِهَا فِي السَّمَاءِ لِسَانٌ \* عن نور ضوء الصباح ينطق  
والجو منها قد صار جمرا \* والنجم منها قد كاد يحرق  
ودجلة أضربت حريقا \* بألف ناري وألف زورق  
فاؤها كله حميم \* قد فارما على وبقبق

وقال عبد العزيز بن نباتة من أبيات يمدح بها عضد الدولة أيضا :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَذَكِي الْمَسَامُ بِأَرْضِهِ \* مشهورة يتأبها الفخر صالبا  
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها \* وتحتد أيام الشهور الليالي  
قلادة مجد أغفل الدهر نظمها \* عليه وقد السنين الخوالي  
هي الليلة الغراء في كل شتوة \* تفادى جيد الدهر الملق حالي

العيد الرابع الشركان — وهو في الثالث عشر من تيرماه من شهور الفرس، زعموا  
أن أرس رمى سهمه لما وقعت المصالحة بين منوچهر وقراسياب التركي من المملكة  
على رمية سهم، فامتد السهم من جبال طبرستان الى أعلى طخارستان .

العيد الخامس أيام الفرو دجان — وهي خمسة أيام؛ أولها السادس والعشرون من  
أبان ماه من شهور الفرس، ومعناه تربية الروح، لأنهم كانوا يعملون فيها أطعمة  
وأشربة لأرواح موتاهم، ويزعمون أنها تقتدى بها .

العيد السادس رُكُوب الكَوْتَج — ويصنع في أول يوم من ادرماه من شهر  
الفرس، وسُتَّهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم رجل كَوْتَج، قد أعدَّ لما يُصنَّع  
به بأكل الأطعمة الحارة كالجوز، والثوم، والقمح السمين ونحوها، وبشرب الشراب  
الصُّرف أياما قبل حلول الشهر، فإذا حلَّ الشهر لبس غلالة سابورية، وركب بقرة  
وأخذ على يده غرابا، ويتبعه الناس يصبون عليه الماء، ويضربونه بالثلج،  
ويروِّحون عليه بالمرآوح، وهو يصيح بالفارسية: كرم كرم أى الحزن الحزن، يفعل  
ذلك سبعة أيام، ومعه أو باش الناس ينهون ما يجحدون من الأمتعة في الحوانيت؛  
والسلطان عليهم مال، فإذا وجدوا بعد عصر اليوم السابع ضربوا وحسوا.

قال المسعودي: ولا يعرف ذلك إلا بالعراق، وأرض العجم، وأهل الشام  
والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك. ويقال إن هذا الفعل كان يتداوله أهل  
كل بيت منهم كَوْتَج، وحكى الزمخشري في كتابه "ربيع الأبرار" أن سبب ذلك  
أن كَوْتَجًا كان يشرب في هذه الأيام الدواء ويطلِّي بدنه فيها فغلب عليها، وفي ذلك  
يقول الشاعر:

قَدْ رَكِبَ الْكَوْتَجُ يَصَاحُ \* فَانْزِلْ عَلَى الزَّهْرَةِ وَالرَّاحِ

وَأَتَمَّ بِأَدْرَمَاهُ عَيْشًا وَخُذْ \* مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ بِأَفْجَاحِ

والسنة عندهم منقسمة على أقسام، في أول كل قسم منها خمسة أيام تسمى  
الكنبهارات، زعم زرادشت أن في كل يوم خلق الله تعالى نوعا من الخليفة فهم  
يقتضونها أعيادا لذلك.

العيد السابع عيد بهمنجة — ويتخذونه في يوم بهمن من شهر بهمن ماه، وسُتَّهم  
فيه أنهم يأكلون فيه البَهْمَن الأبيض باللبن الحامض على أنه ينفع الحفظ؛ ورؤساء

تُراسَنَ يعملون فيه الدَّعَوَات على طعامٍ يطْبُخُونَ فيه كُلَّ حَبٍّ ما كَوَّلَ ولحم حيوان  
يؤكل، ويحضر ما يوحد في ذلك الوقت من بقل أو نبات .  
فهذه أعياد الفُرْس المشهورة الدائرة بين طاقمهم وخاصتهم .

### الجملة الثالثة

#### في أعياد القبط

وأعلم أن أعياد القبط كثيرة، وقد أتينا على ذكر تفصيلها سردا في خلال شهور  
القبط مع ذكر غيرها، وأوردنا كُلَّ عيد منها في يومه من شهور القبط، وربما ذكرنا  
بعضها أيضا في شهور السريان والروم، على أن منها مالا يتعلق بوقتٍ مفيدٍ كالْفَصْح  
الأكبر عندهم، فإنه متعلق بِفِطْرِهِمْ من صومهم الأكبر، وهو غير مؤقت بوقتٍ  
معين، بل يتغير بالتقديم والتأخير قليلا على ما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى،  
ونحن نقتصر في هذا الفصل على المشهور من أعيادهم دون غيره، ونبين أوقاتها،  
ونشرح أسبابها . وهي أربعة عشر عيداً . وهي على ضربين . كبار وصغار .

#### الضرب الأول

##### الكبار، وهي سبعة

العيد الأول البشارة، ويعنون به إشارة غريال، (وهو جبريل على زعمهم) لمريم  
عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه، يعملونه في التاسع والعشرين من  
بَرَمَهَات من شهور القبط .

الثاني الزبثونة، وهو عيد الشَّعَّانين، وتفسيره بالعريَّة التَّسْبِيح، يعملونه في سابع  
أحد من صومهم؛ وسببهم فيه أن يَخْرُجُوا بِسَعْف النخل من الكنيسة، وهو يوم  
ركوب المسيح للْمَقُور، (وهو الحمام) في القُدُس ودُخُوله صِهْيُون وهو راكب والناس  
يسبِّحُون بين يديه؛ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

الثالث الفصح، وهو العيد الكبير عندهم، يعملونه يوم الفطر من صومهم الأكبر، يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصلوات بثلاثة أيام، وخلّص آدم من الجحيم، وأقام في الأرض أربعين يوما آخرها يوم الخميس، ثم صعد إلى السماء .  
(قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) .

الرابع خميس الأربعين، ويسميه الشاميون السلاق، وهو الثاني والأربعون من الفطر، يقولون إن المسيح عليه السلام تسلّق فيه من تلاميذه إلى السماء بعد القيام، ووصلهم بإرسال الفارقيط، وهو روح القدس عندهم .

الخامس عيد الخميس، وهو عيد المنتصرة يعملونه بعد خمسين يوما من القيام؛ وهو في السادس والعشرين من بشنس، ويقولون إن روح القدس حلّت في التلاميذ وتفرّقت عليهم السنة الناس فتكلّموا بجميع الألسنة، وذهب كلّ واحد منهم إلى بلاد لساياه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح .

السادس الميلاد، وهو اليوم الذي يقولون إن المسيح ولد فيه بيت لحم (قرية من أعمال فلسطين) ويعملونه في التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط، وهم يقولون إنه ولد يوم الاثنين، فيجعلون عشية الأحد ليلة الميلاد، فيوقدون فيها المصابيح بالكثاس ويزينونها .

السابع الفطاس، يعملونه في الحادى عشر من طوبه، من شهور القبط. يقولون إن يحيى بن زكريّا عليه السلام ويتعّونه بالمعمدان غسل عيسى عليه السلام بجيرة الأردن، وأن عيسى لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة، والنصارى يغمسون أولادهم فيه في الماء على أنه يقع في شدة البرد، إلا أن عقبه يحيى الوقت، يقول المصريون : غَطَّسْتُمْ صِبْغَمَ، وَتَوَرَّجْتُمْ شَبْتَمَ .



## الضرب الثاني

من أعياد القبط الأعياد الصَّغار ، وهى سبعة أيام

الأول اِخْتَان ، ويعملونه فى سادس بثونة من شهور القبط . ويقولون : إن المسيح خُتِنَ فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد .

الثانى الأربعون ، يعملونه فى الثامن من شهر أُمشير من شهور القبط ، ويقولون : إن سَمعان الكاهن دخل بمبسى عليه السلام مع أمه بعد أربعين يوما من ميلاده الميكل وبارك عليه ؛ تلك عقول أضلَّها بارها ، وإلا فأين مقام الكاهن من مقام مبسى عليه السلام ، وهو رُوح الله وكلمته .

الثالث نحيس العهد ، يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام ، وشأنهم أن يأخذوا إزاء ويملئوه ماء ويزمزموا عليه ، ثم يغسل البطريق به أرجل جميع النصارى الحاضرين ، ويزعمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه فى هذا اليوم يعلمهم التواضع ، وأخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض ، والعامة من النصارى يُسمون هذا الخميس نحيس العَدَس ؛ وهم يطبخون فيه العَدَس على ألوان .

الرابع سَبْت النور ، وهو قبل الفصح بيوم . يقولون : إن النور يظهر على مقبرة المسيح فى هذا اليوم قشعتل منه مصابيح كنيسة التَّهامة بالقُدُس . قال صاحب "مناجى الفكر" وغيره : وما ذاك إلا من تخيلاتهم النيرنجية التى يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها عقول عوامهم الضعيفة . وذلك أنهم يلقون القناديل فى بيت المذبح ويحيطون فى إيصال النار إليها بأن يمدوا على جميعها شريطا من حديد فى غاية الدقة مدحوتا بضعن البلسان ودهن الزينق ، فإذا صلوا وجاء وقت الزوال قشعوا المذبح فتدخل الناس إليه ، وقد اشتعلت فيه الشموع ؛ ويتوصل بعض القوم الى أن يلقوا

النار بطَرْف الشريط الحليد قسرى عليه فتتقد القناديل واحدا بعد واحد ، إذ من طبيعة دُهن البَلسان علوق النار فيه بسرعة مع أدنى ملامسة ، فيظن مَنْ حضر من ذوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل ، فالحمد لله على الإسلام .

الخامس حدّ الحُدود ، وهو بعد الفصح بثمانية أيام ؛ يعملونه أول أحد بعد الفطر ، لأن الآحاد قبله مشغولٌ بالصوم ؛ وفيه يحدّدون الآلات وأثاث البيوت ، ومنه يأخذون في الاستعداد للعاملات والأمور الدنيوية .

السادس التبجّل ، يعملونه في الثالث عشر من مسرى من شهور القبط ، وآخوه السابع والعشرون منها . يقاوان : إن المسيح عليه السلام تجلّى لتلاميذه بعد أن رفع في هذا اليوم ، وتمنّوا عليه أن يُحضّر لهم إيليا وموسى عليهما السلام ، فأحضرهما لم بمصلّى بيت المقدس ثم صعد وصعدا .

السابع عيد الصليب ، وهو في السابع عشر من توت من شهور القبط ، والنصارى يقولون ، إن قُسطنطين بن هيلاني انتقل عن اعتقاد اليونان الى اعتقاد النصرانية ، وبجى كنيسة قُسطنطينية العظمى وسائر كنائس الشام ، ويزعمون أن سبب ذلك أنه كان مجاورا للبرجان<sup>(١)</sup> فضايق بهم دَرعا من كثرة غاراتهم على بلاده فهم أن يصانهم ويُقرض لهم عليه إتاوة في كل عام ليكفّوا عنه ، فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ، ومعها أعلام عليها صلبان فخربت البرجان فانهزموا ؛ فلما أصبح عمل أعلاما وصوّر فيها صلبانا ثم قاتل بها البرجان فهزمهم ، فسأل من كان في بلده من التجّار هل يعرفون فيما طافوه من البلاد دينا هذا زيّه ؟ فقالوا له : دين النصرانية ، وإنه في بلد القدس والخليل من أرض الشام . فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم اليه ، وأن يقصّوا شعورهم ويحلّقوا لحاهم . وإنما فعل ذلك لأنهم يزعمون

(١) البرجان = جنس من الروم (قاموس) .

أن رُسُل عيسى عليه السلام كانوا قد وَرَدُوا على الْيُونَان قبلُ بِأمرِهم بالتعبُد بدين النصرانية فأعرضوا عنهم ومَثَلُوا بهم هذه المَثَلَةَ نَكَالاً لهم ففعلوا ذلك تَأْسِياً بهم .  
ولما تَنَصَّرَ قُسطنطين نرجس أُمّه هيلاني الى الشام فبنت به الكائس ، وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي زعمت النصارى أن المسيح صَلِب عليها فحملت اليها ففشتها بالنهب ، واتخذت ذلك اليوم عيداً .

وسبأى الكلام على ذلك مفصلاً في ترجمة قُسطنطين في حاشية الكتاب عند ذكر الملوك الذين استولوا على الديار المصرية ، وفيما ذكرنا هنا مقتنع والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد صار من أعيادهم المشهورة بالديار المصرية النيروز؛ وهو أول يوم من سَنَتهم؛ وإن لفظة النيروز فارسية معربة، وكأن القبط والله أعلم اتخذوا ذلك على طريقة الفُرس واستعاروا اسمه منهم فسموا اليوم الأول من سَنَتهم أيضاً نيروزاً وجعلوه عيداً .

قال في ”ناجى الفكر“ وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور، وإلقاء النيران، وصَبَّ الأمواه أضعاف ما يفعله الفُرس؛ ويشاركهم فيه العوام من المسلمين .

قال المسعودى : وأهل الشام يعملون مثل ذلك في أول سَنَتهم أيضاً، وهو أول يوم من ينير من شهور الروم ويوافقه كانون الثانى ، وهو الشهر الرابع من شهور السُرَّبان ؛ وذلك فى السادس من طوبة من شهور القبط، ويسمونه القلنداس، الا أن أهل مصر يزيدون فيه التصانُع بالاططاع ، وربما حملهم ترك الاحتشام على أن يتجرعوا على الرجل المطاع ؛ ولولا أن ولاة الأمر يدعونهم ويمنعونهم من ذلك، لمنعوا الطريق من السالك ؛ وهم مع ذلك من ظفروا به لا يتركونه إلا بما يرضيهم .  
والذى استقر عليه الحال بالديار المصرية الى آخر سنة إحدى وتسعين وسبعائة أنهم

يقتصرون على رَسِّ الأمواه والتَّصانُّع، وترك الاحتشام دون إيقاد النيران، إلا من يفعل ذلك من النصارى في بيته أو خاصته .

ولم أعياد ومواسم سوى ما تقدّم، ذكرها صاحب التذكرة ونحن نذكرها على ترتيب شهور القبط، وهى :

عيد سيغورس ، وعيد متى الإنجيلي ، وهما في الثامن من توت . عيد سمعان الحنيس ؛ وهو في الرابع من توت . عيد ماما ؛ وهو في الخامس من توت . عيد شعبا ؛ وهو في السادس من توت . عيد ساويرس ؛ وهو في السابع من توت . عيد موسى النبي عليه السلام ؛ وهو في الثامن من توت . عيد توما التلميذ ؛ وهو في التاسع من توت . وخروج نُوح عليه السلام من السفينة ، ومُؤَلِّد مَرِّم عليها السلام ، وهما في العاشر من توت . عيد باسيليوس ، وهو في الحادى عشر من توت . عيد ميخائيل، وصوم جدليا ؛ وهما في الثالث عشر من توت . عيد سمعان الحنيس ، وعيد تادرس الشهيد ؛ وهما في الرابع عشر من توت . عيد اسفانوس ؛ وهو في السادس عشر من توت . وصوم كبور ؛ وهو في العشرين من توت . ونياحة أبى جرج ؛ وهى في الثانى والعشرين من توت . عيد أولاد القرس ؛ وهو في الثالث والعشرين من توت . عيد أليصابات ؛ وهو في السادس والعشرين من توت . عيد اسطاتوا ، وانتقال يوحنا ؛ وهما في السابع والعشرين من توت . عيد اجريزون ؛ وهو في أوّل بايه . عيد سومتان ؛ وهو في الثانى من بايه . عيد يعقوب بن حلقا ؛ وهو في الخامس من بايه . عيد أبو بولا ؛ وهو في السابع من بايه . عيد توما ؛ وهو في الثامن من بايه . عيد أبى مسرحة ؛ وهو في العاشر من بايه . عيد يعقوب ؛ وهو في الحادى عشر من بايه . وشهادة متى ؛ وهى في الثانى عشر من بايه . عيد القُرّات ؛ وهو في الثالث عشر من بايه .

وشهادة يُوحنا ؛ وهى فى العشرين من بابه . وتذكار السيدة ؛ وهى فى الحادى والعشرين من بابه . عيد لوقا ؛ وهى فى الثانى والعشرين من بابه . عيد أبى جرج ؛ وهى فى الثالث والعشرين من بابه . ودخول السيدة الهيكل ؛ وهى فى الحادى والعشرين من بابه . عيد يعقوب ويوسف ؛ وهى فى السادس والعشرين من بابه . عيد أبى مقار ، وهى فى السابع والعشرين من بابه . عيد مُرقس ؛ وهى فى آخر يوم من بابه . عيد بطرس البطرک ؛ وهى فى أول يوم من هاتور . عيد زكريا ؛ وهى فى الرابع من هاتور . واجتماع التلاميذ ؛ وهى فى السادس من هاتور . وتكرز أبى جرج ؛ وهى فى السابع من هاتور . وعيد الأربع حيوانات ؛ وهى فى الثامن من هاتور . وتذكار الثمثة وثمانية عشر ؛ وهى فى التاسع من هاتور . ونياحة إسحاق ؛ وهى فى العاشر من هاتور . عيد ميكايل ؛ وهى فى الثانى عشر من هاتور . وشهادة أبى مينا ؛ وهى فى الخامس عشر من هاتور . عيد فيلبس الرسول ؛ وهى فى التاسع عشر من هاتور . عيد أسامياس ؛ وهى فى العشرين من هاتور . عيد شمعون ؛ وهى فى الحادى والعشرين من هاتور . تذكار الشهداء ، وهى فى الثانى والعشرين من هاتور . عيد مركوريوس ؛ وهى فى الرابع والعشرين من هاتور . عيد أبى مقورة ؛ وهى فى الخامس والعشرين من هاتور . عيد ادفانيوس ؛ وهى فى السادس والعشرين من هاتور . عيد يعقوب المُقطَّع ؛ وهى فى السابع والعشرين من هاتور . عيد ياهور ؛ وهى فى الثانى من كيهك . عيد اندراس ؛ وهى فى الرابع من كيهك . عيد ميورس ؛ وهى فى الخامس من كيهك . عيد بزاره ، وهى فى السابع من كيهك . عيد أيامين ؛ وهى فى الثامن من كيهك . عيد مارى تُولَا ؛ وهى فى العاشر من كيهك . عيد سمعان ؛ وهى فى الرابع عشر من كيهك ونياحة يوحنا ؛ وهى فى السادس عشر من كيهك ؛ وصوم الميلاد ؛ وهى

في الثالث والعشرين من كيهك . وقتل الأطفال ؛ وهو في الثالث من طوبه . عيد  
يُوحَنَّا الإنجيلي ؛ وهو في الرابع من طوبه . وعيد توما ؛ وهو في السابع من طوبه .  
عيد الخِطَّان ؛ وهو في الثامن من طوبه . عيد إبراهيم ؛ وهو في التاسع من طوبه .  
وصوم الفطاس ؛ وأوله العاشر من طوبه . وصوم العذاري ؛ وهو في الثالث عشر  
من طوبه . عيد ملسوس ؛ وهو في الرابع عشر من طوبه . عيد غاريوس ، وهو  
في الخامس عشر من طوبه . عيد قيلانوس ؛ وهو في السادس عشر من طوبه .  
عيد يوحنس ؛ وهو في التاسع عشر من طوبه . ونزول الإنجيل ، وتذكار السيدة ؛ وهما  
في العشرين من طوبه . وصوم زينوى ؛ وهو في الحادى والعشرين من طوبه . ومقتل  
يحيى ؛ وهو في الرابع والعشرين من طوبه . عيد أبى بشارة ؛ وهو في الخامس والعشرين  
من طوبه . عيد الشهداء ؛ وهو في السادس والعشرين من طوبه . عيد  
طيمارس الرسول ؛ وهو في السابع والعشرين من طوبه ؛ وآخر نياحة نقولا ؛  
وهو في اليوم الآخر من طوبه . عيد العذاري ، وعيد يهوذا ؛ وهما في الأول من  
أمشير . عيد مقار ؛ وهو في الثاني من أمشير . نياحة تيادرس ؛ وهو في السادس  
من أمشير . نياحة برصوما ، وهو في التاسع من أمشير . عيد بيطن ، وشهادة  
يعقوب ؛ وهما في العاشر من أمشير . عيد أبى مسرجة ؛ وهو في الرابع عشر من أمشير .  
عيد قلاتنوس ؛ وهو في السادس عشر من أمشير . عيد يعقوب الرسول ؛ وهو  
في السابع عشر من أمشير ، عيد بطرس الشهيد ؛ وهو في التاسع عشر من أمشير .  
ونزول السيدة من الجبل ؛ وهو في الحادى والعشرين من أمشير . وشهادة سدرس ؛  
وهو في السادس والعشرين من أمشير . ووجود رأس يوحنا ؛ وهو في اليوم الآخر من  
أمشير . عيد الجلجثة ؛ وهو في الثالث من شهر برمهاث . عيد أرماتنوس ؛ وهو  
في السابع من برمهاث . عيد المعمودة ؛ وهو في التاسع من برمهاث . وظهور

الصليب؛ وهو فى العاشر من برمهات . عيد أبى ميتا؛ وهو فى الحادى عشر من برمهات . عيد ميلادى؛ وهو فى الثانى عشر من برمهات . عيد إيلاس الشهيد؛ وهو فى السابع عشر من برمهات . ونياحة بولص؛ وهى فى الثانى والعشرين من برمهات . عيد العازر؛ وهو فى الثالث والعشرين من برمهات . عيد الشعانين؛ وهو فى الرابع والعشرين من برمهات . عيد المرسونة؛ وهو فى الخامس والعشرين من برمهات . وغسل الأرجل؛ وهو فى الثامن والعشرين من برمهات . وجمعة الصلوات؛ وهو فى التاسع والعشرين من برمهات . عيد مرقص الإنجليى؛ وهو فى اليوم الآخر من برمهات . عيد توما البطرك؛ وهو فى الثانى من برمودة . عيد حرقبال التجيب؛ وهو فى الخامس من برمودة . عيد مرقص؛ وهو فى السابع من برمودة . والأخذ بالديد؛ وهو فى الثامن من برمودة . عيد يوحنا الأسقف؛ وهو فى الحادى عشر من برمودة . عيد جرجس؛ وهو فى الثالث عشر من برمودة . عيد أبى متى؛ وهو فى السادس عشر من برمودة . عيد يعقوب، عيد سنوطه، وهما فى التاسع عشر من برمودة . وذكران الشهداء؛ وهو فى الحادى والعشرين من برمودة . عيدساويرس؛ وهو فى السادس والعشرين من برمودة . عيد أبى نيطس؛ وهو فى السابع والعشرين من برمودة . عيد أصحاب الكهف؛ وهو فى التاسع والعشرين من برمودة . عيد مرقص الإنجليى، وهو فى اليوم الآخر من برمودة . عيد تيادرس؛ وهو فى الثانى من بشنس . عيد شمعون؛ وهو فى الثالث من بشنس . عيد الحنيس؛ وهو فى الرابع من بشنس . ونياحة يعقوب؛ وهو فى السابع من بشنس . عيد دفرى سوه؛ وهو فى السادس من بشنس . عيد أساسياس؛ وهو فى السابع من بشنس . وعود المسيح عندهم فى الثامن من بشنس . عيد دير القصر؛ وهو فى الحادى والعشرين من بشنس . ونزول السيد الى مصر؛ وهو فى الرابع والعشرين

من بشنس . عيد سوس ؛ وهو في الخامس والعشرين من بشنس . عيد توما التلميذ ؛ وهو في السادس والعشرين من بشنس . عيد سمعون العجاس ؛ وهو في السابع والعشرين من بشنس . عيد طيارس ؛ وهو في التاسع والعشرين من بشنس . عيد الورد بالشا ؛ وهو في اليوم الآخر من بشنس . عيد أبي مقار ؛ وهو في الثاني من بشونه . ووجود عظام لوقا ؛ وهو في الثالث من بشونه . عيد توما ، وعيد مامور ؛ وهما في الرابع من بشونه . عيد يوحنا ، وزول صحف ابراهيم (عليه السلام) ؛ وهما في التاسع من بشونه . عيد أبي مينا ؛ وهو في الخامس عشر من بشونه . عيد أبي مقار ، وهو في السادس عشر من بشونه . عيد السيدة ؛ وهو في الحادي والعشرين من بشونه . عيد اترب وهو في الثالث والعشرين من بشونه . عيد أبي مينا ، وهو في ... (١) ... والعشرين من بشونه ؛ وتذكارات تيادرس ؛ وهو في أول أيب . ونياحة بولص ؛ وهو في الثاني من أيب والثالث منه أيضا . وعيد المعينة ؛ وعيد القيصرية ؛ وهما في الخامس من أيب . وعيد أبي سنوبة ؛ وهو في السابع من أيب . وعيد اسنباط ؛ وهو في الثامن من أيب . وشهادة هارون ، وعيد سمعان ؛ وهما في التاسع من أيب . وعيد تادرس نظيره ؛ وهو في العاشر من أيب . وعيد أبي هور ؛ وهو في الثاني عشر من أيب . وعيد أبي مقار ؛ وهو في الرابع عشر من أيب . وعيد اقدام السرياني ؛ وهو في الخامس عشر من أيب . وعيد يوحنا وذكريا ؛ وهو في السادس عشر من أيب . وعيد يعقوب التلميذ ، وهو في السابع عشر من أيب . وعيد بولاق ، وهو في التاسع عشر من أيب . وعيد تادرس الشهيد ، وهو في العشرين من أيب . وعيد السيدة ، وعيد ميخائيل ؛ وهما في الحادي والعشرين من أيب . وعيد سمعان البطرك ، وعيد شنودة ؛ وهما



في الثالث والعشرين من أيب . وعيد سمند؛ وهو في الرابع والعشرين من أيب .  
وعيد مرقوريوس ، وهو في الخامس والعشرين من أيب . وعيد حزقيال النبي  
عليه السلام ؛ وهو في السابع والعشرين من أيب . ورفعة إدريس عليه السلام ،  
وعيد مريم ؛ وهما في الثامن والعشرين من أيب . ورحم السيد ؛ وهو في اليوم  
الآخر من أيب . وعيد الخندق ؛ وهو في اليوم الأول من مسرى . وعيد أبي مينا ؛  
وهو في اليوم الثاني من مسرى . وعيد سمعان المعمودى ؛ وهو في الثالث من  
مسرى . ودخول نوح السفينة ؛ وهو في الثامن من مسرى . وعيد طورسينا ، وعيد  
السيدة ، وهما في التاسع من مسرى . وعيد اللباس ؛ وهو في العاشر من مسرى .  
وشهادة أنطونيوس ، وعيد العدوية ، وهو في الخامس عشر من مسرى . وعيد  
يعقوب الشهيد ، وهو في السابع عشر من مسرى . وعيد أبي مقار ؛ وهو في الثامن عشر  
من مسرى . وعيد اليسع ؛ وهو في التاسع عشر من مسرى . وعيد أصحاب الكهف ؛  
وهو في العشرين من مسرى . وصوم الأربعين ؛ وهو في الحادى والعشرين من  
مسرى . وعيد الجوزة يدمشق ؛ وهو في الثالث والعشرين من مسرى . وعيد  
صوفيل ؛ وهو في السادس والعشرين من مسرى . وعيد إبراهيم وإسحاق ؛ وهو  
في الثامن والعشرين من مسرى . وعيد موسى الشهيد ؛ وشهادة يوحنا ؛ وهو  
في اليوم الآخر من مسرى .

## الجملة الرابعة

في أعياد اليهود، وهي على ضربين

## الضرب الأول

ما نطقت به التوراة برغمهم، وهي خمسة أعياد

العيد الأول — رأس السنة، يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد رأس هيشا أى عيد رأس الشهر، وهو أول يوم من تشرى يتزل عندهم متلة عيد الأمضى عندنا، ويقولون : إن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل ابنه فيه وفداه بذبح عظيم .

العيد الثاني — عيد صوماريا ويسمونه الكبور، وهو عندهم الصوم العظيم الذى يقولون : إن الله تعالى فرض عليهم صومه، ومن لم يصمه قُتل عندهم . ومئة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرى، وتختتم بمضى ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر، وربما سموه العاشر . ويُستَـرَط فيه لجواز الإفطار عندهم رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار وهي عندهم تمام الأربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم في يوم الأحد، ولا في يوم الثلاثاء، ولا في يوم الجمعة؛ ويرحمون أن الله ينفّر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، ومجده ربوبية الله تعالى .

العيد الثالث — عيد المِظَلَّة، وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشرى وكلها أعياد عندهم، واليوم الآخر منها يسمى عرايا أى شجر الخلاف، وهو أيضا حج لهم، يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون

والخلاف، وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الأرض؛ ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله لإياهم فى التيه بالغمام .

العيد الرابع — عيد الفطير ويسمونه الفصح، ويكون فى الخامس عشر من نيسان؛ وهو سبعة أيام أيضا، يأكلون فيها الفطير، وينطقون بيوتهم فيها من خبز الخبز لأن هذه الأيام عندهم هى الأيام التى خلص الله فيها بنى إسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا الى التيه، بفعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير وهم بذلك فرحون، وفى أحد هذه الأيام غرق فرعون .

العيد الخامس — عيد الأسابيع، ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع؛ وأتخاذهم لهذا العيد فى السادس من سيوان من شهور اليهود، وهو الثالث والعشرون من بشنس من شهور القبط . يقولون : إنه اليوم الذى خاطب الله فيه بنى إسرائيل من طور سيناء، وفى جملة هذا الخطاب العشر كلمات، وهى وصايا تضمنت أمرا ونهيا، وضمت التوفيق لمن حصلها حفظا ورعا، وهو حج من مجموعهم؛ ومجوعهم ثلاثة : الأسابيع، والفطير، والمظلة؛ وهم يعظمونه، ويأكلون فيه القطائف، ويتفنون فى عملها، ويعملونها بدلا عن المثل الذى أنزل الله عليهم فى هذا اليوم، ويسمى هذا العيد أيضا عشرا، ومعناه الاجتماع .

### الضرب الثانى

ما أحدثه اليهود زيادة على ما زعموا أن التوراة نطقت به، وهو عيدان العيد الأول — الفوز، وهو عندهم عيد سرور ولغو وخلعة يهذى فيه بعضهم الى بعض؛ وهم يقولون : إن سبب اتخاذهم له أن يختصر لما أجلى من كان بيت المقدس من اليهود الى عراق العجم أسكنهم يمينى، وهى إحدى مدينتى أصفهان

ثم ذهب آيام الكلدانيين وملك الفرس الأولى والأخيرة، فلما ملك أردشير بن بابك وتسميه اليهود بالعبرانية أجشادوس، وكان له وزير يسمونه بلغتهم هيمون، ولل يهود يومئذ حبري سمي بلغتهم مردوخاي، فبلغ أردشير أن له ابنة عم من أحسن أهل زمانها وأكلمهم عقلا، فطلب تزويجها منه فأجاب له ذلك، فخطبت عنده حطوة صار بها مردوخاي قريبا منه، فأراد هيمون إصغاره واحتقاره حسدا له، وعزم على إهلاك طائفة اليهود التي في جميع مملكة أردشير، فرتب مع تواب الملك في جميع الأعمال أن يقتل كل أحد منهم من يعلمه من اليهود، وعين له يوما وهو النصف من آذار، وإنما خص هذا اليوم دون سائر الأيام لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفي فيه، وأراد بذلك المبالغة في نكايتهم ليتضاعف الحزن عليهم بهلاكهم ويموت موسى، فاتفق لمردوخاي ذلك من بعض بطانة هيمون، فأرسل إلى ابنة عمه يعلمها بما عزم عليه هيمون في أمر اليهود، وسألها إعلام الملك بذلك، وحضها على أعمال الخيلة في خلاص نفسها وخلاص قومها، فأعلمت الملك الحال وذكرت له: إنما حمله على ذلك الحسد على قربنا منك ونصيحتنا لك، فأمر بقتل هيمون وقتل أهله، وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والإحسان في ذلك اليوم، فاحتضوه عيدا. واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام، وفي هذا العيد يصومون من الورك صورة هيمون ويمشون بطنها نخالة وملحا ويلقونها في النار حتى تحترق، ينجدون بذلك صبيانهم.

العيد الثاني، عيد الخنكة، وهو ثمانية أيام، يؤقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا، وفي الليلة الثانية سراجين، وهكذا إلى أن يكون في الليلة الثامنة ثمانية سُرُج. وهم يذكرون أن سبب اتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجبارة تغلب على بيت المقدس وقتك باليهود وأقتض أبكارهم، فوثب عليه

أولا كُفَّهَاتُهُمْ وكانوا ثمانية قتلته أصغرهم ، وطلب اليهود زيتا لَوْقُودِ الميكل فلم يجدوا  
إلا يسيرا وزَعَوْه على عدد ما يُوقِدُونَهُ من السُّرُجِ على أبوابهم في كل ليلة الى تمام  
ثمان ليالٍ فاتخذوا هذه الايام عيدا وسمَّوه الحنكة ، ومعناه التنظيف لأنهم تَقَلَّفُوا  
فيه الميكل من أَقْذَارِ شَيْعَةِ الجبار ، وبعضهم يسميه الرياني .

### الجملة الخامسة

#### في أعياد الصابئين

ومَدَّارُ أعيادهم على الكواكب ؛ وأعيادهم عند نزول الكواكب الخمسة المتحررة  
وهي زُحْلُ ، والمشتري ، والمريخُ ، والزُّهْرَةُ ، وعُطَّارِدُ في بيوت شَرْفِهَا ؛ وذلك أن  
من البروج ما يقوم لهذه الكواكب مقام قصر العز لللك ، يشتهر فيه ويعلو ويشرف ؛  
وفيها درجات معلومة يُنسب الشرف إليها ؛ ومنها ما يتحلُّ فيه ويفسد حاله ، ويكون  
ذلك أيضا في درجات معلومة ، تقابل درجات الشرف به من البرج المقابل . ويسمى  
ذلك هُبُوطًا ؛ فزُحْلُ شرفه في إحدى وعشرين درجة من الميزان ، ويهبط في مثلها  
من الحمل ، والمشتري يشرف في خمس عشرة درجة من السرطان ، ويهبط في مثلها  
من الجدي ؛ والمريخ يشرف في ثمان عشرة درجة من الجدي ، ويهبط في مثلها من  
السرطان ؛ والزُّهْرَةُ تشرف في تسع وعشرين درجة من الحوت ، وتهبط في مثلها  
من السنبلة ؛ وعُطَّارِدُ شرفه في خمس عشرة درجة من السنبلة ، ويهبط في مثلها من  
الحوت ؛ وكذلك الشمس تشرف في تسع عشرة درجة من الحمل ؛ وتهبط في مثلها  
من الميزان ؛ والقمر يشرف في ثلاث درجات من السنبلة ؛ ويهبط في مثلها من  
الحوت . وهم يعظمون اليوم الذي تنزل الشمس فيه الحمل ، ويلبسون فيه أنفخ  
ثيابهم . وهو عندهم من أعظم الأعياد . وكانت ملوكهم تقي الهياكل وتجعل لها  
أعيادا بحسب الكواكب التي ينبت على أسمها فيه .

## الباب الثاني

## من المقالة الأولى

فما يحتاج اليه الكاتب من الأمور العملية وهو الخط وتوابعه ولواحقه؛

وفيه فصلان

## الفصل الأول

في ذكر آلات الخط، ومبادئه وصوره، وأشكاله، وما يخرط في سلك ذلك؛

وفيه ثلاثة أطراف

## الطرف الأول

في الدواة وآلاتها؛ وفيه مقصدان

## المقصد الأول

في نفس الدواة، وفيه أربع جمل

## الجملة الأولى

في فضلها

قد أخرج ابن أبي حاتم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خَلَقَ اللَّهُ التُّونَ وَهُوَ الدَّوَاةُ" وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ التُّونَ وَهُوَ الدَّوَاةُ وَخَلَقَ الْقَلَمَ قَالَا أَكْتُبُ فَقَالَ وَمَا أَكْتُبُ قَالَ أَكْتُبُ مَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" . وهذا انجبر والأثر دالٌّ على أن المراد بالتون في الآية هو الدواة، وإن فسره بعضهم بغير ذلك . إذ الدواة هي المناسبة في الذكر لذكر القلم وتسطير الكتابة في قوله تعالى :

(نَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) . وبالجملة فإن الدواة هي أم آلات الكتابة، ونسبها  
الجامع لها . ولا ينبغي ما يجب من الاهتمام بأمرها، والاحتفال بشأنها ؛ فقد قال  
عبد الله بن المبارك : مَنْ نَخَرَجَ مِنْ يَتِهِ بَنِيرَ حَجْرَةٍ وَأَدَاةٍ فَقَدْ عَزَمَ عَلَى الصَّدَقَةِ .  
قال المدائني : معنى بالأداة مثل السَّكِّينِ وَالْمِقْلَمَةِ ؛ وأشباههما . قال محمد بن شعيب  
ابن سabor : مثل الكاتب بَنِيرَ دَوَاةٍ كَمَثَلِ مَنْ يَسِيرُ إِلَى الْمِجْبَاءِ بِبَنِيرِ سِلَاحٍ .

### الجملة الثانية

في أصلها في اللغة

قال أبو القاسم بن عبد العزيز : تقول العرب : دَوَاةٌ وَدَوَاتٌ فِي أَدْنَى الْعَدَدِ ،  
وَفِي الْكَثِيرِ دَوِيٌّ وَدَوِيٌّ (بضم الدال وكسرها) وَيُقَالُ أَيْضًا دَوَاءٌ ، وَدَوَاءٌ (بضم الدال  
وكسرها) وَدَوَايَاً مِثْلَ حَوَايَاً ، وَأَدَوَيْتَ دَوَاةً أَيْ اتَّخَذْتَ دَوَاةً ؛ وَرَجُلٌ دَوَاءٌ (يفتح  
الدال وتشديد الواو) إِذَا كَانَ يَبِيعُهَا ، كَقَوْلِكَ عَطَّارٌ وَبَزَّازٌ .

### الجملة الثالثة

فيما ينبغي أن نتخذ منه، وما نحلى به

أما ما نتخذ منه فينبغي أن نتخذ من أجود العبدان وأرفعهما ثمنا كالآتيوس ،  
وَالسَّاسِمِ ، وَالصَّنْدَلِ ، وَهَذَا اعْتِمَادٌ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ يَتَّادُهُ أَهْلُ زَمَانِهِ ، وَيَتَعَانَاهُ  
أَهْلُ عَصَرِهِ .

قلت : وقد غلب على الكُتَّابِ فِي زَمَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْإِنْشَاءِ وَكُتَّابِ الْأَمْوَالِ اتِّخَاذُ  
الدَّوِيِّ مِنَ النَّحَاسِ الْأَصْفَرِ ، وَالْقَوْلَازِ ، وَتَقَالُوا فِي أَتْمَانِهَا وَبِالْقُوَا فِي تَحْسِينِهَا .  
وَالنَّحَاسِ أَكْثَرُ اسْتِمَالًا ، وَالْقَوْلَازِ أَقَلُّ لِعَزَّتِهِ وَتَقَاسَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِهِ بِأَعْلَى دَرَجَاتِ  
الرِّيَاسَةِ كَالْوِزَارَةِ وَمَا ضَاهَاها .

وأما دُويُّ الخشب فقد رُفضت وتركزت إلا الآيُنوس والصنْدل الأحمر، فإنه يتعاناه في زماننا قضاءً الحكم وموقعهم وبعض شهود البواوين .

وأما التحلية ، فقال الحسن بن وهب : سبيل الدّواة أن يكون عليها من الحليّة أخفّ ما يكون ويمكن أن تُحَلّى به الدّويُّ ، في وثاقَةٍ ولُطيفٍ ، ليأمن من أن تنكسر أو تنقّص في مجلسه ، قال : وحق الحليّة أن تكون ساذجةً بغير حُفَرٍ ولا ثَنِيّات فيها ليأمن من مسارعة القدّي والدّنس إليها ، ولا يكون عليها نقشٌ ولا صُورة . وحق هذه الحليّة مع ما ذكره ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه دون الفضة والذهب . على أن بعض الكُتّاب في زماننا قد اعتاد التحلية بالفضّة ، ولا يخفى أنّ سنك ذلك حكم الضبّة في الإثناء فتحرم مع الكِبَر والزينة ؛ وتكره مع الصغر والزينة والكِبَر والحاجة ؛ وتباح مع الصغر والحاجة من كثير ونحوه ، كما قرره أصحابنا الشافعية رحمهم الله ، نعم يحرم التكفيت بالذهب والفضّة ، وكذلك التمويه إذا كان يحصل منه بالعرض على الناسىء والله أعلم .

### الجملة الرابعة

في قدرها وصفتها

قال الحسن بن وهب : سبيل الدّواة أن تكون متوسطة في قدرها ، لا بالقصيرة فنقصُ أعلامها وتقبُّح ، ولا بالكثيفة فيثقل حَمَلُها وتُجف . فلا بدّ لصاحبها أن يحملها ويضعها بين يدي مَلِكِهِ أو أميره في أوقات مخصوصة ، ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره . قال الفضل : ويكون طولُها بمقدار عَظَم الذراع أو فَوْقَ ذلك قليلاً لتكون مناسبة لمقدار القلم . قلت : وقد اختلفت مقاصد أهل الزمان في هيئة الدواة : من التدوير والتربيع . فأما كُتّاب الإنشاء فانهم يتخذونها مستطيلة مدوّرة



الرأسين، لطيفة القد، طلبا للحنفة، ولأنهم إنما يتعاونون في كتابتهم الدرّج، وهو غير لائق بالدواة في الجملة. على أن الصغير من الدرّج لا يأبى جعله في الدواة المدقورة .  
وأما كُتّاب الأموال، فانهم يتخذونها مستطيلة مربعة الزوايا، ليجعلوا في باطن غطاها ما استخفوه مما يحتاجون اليه من ورق الحساب الديواني المناسب لهذه الدواة في القطع. وعلى هذا النموذج يتخذ قضاة الحكم وموقعهم ذويهم، إلا أنها في الغالب تكون من الخشب كما تقدّم .

واعلم أنه ينبغي للكاتب أن يجتهد في تحسين الدواة وتجويدها وصونها . وقه المدائني حيث يقول :

جود دَوَاتِكَ واجتهد في صَوْنِهَا \* إن الدُّوَى خَزَائِنُ الآدَابِ

وأهدى أبو الطيّب عبد الرحمن بن أحمد بن زيد بن الفرّج الكاتب الى صديق له دواة أنبوس مُحَلَّاة وكتب معها .

لَمْ أَرِ سَوْدَاءَ قَبْلَهَا مَلَكْتُ \* تَوَاطَرَ الْخَلْقُ وَالْقُلُوبَ مَعَا  
لَا الطُّولُ أَزْرَى بِهَا وَلَا قِصَرٌ \* لَكِنْ أَنْتَ لِلْوُصُولِ مَجْتَمَعَا  
فَوَقَّكَ جُنْحُ مِنَ الظَّلَامِ بِهَا \* وَبَارَقُ بِإِتِّسَالِهَا لَمَعَا  
خُذْهَا لِذُرِّهَا تُنْظِمُهُ \* يَرَوْقُ فِي الْحُسْنِ كُلِّ مَنْ سِمَا

أما المحبرة المفردة عن الدواة فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من رجحها ومالوا الى اتخاذها لحنفة حملها، وقالوا : بها يكتب القرآن والحديث والعلم . وكرهها بعضهم واستقبحها من حيث إنها آلة النسخ الذي هو من أشد الحرف وأتبعها، وأقلها مكسبا .

ويروى أن شعبة رأى في يد رجل محبرة، فقال : أرم بها فانها مشئومة لا يبق معها أهل ولا ولد، ولا أم ولا أب .

## الطرف الثاني

في الآلات التي تشمل عليها الدواة، وهي سبع عشرة آلة،

أول كل آلة منها ميم

الآلة الأولى - المِزْبَرُ (بكسر الميم)، وهو القلم أخذنا له من قولهم زَبَرَتِ الكُتَابَ إذا اِتَّقَنَتْ كِتَابَتَهُ، ومنه سميت الكُتُبُ زُبْرًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ رَبِّكَ الْأَوَّلِينَ ﴾ وفي حديث أبي بكر أنه دعا في مرضه بدواة وَمِزْبَرٍ أى قلم . وفيه جملتان .

## الجملة الأولى

في فضله

عن الوليد بن عباد بن الصامت رضى الله عنه قال : دعاني أبي حين حضره الموت فقال : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فقال : اكْتُبْ ، قال : ياربِّ وما أَكْتُبُ ؟ قال : اكتبِ الْقَدَرَ وما هو كائنٌ الى الأبدِ" رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، وقال : حسن غريب ، وابن أبي حاتم واللفظ له . وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه "إن أول ما خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ وَالْحَوْتَ ، فقال له اكْتُبْ ، فقال : ياربِّ وما أَكْتُبُ ؟ قال : اكْتُبْ كُلَّ شَيْءٍ كائنٌ الى يوم القيامة" ثم قرأ ﴿ تَنْ وَالْقَلَمِ ﴾ رواه الطبراني ووقفه ابن جرير على ابن عباس . وفي رواية قال ابن عباس : "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، قال : اكتب ، قال : وما أَكْتُبُ ؟ قال : اكتبِ الْقَدَرَ ، بغرى بما يكون من ذلك اليوم الى يوم قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بُحَارَ الْمَاءِ ، فَتَفَتَّتْ مِنْهُ السَّمَاءُ وَبُسِطَتِ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النَّوْنِ ، فَاضْطَرَبَ النَّوْنُ ، فَادَّتِ الْأَرْضُ ، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ ، فَانْهَا لَتَفْخَرَ عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّهَا أُثْبِتَتْ عَلَيْهَا" رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وروى محمد بن عمر المدائني بسنده الى مجاهد " إن أول ما خلق الله اليراع ، ثم خلق من اليراع القلم ، فقال له : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : ما هو كائن ، قال : فزبر القلم بما هو كائن الى يوم القيامة " . وأخرج بسنده الى ابن عباس ، قال : " أول ما خلق الله اليراع : وهو القصب المنقّب ، فقال : اكتب قضائي في خلقي الى يوم القيامة " . وروى أنه لما خلقه الله تعالى نظر اليه فانشق بنصفين ، ثم قال : اجز قال : يارب بما أجرى ؟ قال : بما هو كائن الى يوم القيامة ، بخرى على اللوح المحفوظ بذلك ، وكان منه ﴿ تَبَّتْ يَدَايَ لَهَا ﴾ . وروى أن خلقه قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

واعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة وأعلىها رتبة ، إذ هو المباشر للكتابة دون غيره ، وغيره من آلات الكتابة كالأعوان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم به ، وذلك في غاية الشرف . وفيه أبو الفتح البستي حيث يقول :  
إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم \* وعدوه مما يكسب المجد والكرم  
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة \* مدى النهر أن الله أقسم بالقلم

وقال تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فاضاف التعليم بالقلم الى نفسه . قال ابن الهيثم : من جلالة القلم أن الله عز وجل لم يكتب كتاباً الا به ، لذلك أقسم به . قال المدائني : وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ قَلَّمَ قَلَمًا يَكْتُبُ بِهِ عِلْمًا أَعْطَاهُ اللَّهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وقد قيل الأقلام مطايا الفطن ، ورسل الكرم . وقال عبد الحميد : القلم شجرة ثمرها الإنفاذ ، والفكر بحر ثلوه الحكمة ، وفيه رى العقول الكامنة . وقال جبل بن يزيد : القلم لسان البصريناجيه بما ستر عن الأسماع . وقال ابن المقفع : القلم بريد العلم يمت

على الصحر، ويبحث عن خفي النظر . وقال أحمد بن يوسف : ما عبرت النواني في خُدودهن بأحسن من عبرات الأقلام . وقيل : القلم الطلمم الأكبر . وقيل : البيان اثنان : بيان لسان، وبيان بَنَانٍ ؛ ومن فضل بيان البَنَانِ أن ما تبتته الأقلام باقٍ على الأبد، وما يَبْنِسُهُ اللسان تدرُسُهُ الأيام . ويقال : عقول الرجال تحت أسنة أقلامها ، بنوء الأقلام يَصُوبُ غَيْثُ الحكمة . وقال جعفر بن يحيى : لم أربأ يوماً أحسن تبسُّماً من القلم .

قال ابن المعتز : القلم مجهزٌ لجيوش الكلام، تحلُمه الإرادة، ولا يَمَلُّ من الاستراحة، كأنه يُقْبَلُ بساط سلطان؛ أو يَفْتَحُ نور بُسْتَان .

ومن إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير الجزري ، من جواب كتبه للمعاد الأصقهانى : وكيف لا يكون ذلك ، وقلْبُها هو اليراع الذى نَفَثَت الفصاحة في رُوعه ، وَكَانَت الشجاعة بين ضُلُوعه ، فاذا قال أراك كيف تُنَسِّقُ الفرائد في الأجساد .

ومن كلام أبي حفص بن برد الأندلسي : ما أعجَبَ شأنَ القلم ! يشرب ظُلُمَةً ، وَيَلْفِظُ نُورًا ؛ قد يكون قلم الكاتب ، أمضى من سَبَابَةِ المحارب ؛ القلم سهم ينقُذُ المقاتل ، وَشَفْرَةٌ تَطْلِيعُهَا المفاصل . ومن كلام العميد : عمر بن عثمان الكاتب : قلم يُطْلِقُ الآجال والأرزاق ، وَيَنْقُثُ السَّمَّ والدَّرياق ؛ قلم يَدِقُّ عن الإدراك حركاته ، وتَمَلُّقُ بالفائس فتحاته ؛ يُسِرِّعُ ولا انحدارَ السيل الى قراره ، واهتداحَ الضوء من شراره ، معطوفة الغايات على المبادئ ، مصروفة الأعجاز إلى الموادى ؛ واذا صال أراك كيف اختلاف الرماح بين الآساد . وله خصائصُ أخرى يبدعها إبداعاً ، فإذا

لم يأت بها غيره تطبعا أتى بها هو طبعا، فطورا يرى إماما يلقي درسا، وطورا يرى  
ماشطة تجلو عرسا؛ وطورا يرى ورقا تصدح في الأوراق، وطورا يرى جوادا  
مخلقا بخلق السباق؛ وطورا أفضونا مطرقا، والسجب أنه لا يزهو إلا عند الإطراق!  
ولطالما نقت يحررا، وجلب عطرا، وأدار في القرباس نحرا؛ وتصرف في صنوف  
الفناء فكان في الفصح عمر، وفي المهدي عمارة؛ وفي الكيد عمرا، فلا تخطئ به دولة  
إلا غفرت على الدول، واستغنت عن الخيل والخيول.

وقال الإسكندر: لولا القلم ما قامت الدنيا، ولا استقامت المملكة. وكل  
شيء تحت العقل واللسان لأتتهما الحاكمان على كل شيء، والقلم يركبهما صورتين،  
ويوجد كنهما شكلين.

وقال بعض حكماء اليونان: أمور الدنيا تحت شيتين: السيف والقلم، والسيف  
تحت القلم. وقال آخر: فاقت صنعة القلم عند سائر الأمم جمع الحكم في صحن  
الكتب. وقال العنابي: يبكاء القلم تبسم الكتب. وقال البصري: الأقلام  
مطايا الفطن. وقال أبو ذؤلف السجلي: القلم صانع الكلام، يفرغ ما يجمعه الفكر،  
ويصوغ ما يسبكه اللب. وقال سهل بن هارون: القلم أنف الضمير، إذا رُغِف  
أعلن أسرارها، وأبان آثاره. وقال ثمامة: ما أثرت الأقلام لم تطمع في دونه الأيام،  
وقال هشام بن الحكم: أحسن الصنيع صنع القلم والخط الذي هو جنى العقول.  
وقال علي بن منصور: بنور القلم تضيء الحكمة. وقال الجاحظ: من عرف النعمة  
في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم أعرف. وقال غيره: بالقلم تُزف  
بناتُ العقول إلى خدور الكتب. وقال المأمون: لله در القلم كيف يحوك وشي  
المملكة. وقال بعض الأعراب: القلم ينهض بما يطلع بجملة اللسان، ويبلغ ما لا  
يلبسه اليان. وقال بعضهم: القلم يحصل للكتب ألسنة ناطقة، وأعين ملاحظة؛

وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الإخوان عند المشاهدة . وقال أوميرس الحكيم : اخلط شيء أظهره العقل بواسطة سن القلم ، فلما قابل النفس عيشته بالعصر . وقال مرطس الحكيم : اخلط بالقلم ينمى الحكمة . وقال جالينوس : القلم الطلمم الأكبر . وقال بقراط : القلم على إيقاع الوتر ، والمهنة المنطقية مقدمة على المهنة الطبيعية . وقال بليثاس : القلم طيب المنطق . قال أرسطاطاليس : القلم الصلة الفاعلة ، والمبدأ العلة الحيوانية ، والخلط العلة الصورية ، والبلاغة العلة التمامية . وقد أكثر الشعراء القول في شرف القلم وفضله .

من ذلك قول أبي تمام الطائي :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت \* له الرقاب وذلت خوفه الأمم  
فألوت والموت لا شيء يغالبه \* ما زال يتبع ما يحرى به القلم  
كذا قضى الله للأقلام مذبذب \* أن السيوف لما مذبذب أرهفت خدم  
وقوله :

لك القلم الأعلى الذي يسبأه \* نصاب من الأمر الكلى والمفاصل  
لناب الأفاعى القاتلات لعابه \* وأرى الحقى اشتارته أيد عواسل  
له ريقة طلل ولكن وقعها \* بآثاره في الشرق والغرب وأيل  
فصيح إذا استنطقته وهو راكب \* وأعجم إن خاطبته وهو راجل  
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت \* عليه شهاب الفكر وهى حوافل  
أطاعته أطراف القنا وتقوضت \* لتجواء تهويز الخيام الجاهل  
إذا استغزى النمن الجلى وأقبلت \* أعاليه في القيرطاس وهى أسافل

وقد رَفَدَتْهُ الْحَنِينَانِ وسَدَّتْ \* ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ  
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ \* ضَنًّا وَتَمِيمًا خُطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ  
وقول أبي هلال العسكري :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ \* لِيُضْمَّ مِنْ مُوَصَّلٍ وَمُقَصَّلٍ  
تَنْظُرُ إِلَى غُلَابٍ لَيْثٍ ضَعِيفٍ \* وَغِرَارٍ مَسْنُونِ الْمَضَارِبِ مِفْصَلٍ  
يَسُدُّونَاظِرَهُ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ \* وَمَدَامِجٍ سُودٍ وَجِسْمٍ مُنْعَلٍ  
فَالدَّرَجُ أَيْضُ مِثْلُ خَدٍّ وَاضِعٍ \* يَتَبَيَّنُ أَسْوَدُ مِثْلُ طَرَفِ أَكْحَلٍ  
قَسَمَ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا فِي الْوَرَى \* فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَاحْذَرِي وَأُمْلِي  
طَعْمَانِ شَوْبُ حَلَاوَةٍ بِمَرَارِيَةٍ \* كَالْتَهْرِ يَحْلُطُ شَهْدُهُ بِالْحَنْظَلِ  
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ \* أَلْحَقْتَ فِيهِ مَوْثَلًا بِمَوْثَلٍ  
وَمُذَلَّلًا بِمَعَزَزٍ وَلَرِيمًا \* أَلْحَقْتَ فِيهِ مَعَزَزًا بِمُذَلَّلٍ

وقوله :

لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي بِبُؤْسٍ وَأَنْعَمٍ \* فَهِيَ بَوَادٍ تُرْجَمِي وَعَوَائِدُ  
إِذَا مَلَأَ الْقِرطَاسَ سُودُ سَطَوِيهِ \* فَكُلُّكَ أَسْوَدُ تُتَقَى وَأَسَاوِدُ  
وَتِلْكَ جِنَاتٌ تُجْتَنَى ثَمَرَاتُهَا \* وَيَلْقَاكَ مِنْ أَغْصَانِ بَوَارِدُ  
وَهِيَ بُرُودٌ مَا لَهَا مِنْ مَنَاسِيحٍ \* وَهِيَ عَقُودٌ مَا لَهَا مِنْ مَعَاوِدُ  
وَهِيَ حَيَاةٌ لِلْوَلِيِّ رِضِيَّةٌ \* وَهِيَ خُوفٌ لِلْمَدُونِ رَوَاصِدُ

## الجملة الثانية

في اشتقاقه

وقد اختلف في ذلك ؛ ف قيل : سمي قلباً لاستقامته كما سميت القِداح أقلاماً في قوله تعالى : ( إِذْ يَقُولُ أَفْلَاحُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ) قال بعض المفسرين تناسحوا في كفالتها فضرىوا عليها بالقداح ، والقداح مما يضرب بها المثل في الاستقامة ؛ وقيل : هو مأخوذ من القُلام وهو شجيرة خضراء ضارعة القلم في الضعف سمي قلباً ؛ وقيل : سمي قلباً لقلم رأسه ، فقد قيل إنه لا يسمى قلباً حتى يُبرى ، أما قبل ذلك فهو قصبه . كما لا يسمى الرمح رُمحاً إلا إذا كان عليه سنانٌ وإلا فهو قنّاء . ومنه قلامة الظفر ؛ وإلى ذلك يشير أبو الطيّب الأزدى بقوله :

قَلَمٌ قَلَمٌ أَظْفَارَ الْعِصَا • وهو كالإصبع مقصوصُ الظفر  
أشبهَ الحيةَ حتى إنه • كَلَّمَا عَمَّرَ فِي الْأَيْدِي قَصْرُ

وقيل لأعرابي : ما القلم ؟ ففكر ساعة وقلب يده ؛ ثم قال : لا أدري ، ف قيل له : توهمه ، قال : هو عود قَلَمٌ من جوانبه كتقليم الظفر ، فسمى قلباً .

## الجملة الثالثة

في صفته

قال إبراهيم بن العباس للسلام بن يديه يعلمه الخط : ليكن قلمك صلباً بين الثقة والنلظ ، ولا تبهره عند عُقدة فإن فيه تعقيد الأمور ، ولا تكتب بقلم ملنوى ، ولا ذى شق غير مستوى ؛ وإن أعوزك البحرى والفارسية ، واضطرتت إلى الأقلام النبطية فاحترمنها ما يميل إلى الشمرة .



وقال إبراهيم بن محمد الشيباني : ينبغي للكاتب أن يتخير من أنابيب القصب أقله عقداً، وأكثره لحماً، وأصله قشراً، وأصله استواء . وقال العتابي : سألني الأحمسي يوماً بدار الرشيد : أيّ الأنابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر؟ فقلت : ما تشف بالمجبر مأوه، وستره من تلويحه غشاؤه، من التبرية القشور، الدرية الظهور، الفضية الكسور .

وكتب علي بن الأزهر الى صديق له يستدعي منه أقلاماً :

أما بعد، فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الأسم، ولزمت لزوم الوسم، خلّت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصخرية أجري في الكواغد، وأسر في الجلود؛ كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، وأشدّ لتصرف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديته، وقد أحببت أن نتعلم في اختيار أقلام صخرية، وننتوق في اقتنائها قبلك، وتطلبها من مغلّاتها ومنابتها، من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم؛ وأن نتيمن باختيارك منها الشديدة الصلبة، النقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمل، فلها أبقى على الكتابة، وأبعد من الحفاء . وأن نقصد بانتقاءك الرقاق القضباني، المقزومات المتون، الملس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوأم، المستحكة يئساً، وهي قائمة على أصولها لم تسجل عن إبان يئها، ولم تؤثر الى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء، وعفن الأئداء . فلذا أستجملت عندك، أمرت بقطعها

(١) في العقد الفريد : تأثق وهو يمتد . قال ذو الرمة .

كان عليها حتى لقد تتوت \* به ضربيات الأكف الحواك

(٢) في العقد الفريد : تيم .

ذراعا [ذراعا] <sup>(١)</sup> قطعاً رفيقاً ، ثم عَبَّأتْ مِنْهَا حُرْماً فِيمَا يَصُونُهَا مِنَ الْأَوْعِيَةِ ، وَتَكْتَبُ  
مَعَهُ بَعَثَتَهَا وَأَصْنَافَهَا مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ وَلَا تَوَانٍ .

وأهدى ابن الحرون الى رجل من إخوانه الكُتَّاب أَقْلَاماً ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

إِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْكَاتِبَةُ (أَبْقَاكَ اللَّهُ) أَعْظَمَ الْأُمُورَ ، وَقَوَّامَ الْخِلَافَةِ ، وَعَمُودَ  
الْمُلْكَةِ ، أَعْتَمَقْتَكَ مِنْ آتِلِهَا بِمَا يَخْفَى مَحْمَلُهُ ، وَتَثْقُلُ قِيَمَتُهُ ، وَيَعْظُمُ نَفْعُهُ ، وَيَجِلُّ  
خَطَرُهُ ، وَهِيَ أَقْلَامٌ مِنَ الْقَصَبِ النَّابِتِ فِي الصَّخْرِ ، الَّذِي تُشَفِّ بِحَزْزِ الْمَجِيرِ فِي قَشَرِهِ  
مَاؤُهُ ، وَسُتْرُهُ مِنْ تَلَوِيحِهِ غَشَاؤُهُ ، وَهِيَ كَاللَّاكِي الْمَكْنُونَةِ فِي الصَّدْفِ ، وَالْأَنْوَارِ الْمَحْجُوبَةِ  
فِي السَّدْفِ ، تَبْرِئُهُ الْقَشُورَ ، دُرِّيُّهُ الظُّهُورَ ، فَضِيَّةُ الْكُسُورِ ، فَدَكْسَتَا الطَّبِيعَةِ  
جَوْهَرَا كَالْتَوَثِّي الْمُخْبِرِ ، وَرَوْتَقَا كَالدِّيَاجِ الْمُنِيرِ .

وَمِنْ كُتَابٍ لِأَبِي الْخَطَّابِ الصَّبَّاحِيِّ يَصِفُ فِيهِ أَقْلَاماً أَهْدَاهَا فِي جُمْلَةٍ أَصْنَافٌ :  
وَأَضْفَتْ إِلَيْهَا أَقْلَاماً سَلِيمَةً مِنَ الْمَعَايِبِ ، مُبْرَأَةً مِنَ الْمَثَالِبِ ، جَمَّةً مُحَاسِنَةً ، بَعِيدَةً  
عَنِ الْمَطَاعِنِ ، لَمْ يَرْبِهَا طَوْلٌ وَلَا قَصْرٌ ، وَلَا يَنْقَعُهَا ضَعْفٌ خَوَرٌ ، وَلَا يَتَيْنِهَا لِينٌ  
وَلَا رَخَاوَةٌ ، وَلَمْ يَعْيَبْهَا كِرَازَةٌ وَلَا قِسَاوَةٌ ، وَهِيَ آخِذَةٌ بِالْفَضَائِلِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ،  
مُسْتَوِيَّةٌ لِلْمَمَادِحِ بِسَائِرِ صِفَاتِهَا ، صُلْبَةٌ لِلْمَعَاجِمِ ، لَذَنَةٌ لِلْمُقَاطِعِ ، مُوفِيَةٌ الْقُدُودِ <sup>(٢)</sup>  
وَالْأَلْوَانِ ، مَحْمُودَةٌ الْمُخْبِرِ وَالْيَعْيَانِ ، وَقَدْ اسْتَوَى فِي الْمَلَّاسَةِ خَارِجُهَا وَدَاخِلُهَا ، وَتَنَاسَبَ  
فِي السَّلَاسَةِ عَالِيهَا وَسَافِلُهَا ، نَبَتَتْ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالظَّلِّ ، وَاخْتَلَفَ عَلَيْهَا الْحَرُّ وَالْقَرُّ ،  
فَلَفَّحَتْهَا وَقَدَّانُ الْمَوَاجِرِ ، وَلَقَعَهَا سَمَكَاتِمُ شَهْرِ نَاجِرٍ ، وَوَقَدَّهَا الشُّفَّانُ بِصَرَدِهِ ، وَقَذَفَهَا  
الغَمَامُ بِرَدِّهِ ، وَصَابَتْهَا الْأَثْوَاءُ بِصَيِّبِهَا ، وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهَا السَّحَابُ بِشَأْيِهَا ، فَاسْتَمَرَّتْ

(١) الزيادة من القند القريد .

(٢) في القند : ووجهها مع من يؤدى الأمانة في حراستها وحفظها وإصلاحها وكتبت الخ .

(٣) له وافية القندود ، أى تامة كاملة .

مراثيها على إحكام ، واستحصد تجلُّها<sup>(١)</sup> بالإبرام ؛ جاءت شتى الشَّيَات ، متغاية  
الهيئات ، متباينة المحالِّ والبُلْدَان ؛ تختلف بقاعد ديارها ، وتألف بكرم نجارها .

فن أنابيب قنَّا ناسبت رماح الخط في أجاسها وشا كلَّت الذهب في ألوانها  
وضاهت الحرير في لمعانها ؛ مضابطة الحفاء ، نَمرة القوي ؛ لا يسيطها القط ،  
ولا يُسَعِّبُ بها الخط .

ومن مضرَّه بيض كأنها قبايطي مضر نقاء ، وغرقى<sup>(٢)</sup> البيض صفاء ؛ غداها  
الصعيد من ثراه بُلَّة ، وسقاها النيل من تميره وعذبه ؛ بلغت مشمة الأجزاء ، سليمة  
من الألتواء ؛ تستقيم شقوقها في أطوالها ، ولا تنكَّب عن يمينها ولا شمالها ، مقتن بها  
صفراء كأنها معها عقيان قرون بلجين ، أو ورق خُط بعين ؛ تحتال في صُفر ملاحفها ،  
وتعيس في مُذهب مطارفها ؛ بلون غياب الشمس ، وصنَّج ثياب الورس .

ومن منقوشة تروق العين ، وتوئق النفس ؛ ويهْدَى حسنُها الأريجِيَّة إلى القلوب ،  
ويحلُّ الطرف لها حَبوة الحليم اللبيب ؛ كأنها اختلاف الزهر اللامع ، وأصناف  
الشر البائع .

ومن بحرية موشية اللَّيْط ، رائقة التخطيط ؛ كأنَّ داخلها فطره دم ، أو حاشية  
رداء مُعَلَّم ؛ وكأنَّ خارجها أرقم ، أو متن وإِد مُفَعَّم ؛ نشرت ألوانا تُرْرى بوَرْد  
الحدود ، وأبدت قامات تنفَّض تَوْد القُدود .

ومن كلام ابن الزيات : خير الأقلام ما استحكم نُصْبُه ، وخف بزده ؛ قد  
تساعدت عليه السعود في فلك البروج حولا كاملا ، تولفه بختلف أركانها وطباعها ،  
ومتباين أنوائها وأحجامها ؛ حتى إذا بلغ أشده واستوى ، وشقت بوازله ، ورقت

(١) لله حلها وحرر . (٢) القبايطي : ثياب بيض من تخان كانت تعمل بمصر .

(٣) غرقى البيض : القشرة المخرقة بياضه .

شماله؛ وابتسم من غشائه، وتأتى من لحائه؛ وتعزى عنه ثوب المصيف، بانقضاء  
الحر، وكشف عن لَوْن اللَّيْضِ المكنون؛ والصَّدَفُ المغزون؛ قُطِعَ ولم يُصْبَلْ  
عن تمام مصلحته، ولم يؤثّر الى الأوقات المخوفة عاهاتها عليه من خَصَرِ الشتاء،  
وعَفْنِ الأنداء؛ بغاء مستوَى الأنايب معتدلاً، مُتَقَفَّ الكعوب مقومها.

وقد حرد الوزير أبو علي بن مقلّة رحمه الله منّا الحاجة من هذه الأوصاف،  
وأقتصر على الضرورى منها فى ألفاظ قلائل فقال :

خير الأعلام ما استحکم نُضْجِه فى جرمه ، ونَشَفَ ماؤه فى قشره ، وقُطِعَ بعد  
إلقاء بزده، وبعد أن اصفرَ لحاؤه ورقى شجره، وصلب شحمه، وثقل جمجمه .

### الجملة الرابعة

فى مساحة الأعلام فى طولها وعِظَمها

قال ابن مقلّة ، خير الأعلام ما كان طولُه من ستّة عشر إصبعا الى اثنى عشر،  
وامتلاؤه ما بين غَلِظِ السَّابَةِ الى الحَنَصِر . وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأعلام  
على اختلافها .

وقال فى موضع آخر : أحسنُ قُدودِ القلم ألا يُتجاوز به الشَّبرُ بأكثر من جِلْفَتِه  
ويشهد له قول الشاعر :

فَتَى لَوْ حَوَى الدِّينِيا لِأَصْبَحَ عَارِيًّا \* مِنْ الْمَالِ مَعْتَاذًا نِيَابًا مِنَ الشُّكْرِ  
لَهُ تَرْجُمَانٌ أَنْحَرُسَ اللَّفْظُ صَامِتٌ \* عَلَى قَابِ شَيْءٍ بَلْ يَزِيدُ عَلَى الشَّيْءِ

وقال الشيخ عماد الدين الشيرازى : أحمدُ الأعلام ما توسّط حالته فى الطول  
والقصر ، والغِلْظُ والدقة ، فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل فىق مائلا الى  
ما بين الثلث ، والغِلْظُ المفرط لا تحمله الأنامل

وقال في الحليّة : اذا كانت الصحيفة لينة ينبغي أن يكون القلم لينّ الأنبوب ، وفي لحمه فضل ، وفي قشره صلابة ؛ وإن كانت صلبة ، كان يابس الأنبوب صلبه ، ناقص الشحم ، لأن حاجته الى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته اليه في الصحيفة الصلبة . فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ؛ ويكفي في الصحيفة الصلبة ما وصل اليها في القلم الصلب الخالي من المداد ، والله جل ذكره أعلم .

### الجملة الخامسة

في برى القلم ؛ وفيه نعمة أنظار

#### النظر الاول

في اشتقاقه وأصل معناه

يقال برّيت القلم أبريه برّياً وريّة غير مهموز، وهو قلم مبرّى ، وأنا بارٍ للقلم بنير  
همز أيضا . قال الشاعر :

يأبارى القوس برّياً ليس يُحْكُهُ • لا تُفْسِدُ القوس أعطِ القوسَ بارِياً

ويقال أيضا : برّوت القلم والعود برّوا بالواو ، والياء أفصح . ويقال لما سقط منه حالة البرى برّية (بضم الموحدة في أوله) على وزن نَزَالَةٍ وَحَنَالَةٍ ، والفُعالة اسم لكل فضلة تفضل من الشيء ، وتقول في الأمر : ابرق قلبك .

#### النظر الثاني

في الحث على معرفة الريّة

قال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب الى خلال ، منها : جودة برّى القلم ، وإطالة جفّفته ؛ وتحريف قطّته ، وحسن التأتّي لامتناء الأنامل ، وإرسال المدة بعد

إشباع الحروف، والصحرز عند فراغها من الكشف، وترك الشكل على الخط  
والإعجام على التصحيف .

ومن كلام المقرّ العلّائي ابن فضل الله، طيب الله مهجّعه : من لم يحسن  
الاستمداد، وبرّى القلم، والقطّ وإمساك الطومار، وقسمة حركة اليد حال الكتابة،  
فليس هو من الكتابة في شيء .

ويحكى أن الضحاك كان إذا أراد أن يرى قلباً تواري بحيث لا يراه أحد،  
ويقول : انخط كلّه القلم . وكان الأنصاري إذا أراد أن يرى فعل ذلك، فإذا أراد  
أن يقوم من الديوان قطع رموس الأقلام حتّى لا يراها أحد .

وقال إسحاق بن حماد : لاحقّ لغير مميّز لصنوف الرّاية . ورأى إبراهيم بن المحبس  
رجلاً يأخذ على جارية قلمّ الثلث ، فقال : أعلمتها الرّاية ؟ قال : لا ، قال : كيف  
تحسن أن تكتب بما لا تحسن برأيتّه ؟ تعلم الرّاية أكبر من تعليم الخط .

قال المقرّ العلّائي ابن فضل الله : ورأيت بخط أبي عليّ بن مقلة رحمه الله ، نعم  
نعم ملاك الخط حسن الرّاية ، ومن أحسنها سهّل عليه الخط ، ولا يقتصر على علم فنّ  
منها دون فنّ ، فانه يتعين على من تعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل فنّ منها على  
مذهبه من زيادة في التحريف ، ومن التقصان منه ، ومن اختلاف طبقاته . ومن  
وعى قلبه كثرة أجناس قعّ الأقلام كان مقتدراً على الخط ، ولا يتعلّم ذلك إلا  
عاقل ، والقلم للكاتب كالسيف للشجاع .

وقال الضحاك بن عجلان : القلم من أجناس الأقلام كاللّحن من أجناس الألحان  
في الصناعة ، والرّاية الواحدة من أجناس الرّاية كذلك .

ومن كلام المقرّ العلّائي ابن فضل الله : جودّة الرّاية نصف الخط .

ومنه من ذهب الى أن العبرة بحسن الصنعة دون برى القلم، حتى حكى الفزالي رحمه الله في نصيحة الملوك أن صاحب بن عباد كان وزيرا لبعض الملوك، وكان معه ستة وزراء غيره فكانوا يحسدونه، ولم يزالوا حتى ذكروا للملك أنه لا يُحسِنُ رِأْيَهُ القلم، وعمدوا الى أقلامه فكسروا رموسها، ثم إن الملك أمره بكتب كتاب في المجلس، فوجد أقلامه كلها مكسرة الرموس فأخذ فلما منها، وكتب به الى أن انتهى الى آخر الكتاب بخط فائق رائق، فقال له الملك: إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن برى القلم، فقال: إن أبى علمنى كتابا ولم يعلمنى تجارا.

### النظر الثالث

في معرفة محل الرأية من القلم

قال إبراهيم بن محمد الشيباني: يجب أن يكون البرى من جهة نبات القصة يعنى من أعلاها إذا كانت قائمة على أصلها، فإن محل القلم من الكاتب محل الرفع من الفارس. والى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائي بقوله في أبياته المتقدمة:

إذا استغزى الذهن القوى وأقبلت \* أعاليه في القِرطاس وهى أسافل

وقال أبو القاسم: إذا أخذ القلم لبريه فلا يخلو من استقامة فى البنية أو اعوجاج فى الخلق، فإن كان مستويا فالبرية من رأسه، وهو حيث إستدق، وإن كان معوجا ودعت الضرورة إليه، فالبرية من أسفله لأن أسفله أقل التواء من أعلاه.

### النظر الرابع

في كيفية إسك السكين حال البرى

قال ابن البربري: إذا بدأت بالرأية فأمسك السكين باليد اليمنى؛ والأنبوبة باليسرى، وضع إبهامك اليمنى على قفا السكين، ثم اعتمد على الأنبوبة اعتمادا رقيقا.

## النظر الخامس

## في صنعة البراية

قال العنابي : سألني الأختمي يوما بدار الرشيد : أي نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة التي عن يمين سنها برية تآمن معها المجبة عند المدة والمطة ، الهواء في شقها نقي ، والريح في جوفها حريق ، والمسداد في خرطومها رقيق .

واعلم أنه ربما حسن الخط باعتبار براية الأسلم ، وإن لم يكن على قواعد الخط وهندسته ، فقد قيل : إن الأحول المحزور كان عجيب البراية للقلم ، فكان خطه رائقا بجمًا من غير إحكام ولا إتقان . قال الأنصاري المحزور : كنت أكتب في ديوان الأحول ، فحُرب منه وأخذت من خطه ، وسرقت من دواته قلما من أقلامه ، بفاد خطي به ، فلاحته منه نظرة الى دواتي ، فرأى القلم فعرفه ، فأخذه وأبسنى . وكان إذا أراد أن يقوم من مجلسه أويء عرف قطع رموس أقلامه كلها .

واعلم أن البري يشتمل على معان :

المعنى الأول — في صفته ، ومقداره في الطول ، والتقصير .

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : ويجب أن يكون في القلم الصليب أكثر تقصيرا ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما . وصفته أن تبدئ بتزولك بالسكين على الاستواء ، ثم تميل القطع الى ما على رأس القلم ، ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الإبهام ، أو كفافير الحسام ، وإلى ذلك أشار الشيخ علاء الدين السمرمري رحمه الله في أرجوزته بقوله :

وطولها كمقعدة الإبهام لا • أعلى ولا أدنى يكون أردلا



قال الأستاذ أبو الحسن بن البواب رحمه الله : كل قلم تقصّر جِلَّتُهُ ، فإن انحط  
يحيى به أوقص ، والوقص قصر العنق ، ولذلك سمي متفاعن في عروض الكامل  
إذا حذفت منه التاء أوقص ، وكأنه يريد بالقصير ما دون عقدة الإيهام .

وقد قال إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب : أطل تُرطوم قلمك . فقيل له :  
أله ترطوم ؟ قال : نعم ، وأنشد :

كَأَنَّ أَنْوْفَ الطَّيْرِ فِي عَرَصَاتِهَا \* خَرِاطِيمُ أَقْلَامٍ تَحُطُّ وَتُجِجُ

وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان لرغيان ، وكان يكتب بقلم قصير البرية :  
أتريد أن يمحو خطك ؟ قال : نعم ، قال : فاطل جِلَّةَ قلمك وأسمتها ، وحرف  
القطعة وأينها ، قال رغيان : ففعلت ذلك بفاد خطي .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : إذا طالت البرية ، فإنه يحيى  
الخط بها أخف وأضعف وأجلى ، وإذا قصرت جاء الخط بها أصفى وأثقل وأقوى .

المعنى الثاني — النحت .

قال الوزير أبو علي بن مقله : وهو نوطان ، نحت حواشيه ، ونحت بطنه . أما  
نحت حواشيه ، فيجب أن يكون متساويا من جهتي السن معا ، ولا يعمل على  
إحدى الجهتين فيضعف سنه ، بل يجب أن يكون الشق متوسطا لِحَقَّةِ القلم دق  
أو غَلَطَ . قال : ويجب أن يكون جانباه مسيقين ، والتسيف أن يكون أعلاه ذاهبا  
نحو رأس القلم أكثر من أسفله ، فيحسن جرى المداد من القلم . قال : وأما نحت  
بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأعلام في صلابة الشحم ورخاوته ، فاما الصلْبُ  
الشحمة فينبغي أن يُنَحَّتَ وجهه فقط ، ثم يعمل مسطحا وعرضه كقدر عرض الخط  
الذي يُؤَرِّثُ الكاتب أن يكتبه ، وأما الرخو الشحمة فيجب أن تتأصل شحمته حتى

تتجى الى الموضوع الصلب من جرم القلم ، لأنك إن كتبت بشحمته ، تشقى القلم ولم يَصِفْ جريانه .

ومن كلام ابن البربري : لا تصعب البراية ، ولا تخالف بين حدى القلم ، فإن ذلك حياكة ، وإذا كان كذلك يكون القلم أحول .

ثم الحلقة على أنحاء ، منها : أن يرهف جانبي البرية ، ويُسَمِّن وسطها شيئاً يسيراً ، وهذا يصلح للبسوط والمعلق والمحقق .

ومنها ما تستأصل شحمته كلها ، وهذا يصلح للرسل والمزوج والمفتح .

ومنها ما يرهف من جانبه الأيسر ويبقى فيه بقية في الأيمن ، وهذا يصلح للطوامير وما شابهها .

ومنها ما يرهف من جانبي وسطه ، ويكون مكان القطعة منه أعرض مما تحته ، وهذا يصلح في جميع قلم الثالث وفروعه .

المعنى الثالث — الشق : وفيه مهيان .

### المهييع الأول

في فائده

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : لو كان القلم غير مشقوق ما استمرت به الأثام ، ولا اتصل الخط للكاتب ، ولَكَثُرَ الاستمداد ، وعُدِمَ المشق ، ولما لمداد الى أحد جانبي القلم على قدر قتل الكاتب له .

## المهيمع الثاني في صفة الشق ؛ وفيه مُدْرَكَاتُ المُدْرَكِ الأوَّل في قدره في الطول

قال ابن مقلة : ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته .  
فأما المعتدل فيجب أن يكون شَقُّه الى مقدار نصف الفتحة أو ثلثها . والمعنى فيه  
أنه اذا زاد على ذلك انفتحت منا القلم حال الكتابة وفسد الخط حينئذ . وإذا كان  
كذلك أمن من ذلك .

وأما الصُّلْبُ ، فينبى أن يكون شقه الى آخر الفتحة ؛ وربما زاد على ذلك  
بمقدار إفراطه في الصلابة . وقد نظم ذلك الشيخ علاء الدين المُرْمَرِي رحمه الله  
في أرجوزته فقال :

وأعلم بأن الشَّقَّ أيضا يَخْتَلِفُ \* بحسب الأعلام فافهم ما أَصِفُ  
فإن يمكن معتدلا شُقَّ الى \* مقدار ثُلُثِ الحَلْفَةِ أَثْقَلُ وَأَقْبَلُ  
وَالرَّخْوُ لِلنَّصْفِ أَوْ الثَّلَاثِينَ زِدْ \* وَالصُّلْبُ بِالْفَتْحَةِ الْحَقُّ تَسْتَفِذُ  
وربما زادوا على ذاك إذا \* أَقْرَطَ في الصلابة أعيرف ذا وذا

## المُدْرَكُ الثاني

في عمله من الحلقة في العرض

وقد تقدم من كلام ابن مقلة رحمه الله في المعنى الثالث أنه يجب أن يكون الشق  
متوسطا لحلقة القلم ، وعليه جرى الأستاذ أبو الحسن بن البواب رحمه الله فقال :  
وليكن غَلَطُ السَّيْنِ جميعا سواءً . قال : ويحوز أن يكون الأيمن أعظم من الأيسر

دون العكس على كل حال؛ وهذا إنما يأتي إذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين إلى جهة اليسار، أما إذا كانت آخذة من جهة اليسار إلى جهة اليمين كالقبطية فإنه يكون بالعكس من ذلك لأنه يقوى الاعتماد على اليسار دون اليمين .

المعنى الرابع - القَطْءُ وفيه مهيمنان :

### المهيمن الأول

اشتقاقه ومعناه

يقال قَطَعْتُ القلم أَقْطَعُهُ قَطًّا فَاأَقْطُطُ وهو مَقْطُوطٌ وَقَطِيعٌ : إذا قَطَعْتَ سَهًّا وَأَصْلُ الْقَطْعِ : الْقَطْعُ ؛ وَالْقَطْعُ وَالْقَدْ متقاربان ، إلا أَنَّ الْقَطْعَ أَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِيمَا يَقَعُ السِّيفُ فِي عَرْضِهِ ، وَالْقَدْ مَا يَقَعُ فِي طَوْلِهِ . وكان يقال : إذا علا الرجل الشيءَ بَسِيفِهِ قَدْ ، وإذا عَرْضُهُ قَطَعَهُ . وذلك أن مخرج الطاء والذال متقاربان ، فأبدل أحدهما من الآخر كما يقال مطح حاجبيه ، ومدح حاجبيه .

### المهيمن الثاني

في صفته

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَجْنَاسَ الْقَطْعِ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ مَقَاصِدِ الْكُتَّابِ ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِنَ الرَّايَةِ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْكِتَابَةِ . قَالَ الضُّبَّانُ بْنُ عَجْلَانَ : مَنْ وَعَى قَلْبُهُ كَثْرَةَ أَجْنَاسِ قَطْعِ الْأَقْلَامِ كَانَتْ مَقْتَدِرًا عَلَى الْخَطِّ . وقال المقرئ العلّائي ابن فضل الله تتمده الله برحمته : كان بعض الكُتَّابِ إذا أَخَذَ الْأَثْبُوبَةَ لِيَرِيهَا تَخْرُسُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُطَعَ تَوَقَّفَ ثُمَّ تَحَرَّى تَوَقَّفَ ثُمَّ يَقُطَعُ عَلَى تَنْهَتْ .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والقَطْعُ على نوعين :

النوع الأول — المحزف، وطريق بره أن يحرف السكين في حال القط، وهو ضريان : قائم ومصوب؛ أما القائم فهو ما جعل فيه ارتفاع الشحمة كارتفاع القشرة؛ وأما المصوب، فهو ما كان القشر فيه أعلى من الشحم .

النوع الثاني — المستوى؛ وهو ما تساوى سناه؛ وأجودهما المحزف، وقد صرح بذلك الوزير أبو علي بن مقلة، فقال : وأحدها ما كان ذا من مرتفع من الجهة اليمنى ارتفاعا قليلا إذا كان القلم مصوبا، وهذا معنى التحريف؛ وذلك إذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين الى جهة اليسار كما تقدم عند ذكر سني القلم، بخلاف ما إذا كان آخذا من جهة اليسار الى جهة اليمين . قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : وأجودها المحزفة المعتدلة التحريف، وأفسدها المستوية، لأن المستوى أقل تصرفا من المحزف . قال : وقد كان بعض من لا يعتد به يقط القلم على ضد ما يعتمد الأستاذون، فيصير الشحم من القلم هو المشرف على ظاهره، فكان خطه لا يميح إلا رديئا، وإذا كانت القطعة على الضد من ذلك كان الكاتب متصرفا في الخط، متمكنا من القسطاس . قال الوزير ابن مقلة : وأجمع السكين قليلا إذا عزمت على القط ولا تنصبها نصبا، يريد بذلك أن تكون القطعة أقرب الى التحريف، وأن تكون مصوبة .

قال الشيخ شمس الدين بن أبي رقية : سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله عن الكتابة بالأقلام؛ والتحريف والتدوير، فقال : الرقاع والتوقيع أميل الى التدوير بين يمين، قطعة مرببة، والنسخ والمحقق والمشرع أميل الى التحريف، والمحقق أكثر تحريفا منها . وقد فسر ابن الوحيد قول ابن البواب : لكن جملة ما أقول بأنه ما بين تحريف الى تدوير، ان المعنى أن لكل قلم قط صفة، فقطعة الرميحاني أشدها تحريفا، ثم يقل التحريف في كل نوع من أنواع قط الأقلام حتى تكون الرقاع أقلها تحريفا .

## النظر السادس

في معرفة صفات القلم فيما يتعلق بالرأية، وما لكل من سني القلم من الحروف قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: من لم يدر وجه القلم، وصدره، وعرضه، فليس من الكتابة في شيء. وقد فسر ذلك الوزير أبو علي بن مقلبة فقال: اعلم أن للقلم وجهًا وصدرًا وعرضًا، فأما وجهه فحيث تضع السكين وأنت تريد قطعه، وهو ما يلي لحمة القلم، وأما صدره فهو ما يلي قشرته، وأما عرضه، فهو نزولك فيه على تحريكه. قال: وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمنى.

## الجملة السادسة

في مساحة رأس القلم ومقدارها من حيث موضع القطعة، ونغزها عن قلم الطومار، ونسبتها من مساحتها على اختلاف مقاديرها في الدقة والغلظ والتوسط، وما ينبغي أن يكون في دواة الكاتب من الأقلام:

أما مساحة رأس القلم، فاعلم أن رؤوس الأقلام تختلف باختلاف الأقلام التي جرى الاصطلاح عليها بين الكتاب، وأعظمها وأجلها وأكثرها مساحة في الرض هو قلم الطومار، وهو قلم كانت الخلفاء تسلم به في المكتبات وغيرها. وصفته أن يؤخذ من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه من أعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل ليتمكن الكاتب من إمساكه، فإنه إذا كان على غير هذه الصورة، ثقل على الأنامل ولا تحتمله، ويتخذ أيضا من القصب الفارسي، ولا بد من ثلاثة شقوق لتسهيل الكتابة به ويجري المداد فيه. ولهم قلم دونه ويسمى مختصر الطومار، وبه يكتب الثواب والوزراء ومن ضاهاهم الاعتماد على المراسم ونحوها. وقدروا مساحة عرضه من حيث الرؤية بأربع وعشرين شعرة من شعر البقون معتبرات، وهو

أصل لما دونه من الأقلام، فقلم الثلثين من هذه النسبة مقدر بست عشرة شعرة، وقلم النصف مقدر باثني عشرة شعرة، وقلم الثلث مقدر بثمان شعرات، ومختصر الطومار ما بين الكامل منه والثلثين: وكل من هذه الأقلام فيه ثقيل وهو ما كان الى الشَّجِّ أميل، وخفيف، وهو ما كان الى الدقة أقرب. اذا تقوَّرت ذلك فطول الألف في كل قلم معتبر بأن تضرب نسبة عرضه في مثله ويحصل طولها نظير ذلك، ففى قلم الطومار يضرب مقدار عرضه وهو أربع وعشرون شعرة في مثلها نحسبائة وستا وسبعين شعرة وهو طولها؛ وفي قلم الثلث تضرب نسبة عرضه من الطومار وهو ثمان شعرات في مثلها بأربع وستين، فيكون طولها أربعا وستين شعرة وكذلك الجميع فأعلمه.

وأما عدد أقلام الدواة فقد قال الوزير أبو علي بن مقلة: ينبغي أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من الخطوط، وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبرق للعلم الذى هو بصدد أن يحتاج الى كتابته ليجده مهيأ، فلا يتأخر لأجل برايته.

الآلة الثانية — المِفْطَمة: وهى المكان الذى يوضع فيه الأقلام، سواء كان من قس الدواة أو أجنبيا عنها، وقد لاتعد من الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالبا.

الآلة الثالثة — المِدْيَةُ، والنظر فيها من وجهين:

### الوجه الأول

في معناها واشتقاقها

قال الجاحظ: يقال بضم الميم وتفتحها وكسرهما وتجمع على مَدَى: وهى السكين، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كانت امرأتان مَعَهُمَا ابناهُمَا بغاء الذئب فنَهَبَ

بأمر إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابك. فحماكا إلى داود فقصى به للكبرى، فخرجتا إلى سليمان بن داود فأخبرته، فقال: استوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله هو أبنا، فقصى به للصغرى قال أبو هريرة: إن سمعت بالسكين إلا يومئذ، ما كنا نقول إلا المديّة.

ثم الأصل في السكين الذكيرة، قال أبو ذؤيب:

يُرى ناصحا لي ما بدا فإذا خلا \* فذلك سكينٌ على الحلقى حاذق

قال الكسائي: ومن أنت أراد المديّة وأنشد:

فصبت في السّام غداة قر \* بسكين موقية النّصاب

ويقال سكينه بالهاء، وهو قليل. وفي حديث المبعث<sup>(١)</sup> أنه لما شق الملك بطنه صلى الله عليه وسلم قال: اثبتني بالسّكينة<sup>(٢)</sup> وتجمع على سكاكين، سميت مديّة أخذها من مدى الأجل وهو آخره، لأنها تأتي بالأجل في القتل على آخره، وسميت سكينًا لأنها تسكن حركة الحيوان بالموت. ونصاب السكين أصلها، ونصاب كل شيء أصله قال الشاعر:

وإن نصابي إن سألت وأسرتي \* من الناس حتى يقتننوا المزما<sup>(٣)</sup>

أي وإن أصل. ويقال أنصبت السكين إذا جعلت لها نصابا، كما يقال أقبضتها إذا جعلت لها مقيضا، وأقربتها إذا جعلت لها قرابا، وأغفقتها إذا جعلت لها غلافا، والحديدة الناهية في النصاب سِلَانٌ. ويقال أحددت السكين<sup>(٤)</sup> فانا أحده إحدادا وحده السكين نفسه صار حادًا، وأحده فهو مُحِدٌ، وسكين حاذ، فإذا أمرت من أحده قلت: أحده، ومن حده قلت: حده.

(١) في اللسان والصلح يرى ناصحا ما بدا. (٢) أي أثر في السام بالسكين أنظر اللسان.

(٣) المزمن من الأبل: الكريم قطع أذنه وترك لها زخعة.

(٤) أي وحدتها أيضا كما يستفاد من نهاية عبارة.



## الوجه الثاني

### في صفتها

قال بعض الكُتَّاب : هِيَ مِنَ الْأَقْلَامِ ، تَسْتَعِدُّ بِهَا إِذَا كَلَّتْ ، وَتَطْلُقُ بِهَا إِذَا وَقَفَتْ وَتَلُمُّهَا إِذَا تَشَعَّتْ . فَتَجِبُ الْمُبَالَغَةُ فِي سَقِيَّهَا وَإِحْدَادُهَا لِیَتِمَّكَ مِنْ الْبَرَى ، فَيَصْفُو جَوْهَرُ الْقَلَمِ ، وَلَا تَنْشَقِلِي قَطْعُهُ . وَيَنْبَغِي أَلَّا يَسْتَعْمَلَهَا فِي غَيْرِ الرَّأْيَةِ لِثَلَاثِ كُلِّ وَتَضُدُّ . قَالَ الصُّوَلِيُّ : وَأَحْدِثُ سَكِينَتِكَ وَلَا تَسْتَعْمَلَهَا لِغَيْرِ ذَلِكَ . قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مَقْلَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَاسْتَعِدَّ السَّكِينِ حَدًّا ، وَلَكِنْ مَاضِيَةً جَدًّا ، فَإِنَّمَا إِذَا كَانَتْ كَالْأَلَّةِ جَاءَ الْخَطُّ رَدِيضًا مُضْطَرِبًا . وَقَالَ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ الْعَفِيفِ : فَسَادُ الرَّأْيَةِ مِنْ بَلَادَةِ السَّكِينِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَطِيفَةً الْقَدِّ ، مُعْتَدِلَةً الْحَدِّ . فَقَدْ كَرِهَ الْمُبَالَغَةَ فِي سَقِيَّهَا ، لِتَمُكِّنَ الْبَارِي مِنْ بَرِيَّهَا . وَلَا عَيْبَ فِي حَمَلِهَا فِي الْكُتْمِ وَالْخُفِّ ، فَقَدْ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَالَ : اتَّخَذَ الرَّجُلُ السَّكِينِ فِي خُفِّهِ مِنَ الْمُرُومَةِ . قَالُوا : وَأَحْسَنُهَا مَا عَرَّضَ صَدْرَهُ ، وَأَرْهَفَ حَدَّهُ ، وَلَمْ يَفْضُلْ عَنِ الْقَبْضَةِ نِصَابَهُ ، وَاسْتَوَى مِنْ غَيْرِ اعْوِجَاجٍ . قَالَ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ الْعَفِيفِ : وَرَأَيْتُ وَالِدِي وَجَاعَةً مِنَ الْكُتَابِ يَسْتَحْسِنُونَ الْعُقَايَةَ وَهِيَ الَّتِي صَدَرُهَا أَعْرَضُ مِنْ أَسْفَلِهَا . وَوَصَفَ بَعْضُهُمْ سَكِينًا ، فَقَالَ : وَسَكِينٌ عَنِيْقَةُ الْحَدِيدِ ، وَثَبِيْقَةُ الشَّعِيرَةِ ، مُحْكَمَةُ النَّصَابِ ، جَامِعَةُ الْأَسْبَابِ ، أَحَدٌ مِنَ الْآيِنِ ، وَأَحْسَنُ مِنْ اجْتِنَاعِ مُحْيِيْنٍ ، وَأَمْضَى مِنَ الْحَسَامِ ، فِي بَرَى الْأَقْلَامِ . وَفِي الْقَائِلِ فِي وَصْفِهَا :

أَنَا لِمَنْ شِئْتَ عُدَّةٌ لَعْدُو \* حِينَ يُحْشَى عَلَى النَّفُوسِ الْجَمَامُ

أَنَا فِي السَّلْمِ خَادِمٌ لَدَوَاةٍ \* وَبِحَدِّي قُومُ الْأَقْلَامِ

الآلة الرابعة — المِقْط (بكسر الميم) كما ضبطه الجوهري في الصَّحاح إلا أنه قال فيه : مِقْطَةٌ بالتأنيث .

قال الصولي : ينبغي أن يكون المِقْطُ صُلْبًا فتمضي القِطَّةُ مستوية لَامْشِطِيَّةً . قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : إذا قطعت فلا تَقْطُ إلا على مِقْطٍ أَمْلَسٍ صُلْبٍ غير مُنَمِّلٍ ولا حَشِينٍ لئلا يَنْشَقَى القلم : وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ويتعين أن يكون من عود صُلْبٍ كالآيُنُوسِ والماج ، ويكون مسطَّح الوجه الذي يَقْطُ عليه ، ولا يكون مستديرًا لأنه إذا كان مستديرًا تَشَقَّى القلم ، وربما تهلت القِطَّةُ فتأتى الإدارات والتشعيرات غير جيِّدة . قلت : وينبغي ألا يكون مع ذلك مانعًا كالجليد والنحاس ونحوه فإن ذلك يفسد السكين ، ولا تجزئ القِطَّةُ صالحة .

الآلة الخامسة — المحبرة ، وهي المقصود من الدواة ، وتشتمل على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول — الجُوتة ، وهي الظرف الذي فيه اللِّيقه والخبر .

قال بعض فضلاء الكُتَّاب : وينبغي أن تكون شكلًا مدور الرأس يجتمع على زاويتين قائمتين ، يوقدُهما خط ، ولا يكون مربعًا على حال لأنه إذا كان مربعًا يتكاثف المِداد ، في زواياه فيفسد المِداد ، فإذا كان مستديرًا كان أبقى للمِداد ، وأسهل في الاستمداد .

الصنف الثاني — اللِّيقه ، وتسميها العرب الكُرُفَ تسمية لها باسم القُطن الذي تُخَذُّ منه في بعض الأحوال كما سيأتى ، والنظر فيها من وجهين :

## الوجه الاول

في اشتقاقها

يقال أَلْتَتِ الدَّوَاءَ وَلَقَّتْهَا ، أَخَذْنَا مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَان لَا تُبْلِقُ كَفَّهُ دَرَهْمًا أَى لَا تَحْبُسُهُ وَلَا تُحْسِكُهُ ، وَأَنْشَدَ الْكِسَائِيُّ :

كَفَّاكَ كَفَّ مَا يُبْلِقُ دِرْهَمًا \* جُودًا وَكَفَّ تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدِّمَاءَ

يصفه بالجود، أَى كَفَّاكَ مَا يُحْسِكُ دَرَهْمًا ، وَيُقَالُ : مَا لَاقَتْ الْمَرْأَةَ عِنْدَ زَوْجِهَا أَى مَا عَظَمَتْ . قَالَ الْمُبَرِّدُ : دَخَلَ الْأَصْمَعِيُّ عَلَى الرَّشِيدِ بَعْدَ غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَصْمَعِيُّ ؟ فَقَالَ : مَا الْأَقْنَى نَحْوَكَ أَرْضٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمْسَكَ الرَّشِيدُ عَنْهُ ، فَلَمَّا فَزَقَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ قَالَ لَهُ : مَا مَعْنَى الْأَقْنَى ؟ قَالَ : مَا حَبَسْتَنِي ، فَقَالَ : لَا تَكَلِّمْنِي فِي مَجْلِسِ الْعَامَةِ بِمَا لَا أَعْلَمُ . قَالَ الْجَاهِظُ : وَلَا تَسْتَحِقْ اسْمَ الْبَلِيَّةِ حَتَّى تُتْلَقَ فِي الدَّوَاءِ بِالنَّقْسِ وَهُوَ الْمِدَادُ .

## الوجه الثاني

فما تتخذ منه وتتعاهد به

قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : تَكُونُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالصُّوفِ وَالنَّعْنَاعِ ، وَيُقَالُ فِيهِ الْكُرْسُفُ ، وَالرُّسُ ، وَالطُّلُوطُ ، وَالْمُطَبَّ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الْحَرِيرِ الْخَشِنِ : لِأَنَّ اسْتِغْنَاءَهَا فِي الْمَجْبَرَةِ وَعَدَمَ تَلَبُّدِهَا أَعُوْذُ عَلَى الْكُتَّابَةِ . قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : وَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْكُتَّابِ أَنْ يَتَّقِدَ الْبَلِيَّةَ وَيَطِيَّبَهَا بِأَجُودَ مَا يَكُونُ ، فَإِنَّهَا تُرْوَجُ عَلَى طَوْلِ الزَّمَنِ ، وَهِيَ الْقَائِلُ :

مَنْظَرٌ شَبِهَتْ عَلَيْهِ دَوَائُهُ \* أَنْ الْفَقْرَ لَا كَانَ غَيْرَ ظَرِيفٍ

إِنْ التَّفَقُّدُ لِلدَّوَاءِ فَضِيلَةٌ \* مَوْصُوفَةٌ لِلْكَتَّابِ الْمَوْصُوفِ

وكان بعض الكُتَّاب يطيب دوائه بأطيب ما عنده من طيب نفسه ، فسئل عن ذلك فقال : لأني أكتبُ به اسمَ الله تعالى واسمَ رسوله صلى الله عليه وسلم واسم أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه ، وربما سبق القلم بغير إرادتنا فتلحُّسُه بالسنتنا ونمحوه بأكمامنا .

قال الشيخ علاء الدين السُّرْمَرِي : ويتعين على الكاتب تجديد الليقة في كل شهر ، وأنه حين قراءته من الكتابة يطبِّقُ الحِبرَةَ لأجل ما يقع فيها من التراب ونحوه ، فيفسد الخط . ونظم ذلك في أرجوزته فقال :

وَجَدِّدِ اللَّيْقَةَ كُلَّ شَهْرٍ • فَتَيْخُنَا كَانَ بِهَذَا يُفْرَى  
لأجل ما يقعُ فيها مِنْ قَدَى \* فَيَتَيْشِي مِنْ ذَاكَ فِي الْخَطِّ أَدَى

وينبغي له مع ذلك أن يصونها عن الأشياء القذرة كالْبَصَاقِ ونحوه ، فقد حكى محمد بن عمر المدائني أن بعض العلماء رأى صبياً يصُقُّ في دوائه فزجره وقال لمأمله : امنع الصبيان عن مثل هذا ، فإنما يكتبون به كلام الله . قال محمد بن عمر المدائني : كأنه تخرج أن يكتب القرآن بمداد غير نظيف . قال المدائني : وكان يلفني عن ابن عباس أنه أجاز أن يصُقُّ الرجل في دوائه ، فسألت أحمد بن عمرو البراز عن ذلك فأنكره ، وقال : هذا حديث كذب ، وضعه عاصم بن سليمان الكوندي ، وكان كذاباً ذكرته لأبي داود الطيالسي فقال : هو كذاب يجب أن تعرفوا كذبه ، صفوا له مسألة حتى يحدثكم بحديث ، فقال : بلغت أنا وعمر بن موسى الحارثي في جماعة ، فقال له عمر : ما تقول في الرجل يبرق في الدواة ويستمد منها ؟ وكان قد ذهب بصره ، فقال : حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن عمر أنه كان يبرق في الدواة ويستمد منها ، ثم قال : وحدثنا هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس مثل ذلك ،

قال : فهمز بعض أصحابنا وقال : كان ابن عباس لا يبصر، قال : ففهم، فقال :  
نعم . كان ابن عباس لا يرى بذلك بأسا .

الصنف الثالث — المداد والخبر وما ضاهاهما . والنظر فيه من أربعة أوجه :

### الوجه الأول

في تسميتهما واشتقاقهما

أما المِدادُ فسُمِّيَ بذلك لأنه يُمَدُّ القلم أى يُعِينُهُ ، وكلُّ شَيْءٍ مددت به شيئاً  
فهو مداد، قال الأخطل :

رَأَتْ بَارِقَاتٍ بِالْأَكْفِ كَأَنَّهَا \* مصابيحُ سُرجٍ أُوقِدَتْ بِمِدادٍ

سُمِّيَ الزيتُ مداداً لأنَّ السَّراجَ يُمَدُّ به ، فكلُّ شَيْءٍ أمددت به اللقطة مما يكتب  
به فهو مِدادٌ ، وقال ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلَمَاتِ رَبِّي ﴾ :  
هو من المِدادِ لأنَّ الإمداد . ويقال : أمدَّ القلم في الخبرِ مثل ( وَأَمَدَّتْهُمْ بِفَاكِهَةٍ  
وَلَحْمٍ ) ومَدَّهُ في الشرِّ ، مثل ( وَنَعُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِدادًا ) . ويقال فيه أيضاً نَقَسَ  
ونَقَسَ ، بكسر النون وفتحها مع إسكان القاف ومع السين المهملة فيهما ، والكسر  
أفصح ، ويجمع على أُنُقاس .

وأما الخِبرُ ، فأصله اللون ، يقال فلان ناصع الخِبرِ يراد به اللون النخالص الصافي  
من كلِّ شَيْءٍ ، قال ابن أحمريذ كرامرة :

تَيَّهَ بِفَاحِمٍ جَسَدٍ \* وَأَبْيَضَ ناصعِ الخِبرِ

يريد سواد شعرها ، وبياض لونها ، وفي الخبرِ «يَتَخَرَّجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ  
خِبرُهُ وَسَبَّحَهُ» بكسر الخاء المهملة والسين فيهما . قال ابن الأعرابي : خِبرُهُ : حسنه ،

(١) في اللسان وأروا برار الجماعة .

وسببه هيئته، وقال المبرد: قال التوزي: سألت الفراء عن المداد لم سمي حبرا؟ فقال: يقال للمعلم حبرٌ وحبريٌّ يعني بفتح الحاء وكسرها، فأرادوا مداد حبر أي مداد عالم، فخذفوا مداد وجعلوا مكانه حبرا. قال: فذكرت ذلك للاشمسي فقال: ليس هذا بشيء إنما هو لتأثيره. يقال: على أسنانه حبرا إذا كثرت صفتها حتى صارت تضرب إلى السواد، والحبر: الأثر يبقى في الجلد، وأنشد:

لقد أَثْمَتَتْ بِي آلَ فَيْدٍ وَعَادَرَتْ \* بِجِلْدِي حَبْرًا بَنْتُ مَصَانٍ بَادِيَا

أراد بالحبر الأثر، يعني أثر الكتابة في القرواس، قال المبرد: وأنا أحسب أنه سمي بذلك لأن الكلاب يُحَبَّرُ به أي يُحَسَّن، أخذنا من قولهم: حَبَّرْتُ الشيء تحبيرا إذا حسنته.

## الوجه الثاني

في شرف المداد والحبر، واختيار السواد لذلك

في الخبر "يُؤْتَى بِمِدَادٍ طَالِبِ الْعِلْمِ وَدَمِ الشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوضَعُ أَحَدُهُمَا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَالْآخَرُ فِي الْكِفَّةِ الْآخَرَى فَلَا يَرَجُحُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ" قال بعض الحكماء: صورة المداد في الأبصار سوداء، وفي البصائر بيضاء. وقد قيل: كواكب الحكم في ظلم المداد. ونظر جعفر بن محمد إلى قتي على ثيابه أثر المداد، وهو يستره منه، فقال له: يا هذا، إن المداد من المروء. وأنشد أبو زيد:

إِذَا مَا الْمِسْكُ طَلَبَ رِيحَ قَوْمٍ \* كَفَفْتَنِي ذَاكَ رَائِحَةَ الْمِدَادِ

وما شيءٌ بِأَحْسَنَ مِنْ ثِيَابٍ \* عَلَى حَقَائِهَا حَمَمُ السَّوَادِ

وقال بعض الأدباء: عطَّروا دفاتر الآداب بسواد الحبر. وكان في حجر إبراهيم ابن العباس قرواس يمشق فيه كلاما فأسقط، فسحبه بكفه، فقيل له: لو مسحته بشيئه؟ فقال: المال فرع والقلم أصل، والأصل أحق بالصون من الفرع. وأنشد في ذلك:

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْمَدَارَى \* وَمِدَادُ الدُّرَى عِطْرُ الرِّجَالِ

وَأُنْشِدْ فِيهِ :

مَنْ كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ مَسَّ عَارِضُهُ \* مِنْكَ يُطِيبُ مِنْهُ الرِّيحَ وَالنِّسْمَا

فَإِنْ يَسْكِي مِدَادُ فَوْقِ أُنْمَلَى \* إِذَا الْأَصَابِعُ يَوْمًا مَسَّتِ الْقَلَمَا

على أن بعضهم قد أنكر ذلك، وقال : المداد في ثوب الكاتب سخافة، ودقاعة منه وقلة نظافة . قال أبو العالية : تعلمت القرآن والكتابة، وما شغرتني أهلي، وما روى في ثوبي مِدَادُ قَطْ . وَأُنْشِدُوا :

دَخِيلٌ فِي الْكَاتِبَةِ يَدْعِيهَا \* كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ

يُسَبِّهُ ثَوْبَهُ لِلْحَوَى فِيهِ \* إِذَا أَبْصَرَتْهُ ثَوْبَ الْحِدَادِ

فَدَخَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا \* وَلَوْ لَطَمْتَ وَجْهَكَ بِالْمِدَادِ

وقال فارس بن حاتم : يبريق المبرتهندي المقول نخباً بالحكم ، لأنه أبقى على الدهر، وأبقى للدُّشْكُرِ، وأزيدُ للأجر .

وأعلم أن المداد ركن من أركان الكتابة، وعليه مدار الرِّيح منها وأُنْشِدُوا في ذلك :

رُيْعُ الْكَاتِبَةِ فِي سَوَادِ مِدَائِمِهَا \* وَالرُّيْعُ حُسْنُ صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ

وَالرُّيْعُ مِنْ قَلَمٍ تُسَوَّى بِرَبِّهِ \* وَعَلَى الْكَوَائِدِ رَايِعُ الْأَنْبَابِ

قال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما أختير فيه السواد دون غيره لمضامته لون الصحيفة . قال : وليس شيء من الألوان يضاد صاحبه كضادة السواد للبياض .

قال الشاعر :

فَالْوَجْهُ مِثْلُ الصَّبْحِ مُبَيَّضٌ \* وَالْفَرْخُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسَوَّدٌ

يُضَادُّانِ لِمَا اسْتَجَمَا حُسْنًا \* وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ

ويقال في المدا: أسود قائم، وهو أول درجة السواد، وحالك وحالك، وحلوك، وحلوك، وداج، ودجوي، ودجور، وأدم، ومدهام.

قال المدائني: حدثني بذلك محمد بن نصر عن أحمد بن الضحاك عن أبي عبيدة.

كتب جعفر بن حدار بن محمد إلى دعلج بن محمد يستهديه مبادا :

يا أخی للوداد لا لالداد \* وصديقي من بين هذا العباد

والذي فيه ألف مجد طريف \* قد أسدت ألف مجد بلاد

أنا أشكو إليك حال نواني \* أصبحت تقتضي قبص حداد

وقه منصور بن إسماعيل حيث يقول :

وسوداء مقلتها مثها \* وأجفائها من بلحين صقيلا

إذا أدرفت عبرة خلتها \* كغالية فوق خد أسيل

### الوجه الثالث

في صنعتها، وفيه نظران :

النظر الأول — في ماقتها .

واعلم أن المواد لذلك منها ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه إلى كبير علاج وتغيير كالقص، والزاج، والصنغ، وما أشبهها . ومنها ما يحتاج إلى علاج وتغيير، وهو الدخان . قال أبو القاسم خلوف بن شعبة الكاتب : ويتوغل في الدخان أن يكون من شيء له دهنية، ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل لأن دخان كل شيء مثله وراجع إليه .

قال أحمد بن يوسف الكاتب : كان يأتينا رجل في أيام نحرأويه بمداد لم أر أنعم منه، ولا أشد سوادا منه . فسألته من أي شيء استخرجته ؟ فكتم ذلك عني، ثم



تطلفت به بعد ذلك، فقال لى : من دهن بزر القُبل والكُنْان، أضغْ تُغنْ ذلك فى مَسَارِجَ وأوقِدها، ثم أجعل عليها طاماً حتى اذا نَفَسَ الدهن، رَفَعْتُ الطاس، وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربى . وإنما جمعه بماء الآس ليكون سواده مائلاً الى الخَضرة، والصمغ يجمعه ويمتعه من التطاير .

قال صاحب الحلية : وإن شئت أخذت من دُخان مَقَالِ الحِمْص وشبهه، وتلقى عليه ماء، وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الآس، والصل والكافور والصمغ العربى والملح، وتمده وتقطعه شواير، والدخان الأول أجود والله أعلم .  
النظر الثانى — فى صنعتها؛ وفيه مسلكان :

### المسلك الأول

فى صنعة المداد، وبه كانت تخابة الأولين من اهل الصنعة وغيرهم  
قال الوزير أبو على بن مُقلة رحمه الله : وأجود المداد ما أُتخذ من نُتْجَام النَّقْط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاد تخله وتصفيته، ثم يلقى فى طنجير، ويَصَبُّ عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن الصل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً، ومن العَفَص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يشخن جرؤه ويصير فى هيئة الطين، ثم يترك فى إناء ويرفع الى وقت الحاجة . وما ذكره فيه إشارة الى أنه لا يخصص فى نُتْجَام النَّقْط، بل يكون من دُخان غيره أيضاً كما تقدم . ثم ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور لطيب رائحته، والصبر ليمتنع من وقوع الذباب عليه . وقيل : ان الكافور يقوم مقام الملح فى غير الطيب .

## المسلك الثاني

في صنعة الحبر، وهو صفتان

الصف الأول — ما يناسب الكاغِدَ أى الورق : وهو حبر الدُّخَانِ ، ونحن نذكر منه صفات إن شاء الله تعالى .

”صفة“ يؤخذ من العَفَصِ الشامى قدر رطلٍ يُدقُّ جريشاً ويُتَمَّعُ في ستة أُرطال ماءً مع قليل من الآس : (وهو المرسين) أسبوعاً، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئرو ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانياً، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصَّغْغِ العَرَبِيِّ، ومن الزاج القَبْرِىِّ كذلك، ثم يضاف إليه من الدخَانِ المتقدم ذكره ما يكفيه من الحَلَاكَةِ . ولا بد له مع ذلك من الصَّبْرِ والعسل ليمتنع بالصَّبْرِ وقوْحُ الذباب فيه، ويُحَفَظُ بالعسل على طول الزمن؛ ويحصل من الدخان لكل رطلٍ من الحبر ... .. بعد أن تَسَقِّقَ الدُّخَانُ بِكُفَّةٍ كَفَتْ بالسكر النبات والزعفران؛ الشعر والزنجار إلى أن تُجيدَ تَحْقِيقُهُ، ولا تُصَحِّحْهُ في صلاية ولا هاوُنْ يفسد عليك .

الصف الثاني — ما يناسب الرِّقَّ، ويسمى الحبر الرأس، ولا دُّخَانُ فيه ، ولذلك يسمى بَصَاصاً بَرَّاقاً، وبه إضرار للبصر في النظر إليه من جهة بَرِّيقِهِ، ويُفْسِدُ الكافِدَ على طول؛ ونحن نذكر منه .

”صفة حبر“ هى : يؤخذ من العَفَصِ الشامى رطل واحد فيُجَرَّشُ، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أُرطال ، ويحصل في طَنِيمِيرٍ ، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لَيِّنَةٍ حتى يَنْضَجَ، وعلامة نُضْجِهِ أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بَصَاصَةً،

ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جليد، ويستعمل عند الحاجة .

”صفة حبر سقرى“ يعمل على البارد من غير نار، يؤخذ العنص فيجرح برشا جيّداً ويسحق لكل أوقية عنص درهم واحد من الزاج ، ودرهم من الصمغ العربي، ويطبق عليه ويرفع الى وقت الحاجة . فاذا احتاج اليه صب عليه من الماء قدر الكفاية واستعمله .

## الوجه الرابع

### في ليقى الافتتاحات

وهى ما يكتب به فوائح الكلام : من الأبواب ، والفصول والابتداعات ونحوها، ولا مدخل لشي من ذلك في فن الإنشاء والديونة، إلا الذهب فإنه يكتب به في الطغراوات في كتب القانات، وفي الأسماء الجليلة منها، كما سيأتى في موضعه من المكتابات من فن الإنشاء إن شاء الله تعالى، وبقى ذلك إنما يحتاج اليه كُتّاب النسخ إلا أنه لا بأس بالعلم به فإمّ كمال الكاتب .

ونحن نذكر منه ما الغالب استعمله وهو أصناف :

الصف الأول — الذهب، وطريق الكتابة به أن يُحَلَّ ورق الذهب، وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب الذى يستعمل في الطلاء ونحوه، فيجعل مع شراب الليمون الصافى النقى، ويقتل فيه في إناء صينى أو نحوى حتى يضمحل جرّمه فيه، ثم يصب عليه الماء الصافى النقى ويسفل من جوانب الإناء حتى يمتزج الماء والشراب، ويترك ساعة حتى يرسب الذهب، ثم يصفى الماء عنه ويؤخذ ما رسب في الإناء، فيجعل في مفتلة زجاج ضيقة الأسفل، ويحعل معه قليل من اللبقة، والتراب السير

من الزعفران بحيث لا يُخْرِجه عن لون الذهب ، وقليل من ماء الصمغ المحلول ، ويكتب به . فإذا جَفَّ صقل بمصقلة من جَزَج حتى يأخذ حته ، ثم يُزَمَك بالخبر من جوانب الحرف .

الصف الثاني — اللَّازوردُ ، وأنواعه كثيرة ، وأجودها المِدينيُّ ، وباقى ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة ، وإنما يستعمل في الدِّهانات ونحوها ، وطريق الكتابة به أن يذاب بالماء ، ويلقى عليه قليل من ماء الصمغ العربي ، ويعمل في دواة كدواة الذهب المتقدم ذكرها ، وكلما رَسَبَ حُرُك بالقلم ، ولا يكثر به الصمغ كي لا يَسْوَدَ ويَسُدَّ .

الصف الثالث — الزُّبْجَرُ ، وأجوده المغربي ، وطريق الكتابة به أن يسحق بالماء حتى ينعم ، وإن سحق بماء الرتان الحامض فهو أحسن ، ثم يضاف عليه ماء الصمغ ، ثم يُلَاقى بليقة كما يُلَاقى الخبر ، ويعمل في دواة ويكتب به .

الصف الرابع — المِفْرَةُ العِراقِيَّة ، وهي مما يكتب به في نفائس الكتب ، وربما كتب بها عن الملوك في بعض الأحيان . وطريقه في الكتابة كما في الزُّبْجَرِ ، والله أعلم .

الآلة السادسة — المِلَّوَق ( بكسر الميم ) وهو ما تلاق به الدواة أى تحرك به البليقة . قال بعض الكُتَّاب : وأحسن ما يكون من الآبَنُوس لثلا يغيره لونُ المداد . قال : ويكون مستديرا مخروطا ، عريض الرأس ثمينه .

الآلة السابعة — المِرْمَلَة ، واسمها القديم المِترَبَة ، جعلها آلة للتراب ، إذ كان هو الذى يُقَرَّب به الكتب .

وتشتمل على شيئين :

**الأول** — الطرف الذى يُعمل فيه الرمل، وهو المسمى بذلك، ويكون من جنس الدّوّاء إن كانت الدّوّاء نَحَاسًا، أو من النحاس ونحوه إن كانت خشبًا على حسب ما يختاره ربّ الدّوّاء. وعملها من الدّوّاء ما على الكاتب مما بين الحجرة وباطن الدّوّاء على باطنها. وربما أُخِذَت مِرْمَلَةٌ أُخْرَى أكبر من ذلك تكون فى باطن الدّوّاء لاحتمال أن تضيق تلك عن الكفاية لصغرهما. وأرباب الرّياسة من الوزراء والأمراء ونحوهم يتخذون مِرْمَلَةً كبيرة تقارب حبة الرّائج<sup>(١)</sup>، لها عتق فى أعلاها، تكون فى الصّالب من جنس الدّوّاء من نَحَاسٍ ونحوه؛ وربما أُخِذَت من خشب لُقْضَاء الحكم ونحوهم.

وبما ألفز فيها الفاضى شهاب الدين ابن بنت الأهرز :

ظَرِيفَةُ الشَّكْلِ وَالثَّمَالُ قَدْ صُنِيتْ \* تَحْكِي العُرُوسَ وَلَكِنْ لَيْسَ تَقْتَلِمُ  
كَأَنَّهَا مِنْ دَوَى الْأَلْبَابِ خَاشِعَةٌ \* تَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى مَا سَطَرَ الْقَلَمُ

وتسمى المِثْرَبَةُ أيضًا، وفى ذلك يقول أبو المتاوى :

يَا مَادِحًا أَمْرًا وَلَمْ يَأْتِهِ \* وَلَمْ يَنْبَلْ مِنْهُ وَلَا جَرَبَهُ  
لَا تَفْطِطِ الْكَاتِبُ فِي حَالِهِ \* فَإِنَّهُ الْمُسْكِينُ دُوَالِ مِثْرَبَهُ

الثانى — الرمل، وقد اختار الكُتّابُ لذلك الرَّمْلَ الأحمر دون غيره، لأنه يكسو الخط الأسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل؛ وخيرُهُ ما كان دقيقًا. وهو على أنواع :

النوع الأول — ما يؤتى به من الجبل الأحمر الملاصق لجبل المُقَطَّم من الجهة الشرقية، وهو أكثر الأنواع وأعمُّها وجودًا بالديار المصرية .

النوع الثاني — يؤتى به من الواحات، وهو رمل متجبر شديد الحمرة، يتخذ منه الكُأْب حجارة لَطَافًا مُنَحَّت بالسكين ونحوها على الكتابة، وأكثر ما يستعملها كُأْب الصعيد والقيوم وما والاها .

النوع الثالث — يؤتى به من جزيرة يحمر القلزم من نواحي الطور، وهو رمل دقيق أصفر اللون، قريب من الزعفران، وله بهجة على الخط إلا أنه عزيز الوجود .  
النوع الرابع — رمل بين الحمرة والصفرة، به سُدُور بَصَاصَةٌ يَحُلُّهَا الناظر سُدُور الذهب، وهو عزيز الوجود جدًا، وبه يُرَمِّل الملوك ومن شابههم .

الآلة الثامنة — المِنْشَاة، وتشتمل على شيئين أيضا .

الأول — الظرف، وحاله كحال المِرْمَلَةِ في الهيئة والمحل من الدواة من جهة النِطَاء إلا أنه لا شُبَّاءَ فِيهِ ليتوصَّل الى اللصاق، وربما اتخذ بمض ظرفاء الكُأْب مِنْشَاةً أخرى غير التي في صدر الدواة من رِصَاصٍ على هيئة حُقّ لطيف، ويعملها في باطن الدواة كالمِرْمَلَةِ المتوسطة، فإن اللصاق قد يتغير بمكته في الشمس، بخلاف الرِصَاص .

الثاني — اللِّصَاق، وهو على نوعين : أحدهما الدِّشَا المتخذ من البُر، وطريقه أن يطبخ على النار كما يطبخ للْقَاش، إلا أنه يكون أشد منه، ثم يحلل في المِنْشَاة، وهو الذي يستعمله كُأْبُ الإِنْشَاء ولا يقولون على غيره لسرعة اللصاق به، وموافقة لونه للورق في تصبغة الياس، والثاني المتخذ من الكَثِيرَاء، وهو أن تُبَلَّ الكَثِيرَاءُ بالماء حتى تصير في قِوَام اللِّصَاق، ثم تجل في المِنْشَاة . وكثيرا ما يستعمله كُأْبُ الدِّيَوَنَةِ، وهو سريع التغير إلى الخُضْرَة ولا يسرع اللصاق به . وينبغي أن يستعمل في اللِّصَاق في الجملة المَسَاوِدُ والكافور لطيب رائحته .

الآلة التاسعة — المِتْعَدُ، وهي آلة تشبه المخز. تتخذ لحزم الورق، وينبغي أن يكون جعل الحاجة منها متساويا في الدقة والنظ، أعلاه وأسفله سواء، لئلا تختلف ألقاب الورق في الضيق والسعة، خلا أن يكون ذبابة دقيقا ليكون أسرع وأبلغ في المقصود، وحكمه في النصاب في الطول والنظ حكم المذبة، وقد سبق. وأكثر من يحتاج الى هذه الآلة من الكتاب كتّاب الدواوين، وربما احتاج اليها كاتب الإنشاء في بعض أحواله.

الآلة العاشرة — المِزْمَةُ، قال الجوهري: المِزْمَةُ بالكسر خشبان تشد أوساطهما بمعدية تكون مع الصياقلة والأبارين، ولم يزد على ذلك. وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه، ذات دقتين يلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة يمنع الدرج من الرجوع على الكاتب، ويثبت على الدقتين.

الآلة الحادية عشرة — المِفرَشة، وهي آلة تتخذ من خرق كنان: بطنانها تظهره أو من صوف ونحوه، تُفَرَش تحت الأقلام وما في معناها مما يكون في بطن الدواة.

الآلة الثانية عشرة — المِمسعة، وتسمى المقر أيضا، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملوّنين من صوف أو حرير أو غير ذلك من هيس القماش، يمسح القلم بإطرافها عند الفراغ من الكتابة لئلا يحف عليه الحبر فيفسد، والغالب في هذه الآلة أن تكون مدوّرة مخزومة من وسطها. وربما كانت مستطيلة، ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة. وفيها يقول القاضي رحمه الله:

بِمَسْحَةٍ نَهَارُهَا \* يُبَيِّنُ لَيْلَ الظُّلَمِ  
كَأَنَّمَا مَدَّ خُلِقَتْ \* مِنْ دِيلِ كَمِ الْقَلَمِ

وقال نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها :

وَمِنْ سَحَةِ لَاحَتٍ كَأَنِّي تَبَدَّدْتُ \* بِهِ قِطْعُ الظُّلُمَاءِ وَالصُّبْحُ طَالِعُ  
وَلَمَّا أَطَالَ اللَّيْلُ فِيهَا وَرُودَهُ \* حَكَّتُهُ وَنَمَتَتْ لِلصَّبَاحِ الْمَطَالِعُ

وقال المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر :

وَمِنْ مَسْمَةِ تَأْهِى الْحُسْنُ فِيهَا \* فَاحْتَفَتْ فِي الْمَلَاةِ لَا تُبَارَى  
وَلَا تُكْرَى عَلَى الْقَلَمِ الْمَوَافِي \* إِنَّا فِي وَصْلِهَا خَلَعَ الْعِندَارَا

الآلة الثالثة عشرة — المسقاة، وهي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في الحجرة وتسمى المآوردية أيضا؛ لأن الغالب أن يجعل في الحجرة عِوَضَ الماء ماورد لتطيب رائحتها، وأيضا فإن المياه المستخرجة كماء الورد والخلاف والرياحان ونحو ذلك لا تحل الحبر ولا تفسده بخلاف الماء . وتكون هذه الآلة في الغالب من الخزون الذي يخرج من البحر الملح، وربما كانت من نحاس ونحوه، والمعنى فيها ألا تخرج الحجرة من مكانها، ولا يصب من إناء واسع القيم كالكوز ونحوه، فربما زاد الصب على قدر الحاجة .

الآلة الرابعة عشرة — المسطرة، وهي آلة من خشب مستقيمة الخشبين يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها؛ وأكثر من يحتاج إليها المنذهب .  
الآلة الخامسة عشرة — المصقلة، وهي التي يُصَقِّلُ بها الذهب بعد الكتابة، وهي من آلات النواة لا محالة .

الآلة السادسة عشرة — المهرق (بضم الميم وفتح الراء) وهو القِرطاس الذي يكتب فيه، ويجمع على مَهَارِقَ . قلت : وعد صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثارى منها المداد، وهو الظاهر، والمخط، وفي عهده بعد .



الالة السابعة عشرة - المِسْنُ ، هو آلة تتخذ لإعداد السكين ؛ وهو نوعان : أَكْهَبُ اللون ، ويسمى الرومى ، وأخضر ، وهو على نوعين : حجازى وقوصى ، والرومى أجودها ، والحجازى أجوده الأخضر .

الطرف الثالث - فيما يكتب فيه ، وهو أحد أركان الكتابة الأربعة كما سبقت الإشارة إليه في بعض الأبيات المتقدمة ؛ وفيه ثلاث جمل :

### الجلسة الأولى

فيما نطق به القرآن الكريم من ذلك

وقد نطق القرآن بثلاثة أجناس من ذلك :

الأول اللوح . قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ قرأ العامة بفتح اللام على أن المراد اللوح واحد الألواح ؛ سمي بذلك لأن المعاني تلوح بالكتابة فيه ؛ ثم اختلفوا ، فقرأ نافع برفع محفوظ على أنه نعت للقرآن بتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح ، وصفه بالحفظ لحفظه عن التغير والتبديل والتحرif . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وقرأ الباقون بالجر على نعت اللوح . قال أبو عبيد : وهو الوجه ، لأن الآثار الواردة في اللوح المحفوظ تصدق ذلك ، وهو أم القرآن ، منه نُسخَ القرآن الكريم والكتب المنزلة ، ومنه تنسخ الملائكة أعمال الخلق . قال ابن عباس : وهو لَوْحٌ من دُرّة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافته الذر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حراء ، وأصله في حجر ملك . وقال أنس : اللوح المحفوظ في جبهة إسرائيل عليه السلام ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

قال ابن عباس: وفي صدر اللوح مكتوب: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دينه الإسلام، وعهد عبده ورسوله". فمن آمن بالله وصدق بوعدده وأتبع رسله أدخله الجنة". وسمى محفوظاً لأن الله تعالى حفظه عن الشياطين، وقيل: حفظه بما ضمنه. وقيل: اللوح صدر المؤمن.

وقرأ يحيى بن يعمر في لُوح بضم اللام، وهو الهواء. يقال لما بين السماء والأرض اللُوح، والمعنى أنه شيء يلوح لللائكة فيقرعون به. وهو ذو نور وعلو وشرف. وقد ورد في القرآن بلفظ الجمع، قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد ألواح التوراة. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبيرة: من ياقوتة. وقال مجاهد: من زمرّد أخضر. وقال أبو العالبة والربيع بن أنس: من برّد. وقال الحسن: خشب، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الألواح التي أنزلت على موسى من مِدر الجنة، وكان طول كل لوح منها اثني عشر ذراعاً". وقال وهب بن منبه: من حفرة سماء آلتها الله له قطعها بيده، ثم قطعها بأصابعه.

واختلف في عددها، فقيل: سبعة، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس؛ وقيل: لوحان، رواه أبو صالح عن ابن عباس أيضاً، وجمعت على عادة العرب في إيقاع الجمع على التثنية كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ يريد داود وسليمان عليهما السلام واختاره الفراء. وقيل: عشرة. قاله ابن منبه، وقيل: تسعة. قاله مقاتل. وقال أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقرعبر.

الثاني — الرق (فتح الراء) قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُسْتَوِيرٍ فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ﴾ قال المبرد: هو ما يرقق من الجلود ليكتب فيه. قال المعافى بن أبي السيار: ومن

ثم استُعيد حمله على اللوح المحفوظ، والمنشور المبسوط؛ واختلف في الكتاب  
المسطور فيه، فقيل: اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: ما كتبه الله تعالى  
لموسى وهو يسمع صرير الأقلام.

الثالث — القرطاس والصحيفة، وهما بمعنى واحد وهو الكاغذ.

أما القرطاس، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ أَنَّ عَلَيْكَ لَكَاَبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيُسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال ابن أبي السيار: القِرطاس كاغذٌ  
يُتخذ من بردى مصر، وكل كاغذ قِرطاس، قال: والجمهور على كسرهما، وضمها  
أبو زيد وعكرمة وطاحه ويحيى بن يعمر، والذي حكاه الجوهري عن أبي زيد  
يخالف ذلك، فإنه قال فيه: قِرطُس (يُفتح القاف من غير ألف بعد الراء) والمراد  
بالكتاب في الآية الكريمة المكتوب لأنفس الصحيفة. قاله المعاف.

وأما الصحيفة، فإنها لم ترد إلا بلفظ الجمع. قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْأَيِّمَ  
فِي مُحْصِفٍ مُّوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ وقال جل وعز: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ  
الْأُولَىٰ مُحْصِفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وتجمع أيضا على صحائف، وسمى المصحف مصحفًا  
لجمعه الصحف. قال الجوهري: وسمى التصحيف تصحيفا لخطأ في الصحيفة.

## الجملة الثانية

فما كانت الإهم السالفة تكتب فيه في الزمن القديم

وقد كانت الإهم في ذلك متفاوتة، فكان أهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه  
من الحشيش والكلا، وعندهم أخذ الناس صنعة الورق، وأهل الهند يكتبون

(١) يظهر أنه وقع هنا تحليط من النسخ، وحاصل ما يؤخذ من كتب التفسير أنه اختلف في الرق قيل:  
الجد، وقيل: اللوح المحفوظ. واختلف أيضا في الكتاب المسطور فيه قيل: القرآن، وقيل ما كتبه الخ فنه.

في تحرق الحرير الأبيض، والقرص يكتبون في الجلود المدبوجة من جلود الجواميس والبقرة والغنم والوحوش؛ وكذلك كانوا يكتبون في الخفاف (بالخاء المعجمة): وهي حجارة بيض رقاق، وفي التماس والحديد ونحوهما، وفي عُسْب النخل (بالسين المهملة) وهي الجريد الذي لا خوص عليه، واحدها صَيب، وفي عظم أكتاف الإبل والغنم . وعلى هذا الأسلوب كانت العربُ لقربهم منهم . واستمر ذلك إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن والعربُ على ذلك ، فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل ويقرؤه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في الخفاف والعُسْب ؛ فمن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال عند جمعه القرآن : ” بَعَثْتُ أَنْتَجِ الْقُرْآنَ مِنَ الْعُسْبِ وَالْخَفَافِ ” . وفي حديث الزهري : ” قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنُ فِي الْعُسْبِ ” وربما كتب النبي صلى الله عليه وسلم بعض مكاتباته في الأدم كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وأجمع رأي الصمابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه ، أولائه الموجود عندهم حينئذ . وبقى الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة وقد كثّر الورق وفشا عمله بين الناس أمر ألا يكتب الناس إلا في الكفافة، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التروير، بخلاف الورق فإنه متى عُجِي منه فسد، وإن كُتِبَ ظهر كُتْبُهُ . وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاظماها من قُرب وبعد، واستمر الناس على ذلك إلى الآن .

## الجملة الثالثة

في بيان أسماء الورق الواردة في اللغة ، ومعرفة أجناسه

الورق ( يفتح الراء ) اسم جنس يقع على القليل والكثير ، واحده ورقة ، وجمعه أوراق ، وجمع الورقة ورقات . وبه سمي الرجل الذي يكتب وزاقا . وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاسا وصحيفة كما مر بيانه . ويسمى أيضا الكاغد ( يعني ودال مهملة ) ويقال للصحيفة أيضا طرمصة ، ويجمع على طروس ، ومهروق ( يضم الميم وإسكان الميم ) وفتح الراء المهملة بعدها قاف ، ويجمع على مهارق . وهو فارسي معرب ، قاله الجوهري . وأحسن الورق ما كتب نصح الياض غرضا صقيلا ، متناسب الأطراف . صبوراً على مرور الزمان . وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي وهو ورق تخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء ، وقطعه وافر جداً ، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة . وربما استعمله تكتب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوها كما سياتي بيانه في المكتبات السلطانية . ودونه في الرتبة (١) الناجي ، وهو على نوعين : نوع يعرف بالحموي ، وهو دون القطع البغدادي . ودونه في القدر والملمع ورق بالشامي ، وقطعه من القطع الحموي ، ويدور لهما في الرتبة الورق المصري ، وهو أيضاً على قطعين : القطع المنصوري ، وقطع العادة والمنصوري أكبر قطعا . وقلماً يصقل وجهه جميعاً . أما العادة فإن فيه ما يصقل وجهه ويسمى في عرف الزقاقين : المصلوح . وغيره عندهم على رتبتين : عال ووسط . وفيه صنف يعرف بالقوي صغير القطع ، خشن غليظ خفيف الغرف ، لا ينفع به في الكتابة يُنخذ للقيلوي والعطر ونحو ذلك . وإنما نهت على ذلك وإن كان

(١) أي نوعه ودونه الخصب .

واضحاً لأمرين: أحدهما، ألا تُحْتَلَى كُتَابُنَا من بيان الورق الذي هو أحد أركان الكتابة؛  
 الثاني، أنه قد ينقل الكتاب إلى إقليم لا يعرف فيه تفاصيل أمر الورق المصري  
 كما لا يعرف المصريون ورق غير مصر معرّفهم بورق مصر، فيقع الاطلاع على  
 ذلك لمن أرادته. ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرنجية فهو ردىء جداً، سريع  
 البلى، قليل المكث، ولذلك يكتبون المصاحف غالباً على الرقّ على العادة الأولى طلباً  
 لطول البقاء.

وسأتي الكلام على مقادير قطع الورق عند أهل التوقيع وأهل الديوتية عند ذكر  
 ورق كل فن، وما يتناسبه من القطع إن شاء الله تعالى.

تم الجزء الثاني، ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث، وأوله

(الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الأولى،

في الكلام على نفس الخط)









